منهاج الشريعة
في الردّ على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلاّمة السيّد محمد مهدي الكاظمي القزويني قدس سره

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٨ هـ)

الجزء الخامس

تحقيق

السيّد مرتضى ميرسجّادي

سرشناسه	كاظمی قزوینی، محمد مهدی، ۱۸۶۵ ـ ۱۹۳۹م.
عنوان قراردادی	منهاج‌السنةالنبويه فی نقض كلام‌الشيعةالقدريه. شرح
عنوان و نام پدیدآور	منهاج الشريعة فی‌الرد علی‌ابن‌تيميه/ تاليف محمدمهدی الكاظمی‌القزوينی؛ تحقيق سيدمرتضی میرسجادی.
مشخصات نشر	قم: محلاتی، ۱۳۸۸ـ
مشخصات ظاهری	ج.
شابک	دوره ٨-٧١-٧٤٥٥-٩٦٤-٩٧٨ : ج۱. ١-٠٠-٧٤٥٥-٩٦٤-٩٧٨. ج۳. ٥-٨٥-٧٤٥٥-٩٦٤-٩٧٨ . ج٤. ٥-٢٨-٥٦٥٩-٦٢٢-٩٧٨ . ج٥ ٧-٣٧-٥٦٥٩-٦٢٢-٩٧٨
وضعیت فهرست نویسی	فیپا
یادداشت	عربی.
یادداشت	كتاب حاضر رديه‌ای است بر كتاب ((منهاج السنه النبويه فی‌نقض كلام الشيعه والقدريه)) ابن تيميه كه آن خود رديه‌ای است كه ابن تيميه بر كتاب ((منهاج الكرامه فی‌معرفه الامامه)) علامه حلی نوشته است.
یادداشت	ج.۳ (چاپ اول: ۱۳۹۶) (فیپا).
یادداشت	ج.۴ (چاپ اول: ۱۴۰۰).
یادداشت	جلد چهارم و پنجم این کتاب توسط انتشارات العطار منتشر شده است.
موضوع	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶ـ۶۴۸ق. منهاج‌الكرامة فی معرفة‌الامامه -- نقد و تفسير
موضوع	ابن‌تيميه، احمدبن عبدالحليم، ۶۶۱ـ ۷۲۸ ق . منهاج‌السنةالنبويه فی نقض‌الشيعةالقدريه -- نقد و تفسير
موضوع	امامت -- دفاعیه‌ها Imamate -- Apologetic works ائمه اثناعشر (Imams (Shiites شيعه -- دفاعيه‌ها Shi'ah -- Apologetic works
شناسه افزوده	میرسجادی، مرتضی
شناسه افزوده	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶ـ۶۴۸ق. منهاج‌الكرامة فی معرفة‌الامامه. شرح
شناسه افزوده	ابن‌تيميه، احمدبن عبدالحليم، ۶۶۱ـ ۷۲۸ ق . منهاج‌السنةالنبويه فی نقض‌الشيعةالقدريه. شرح
رده بندی کنگره	BP۲۲۳/۸۰۲۸م۷۵ع ۱۳۸۸
رده بندی دیویی	۲۹۷/۴۵
شماره کتابشناسی ملی	۲۱۰۲۳۳۶
اطلاعات رکورد کتابشناسی	فیپا



هوية الكتاب:

الكتاب: منهاج الشريعة في الردّ على ابن تيمية ج٥

تأليف: العلاّمة السيّد محمّد مهدي الكاظمي القزويني

تحقيق: السيّد مرتضى ميرسجادي

الناشر: العطار

المطبعة: احسان

الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الأولى ١٤٠٢ هـ ش ـ ١٤٤٤ هـ ق

العدد: ٢٠٠ نسخة / عدد الصفحات: ٦٩٦ صفحة وزيري

الترقيم الدولي (ISBN): ٧ ـ ٣٧ ـ ٥٦٥٩ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللَّهُمَّ كُنْ لوَلِيِّكَ الحجّة بن الحسن
صلواتك عَلَيه وَعَلى آبائه في هَذه
السَّاعَة وَفي كُلِّ سَاعَة وَليّاً وَحَافظاً
وَقَائداً وَنَاصراً وَدَليلاً وَعَيْناً
حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

قال السنّي

وأما قوله: بسوقهم لها في بني أميّة وبني العبّاس... فيقال له: أنّه لم يقل أهل السنّة بأنّ الرجل منهم هو المستحقّ للتولية دون غيره، بل هم يخبرون بما قد وقع، ويأمرون بما وجب، وغير قائلين بأنّه تجب طاعتهم في جميع ما يأمرون به، بل يطاعون فيما يأمرون به من طاعة الله دون معصيته. ويقولون بأنّهم هم المتولّون، ولهم قدرة وسلطنة على إقامة المقصود من الخليفة من إقامة الحدود وقسمة المال وسدّ الثغور وجهاد الكفّار وإقامة الحجّ وصلاة العيدين والجمعة وغيرذلك، فيعاون أحدهم وعمّاله على البرّ والتقوى خاصّة. ومن المعلوم حاجة الناس إلى ولي ولو جائر مثل ما يقال ستّون سنة مع إمام جائر خير من ليلة بدون إمام. ويروى عن علي عليه السلام أنّه قال: ليس بُدّ من إمّا برة وإمّا فاجرة. قيل له هذه البرة عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبل ويقام بها الحدود ويجاهد بها العدى ويقسم بها الفيء.

ثم كرّر مزخرفاته التي قد سبقت منه في حقّ الحجّة المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وقد مضى بيان فسادها؛ ثم زعم عدم منازعة أهل السنّة في تولية أهل الشوكة بعد أبي بكر وعمر وعثمان وعلى جماعة غيرهم أفضل منهم فيصير

آثم ذلك على من قدّم المفضول فاستعمله وهجر الفاضل بعد قدرته على تقديم الفاضل. فأمّا من لم يقدّم المفضول ولم يعاون على ذلك فليس عليه جرم فيصير حال المفضول الذي قدّمه صاحب الشوكة حال إمام جماعة الذي غيره أفضل منه شرعاً فقدّم المفضول صاحب الشوكة، فالمصلّون خلفه الذين ليس يمكنهم التخلّف عن الصلاة أي ذنب لهم في ذلك وقد فرض سبحانه التقوى ورسوله قدر استطاعته المأمور بها، وأهل السنّة يقولون: يجب تولية من هو أصلح عند أكثرهم، وعند بعضهم ذلك مستحبّ ومن عدل عن توليته لهوى نفسه بعد قدرته فهو ظالم؛ فلو فرض أنّ ما تدعيه الرفضة من النصّ حقّ موجود والناس لم تولّ المنصوص عليه فهم تاركون تولية من وجبت توليته، وحينئذ فإمامهم هو الذي قام بالمقصود منها دون من ضيّعوه وقهروه، فالذنب على من ضيّع حقّه وعدل منه دون من لم يضيّع حقّه وهم يقولون أنّه لطف وجب نصبه لكونه مصلحة للعباد فبعد علم الله ورسولهﷺ بأنّ الناس يولّون غير المنصوص عليه وهم ينتفعون بإمامته فأمرهما بتولية من يولّيه الناس أولى كيف وما زعموه من النصّ بهتان بيّن فإنّ النبيﷺ قد أخبر أمّته بما سيصير بعده من التفرق فإذا علم بأنّ من ينص عليه يعدلون عنه ويولّون غيره ويحصل لهم به المقصود من الخليفة فإن وصلت النوبة إلى المنصوص عليه حصل من سفك الدم بين أمّته ما لم يحصل بغير المنصوص عليه ولم يحصل من المقصود معه ما حصل بغيره لوجب العدول إلى الغير المنصوص عليه وهم ينسبون إلى الله ورسولهﷺ العدول عمّا فيه المصلحة للعباد إلى ما فيه سوى الفساد. مثال

ذلك لو فرض وجود شخصين عند الخليفة أحدهما لو يولّيه لدبر الخلق وحارب الكفرة وغلبهم، ولو ولّي الثاني لم يصدر من ذلك شيء بل يقع في الرعية الفتنة والفساد كان من المعلوم لدى كلّ عاقل تولية السابق وعدم تولية الثاني، فإن قيل الفساد إنّما حصل من معصيتهم له، قيل: أفليس تولية من يطيعونه؟ فتحصل به المصلحة أولى من تولية من يعصونه؟ فيحصل الفساد ولو كان لرجل ولد وهناك مؤدبان، فإن جعله عند أحدهما تعلّم وتأدّب ولو جعله عند الثاني هرب منه ولم يتأدّب، أفليس جعله عند من يتعلّم منه الكمال أولى من جعله عند من يهرب منه بدون تأدّبه بشيء؟ ولو خطب المرئة شخصان أحدهما أفضل لكنّها تبغضه، ولو تزوّجت به لم تطعه بل تؤذيه ولن ينتفع هو بها وهي لن تنتفع به، والثاني تحبّه ولو تزوّجت به لحصل مقصد النكاح، أفليس يتعيّن تزويجها من الثاني؟ فكيف يضاف إلى الله ما ليس يرضاه غير الظالم والجاهل. فقول أهل السنّة خبر صادق وقول حكيم وقول الرفضة خبر كاذب وقول سفيه؛ ثم نقل عن الصحيحين ما دلّ على موت الجاهلية لمن فارق السلطان بشبر، وعن مسلم: من فارق الجماعة فقد مات ميتة جاهلية، وما بمعنى ذلك انتهى نقل غالبه بالمعنى ملخّصاً[1].

---

(١) منهاج السنّة ج١: ص٥٤٧

قلت:

وفيه من العجائب ما نشير إليها بوجوه:

أحدها: ما زعمه من عدم قول أهل السنّة بأن الرجل منهم هو المستحقّ للتولية دون غيره، فإنّه من عجيب تدليسه وغشّه وكذبه[1]؛ لأنّ من

---

(١) لا يخفى على الخبير أنّ جمهور أهل السنّة ذهبوا إلى انعقاد الإمامة لكلّ من استولى على القدرة والحكومة (انظر شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٧١، والمحلّى لابن حزم ج١: ص٢٣ وغير ذلك). رغم أنّ علمائهم اشترطوا في تولية الإمام العدالة وغيرها من الشرائط السائدة لحفظ الأمانة (انظر اصول الدين لعبد القادر البغدادي: ص٢٧٧، والأحكام السلطانية للماوردي: ص٦، وشرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧١ وغيرهم). وقد اعترفوا بقصور أكثر الناس عن تولي هذا المقام، لعدم توفّر الشرائط فيهم، وقصورهم عن القدرة لحفظ الودائع الماديّة والمعنويّة لذلك المقام العظيم، حيث أنّ التولي لذلك المقام يقتضي العناية لاسترداد كلّ ذي حقّ حقّه. ولا شكّ أنّ ذلك من أصعب الأمور في المناصب العامّة العاديّة مع أنّها أمانات ومسؤولة. فالإمامة الكبرى أشدّها مسؤوليّة فهي أمانة وتعتبر عند جميع المسلمين أعلى مراتب الأمانة، فالتفريط فيها بتسليمها لغير المؤهّلين يُعَدّ خيانة عظيمة. فما ذكره ابن تيميّة نقلاً عن علماء أهل السنّة من أنّهم يقولون بإمامة من يستحقّها، ومع ذلك قد صرّحوا في مواضع عديدة بإمامة ملوك بني أميّة وبني العبّاس، وهذا لا ينسجم مع ما ذكروه في باب شرائط الإمامة.

ثمّ بناءً على قولهم من أنّ الإمامة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليهم، فإنّه إقرار منهم ←

تسمى بأهل السنّة جاعلون إمامة الخلق فيمن صارت له سلطنة من بني أميّة وبني العبّاس[1]؛

←

لتثبيت الإشكال، إذ كيف يمكن لمسلم أن يقر بإمامة يزيد بن معاوية وأضرابه من خلفاء الجور؟! مع إعترافهم بأنّه أفسق الفساق ، أو بناءً على بعض أقوالهم أنّه من الكفار. وبالجملة لقد تحاشى الرجل من أن يعترف بصراحة ووضوح بإمامة ملوك بني أميّة وبني العبّاس؛ لأنّ الالتزام بإمامة هؤلاء يستتبع الالتزام بلوازمها.

ثمّ إنّا نسأله: من الذي مكّن يزيد بن معاوية وأضرابه من فساق بني أميّة وبني العبّاس على الناس؟ ومن الّذي سلطهم على رقاب المسلمين؟ فالجواب عن هذا السؤال يحل جميع المشاكل في باب الإمامة فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ المستفاد من كلمات علماء أهل السنّة في المواضع المختلفة، اعتقادهم بإمامة حكّام بني أميّة وبني العبّاس وخلافتهم، والباحث عندما يراجع إلى كتبهم يرى بوضوح محاولاتهم الصريحة في الدفاع عن حكام بني أميّة وبني العبّاس باعتبار أنّهم من خلفائهم(لاحظ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٦٢). ورغم التأثير الكارثي لمجزرة كربلاء في تاريخ الإسلام، فقد إلتجاء العديد من علماء أهل السنّة إلى المبررات الوهمية والأعذار المضحكة ليزيد بن معاوية، وحاولوا تبرئته من تصرّفاته الوحشية وانهماكه في المعاصي والآثام وما ارتكبه من قتل سيّد شباب أهل الجنة أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحمل رأسه الشريف إلى الشام، وأباحة دماء أهل المدينة وعرضهم ثلاثة أيّام، وقتل خلق كثير من الصحابة ونهب المدينة حتّى اُفتض في هذه الواقعة ألف عذراء، وإلى غير ذلك من الكواره والكوارث... ومع ذلك قد ذكرشمس الدين ابن طولون في كتابه قيد الشريد من أخبار يزيد أنّه صرح تقي الدين ابن

←

➔

سرورالمقدسي: أنّ خلافة يزيد صحيحة... (انظر قيد الشريد: ص٧٠). وسئل الغزالى عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية، هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل كان راضياً بقتل الحسين بن علي أم لا؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم لا؟ فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً.... (ثم قال): وقد صحّ إسلام يزيد بن معاوية، وما صحّ قتله للحسين، ولا أمره به... (انظر قيد الشريد: ص٥٧). ومن هنا نقل الكثير من المؤرّخين، ومنهم عبد الرحمن بن خلدون في مقدمة كتابه، عن ابن العربي المالكي، قوله: إنما قُتل الحسين بسيف جده، أو بشرع جدّه (انظر خلاصة عبقات الأنوار ج٤: ص٢٣٧ نقلاً عن ابن خلدون). واشتهرت هذه الجملة بين أتباع أهل السقيفة وذاعت على ألسنتهم، رغم أنها لم تردّ بشكل صريح في كتاب ابن العربي، ولكنهم توافقوا على مضمونها اجمالاً وصرّحوا في آرائهم واعتقاداتهم بما يدلّ على ذلك، فأيّدوه وتلقوه قولاً صحيحاً. قال المناوي: وقد غلب على ابن العربي الغضّ من أهل البيت حتّى قال: قتله بسيف جدّه (فيض القدير ج١: ص٢٠٥). وذكر السخاوي هذه الكلمة بترجمة ابن خلدون، نقلاً عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن شيخه الحافظ الهيثمي أنه بهذا السبب كان يلعن ابن خلدون وهو يبكي. قال السخاوي وقد كان شيخنا أبو الحسن - يعني الهيثمي - يبالغ في الغضّ منه، فلمّا سألته عن سبب ذلك، ذكر أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي عليه السلام في تاريخه فقال: قتل بسيف جدّه. ولمّا نطق شيخنا بهذه اللفظة أردفها بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي. قال شيخنا في رفع الإصر: ولم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن، وكأنّه ذكرها في النسخة التي رجع عنها (انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج٤: ص٤٧ في ترجمة ابن خلدون). وهذا اعتراف من بعض علمائهم المنصفين. وأمّا أكثر علماء أهل السنّة لاسيمّا السلفية منهم تلقوا آراء

🡐

➔

الغزالي وابن العربي، وغيرهما صحيحاً. ولا يخفى على الباحث الخبير أنّ بني أميّة كان هدفها القضاء على الإسلام، وذلك باعتراف كبار علماء أهل السنّة. قال مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب أرسله إلى عمرو بن العاص وفيه: «يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فاتّبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت. فإن يمكنني الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما، وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرّ لكما» (نهج البلاغة: كتاب رقم ٣٩). قال ابن أبي الحديد في شرحه: أمّا قوله: «يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته»: فالأمر كذلك؛ فإنّه لم يكن في مجلسه إلاّ شتم بني هاشم وقذفهم، والتعرّض بذكر الإسلام والطعن عليه، وإن أظهر الانتماء إليه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٦٢). وقال عليه السلام بعد خدعة رفع المصاحف في خطبة خطب فيها أصحابه: «عباد الله، امضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهنا ومكيدة... فإنّي إنّما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونسوا عهده، ونبذوا كتابه» (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص٣١٦). فكان بنو أُميّة يريدون القضاء على الإسلام من الأساس وقلع جذوره، ومن أجل ذلك استخلف معاوية ابنه يزيد شارب الخمور والمعلن بالفسوق، وناكح الأمّهات والأخوات، لأنّه كان يعلم أنّ مثله لا يبقى شيئاً من الإسلام وكان عمله تشجيعاً له لقتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وهتك حرمة أهل البيت عليهم السلام، واستباحة المدينة

🡐

ولذلك قال في فتح الباري: ونقله عنه جماعة من المتأخّرين عنه في توجيه خبر يكون بعدي اثني عشر خليفة(١)(٢):

المنوّرة وحرق الكعبة وقتل الصحابة والقرّاء وهتك أعراض المسلمين. قال ابن أبي الحديد المعتزلي أنّه وروى الزبير بن بكار في الموفقيّات، ورواه جميع الناس ممّن عني بنقل الآثار والسير، عن الحسن البصري أنّه قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه إلاّ واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٦٢). والذي يهون الخطب في المقام هو أنّ دفاع علماء أهل السنّة من حكّام بني أميّة وبني العبّاس من جهة عدم وجود طريق للدفاع عن خلفائهم ، لاسيّما عمر ابن الخطاب حيث أنّه ولّى معاوية على الشام؛ فالباحث لو أمعن النظر في تولّي عمر يرى بوضوح أنّه كان يعرف معاوية ويعلم سلوكه ومنهجيّته السياسيّة، فولاه الأمر لنشر سياسة الأمويّة وإعادة الجاهليّة الأولى، فكثيراً من علماء أهل السنّة قد عرفوا هذا الغرض والهدف من فعل الخليفة عمر بن الخطّاب، ولذلك لم يروا بدّاً من الدفاع عن معاوية ويزيد وحكّام بني أميّة وبني العبّاس لئلاّ يتوجّه الإشكال إلى عمر ابن الخطّاب، فلاحظ.

(١) انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١٣: ص١٨١

(٢) لا شكّ ولا شبهة في أنّ الروايات والأخبار المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدالّة على أنّ الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام قد أخرجها كبار علماء أهل السنّة،

➔

فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبيﷺ فسمعته يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» قال: ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وأخرج بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبيﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وأخرج أيضاً بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: انطلقت إلى رسول اللهﷺ ومعي أبي فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»، فقال: كلمة صمنيها الناس فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وأخرج بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول اللهﷺ، قال: فكتب إلي: سمعت رسول اللهﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي أنّهﷺ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل اخراج الخصوم). وأخرج الترمذي بسنده عن جابر بن سمرة قال: قال رسول اللهﷺ: «يكون من بعدي اثنا

➔

وقد علم تجاوزهم عن هذه العدة بأضعافها أن المقصود وجود اثنى عشر

➔

عشر أميراً، قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني فقال: «كلّهم من قريش» (سنن الترمذي ج٣: ص٢٤٠). وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: «بعدي اثنا عشر خليفة»، ثمّ أخفى صوته فقلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: «كلّهم من بني هاشم» (ينابيع المودة ج٢: ص٣١٥). ويبدو أن كلمة: «كلّهم من بني هاشم»، قد جاءت بعد قوله صلى الله عليه وآله: «كلّهم من قريش»، فلم يسمعها أيضاً إلاّ أقلّ القليل. وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم بهذه المضامين، وهناك روايات كثيرة بالغة عن حدّ التواتر من طرق الشيعة تدلّ على المقام. فحديث الأئمة من بعدي اثنا عشر خليفة من الأحاديث المتواترة لدى علماء الإسلام. ومن الأحاديث الصحيحة لدى كبار علماء أهل السنّة، وهو لا ينطبق من جهة الدلالة إلاّ على مذهب الشيعة الإماميّة والاعتقاد بالأئمّة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام من ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله. فهذا الحديث يدلّ على بطلان جميع المذاهب إلاّ الشيعة الإثني عشرية، وذلك لعدم انطباقه الحديث على ما يعتقدون من باب الخلافة والإمامة. فإنّ أهل السنّة يعتقدون بخلافة الخلفاء الأربعة أو الخمسة وخلفاء بني أميّة أو بني العبّاس وحينئذٍ يكون عددهم أكثر ممّا جاء في الحديث بأضعاف، مضافاً إلى أنّ خلفاء بني أميّة وبني العبّاس كانوا أهل الفسق والفجور، وقد قضوا أعمارهم بشرب الخمور وبالملاهي والملاعب واستماع الغناء وضرب الدفوف وسفك الدماء المحرّمة وغير ذلك من الكبائر والموبقات، فكيف يجوز أن يكونوا هم المقصودين بالخلفاء الاثني عشر في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!!!

متفق عليهم لدى الناس وغيرهم لم تتّفق عليهم الكلمة[1].

---

(١) لقد اختلف علماء أهل المذاهب السنيّة في تفسير الاثني عشر، في الحديث المتواتر النبوي من أنّ الخلفاء من بعدي اثنا عشر... فطبّقه كلّ منهم على زعمه في التأويل، وسكت بعضهم عن التدخّل في تفسيره. ولكن لا يوجد تفسير من أهل السنّة إلاّ وفيها إشكالات عديدة لا يمكنهم الجواب عنها. وإليك بعض ما ذكروه في تأويل الحديث: قال ابن حجر العسقلاني: قال ابن بطال عن المهلّب: لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث يعني بشيء معين (فتح الباري ج١٣: ص١٨٢). وقال النووي: ويحتمل أن يكون المراد مستحقّي الخلافة العادلين، وقد مضى منهم من عُلم، ولا بدّ من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٢). وقال ابن الجوزي في كشف المشكل: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به، لأنّ الألفاظ مختلفة (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص١٨٣ نقلاً عن كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي). وهناك أقوال أخرى لم نذكرها رعاية للاختصار (راجع أضواء على السنّة المحمديّة للدكتور محمود أبو رية: ص٢٣٥).

ويرد عليهم بأنّ الحديث واضح ظاهر فالقول بأنّ الحديث مجمل غير مبين، باطل، لأنّ موضوع الحديث الإمامة والخلافة عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو من أوضح المواضيع، وفي نفس الوقت أنّ الإمامة من أهمّ المناصب جداً، لا يتحمّل التسامح فيه بإيراد نصّ مجمل لا يفهم منه شيء، وإلاّ، فمن الممكن أن يقال: ما فائدة هذا الكلام، ولماذا يتصدّى الرسول صلى الله عليه وآله إلى إلقائه، إذا لم يكن له معنى ومفهوم، أو ثمرة بينة؟!!

وثانياً: أنّ هذا الحديث لا يحتوي على لفظة مفردة غريبة توجب الإجمال في معنى ←

ثم بيّن ذلك وشرحه يذكر المتّفق عليهم[(١)]،

→

الكلام، وليست الجملة بكاملها معقدة حتى يتوقّف في فهم المراد منها. بل – على العكس – فإنّ المراد والمدلول واضح جداً، يقولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه: إنّ الخلفاء الذين يلون أمر إمامة الإسلام هم اثنا عشر، في الفترة من بعد النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وحتّى يوم القيامة.

ثم أنّه إذا لم ينطبق هذا المدلول إلاّ على ما يقوله الشيعة الإمامية، فليس معناه أنّ الحديث مجمل. فإنّ المدلول ثابت والحقّ أنّ الأئمة الاثنا عشر من أهل البيتعَلَيهِمُالسَّلَام وهم الذين جعلهم رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عِدل القرآن في حديث الثقلين. فأي مانع من الالتزام بأنّ المقصود بهم الأئمة (الاثني عشر) من أهل البيتعَلَيهِمُالسَّلَام؟ وما دام أنّ الألفاظ صريحة والقرائن واضحة في الدلالة لماذا ينسب الإجمال إليه؟!!

وثالثاً: لو كان المقصود بهم جميع خلفاء أهل السنة من الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أميّة وبني العبّاس، فإنّه يخالف مدلول الحديث، ولم يلتزم به أحد.

والطريف بالملاحظ أنّ بعض علماء أهل السنة حاولوا قدر الإمكان تطبيق الحديث على زمن حكومة بني أميّة، مع أنهم يروون عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أن الخلافة بعده ثلاثون سنة، ثم ملكاً، وقل من يذكر منهم من يشارك حكّام بني العبّاس في معنى هذا الحديث.

وخلاصة الكلام أنّ حديث اثني عشر خليفة من الأحاديث الصحيحة عند أهل السنّة الذي يجب الالتزام بمدلوله ولكن لا يمكنهم الالتزام بمدلوله إلاّ بناءً على بطلان خلافة السقيفة فلاحظ.

(١) انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص١٨٢–١٨٤، وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت صحّة حديث الاثنى عشر خليفة عند كبار علماء أهل السنّة كالبخاري ومسلم وغيرهما من أرباب الصحاح والسنن فقد التجأ المتعصّبين من علماء أهل

←

➔
السنّة إلى تأويلات باردة وغريبة للحديث الذي فيه الصراحة على أنّ الأئمة بعد النبيصلى الله عليه وآله اثنا عشر، وهذا المدلول الواضح لا يقبل التوجيه. ولكن مع ذلك ذكر بعض علمائهم تأويلات غير معقولة وغير منصفة من حيث أنّه لا ينطبق مع ظاهر الحديث، وإليك بعض ما جاء في كتبهم، فمنهم: ابن حجر، فإنّه قد بذل غاية جهده في شرح الحديث وتوجيهه، حيث نقل التأويلات عن كبار علماء أهل السنّة من أنّ قوم منهم قالوا: يكونون بتوالي إمارتهم، وقوم قالوا يكونون في زمن واحد كلّهم يدعي الامارة... (فتح الباري ج١٣: ص١٨٢). وقد ظنّ ابن حجر وغيره من علماء أهل السنّة أنّ المراد بهؤلاء الاثني عشر هم الحكّام الذين حكموا على الناس بعد الرسولصلى الله عليه وآله واتّفقوا على تسمية الأربعة الأوائل منهم وحاروا في تكملة العدد، فمنهم من عدّ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك ابن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، وبين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز والثاني عشر هو الوليد ابن يزيد بن عبد الملك؛ وقد رجّح هذا القول ابن حجر (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص١٨٤). ومنهم من قال: إن هؤلاء الاثني عشر مفرقين في الأمّة إلى آخر الدنيا (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص١٨٤).

ولكن بطلان هذه الأقوال أوضح من أن يخفى على الباحث الخبير، أوّلاً: لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قد حصر الأئمة من بعده في عدد اثني عشر، وبهذا الحصر يبطل كلّ قول ينتهي إلى غير محصور في العدد، فإنّ الحصر يفنّد ما ذكر في توجيه عدم الحصر في الاثني عشر.

وثانياً: أنّ حديث الاثني عشر خليفة، فيه دلالة واضحة على أنّ الخلافة تكون إلى يوم القيامة. كما جاء في صريح حديث صحيح مسلم بسنده عن عامر بن سعد بن أبي
➔

←

وقّاص قال كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فكتب إلى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه). فيدلّ الحديث على أنّ الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منحصرة في عدد الاثني عشر، ومستمرة إلى يوم القيامة. وعليه فإنّ هذا الحديث لا ينطبق إلاّ على قول الشيعة في الإمامة، القائلين بحصر الأئمة في عدد الاثني عشر إلى قيام الساعة.

ومن هنا تحيّر علماء أهل السنّة في بيان المقصود من الاثني عشر المذكورة في الروايات التي وردت في أصحّ كتبهم. إذ من الواضح لدى الخبير أنّ لذكر العدد موضوعية لا بدّ أن يلاحظ في المدلول. كما أنّ استمرار الإمامة والخلافة إلى يوم القامية يكون كذلك. فوقع الاختلاف وتضاربت الآراء في تفسيرهم لمدلول الحديث. قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي: فعددنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثني عشر أميراً فوجدنا: أبا بكر، عمر، عثمان، عليّاً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية ابن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبدالعزيز، يزيد ابن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح. ثم عدّ بعده سبعاً وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثم قال: وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان، واذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر ابن عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى (انظر شرح سنن الترمذي لابن العربي ج٩: ص٦٩).

وقال القاضي عيّاش في جواب القول: أنه ولي اكثر من هذا العدد: هذا اعتراض باطل، لأنه صلى الله عليه وآله لم يقل: لا يلي إلاّ اثنا عشر، وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك في

←

فعلم من قوله وقول غيره استحقاق من تخلّف من بني أميّة وبني العبّاس لذلك[(١)]،

➔

الزيادة عليهم (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠١). ونقل السيوطي في الجواب: أن المراد: وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحقّ وإن لم يتوالوا (انظر الدرّ المنثور ج٣: ص٣٤١).

وفي فتح الباري: وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدد قبل قيام الساعة (انظر فتح الباري ج١٣: ص١٨٢). وهكذا لم يتّفقوا على رأي في تفسير هذه الرواية، مع أنّ كلّهم بنوا على صحّة الحديث سنداً، ومعناه أنّهم بنوا على أنّ الخلافة بعد النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ محددة بالاثني عشر إلى يوم القيامة بإجماع مركب من جميع المسلمين. وحيث لم يجدوا طريقاً لحل هذه المعضلة عندهم أهملوا ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بإهمال الروايات الواردة في هذا المجال، مع أنّها بالغة عن حدّ التواتر رواها كبار علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، وسنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

مضافاً إلى أنّهم وقعوا في عويصة لم يمكنهم حلّها، وهي أنّ أكثر خلفاء أهل السنّة من بني أميّة وبني العبّاس وهم أهل الفسوق والفجور والخمور فلم يمكنهم القول بأنّ هؤلاء خليفة رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. ولذلك بقوا متحيّرين يذهبون ذات اليمين وذات الشمال في توجيهاتهم الباطلة. فحديث الاثني عشر خليفة من الأدلّة التي تبطل ما زعمه ابن تيميّة في المقام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد زعم ابن حجر العسقلاني وغيره من علماء أهل السنّة أنّ المقصود بالاثني عشر في الحديث النبوي هم الولاة الذين تولّوا الإمارة من السقيفة ومن بعدها ممّن عيّنهم أتباع السقيفة فبنوا على أن يُعدوا اثنا عشر خليفة منهم.
➔

➔
وحيث أنّ الخلفاء عندهم أكثر من اثني عشر بأضعاف، ولذلك وقعوا في عويصة لا يمكنهم حلّها ، إذ لو كان خلفاء بني أميّة وبني العبّاس في عداد خلفاء أهل السنّة لكان عددهم أكثر من اثني عشر بأضعاف. ولو كان المقصود بهم غير خلفاء بني أمية وبني العباس لكان عددهم لا يصل إلى حدّ الاثني عشر. وحيث لم يجدوا الحلّ لهذه المشكلة، اتّخذوا موقفاً آخراً لتخلّص من هذه العويصة، فذهبوا إلى انتخاب اثنا عشر من بين هؤلاء كلّ يدعي حسب زعمه. وبذلك خرجوا من الحفرة ووقعوا في البئر، إذ وقعوا في الاختلاف في انتخابهم الاثني عشر حسب زعمهم. فذهب كلّ منهم إلى انتخاب ما يراه صحيحاً من الاثني عشر.

والمهمّ أنّ الخليفة عند هؤلاء ليس فيه معيار وميزان من الشرع والعقل، لأنّهم يدعون بأنّ الخليفة هو من تولّى أمر الإمارة كائناً من كان، ولو كان دون هؤلاء من الملوك الظلمة من بني أميّة وبني العبّاس، فإنّه حسب عقيدة هؤلاء يكون خليفة. لأنّه بناءً على ما أسسوه في السقيفة من أنّ من تولى أمر الإمارة ولو بالغلبة على الآخرين يكون عندهم خليفة برّاً كان أم فاجراً. وعلى سبيل المثال أنّ يزيد ابن معاوية الطاغية عند أهل السنّة خليفة من خلفاء الاثنى عشر؛ لأنّه عيّنه للخلافة من تعين من قِبل خلفاء السقيفة، لأنّ يزيد بن معاوية عيّنه للخلافة أبوه معاوية ومعاوية هو من عيّنه عمر بن الخطّاب لإمارة الشام فبهذا الطريق إمارة يزيد يرجع إلى خلافة السقيفة. وأمّا الإمام الحسين عليه السلام الذي هو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة الذي الذي قام ضدّ حكومة يزيد لإجراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الأمّة في سبيل الله فيكون عندهم خارجياً - والعياذ بالله - لأنّه حسب اعتقادهم خرج على خليفتهم يزيد بن معاوية!! وهذا واقع الأمر في اعتقاد أهل السنّة. وممّا يؤيّد ذلك ما ذكره أبو يعلى الفرّاء عن أحمد بن حنبل قوله: إنّ الخلافة
🡐

➔

تثبت بالغلبة والقهر، ولا تفتقر إلى العقد (انظر الأحكام السلطانية للماوردي: ص٧-٨). وفي رواية عبدوس بن مالك العطّار: من غلب بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أم فاجراً. واحتجّ بقول عبد الله بن عمر: نحن مع من غلب (انظر الأحكام السلطانية: ص٢٠-٢٢). وبذلك أصبح أهل السنّة والجماعة رهينة هذه البدعة في الإسلام، فهم يبايعون كلّ غالب على الحكم، بقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه، فيقول الغالب هو الحاكم برّاً كان أم فاجراً. والباحث لو تتبع كتبهم يجد أنّ أغلب الصحابة التابعين لخلافة السقيفة، مع كونهم جاهدوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وقاتلوا معاوية بن أبي سفيان الذي كان في صفوف الكفر والشرك في عدّة غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن عندما استولى معاوية على القدرة بايعوه على أنّه أمير للمؤمنين، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الوزغ بنفس الملاك (انظر المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٧٩). وطرده من المدينة وقال: «لا يساكنني حيّاً ولا ميّتاً» (انظر الغدير ج٨: ص٢٤٣ نقلاً عن البلاذري في أنساب الأشراف). بل أنّهم بايعوا يزيد بن معاوية وقبلوا خلافته لأنّه كان على كرسي القدرة. ولمّا ثار عليه الإمام الحسين عليه السلام سبط النبيّ صلى الله عليه وآله قتلوه وأهل بيته عليهم السلام دفاعاً عن يزيد وملكه؛ لأنّهم كانوا يعتقدون بخلافته وإمامته. ولذلك لا بدّ أهل السنّة من الاعتراف بأنّهم يتبعون خلفاء بني أميّة وبني العبّاس، ولا يبالون في مخالفتهم للنصّ النبوي الذي فيه الصراحة على أنّ الخلفاء من بعده صلى الله عليه وآله اثنا عشر، وعدم تطبيق الحديث الصحيح على خلفائهم. فهم يقولون: بأنّ الخلفاء وإن كثر وزاد من العدد عن الاثني عشر بأضعاف، فإنّهم من خلفائهم. وعليه ما ذكره ابن حجر وغيره من علماء أهل السنّة في المقام من التوجيهات حول حديث الاثني

➔

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره ما دلّ على كثرة خلفائهﷺ فأمر بطاعة السابق منهم فالسابق[١]، فجميع من تولّي بمقتضى ما نبّهنا عليه من الخبر خلفائه مستحقّون للتولية[٢].

←
عشر خليفة باطلة وغير مقبولة عند الباحثين، فلاحظ.

(١) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدّث عن النبيﷺ قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلّما هلك نبي خلّفه نبي وأنّه لا نبيّ بعدي وستكون خلفاء فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قالﷺ: فوا ببيعة الأوّل فالأوّل وأعطوهم حقّهم، فإنّ الله سائلهم عمّا استرعاهم (انظر صحيح مسلم ج٦: ص١٧ كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة عن فرات القزّاز قال: سمعت أبا حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدّث عن النبيﷺ قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلّما هلك نبي خلفه نبي وأنّه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قالﷺ: فوا ببيعة الأوّل فالأوّل أعطوهم حقّهم، فإنّ الله سائلهم عمّا استرعاهم (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤ كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني اسرائيل).

(٢) وتوضيح المقام أنّ حديث سيكون خلفاء فيكثرون... الذي استدل به ابن حجر لرفع اليد عن ظهور حديث اثنا عشر خليفة ومخالفة دلالته استدلال باطل، لا يمكن الالتزام به على مبنى جميع علماء الإسلام، لأنّ حديث سيكون خلفاء فيكثرون.... يدلّ على أنّ من تصدّى للخلافة بعد وفاة رسول اللهﷺ فهو يكون مستحقّاً للخلافة وإن كان الخلفاء في العدد أزيد وأكثر من اثني عشر، إذ الكثرة في قوله: سيكون خلفاء فيكثرون... معناه نفي دلالة الاثني عشر حديث الخلفاء من بعدي
←

➔

اثني عشر خليفة، لأنّ حديث سيكون خلفاء فيكثرون... يدّل على أنّ من تولى أمر الخلافة والإمامرة فهو خليفة سواء تجاوزوا عددهم عن الاثني عشر أو نقص عن هذا العدد. وعليه فإنّ معنى التمسّك بحديث سيكون خلفاء فيكثرون... تمسّك بحديث معارض لحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر. والأخذ بالحديث المعارض بدون معالجة التعارض معناه رفع اليد عن عن الحديث الصحيح ورفع اليد عن الحديث الصحيح معناه رفع اليد عن السنّة النبويّة. مضافاً إلى أنّ حديث سيكون خلفاء فيكثرون... مجمل في دلالته، وحديث الخلفاء من بعدي اثنى عشر نصّ في دلالته، فيلزم تقدّم النصّ على المجمل. ولا ندري كيف تمسّكوا بحديث سيكون خلفاء فيكثرون... وهو إمّا معارض لحديث الاثني عشر وإمّا مجمل. في حين أنّهم صرّحوا بصحّة حديث اثنى عشر خليفة وحجّيّته، ولكن كيف رفعوا اليد عنه وتمسّكوا بحديث سيكون حلفاء... فهو من الغرائب؟!! إذ معنى أخذهم بحديث سيكون خلفاء فيكثرون... إعراض واضح عن حديث الاثني عشر خليفة. والإعراض عن الحديث الصحيح إعراض عن السنّة النبويّة، فلا بدّ لهم أمّا من العمل حسب مقتضى الحديثين المتعارضين، أو العمل بما هو النصّ ورفع اليد عن المجل، على مبنى جميع علمائهم في الإصول. حيث أنّهم صرّحوا: بأنّ الأخذ بأحد المتعارضين وإهمال الطرف معناه الإعراض عن السنّة النبوية، والحجّة الشرعية. ولاندري كيف هؤلاء يسمّون أنفسهم أهل السنّة، أو يسمّون أنفسهم أتباع السنّة مع أنّهم يعرضون عن السنّة النبويّة الثابتة الحجّيّة عندهم. وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من رغب عن سنّتي فليس منّي» (انظر صحيح البخاري ج ٦: ص ١١٦ كتاب النكاح، باب قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فلاحظ.

وما الثمرة في زعم وجود من هو أولى بالتولية ممّن قد تولّى حسبما قال ذلك السنّي في حقّ أئمة الشيعةعليهم السلام بعد فرض كونهم أولى بالتولية ممّن تولّى بزعمه؟!![1]

---

(١) وبعبارة أوضح أنّه بعد اتّفاق جميع المسلمين على صحّة حديث اثنى عشر خليفة، وأنّه لا ينسجم في دلالته مع جميع المذاهب الإسلاميّة، إلاّ على القول الشيعة الاثني عشرية، كما لايخفى على أحد. وعليه لا فائدة لتوجيهات علماء أهل السنّة بالنسبة إلى حديث اثني عشر خليفة؛ لأنّ المسلمين متّفقون على اعتبار هذا الحديث من حيث السند والدلالة، والخبير يعلم أنّ العدد يدلّ على الحصر كما هو نصّ ظاهر. وبذلك يتّضح أنّ حديث اثنا عشر خليفة نصّ في دلالته على الأئمة الاثني عشر من أهل البيتعليهم السلام. وبهذا البيان المتّفق عليه بين جميع علماء الإسلام يتّضح بطلان عقيدة أهل السنّة وغير الشيعة الاثني عشري في باب الإمامة، لأنّه بناءً على صحة حديث اثني عشر خليفة وكونه نصّاً في دلالته لا بدّ لهم من الأخذ به. وأمّا مع عدم الأخذ بدلالته بالتوجيهات الباردة فإنّه ليس إلاّ من باب التعصّب الأعمى واللجاجة في قبول الحقّ. وإليك بعض أقوالهم في هذا المجال: قال النووي في شرح صحيح مسلم نقلاً عن القاضي عياض: ويحتمل أن يكون المراد مستحقّي الخلافة العادلين، وقد مضى منهم من عُلم، ولا بدّ من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٢). وقال أنّه: وقيل أن معناه أنّهم يكونون في عصر واحد يتبع كلّ واحد منهم طائفة... (شرح صحيح مسلم ج١٢: ص٢٠٣). وإلى غير ذلك من مقالاتهم التافهة ، الذي لايقبله العاقل؛ حيث أنّ حصر الخلفاء في العدد وذكر الاثني عشر يكون نصّاً ثابتاً من رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومفهوم الحديث: أنّ عزّة الإسلام منوطة بوجود هؤلاء الاثني عشر إلى يوم القيامة. ويستفاد ذلك من قولهصلى الله عليه وآله في بعض متون الحديث من كلمة (إلى) وفي بعضه ←

وهو الذي قد نقل عن إمامه محتجّاً بما قاله وهو بيانه لخبر من مات وليس عليه إمام[1] حسب ما مضى نقله بقوله، ومن ولي فأجمع عليه المسلمون كلّ بقول له إمام[2]. وفي النقل الثاني من ولي فأجمع عليه الناس ومن غلبهم

←

الأخر من كلمة (حتّى)، فإنّ لفظة (إلى) و(حتّى) تستخدم للغاية، ويفهم من الغاية في لغة العرب التحديد، ويستفاد من التحديد الحصر، فيكون المعنى أنّ عزّة الإسلام محددة ومحصورة بوجود هؤلاء الاثني عشر إلى يوم القيامة. أي: مادام كانت الخلافة الاثني عشر باقيةً فإنّ الإسلام عزيز، وهذا التحديد معناه الحصر في العدد المذكور. واذا نفينا هذا التحديد من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ونفينا الغاية والعدد فلا فائدة في ذكر الاثني عشر في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مرجعه إلى القول بأن يكون كلامه لغواً – والعياذ بالله –.

وملخّص الكلام أنّ دلالة الحديث والقرائن المحتفة به سواء الحالية أو المقالية كلّها تدلّ على حصر الخلفاء بالاثني عشر، فما ذكره علماء أهل السنّة في توجيه الحديث باطل فلاحظ.

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن عامر يعني ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٤٦)، ورواه البخاري في تاريخه ج٦: ص٤٤٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص٢٢٣. ولا يخفى على الخبير وجود التنافي بين هذا الحديث لحديث اثني عشر خليفة، ولكن هذا التنافي قابل للجمع بينهما بتخصيخصه لحديث اثني عشر، كما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي رجاء العطاردي

→

بالسيف حتّى لو صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين، فنقل الصدقات إليه جائز ولو كان فاسقاً[(١)]،

➔

قال سمعت ابن عباس عن النبيﷺ قال: من فارق الجماعة شبرا فمات إلاّ مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ: سترون بعدي أمورا تنكرونه). ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، وغيره. ولا يخفى على الخبير وجود التنافي بين هذا الحديث وحديث اثني عشر خليفة، إلاّ بالجمع ورفع التنافي بينهما بالتخصيص كما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى رواية عبدوس بن مالك التي أخرجها علماء أهل السنّة، واستدلّوا بها على خلافة خلفائهم، فمنهم: الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية، فإنّه نقلها عن عبدوس بن مالك العطار عن أحمد بن حنبل قال: ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، برّاً كان أو فاجراً (انظر الأحكام السلطانية: ص٢٣). ورواه البيهقي عن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: كلّ من غلب على الخلافة بالسيف حتّى يسمّى خليفة ويجمع الناس عليه، فهو خليفة (انظر مناقب الشافعي للبيهقي ج١: ص٤٤٨ باب ما يؤثر عنه في قتال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أهل القبلة). وفي روضة الطالبين للنووي: وأمّا الطريق الثالث، فهو: القهر والاستيلاء؛ فإذا مات الإمام فتصدّى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف، ولا بيعة، قهر الناس بشوكته وجنوده، وانعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً أو جاهلاً فوجهان، أصحّهما: انعقادها؛ لما

➔

فعلم ممّا نقلناه إمامة جميع من تولّى من بني أميّة وبني العبّاس عند من تسمّى بأهل السنّة[1].

➔
ذكرناه، وإن كان عاصياً بفعله (انظر روضة الطالبين ج٧: ص٢٦٧ كتاب الإمامة، الباب الأوّل، الفصل الثاني). وقال أيضاً: المسألة الثالثة: إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة فجاء آخر فقهره، انعزل الأوّل وصار القاهر الثاني إماماً (روضة الطالبين ج٧: ص٢٦٧ كتاب الإمامة). وقال ابن حجر بعد نقل هذه الروايات: أنّه قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلّب والجهاد معه، وأنّ طاعته خير من الخروج عليه (انظر فتح الباري ج١٣: ص٥ كتاب الفتن، باب قول النبيّ ﷺ سترون بعدي أُموراً). وقال أبو حامد الإسفرائيني الشافعي في كتاب الجنايات من الينابيع: وتنعقد الإمامة... بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً (انظر كتاب إحقاق الحقّ للقاضي نور الله التستري ج٢: ص٣١٧ نقلاً عن كتاب الجنايات). فما ذكره ابن تيميّة إشارة إلى هذه الرواية، ولا يخفى معارضة هذا الحديث لحديث اثني عشر خليفة أيضاً، كما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية.

(١) وملخّص الكلام أنّ الروايات التي استدلّ بها علماء أهل السنّة على وجوب طاعة الخلفاء تشمل جميع حكّام بني أميّة وبني العبّاس؛ لأنّهم حسب اعتقادهم ولّوا أمر الخلافة والإمارة، إذ حسب اعتقادهم أنّ من تولى أمر الإمارة تجب طاعته كائناً من كان. ولذلك احتجّ ابن تيمية على وجوب طاعة جميع خلفاء أهل السنّة بحديث من مات وليست عليه طاعة السلطان مات ميتة جاهلية فيكون استدلاله من جهة دلالة الحديث إلى وجوب طاعة من تولى الإمارة على الإطلاق. وكذلك استدلّ بحديث سيكون خلفاء فيكثرون... وغيرها من الأحاديث الدالّة على الخلفاء عندهم
➔

➔
واجب الطاعة وإن كان عددهم أكثر من الاثني عشر. وحيث أنّ هذه الأحاديث لا تنسجم مع حديث الاثني عشر خليفة، إذ بينهما التنافي من جهة دلالة العدد على الحصر، وبعبارة أخرى التنافي بينهما بالتحديد وعدم التحديد. فهذه الأحاديث عامّة ليس فيها تحديد بالنسبة إلى عدد الأئمة، وأمّا حديث اثني عشر خليفة فيه التحديد. ولا يمكن رفع التنافي إلاّ بالأخذ بالتحديد، لأنّ دلالته النصّ والنصّ مقدّم على غير نصّ. وعليه فلا معنى لاستدلال علماء أهل السنّة بعموم تلك الأحاديث الدالّة على وجوب طاعة الإمام بلا ملاحظة النصّ الوارد في المقام، وبلا معالجة التنافي بين العمومات وبين حديث اثني عشر خليفة. اللّهم إلاّ أن يعرضوا عن حديث اثنى عشر خليفة تعصّباً وعناداً في مخالفتهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام. وهذا معناه الإعراض عن السنّة النبوية، لأنّ إجماع المسلمين قائم على صحة حديث اثني عشر سنداً ودلالةً.

ثم إنّ تمسكهم بحديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن)، دليل على قبولهم أنّ كلّ خليفة وحاكم تجب طاعته كائناً من كان في الحسب والنسب، والظلم والجور و.... وهذا فرية واضحة على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، إذ حسب زعمهم هذا: أن الحاكم الجائر قد استخلفه الله تعالى على عباده، حيث أنّهم يستدلّون بما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أطيعوا أمراءكم مهما كان، فإن أمروكم بشيء ممّا جئتكم به، فإنّهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتهم، وإن أمروكم بشيء ممّا لم آتكم به فإنّه عليهم وأنتم منه برآء، ذلكم بأنّكم إذا لقيتم الله قلتم ربّنا ولولا ظلم فيقول ولولا ظلم،
➔

➔

فتقولون ربّنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم بإذنك واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم بإذنك، وأمرت علينا أمراء فأطعناهم بإذنك، فيقول صدّقهم هو عليهم وأنتم منه برآء (مجمع الزوائد ج٥: ص٢١٩). وهذه فرية عظيمة تقضى منها عجب العجاب، حيث أنّ مدلوله: أن الحاكم الجائر قد استخلفه الله تعالى على عباده وأمرهم بطاعته مهما كان جائراً ومن أهل الكبائر والمعاصي، بل وحتّى يظهر من الحديث أن ذلك يشمل عمّال الحاكم وموظفيه أيضاً، حيث فيه: وأمرت علينا أمراء فأطعناهم بإذنك، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم. فمن العجيب أنّ مخالفي أهل البيت عليهم السلام يستبعدون أنّ الله عزّ وجلّ اختار لهذه الأمّة اثني عشر إماماً بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من ذريّته، ولكن في نفس الوقت يروون في كتبهم أمثال هذا الحديث ويستدلّون به على طاعة خلفاء الجور. ولا يستبعدون دلالته مع أنّه صريح في دلالته على الافتراء على الله تعالى، ودلالته على أنّه الله تعالى اختار كلّ الحكّام الطغاة والمفسدين في الأرض- والعياذ بالله - بل وبعضهم كفّار لأنّهم كانوا بصدد محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وعليه ما ورد من الحديث الدالّ على وجوب طاعة جميع خلفاء أهل السنّة لا بدّ من علاجه؛ إذ لا يعقل وجوب طاعة خلفاء الجور كما لا يعقل وجوب طاعة عُمالهم. والقول بذلك من أبرز الافتراءات على الله. والذي يثير منه العجب أكثر من ذلك هو أنّ راوي لهذا الحديث هو عبد الله بن عمر، وقد اقترنت روايته بقصة معروفة في زمن الحجّاج الثقفي وخلافة عبد الملك بن مروان، وقد ذكرت المصادر السنّيّة هذا الحديث مفصّلاً، كذلك الكتب التاريخة والفقهية وغيرذلك، وملخّصه: أنّ عبد الله بن عمر كان يعارض كلّ تحرّك ضدّ الحاكم مهما كان الحاكم فاسقاً وطاغياً بحجّة هذا الحديث. ومن تلك الموارد، أنّه طرق الحجّاج ليلاً وقال: هات يدك أبايعك لأمير المؤمنين عبد الملك، فإنّي سمعت

➔

ثانيها: ما زعمه من كون أهل السنة يخبرون بما وقع، فإنّه من البهتان البيّن على أهل مذهبه[1]

→

رسول اللهﷺ يقول: من مات وليس عليه بيعة إمام فموته جاهليّة. فأنكر عليه الحجّاج مع كفره وعتوّه وقال له: بالأمس تقعد عن بيعة علي بن أبي طالب وأنت اليوم تسألني البيعة من عبد الملك بن مروان؟!!! يدي عنك مشغولة لكن هذا رجلي (انظر نثر الدر لأبي سعيد الرازي ج٢: ص٩٠، ومجمع الزائد للهيثمي ج٧: ص١١٧). وهكذا ترى التعصّب في ممن تسمّى بأهل السنّة، وإلى أين وصل بهم التعصّب حتّى أعرضوا عن السنن النبويّة القطعيّة، وشملهم ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «من رغب عن سنّتي فليس منّي» (انظر صحيح البخاري ج٦: ص١١٦ كتاب النكاح، باب قوله تعالى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما نسبه ابن تيمية إلى أهل السنّة من أنّهم يعتقدون بواقع الأمر في باب الأمامة كذب وافتراء على علماء أهل السنّة، حيث أنّ عقيدة أهل السنّة في الإمامة مبنيّة على ما حدث في التاريخ، لا على واقع الأمر في باب الإمامة وما ورد في الشريعة المقدّسة في الإمامة، وذلك لأنّهم متّفقون على أنّ الإمامة التي انعقدت في السقيفة معتبرة عنهم. فكلّما حدث في التاريخ في السقيفة، وبعد ذلك للخلافة عند أتباع السقيفة فهو مبنى على عقيدة أهل السنّة في الإمامة والخلافة. وعلى هذا الأساس ليس لديهم دليل شرعي للولاية والخلافة، فإنّ مشروعية الإمام عندهم كمشروعيّة رئيس الجمهور الذي يستولي على القدرة سواء كان بالمؤامرة أو بانتخاب الناس. وعلى هذا الأساس أنّهم أنكروا النصّ بمعنى الولاية والخلافة في القرآن والسنّة النبوية. وإليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال: قال الماوردي في

←

➔

الأحكام السلطانية: والإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما اختيار أهل العقد والحلّ. والثاني بعهد الإمام من قبل. فأمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ والعقد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى: فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد، ليكون الرضا به عامّاً والتسليم لإمامته اجماعاً. وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها. وقالت طائفة أخرى: أقلّ من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثمّ تابعهم الناس فيها، وهم: عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأسيد ابن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة. والثاني أن عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة... وقال الآخرون: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين، كما يصحّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين... (الأحكام السلطانية للماوردي: ص٢١). وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال. وعليه فإنّ جميع أهل السنّة يعتقدون بخلافة حكّام بني أميّة وبني العبّاس؛ لأنّ حكّام بني أميّة وبني العبّاس تسلّطوا على الناس بمثل ما تسلط أهل السقيفة على الناس. فكما أنّ القوّة والسيف والغدر والقهر والغلبة كانت من العوامل المؤثرة في السقيفة كذلك الأمر في حكومة بني أميّة وبني العبّاس. والمهمّ أنّ طاعة من تسلّط على الناس واجبة عند أهل السنّة، حيث أنّهم يعتقدون بخلافته كائناً من كان من الناس وإن كان فاسقاً وظالماً كما تقدّم. ولا يخفى على الخبير أنّ هذا النوع من الاستدلال بحسب القواعد العلمية دور صريح؛ لأنّ الدليل على ثبوت الإمامة عندهم متوقّف على صحّة دعوى الإمامة، وصحّة دعوى الإمامة متوقّفة عندهم على نفس الدليل، حيث

➔

أنّهم بعيدون عن هذه المنزلة الشريفة[١] وبريئون منها لما مضى بيانه من

←
أنّ الإمامة عندهم متوقّفة على ما حدث في التاريخ، وما حدث في التاريخ دليل على اعتبار الإمامة عندهم وهذا دور صريح.

وثانياً: لو كان ما حدث في التاريخ دليلاً على المدّعى فلماذا وقع الاختلاف الفاحش والتنازع في أمر الخلافة؟ بحيث أنّهم صرّحوا: ما سلّ سيف في الاسلام على قاعدة دينيّة كما سل على الإمامة في كلّ زمان (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٤). وبعبارة أخرى لو كان أمر الخلافة مفوض إلى الأمّة فما وجه اختلاف الأمّة في الإمامة؟ وإذا كان الاختلاف الفاحش في الإمامة أمر عادي لكان على رسول اللهﷺ أن يبيّن تفاصيها ويوصي طرق الخلاص منها. وأيضاً كان يبيّن طريق انعقاد الإمامة، لئلاّ تقع الأمّة في الفتنة بسبب الاختلاف الفاحش فيها. وليس عقد الإمامة أقلّ من عقد النكاح بين الزوجين الذي اهتمّ الإسلام والسنّة النبويّة ببيان تفاصيلها. وهل لعاقل أن يقبل أنّ الإسلام يذكر جميع تفاصيل الأمور في باب عقد النكاح وأحكامها، ولكن يترك الإمامة التي هي من أهم مسائل الإسلام؟!!

وملخّص الكلام أنّ ما ما نسبه ابن تيمية إلى أهل السنّة في باب الإمامة كذب وافتراء على علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ أهل السنّة يدعّون بأنّهم قائلون بأنّ الإمام لا بدّ أن يكون أفضل الناس بعد رسول اللهﷺ. ولا يخفى على الخبير أنّ أفضليّة الإمام والخليفة بعد رسول اللهﷺ مورد اتّفاق بين المسلمين، إلاّ أنّها غير ثابتة بالنسبة إلى خلفاء أهل السنّة، حيث أنّ ما جاء في كتبهم يدّل على عدم ذلك. لأنّه قد ورد في كتبهم الاعترافات من خلفائهم بعدم أفضليتهم من الآخرين فقد روى البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن الحسن البصري أنّه قال: إنّ أبا بكر خطب الناس فحمد الله
←

➔

وأثنى عليه ثمّ قال: "... ألا وإنّي قد ولّيت عليكم ولست بأخيركم..." (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٦: ص٣٥٣). وروى عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن معمّر قال: وحدّثني بعض أهل المدينة، قال: خطبنا أبو بكر قال: يا أيّها الناس، إنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني... وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٣٣٦). وروى المحبّ الطبري في الرياض النضرة بسنده عن أنس بن مالك قال: لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر... ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها الناس فإنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني (الرياض النضرة ج١: ص٢٤٠)، ومثله ما رواه الطبري في تاريخه ج٢: ص٤٥٠، وما رواه ابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص٢٦٩، وما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٧٧، وغيرهم. وقال اليعقوبي في تاريخه: وصعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر، فجلس دون مجلس رسول اللهﷺ بمرقاة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوموني! لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). وروى الهيثمي أنّ أبابكر قال على رؤوس الأشهاد يوم بويع فيه للخلافة: أيّها الناس، إنّي قد وليتكم، ولست بخيركم فبايعوا خيركم (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٣). من الواضح لدى الخبير أنّ إقرار العقلاء على أنفسهم نافذ. فظاهر قوله: لست بخيركم على عدم أفضليته من جميع الصحابة على الإطلاق. كما أنّ عمر بن الخطّاب اعترف بعدم أفضليته من جميع الناس، فقد أخرج الهيثمي بسنده عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطّاب منبر رسول اللهﷺ ثمّ قال: يا أيّها الناس، ما أكاثركم في صدق النساء وقد كان رسول اللهﷺ

🡐

أخبارهم بإمامة الثلاثة شرعاً وبأنّهم أفضل من غيرهم[1]، وبأنّ الصحابة

➔

وأصحابه، وإنّما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنّ ما زاد رجل على أربعمائة درهم، قال: ثمّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: نهبت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمائة درهم؟ قال: نعم، قال: أما سمعت ما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن؟ فقال: فأنّى ذلك؟ قالت: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾، فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر، قال: ثمّ رجع فركب المنبر فقال: أيّها الناس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهنّ على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحبّ، قال أبو يعلى: قال: وأظنّه قال: فمن طابت نفسه فليفعل (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٤: ص٢٨٣). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: مرّ عمر بشاب من الأنصار وهو ظمآن فاستسقاه فخاض له عسلاً فردّه ولم يشرب، وقال: إنّي سمعت الله سبحانه يقول ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**﴾، فقال الفتى: إنّها والله ليست لك، فاقرأ يا ما قبلها: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾، أفنحن منهم فشرب؟ فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص١٥). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم من اعترافات خلفاء أهل السنّة بعدم أفضليتهم. وعليه فإنّ ما ادّعاه ابن تيميّة من أنّ أهل السنّة يعتقدون بواقع الأمر في باب الإمامة كذب وافتراء، لأنّ اعتقادهم في باب الإمامة مبنيّة على ما حدث في التاريخ على الأدلّة الشرعيّة والعقليّة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ أهل السنّة يعتقدون بخلافة الخلفاء الثلاثة ويزعمون بأنّهم

🡐

بأجمعهم عدول[١]،

➔

أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبطلان هذا الزعم يتضح من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في حقّ خلفائهم، لاسيّما ما ورد في كتبهم في أحوال خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ، حيث أنّ الروايات والتاريخ سجّل لهم صفحات سوداء، وفيها ما يدّل على أنّ أكثرهم كانوا من أراذل الناس وأوباشهم وأشرارهم لما ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، حيث اتّخذوا دين الله لعباً ولهواً وهزواً، وعباد الله خولاً، وبيت المال طعماً، وأرادوا أن يطفؤا نور الله بألسنتهم وأفعالهم وأسنّتهم وسيوفهم ورماحهم، فكان هدفهم إغواء الناس وإضلالهم ودعوتهم إلى الفساد في الأرض. ويكفي لمن أراد التحقيق حول هذا الموضوع أن يراجع الروايات الواردة حول شخصية يزيد بن معاوية وما فعله من الإجرام. وستتّضح هذه الحقيقة للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. وعليه كيف يمكن الجمع بين اعتقاد أهل السنّة في الإمامة وما نسبه ابن تيميّة إلى أهل السنّة من أنّهم يعتقدون بواقع الأمر في الإمامة؟!!!

(١) وتوضيح المقام أنّ القول بعدالة الصحابة جمعاء، ينافي ما نسبه ابن تيمية إلى علماء أهل السنّة إلى القول بأنّهم يعتقدون بواقع الأمر في الإمامة بخلافة، مع أنّ حكّام بني أميّة وبني العبّاس كان عندهم من الخلفاء مع علمهم بأنّ أكثر حكام بني أميّة وبني العبّاس كانوا من أفسق الفسّاق، ولا ندري كيف اشترطوا العدالة في الإمامة، ولكن في العمل يلتزمون بخلافة الفسّاق؟!! كما لا ندري كيف يلتزمون بأنّ الصحابة كلّهم عدول مع التزامهم عملاً بخلافة الفسّاق من بني أميّة وبني العبّاس؟!!! لأنّ جمع بين العدالة وخلافة هؤلاء جمع بين المتناقضين. وإليك بعض أقوالهم في هذا المجال: قال النووي: الصحابة كلّهم عدول، من لابس الفتنة

➔

وغير ذلك من مبتدعاتهم[(١)].

➔

وغيرهم، بإجماع من يعتد به... (التقريب والتيسير: ص٩٢). وقال ابن عبد البر: فهم خير القرون، وخير أمّة أخرجت للناس (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج١: ص٣). وقال ابن حجر: اتّفق أهل السنّة على أن الجميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة (الإصابة في تمييز الصحابة ج١: ص١٠). وقال ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث: إنّ الأمّة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم... بإجماع العلماء الذين يعتدّ بهم في الإجماع، إحساناً للظنّ بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة (علوم الحديث لأبي الصلاح: ص١٧١). وإلى غير ذلك من أقوالهم في المقام، فهم يعتقدون أنّ جميع الصحابة عدول ومن شرائط الخلافة العدالة فيعتقدون أنّ الخليفة لا بدّ أن يكون عادلاً، كما يعتقدون أن جميع الصحابة يستحقّون هذا المقام لوجود شرط العدالة فيهم. ولكن ينتقض هذا القول والاعتقاد بسبب قبولهم خلافة حكّام بني أميّة وبني العبّاس، لعلمهم بوجود الفسّاق فيهم، كما سنذكر ما أقول علمائهم حول فسق حكام بني أميّة وبني العبّاس في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه كيف يمكنهم أن يجمعوا بين الأمرين المتنافيين؟!!!!

(١) وتوضيح المقام أنّ البدع التي أحدثها حكّام بني أميّة وبني العبّاس في الإسلام تنافي ما نسبه ابن تيمية إلى علماء أهل السنّة من القول بخلافتهم، حيث أنّها لا تجتمع مع اعتقادهم في باب الإمامة والخلافة؛ لأنّ علماء أهل السنّة يشترطون العدالة في الإمامة، ولكن ما أحدثه حكام بني أميّة وبني العبّاس من البدع في الإسلام لا يخفى على أحد. إذ قد أحدث معاوية بن أبي سفيان أموراً في الإسلام ➔

وجعلها كسنّة سيئة جارية بين المسلمين لا يمكن إنكارها، فإنّه روّج مذهب الجبر الذي كان له جذور في الجاهلية بين الناس وذلك ليثبيت به حكمه وسلطاته. فابتدعه وجعله حجر الأساس لخلافة السقيفة، وامتداداً لحكومة حكّام بني أميّة، واستمرّت هذه النظرية من بعده، فأخذها علماء أهل السنّة أساساً لمعتقداتهم في أصول دينهم وبنوا عليه في باب الإمامة، لتعتمد عليها الحكام والظلمة واحداً بعد آخر وإلى يومنا هذا. والعجيب في هذا الأمر أن معاوية استطاع بمكره أن يخدع المسلمين بهذه النظرية، فجعل ولاية العهد لابنه يزيد الذي كان معروفًا عند المسلمين بخموره وفسوقه وفجوره وارتكابه أشنع المعاصي خليفة لهم، ولم يسمح لأحد أن يعترض عليه.

ومن العجائب التي فعلها معاوية هي إلحاق ابن الزنا بالزاني مع أنّ الزانية كانت لها زوج، والحكم في الإسلام في مثل ذلك إلحاق الولد بالزوج، لأنّه صاحب الفراش، فهو أحقّ من التحاق الولد إليه. ولكن معاوية خالف هذا الحكم في استلحاق زياد ابن أبيه بأبي سفيان (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٤٤٤، وتاريخ مدينة دمشق ج١٩: ص٧٦). وقد أخرج البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (صحيح البخاري ج٣: ص٥ كتاب البيوع، باب تفسير المشتبهات). فهذه البدعة من معاوية لاستخفافه بأحكام الإسلام ولترويجه عدم مبالاته من الزنا، بل وإنّه كان يفتخر بأنّ زياد بن أبيه كان ملحقاً بأبي سفيان، وذلك باعتبار أنّ أباه قد زنى بامرأة معروفة، فتولد منها زياد من الزنا. قال سعيد بن المسيّب: أوّل قضية ردت من قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله علانيّة قضاء فلان (معاوية) في زياد (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٩: ص١٧٩). وقال ابن أبي نجيح: أوّل حكم ردّ من حكم رسول الله صلى الله عليه وآله علانيّة الحكم في زياد (انظر

➔

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٩: ص١٧٩).

وقد اعترض الكثيرون على معاوية على فعلته هذه، منهم النسابة المعروف في زمانه أبو العريان العدوي، إلا أن معاوية أسكته بمائتي دينار بعثها إليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٨٧). كذلك اعترض عليه يونس بن سعيد ابن عبيد على هذا الاستلحاق (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٨٧). وهذا لم تنفع معه إغراءات معاوية فدسّ إليه السمّ فقتله (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٨٧). وكذلك اعترض عليه أبو بكرة أخو زياد وحلف أن لا يكلّمه أبداً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٨٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. هذا مع أنّه لم يختلف اثنان من المسلمين على حرمة الزنا. فهذه القضية تكشف عن حقيقة معاوية كالنار على المنار، حيث أنّ عدم مبالاته بالزنا معناه أنّه لم يكن الزنا عنده محرّماً؛ حيث أنّه لم يهتم بما تقوله الناس: من أنّ معاوية يتظاهر بالإسلام للمحافظة على كرسي الحكم، ولم يترك شيء من الجاهلية في سبيل بقاء كرسي الحكم حتّى لو كان ثمنه هدم الإسلام وإنكار ما جاء به النبيﷺ وجعل الحلال حراماً والحرام حلالاً. وهذا يدلّ على أنّه لم يدخل الإيمان قلبه ولو لحظة واحدة، وإنّما أراد تحقيق حلم بني أميّة وبني سفيان الذي قال لعثمان يوماً عندما رآه يبذل المال على بني أميّة: "بأبي أنت وأمي، أنفق ولا تكن كأبي حجر وتداولوها يا بني أميّة تداول الولدان، فو الله ما من جنّة ولا نار" (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٤٥). ثمّ أنّ معاوية نفسه مولود من امرأة زانية تدعى هند وكانت معروفة بالزنا عند العرب، بل من ذوات الأعلام في الجاهلية (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص١٤٠). والناس كانوا يعرفون هذه القضية، وكلّ ما فعله معاوية من الإجرام كان

🡐

وقد عرفت فيما مضى كذبهم في هذه وغيرها بنصوص الفرقان العظيم[(١)]

➔

مبنياً على بث بدعة مذهب الجبر بين الناس ليرغمهم على قبول بيعة السقيفة ومبايعة حكّام بني أميّة. وقد ساعده على هذه البدعة في الدين العلماء المنحرفون الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وذلك أمثال الحسن البصري الذي كان يقول عن الوالي الظالم: إنّما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف وعليكم بالصبر والسكينة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٩: ص١٥٥). وعليه أنّ البدع التي أحدثها حكّام بني أميّة وبني العبّاس في الإسلام تنافي ما نسبه ابن تيميّة إلى علماء أهل السنّة من القول بخلافتهم، حيث أنّها لا تجتمع مع اعتقادهم في باب الإمامة والخلافة، من أنّ العدالة تشترط في الإمامة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الآيات الكثيرة من القرآن الكريم التي بيّنت حقيقة الإمامة وشرائطها وأهميّتها في الإسلام. وهي تنافي ما بنى عليه ابن تيميّة ومن تبعه من قبول خلافة حكّام بني أميّة وبني العبّاس مع اعترافهم بعدم وجود شرائط الإمامة فيهم. فقد بيّن القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة حقيقة الإمامة في الإسلام. وأساساً لا شكّ في أنّ منهج القرآن الكريم الاهتمام بمستقبل الأمّة الإسلاميّة، ومهمّة الإمام وصفاته وبمقام تنفيذه للأوامر الإلهية، وغير ذلك من الأمور الأساسيّة التي بها تقيم الحجّة على الناس. ومن هنا يعرف أنّ القرآن عندما يتحدّث عن الأمم السابقة من قبيل اليهود والنصارى وباقي الأمم الماضية لتتّعظ الأمّة الإسلاميّة من تلك الأمم، كي تحاول الاجتناب عن الأخطاء التي ارتكبتها الأمم السابقة، ولذلك جعل القرآن الكريم الشروط والضوابط في استحقاق الإمامة كما قال تعالى: ﴿**وَإِذ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٢٤). هذه الآية

➔

➔

الكريمة تبيّن حقيقةً هامة ألا وهي أنّ الله تعالى جعل منصب الإمامة منصباً إلهيّاً يعطيه لمن يشاء من عباده؛ وذلك لقوله تعالى: **جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، كما توضّح الآية: بأن الإمامة عهد إلهي لا ينالها إلاّ العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذا الغرض. كما أنّ الله تعالى نفى هذا العهد عن الظالمين فهم لا يستحقّون هذا العهد الإلهي. ولذلك قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ (سورة الأنبياء:٧٣). فالإمامة تمثّل الركيزة الأساسية في العقيدة الإسلامية، وبها تبيّن وتوضح معالم الدين. ولذلك أنّ الشيعة الإمامية تعتقد بإنّ الإمامة منصب إلهي لأنّهم قد أخذوا معالم دينهم من القرآن الكريم، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر المسلمين بالرجوع إلى أهل الذكر فقال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٣). فأهل الذكر الذي أمر الله تعالى بالرجوع إليه القرآن والعترة الطاهرةعليهم السلام الذين اصطفاهم الله سبحانه وأورثهم علم الكتاب كما جاء في الروايات من طرق الفريقين المفسّرة للآية الكريمة التي سنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وتأكيداً على ذلك قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الفاطر:٣٢). فالإمام بحسب القرآن والروايات الصحيحة لدى الفريقين هو من اصطفاه الله تعالى وأورثه علم الكتاب. ولذلك قال النبيصلى الله عليه وآله في حديث متواتر لدى الفريقين: «إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي...»، فجعل النبيصلى الله عليه وآله الأئمة من أهل بيته عدلاً للقرآن الكريم والثقل الثاني الذي أمرصلى الله عليه وآله المسلمين بالتمسّك به فقالصلى الله عليه وآله: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» (انظر سنن

➔

➔
الترمذي ج٥: ص٦٢٢). وفي لفظ مسلم «كتاب الله أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» قالها ثلاث مرّات (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام). ومن المعلوم أنّ بهذا الحديث وغيره يعرف أنّ أهل البيتعليهم السلام أعلم الناس بعد رسولصلى الله عليه وآله وأورعهم وأتقاهم وأفضلهم، وأنّ جميع شرائط الإمامة التي ذكرها علماء الإسلام فيهم، حيث أنّ النبيصلى الله عليه وآله جعلهم في حديث الثقلين عدلاً للقرآن الكريم. فكلّما يكون في القرآن من صفات الهداية فهي في العترة الطاهرةعليهم السلام. وذلك كما قال الله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ (سورة الواقعة: ٧٥– ٧٨). فكما أنّ القرآن طاهر من جميع الأدناس ولا يمسه إلا مطهرون كذلك العترة الطاهرةعليهم السلام وإذا كان الله تعالى يقسم بالعصر وبالقلم وبالتين وبالزيتون، فعظمة القسم بمواقع النجوم بيّنة لما تنطوي عليه من أسرار وتأثير على الكون بأمره سبحانه، فأهميّة هذا هذا الموضوع يعرف من أهمية القسم. وبعد القسم يؤكّد سبحانه: إنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، والمكنون ما كان باطناً ومستتراً، ثم يقول: عزّ وجلّ: لا يمسّه إلا المطهّرون، و(لا) هنا للنفي، ويمسّه تعني يدركه ويفهمه وليس المقصود بها لمس اليد، إذ هناك فرق بين اللمس والمسّ. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ (سورة الأعراف:٢٠١)، وقال أيضاً عزّ من قائل: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٧٥). فالمسّ
➔

وبما رووه صحيحاً من سنن سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى عترته الطاهرين[1].

➔

هنا يتعلّق بالعقل والإدراك لا بلمس اليد، وكيف يقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يلمس القرآن باليد إلاّ من تطهّر، والتاريخ يحدّثنا بأنّ بعض الجبّارين قد عبثوا به ومزّقوه، فالمدلول التام لقوله تعالى: **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**. هو أنّه لا يدرك معاني القرآن المكنون إلاّ نخبة من عباده الذين اصطفاهم وطهّرهم تطهيراً، والمطهّرون في هذه الآية اسم مفعول أي وقع تطهيرهم من كلّ ما ينبغي التطهير منه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣). فقوله تعالى: لا يمسّه إلا المطهّرون معناه: لا يدرك حقيقة القرآن إلاّ الرسولصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام. فالقرآن الكريم قد بيّن حقيقة الإمامة وشرائطها وضوابطها من خلال آيات عديدة. والأحاديث النبويّة الصحيحة لدى جميع المسلمين طبّقت وفسّرت الآيات على أهل البيتعليهم السلام. ولكن ابن تيميّة خالف هذه النصوص القرآنية والروائية، وذهب إلى إمامة حكّام بني أميّة وبني العبّاس، ونسب ذلك إلى عموم علماء أهل السنّة، وبذلك جعل الآيات والرويات وراء ظهره، وادّعى ما أنزل الله بها من سلطان، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي أخرجها علماء أهل السنّة عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في باب الإمامة، وهي تنفي ما ادّعاه ابن تيمية من أنّ أهل السنّة يعتقدون بخلافة حكّام بني أميّة وبني العبّاس. فهذه الروايات تدلّ على أفضلية أهل البيتعليهم السلام على جميع الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. والباحث عندما يراجع كتب الحديث من أهل السنّة يجدها مشحونة بذكر فضائل أهل البيتعليهم السلام وما يدلّ على إمامتهم بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله بلا فصل. وقد استدلّ علماء مدرسة اهل البيتعليهم السلام

➔

➔

بالأحاديث النبويّة الشريفة على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام على نحو العموم، كما استدلّوا بها على إمامة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام على نحو الخاصّ، وإليك نماذج من تلك الأحاديث: منها: حديث الدار، فقد ورد في كتب أهل السنّة أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾. دعا النبي الأكرمصلى الله عليه وآله رجال عشيرته ودعاهم إلى الإسلام، وقد روى هذا الحديث كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، من التفسير والحديث والسيرة وغير ذلك، فعن عبد الله ابن عباس، عن الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النبي الأكرم محمدصلى الله عليه وآله ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤)، دعاني رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: ″يا علي، إنّ الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليها، حتّى جاءني جبرئيل فقال لي: يا محمد إلاّ تفعل ما تؤمر يعذبّك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أبلغهم ما أمرت به″» (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص٢١٨، وأحكام القرآن للجصّاص ج٢: ص٥٥٧، وتاريخ الطبري ج٢: ص٤٢، والدرّ المنثور للسيوطي ج٥: ص٩٧، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٣٥٧، وكتاب العقل السليم في المزايا القرآن الكريم لمحمّد بن العمادي أبوالسعود ج٣: ص٥٢). «ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته، فجئتهم به، فلمّا وضعته تناول رسول الله جذبة من اللحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة، ثمّ قال: ″خذوا باسم الله″، فأكل القوم حتّى مآلة بشيء حاجة، وأيم الله أن

➔

➔

كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدّمت لجميعهم. ثم قالصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: "اسق القوم"، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتّى رووا جميعاً، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمّا أراد رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أن يكلّمهم، بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فقال في الغد: "يا علي، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم"، ففعلت ثمّ جمعت، فدعاني بالطعام فقرّبته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثمّ تكلّم رسول الله فقال: "يا بني عبد المطّلب، إنّي قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟" فأحجم القوم عنها جميعاً. فقلت وأنا أحدثهم سنّاً: "يا نبي الله، أكون وزيرك عليه" قال: فأخذ برقبتي وقال: "إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا"، فقام القوم يضحكون ويقولون: لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع» (انظر دعائم الإسلام لأبي حنيفة محمّد ابن منصور المغربي ج١: ص١٥، والإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج١: ص٤٩، والأمالي للشيخ الطوسي: ص٥٨٢).

ومنها: حديث الثقلين الذي يعدّ من أشهر الأحاديث النبويّة الشريفة والذي أوصى النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ المسلمين فيه بالتمسّك بعد رحيله بالثقلين؛ فقد أخرج ابن كثير في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «يا أيّها الناس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤: ص١٢٣). وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن زيد بن أرقم عن رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا

🡐

➔
بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٢٩). فالحديث في غاية الأهميّة حيث فيها وصية النبيﷺ وهو من أهم الأدلّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أمر النبيﷺ فيه بالتمسّك بالقرآن وأهل بيته عليهم السلام معاً فيدلّ على وجوب الإمامة وعصمة الأئمة عليهم السلام واستمراريّتها إلى يوم القيامة، وقد حظي الحديث بالكثير من الاهتمام كما سيأتي تسليط الضوء عليه إن شاء الله تعالى. وبذلك يمكن القول بأنّ حديث الثقلين يعد من أبرز وأهمّ الأحاديث في موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات والأحاديث الواردة في هذا الشأن. وحديث المنزلة: وهو من الأحاديث التي وردت بألفاظ ومواضع ومناسبات متعدّدة عن النبيّ الأكرمﷺ الذي تناقله جُلّ علماء المسلمين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر البخاري الذي رواه عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول اللهﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٢٩كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)، ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن مسيب... (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب المناقب، باب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام).

ومنها: حديث الغدير الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة في مصادرهم المعتبرة، ومن أهل السنّة فقد أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح عن زيد ابن أرقم، قال: نزلنا مع رسول اللهﷺ بوادٍ يقال له: وادي خمّ، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا، وظلّل لرسول اللهﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال رسول اللهﷺ: «ألستم تعلمون؟ ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمنٍ من
➔

➔

نفسه؟» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللّهم عادِ من عاداه ووالِ من والاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٧٢)، ورواه الطبراني في مسند الشامين ج١: ص١٦٦، والخطيب البغدادي في الفصل المدرج ج١: ص٥٦٦، وأحمد بن أبي بكر الكناني في مصباح الزجاجة ج١: ص ١٩، وغيرهم. وحديث الولاية الذي رواه أكثرعلماء أهل السنّة من المحدّثين، والمفسّرين والمؤرّخين؛ فقد رواه أبو داود الطيالسي بسنده عن ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت ولي كلّ مؤمن بعدي» (انظر مسند الطيالسي: ص ٣٦٠). ورواه الحاكم بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٤). ورواه أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٣١). فيبدو أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله خاطب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بهذا الخطاب، ولا يخفى على الخبير أنّ كلمة ″بعدي″ الموجودة في جميع الروايات الثلاثة وهي تدلّ على الخلافة بلا فصل... وإلى غير ذلك من الأحاديث والرويات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب أهل السنّة ومصادرهم المعتبرة من أهل السنّة. ونستنتج من ذلك أن الأحاديث تدلّ بوضوح على الإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ هذا المنصب، منصب إلهي بمعنى أنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بتعيّنه الإمام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله عيّنه أهل بيته للإمامة والخلافة لما بعده، لا ما زعمه ابن تيميّة الذي يدعي أنّ الخلافة تكون لأولاد الطلقاء والفسّاق والجهلة والسفاكين من بني أميّة وبني العبّاس الذين حيث أنّ الإمامة عنده من غلب على أمر الإمارة والحكومة،

🡐

وثالثها: ما زعمه من أهل السنّة يأمرون بما وجب، فإنّه مثل سابقه بهتان عليهم، فإنّهم يأمرون بالمبتدعات التي هي في الشريعة محرّمات مناقضات للمفروضات من أمرهم بمتابعة أبي بكر وعمر وعثمان[1]،

←

فيدّعي أنّ من وصلت له القدرة و السلطة ولو بالوراثة يكون حاكماً وإماماً. ولم يكتف بذلك، بل ونسبها إلى علماء أهل السنّة، ومعنى ذلك أنّهم يعتقدون بأنّ الإمارة والخلافة يجوز أنّ تكون لشرّ خلق الله، وتكون تحت يد الأراذل والأوباش، وأنّها مرهونة بشهواتهم، والخليفة لعبة مبتذلة في أيديهم، يختارونه يوم ويخلعونه غداً، ويبايعونه ساعة، ويسلمونه أو يقتلونه بعد ساعة. هذا معناه حمل كتاب الله، روايات النبيﷺ خلف ظهره، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد ادعى ابن تيمية أنّ خلفاء أهل السنّة يأمرون الناس بطاعة الله. ولكن هذه الدعوى كاذبة، لأنّ البدع التي أحدثها خلفائهم في الدين أكبر شاهد على بطلان ما ادّعاه، لأنّ الخبير يعلم أنّ البدعة في مقابل الطاعة. وقد عبّر عنها في الروايات بأنّها ضلالة، والعمل بها من القضايا التي قياسها معها، حيث أنّ الضلالة معناه الانحراف عن الدين، والانحراف عن الدين معناه الكفر. وقد ورد في النصوص المتّفق عليها بين الفريقين أنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار (انظر صحيح مسلم ج٣: ص١١ كتاب صلاة الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، والكافي ج١: ص٥٦). وبعبارة أخرى أنّ البدعة عبارة عمّا لا أصل له في الشريعة المقدّسة. ومن خصائص الشريعة الإسلاميّة الغرّاء أنّها جاءت شريعة كاملة، ومشتملة على كثيرٍ من العقائد والأحكام والتشريعات والمسائل الفقهيّة التي تهمّ الناس في جميع الجوانب من حياتهم المادية والمعنوية. وأنّ التشريع الإسلامي يستند إلى أركان وثيقة من الله ورسولهﷺ وهي تستوعب مختلف جوانب الحياة

→

➔

وأبعادها، وتمتلك مقوّمات الحصانة والبقاء والاستمرار. وذلك لا يمكن إلاّ بالإستناد إلى ما نصّ عليه الشارع الأقدس، أو نصّ عليه من له الولاية من قبل الله عزّ وجلّ. ولهذه الجهة أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أمّته بوصية تضمّن عدم انحراف الأمّة عن الدين إلى يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» (سنن الترمذي ج٥: ص٣٢٩). وهذا التضمين من رسول الله صلى الله عليه وآله لا بدّ أن يؤخذ نصب العين دائماً وحاضراً في كلّ الأزمان إلى قيام يوم الدين. ومن لوازمه الاعتقاد بأنّ خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم إماماً وعلماً للدين، ليتمسّك الناس به عليه السلام وبالقرآن بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله لئلاّ يقعوا في الضلال. ولذلك أنزل الله تعالى بعد نصب الإمام عليه السلام: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ**﴾ (سورة المائدة:٣). ودلالة هذه الآية الكريمة على المقام واضحة إذ تمام الدين واكماله قد حصل بهذا التنصيب من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبذلك قد حدّد رسول الله صلى الله عليه وآله المصدر التشريع للأمّة من بعد وفاته صلى الله عليه وآله ويعرف من ذلك أنّ ما ضمن رسول الله صلى الله عليه وآله من الضلالة منحصرة في هذين المصدرين التشريعين الذين أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله كما أمر الله تبارك وتعالى بطاعتما من خلال آيات عديدة كما سنذكرها مي محلّه إن شاء الله تعالى. وليس لأحد أن يحدث في الدين بزيادة أو نقيصة فيه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦)؛ ومن يحاول ذلك فهو مبتدع ومفترٍ ومقدّم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ**

←

وبالعمل بمبتدعاتهم فهم على ضدّ ما نسبه إليهم يأمرون بالمحرّمات دون المفروضات حسبما تقدّم بيان نبذة من ذلك في بعض التنبيهات وغيرها[1].

كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الأنعام:٢١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحجرات:١). كما أنّ السنّة النبوية تدّل على ذلك. وإليك بعض ما ورد في الروايات، فمنها ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن مسعود، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم ومحدثات الأمور، فإن شرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة» (سنن إبن ماجة ج١: ص١٨). وإلى غير ذلك من الروايات فالبدعة في نفسها ضلالة تؤدّي إلى سخط الله تعالى وعذابه. فالأدّلة الدالّة على حُرمة الإحداث في الدين والبدعة الدين كثيرة، وهي لا تعدّ ولا تحصى، وبعد وضوح هذه القضية عند جميع المسلمين لا بدّ أن يلتزموا بها التزاماً عمليّاً. ولكن عندما يرجع الخبير عن حال خلفاء أهل السنّة يجدهم لا يبالون من البدعة في الدين، بل ويأمرون الناس بالعمل بها، ويشوقونهم بالعمل بها كما ورد في صلاة التراويح أنّها نعمة البدعة. فكيف يمكن أن تكون في الضلالة خير؟!! ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس:٥٩) وقد افتروا على الله الكذب وشملهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (سورة الأنعام:٢١). ومن هنا يتّضح أنّ الخلفاء الثلاثة قد خالفوا وصيّة رسول الله ﷺ في الثقلين فهم لم يأمروا الناس بطاعة الله، بل كانوا يأمرونهم بالبدعة في الدين، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد تقدّم ذكر بعض البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الدين. وبذلك خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ وتمرّدوا عن أوامر الثقلين الذين ←

أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وفتحوا المجال الخطير للناس ليتلاعبوا بالنصوص والأحكام الشرعية، وكانوا سبباً لانحراف الناس وتضليلهم. وهذه الحقيقة تتضح من خلال الرجوع إلى المصادر الإسلاميّة والتحقيق حول البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام والمحرّمات التي ارتكبوها، وذلك من خلال البحث العلمي الموضوعي في هذا المجال. ومن الواضح أنّ لهذا البحث مجال واسع والدخول في هذا الموضوع يخرجنا عن إطار البحث، فنكتفي هنا بكلمة موجزة وهي كرأس الخيط للباحث، وهي أنّ معاوية سيّئة من سيّئات عمر، وإنّ عمر سيّئة من سيّئات أبي بكر، وعثمان سيّئة من سيّئات عمر، فكلّ بدعة أو سيّئة صدر في هذه الأمّة، أوكلّ ظلم وقع على الأمّة، أوكلّ معاناة شهدتها الأمّة، فالمسؤول عنها أبو بكر وعمر وعثمان، بل وعمر بالذات لأنّه هو المهندس لعمليّة غصب الخلافة، لأنّ غصب الخلافة أساس لهذه الأحداث التي حدثت لتضليل الأمّة، ولا يمكن تداركها إلى يوم القيامة، ففي ما يتعلّق بأبي بكر فإنّ إمامته كانت سبباً لهبوط الأمّة نحو الأسفل جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود من عهد أبي بكر إلى الآن. وعمر بن الخطّاب هو أوّل من أعان على بيعة أبي بكر وتبعه أوباش قريش وذلك من أعظم المنكرات التي ارتكبه أبوبكر وعمر، في حين أنّهما حضرا غدير خم وبايعا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والولاية والخلافة. وقد نكثا بيعتهما بغصب الخلافة في السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فشملهما قوله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾ (سورة التوبة:١٢). وقوله تعالى: ﴿ **فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾ (سورة الفتح:١٠). وقوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَن**

➔
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة:٦٧). إذ لمّا كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذين نكثوا عهدهم إيمانهم يعملون على خلاف ما فعل يفعله المؤمنون. وهذا الدستور القرآني، وعلامة للفاسقين، حيث أنّهم يأمرون الناس بالمنكر وينهونهم عن المعروف، وقد أخبر الله تعالى عن حالهم ليعرفهم الناس بهذه العلامة. فإنّ المنافقين يظهرون الإيمان ويسرّون الكفر بعضهم من بعض؛ والمعنى إنّ بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق، ونسوا الله، أي: نسوا ذكر الله، فنسيهم الله. أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى: **﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾**، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (سورة التوبة: ٦٧) أي الخارجون من طريق الحقّ والداخلون في طريق الضلالة. وأيضاً شملهم قوله تعالى: **﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾** (سورة التوبة:٦٨)، أي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم خالدين فيها أي ماكثين فيها مخلّدين وهم الكفّار، حسبهم، أي: يكفيهم أنّهم في العذاب، ولعنهم الله، أي: طردهم وأبعدهم عن رحمته، ولهم عذاب مقيم. فهذه الآيات تشير إلى أنّ أهمية هذا النوع من البدعة في الدين، و روح النفاق التي يمكن أن تتجلّى بأشكال مختلفة وتبدو في صور متفاوتة بحيث لا تلفت النظر في أوّل الأمر، خصوصا أنّ روح النفاق هذه يمكن أن تختلف بصور مخدعة، فيجب أن لا ينخدع الناس بتغيير صور النفاق بين المنافقين، حيث أنّ المنافقين يشتركون في مجموعة من الصفات تعتبر العامل المشترك فيما بينهم، ولكن تختلف درجاتهم باختلاف أوصافهم الخادعة. ثمّ ذكر سبحانه وتعالى صفاتهم، ومن تلك الصفات أنّهم يدعون الناس
➔

رابعها: ما زعمه من عدم قولهم بأنّهم يطاعون في جميع ما يأمرون به بل يطاعون بأمرهم بطاعة الله، فإنّه مثل ما سبق بهتان معلوم[1]،

➔

إلى فعل المنكر ويرغّبونهم فيها من جهة، ويبعّدونهم وينهونهم عن فعل والأعمال الصالحة من جهة أخرى. فيأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، أي: أنّهم يسلكون طريقاً ويتبعون منهاجاً هو عكس طريق المؤمنين تماماً، فإنّ المؤمنين يسعون دائماً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يصلحوا المجتمع وينقوه من الشوائب والفساد، بينما هؤلاء المنافقون يسعون إلى الإفساد من كلّ زاوية في المجتمع، واقتلاع جذور الخير منها، والأعمال الصالحة من بين الناس من أجل الوصول إلى أهدافهم المشؤومة. ولا شكّ أن وجود مثل هذا المحيط الفاسد والبيئة الملوثة من بدع الخلفاء ستساعدهم كثيراً في تحقيق أهدافهم، فتنطبق الآيات على الخلفاء الثلاثة من جهة أنّهم أحدثوا البدع في الدين، وأمروا الناس بالمنكر، ونهوا عن المعروف والواجبات الدينية كما سنذكر مواردها للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ خلفاء أهل السنّة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله كذب محض؛ لأنّ من غصب الخلافة لا محالة يأمر الناس بعصيان الله ورسوله صلى الله عليه وآله، حيث أنّهم كانوا يأمرون الناس بإتباع أنفسهم غصباً وهي طاعة محرمة ، ومن يفعل ذلك فقد باء بغضب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ (سورة المجادلة: ١٤). فإنّ التولية بمعنى من تولى الأمر ومن تولى الأمر فهو الأمير والحاكم على الناس. والآية صريحة في النهي عن تولية من غضب الله عليه، أي: أنّ طاعته تكون محرمة بنصّ الآية المباركة. وقد أمر الله تعالى جميع المؤمنين

➔

➔

بطاعته وطاعة رسولهﷺ وطاعة أولي الأمر الذي أعطاه الولاية وأوصفه لنا في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (سورة النساء:٥٩). فإنّه تعالى يخاطب المؤمنين مباشرة –من دون واسطة– ويأمرهم بطاعة ثلاثة من الأولياء، الأوّل: طاعة الله عزّ وجلّ، ثمّ طاعة النبيﷺ، والثالث طاعة أولي الأمر. ومن الواضح لدى الخبير أنّ الآية ظاهرة في الطاعة المطلقة الشاملة لجميع الحالات من الأزمنة والأعصار وجميع الأقطاب بلا قيد. ومفهومه أنّه تعالى يريد أن يبيّن للمؤمنين جميعاً أنّ الحاكم الذي يجب عليهم طاعته في جميع الحالات ينحصر في هذه الثلاثة. الأوّل: هو الله سبحانه وتعالى، ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى طاعة الله سبحانه، وكلّ قيادة وولاية يجب أن تنبع من ولاية الله سبحانه وذاته المقدّسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته؛ لأنّه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم. فقال سبحانه وتعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ...**

وفي المرحلة الثانية أمر سبحانه وتعالى بطاعة النبيﷺ وهي طاعةً مطلقة بلا قيد ولا شرط، لأنّ النبيﷺ معصوم، إذ أنّه لا ينطق عن الهوى، فيكون كلامه كلام الله؛ لذلك أنّ الله تعالى قرن طاعتهﷺ بطاعته، ومعناه أنّ طاعته المطلقة كطاعة الله عزّوجلّ، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ..**﴾ (سورة آل عمران:٣٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ...**﴾ (سورة النساء:١٣). فإنّ طاعة الرسولﷺ واجبة كطاعة الله سواء تكرر لفظ "أَطِيعُواْ" أم لم يتكرّر. وبعبارة أخرى أنّ الله تعالى واجب الإطاعة بالذات والنبيﷺ واجب الإطاعة بالعرض،

➔

➔

ولعلّ تكرار كلمة أطيعوا في الآية للتنبيه على الفرق بين الطاعتين؛ حيث أنّ الرسولصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ لا يأمر إلاّ بما أمر الله تعالى به، ولا ينهى إلاّ ما نهى الله عنه، فطاعة الله ذاتية وطاعة النبيصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ عرضية، مع كونها مطلقة كطاعة الله عزّ وجلّ. أي: أنّها طاعة بلا قيد ولا شرط.

وفي المرحلة الثالثة أمر سبحانه وتعالى بطاعة أولى الأمر التي جاءت في سياق الآية معطوفاً على طاعة النبيصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ فتكون واجبة أيضاً على الإطلاق، ومعناه أنّ أولى الأمر لا بدّ أن يكون متصفاً بجميع شرائط الرسولصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ في الطاعة سوى النبوّة ونزول الوحي لأنّ النبي الأكرمصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ خاتم الأنبياء والمرسلين. ولكن ما عدا ذلك يجب أن يكون أولى الأمر متّصفاً به، لظهور العطف واطلاقه. ولا يخفى على الخبير أنّ وجوب الطاعة المطلقة تدلّ على العصمة، لأنّ الطاعة المطلقة معناه وجوب الاقتداء في جميع الشؤون، ووجوب الاقتداء في جميع الشؤون لا يصحّ إلاّ لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان، وإلاّ يلزم منه الأمر بطاعة من يجوز في حقّه الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. ومن كان كذلك لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب، ولا يصحّ الأمر بطاعته على نحو الإطلاق، لأنّ ذلك يؤدي إلى الأمر بالعصيان، وهذا لا يناسب الحكمة الإلهية البالغة. فعليه لا بدّ أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول اللهصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ في صفاته، فيكون المقصود به هم أوصياء الرسولصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ الأئمة المعصومينعَلَيهِمُالسَّلامُ الذين كانوا يمتلكون العصمة كالنبيصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ، والذي يؤكّد هذا المعنى هو عطف أولى الأمر على الرسولصَلَّىاللّهُعَلَيهِوَآلِهِ من دون تكرار لفظ أطيعوا. والجدير بالانتباه هو أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية، حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله

➔

→

بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ. وأضاف قائلاً: ذلك المعصوم إمّا مجموع الأمّة أو بعض الأمّة، ولا يجوز أن يكون بعض الأمّة، لأنّ إيجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم، ونحن عاجزون عن الوصول إليهم... (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٠: ص١٤٤).

فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولى الأمر في الآية هو أن يكون معصوماً. غاية ما في الأمر أنّه كان يعلم أنّ قبول هذه الحقيقة يهدّم عقيدته في باب الخلافة وخلفائه، إذ قام إجماع الأمّة على عدم عصمتهم. فاضطرّ إلى أن يتجاهل بالنسبة إلى هذه الحقيقة ويلتجأ إلى توجيه غريب فذكر احتمال غير عقلائي، وهو أن المقصود من أولى الأمر الإجماع!!! مع أنّ ظاهر الآية الأشخاصا كالرسولﷺ، وتتمّ الحكومة بأوامره ونواهيه. ومن الواضح أنّه لا يمكن الحكومة الجماعية المتألّفة من مجموعة الأمّة، ولهذا يلزم من كلام الرازي ومن تبعه أن تتعطّل مسألة إطاعة أولى الأمر في كلام الله عزّ وجلّ.

ومن ناحية أخرى اعترف جميع علماء أهل السنّة بعدم عصمة خلفاء أهل السنّة، بل قام الإجماع المركب من الأمّة بعدم عصمتهم. وذلك لأنّ كثيراً من خلفائهم كانوا من أهل الكبائر والفسوق والعصيان والطغيان كما تبيّنت هذه الحقيقة من خلال المباحث الماضية. فهم لا يستحقون مقام الطاعة بنصّ الآية الكريمة وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾**

←

بل جرى ديدنهم على طاعتهم في معصية الله سبحانه[(١)]،

←

(سورة المجادلة: ١٤). وإذا كان الأمر كذلك لماذا يقول ابن تيميّة بأنّ خلفائهم كانوا يأمرون بطاعة الله وهم قد غصبوا الخلافة ممّن أوجب الله طاعته عليهم وعلى جميع الأمّة؟!!!!

(١) وتوضيح المقام أنّ الحقائق التي ذكرها كتب التأريخ والسيرة قد رفعت الستار عن التابعين لخلافة السقيفة. فقد روى المؤرّخون والمحدّثون أنّ المتوكّل العباسي كان مدمناً على الخمر ليله ونهاره وهو على سدَة الخلافة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج١١: ص٢٠). حتّى قُتل وهو على مائدة الخمر سكران لا يعقل! ومع ذلك قالوا عنه بأنّه كان مظهراً للسنّة. وقد أنشد السيوطي قصيدة معروفة في مدحه ومن قوله في حقّه: وذو المتوكّل ما أزكاه من خلف* ومظهر السنّة الغراء إذ نصرا. في عام سبع يليها أربعون قضى* قتلا حباه ابنه المدعو منتصراً. فلم يقم بعده إلاّ اليسير كما* قد سنّه الله فيمن بعضه غدرا (انظر تاريخ الخلفاء: ص٢٥٥). وإنّ يزيد ابن معاوية الذي هو موبقة من موبقات معاوية فقد روى الطبري أنّه بُعث اليه وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري... ورجالاً من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم... فلمّا قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا: إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين ويشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويُضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان، وإنّا نشهد أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس (انظر تاريخ الطبري ج٤: ٣٦٨). كما أنّ معاوية نفسه كان موبقة من موبقات عمر بن الخطّاب، فكان يشرب الخمر أيّام حكومته في الشام؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله ابن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثمّ أتينا بالطعام فأكلنا

←

➔

ثمّ أتينا بالشراب فشرب معاوية ثمّ ناول أبي ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول اللهﷺ (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢٤٧). أليس يتعجب الباحث من تجاهل أهل السنة بالنسبة إلى شرب خمر خلفائه مع أن كبار المحدّثين منهم يروون الأحاديث والروايات في حدّ شارب الخمر وما ورد من أنّها أمّ الخبائث وأنّ النبيﷺ لعن شاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها ، فقد أخرج أحمد ابن حنبل بسنده عن أبي علقمة مولاهم، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، أنّهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول اللهﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٩٧). وأخرج بسنده عن عبد الله بن عمرو أنّ النبيﷺ قال: «من شرب الخمر فاجلدوه، ومن شرب الثانية فاجلدوه، ثمّ إن شرب الثالثة فاجلدوه، ثمّ إن شرب الرابعة فاقتلوه» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢١٤). وأخرج بسنده عن عبد الله بن عمر، قال رسول اللهﷺ: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال». قيل: يا أبا عبدالرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار (سنن ابن ماجة ج٢: ص١١٢٠). وأخرج النسائي في سننه بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث عن أبيه قال: سمعت عثمان يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أمّ الخبائث، أنّه كان رجل ممّن خلا قبلكم تعبّد، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنّا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلّما دخل باباً أغلقته دونه حتّى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إنّي والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمرة كأساً، أو تقتل هذا الغلام. قال: فاسقيني من هذا الخمر كأساً، فسقته كأساً. قال: زيدوني، فلم يرم حتّى وقع عليها وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر، فإنّها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلاّ ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه (سنن النسائي ج٨: ص٣١٥). وبعد هذه الروايات التي أخرجها كبار المحدّثين من علماء أهل السنّة

➔

ومن ذلك طاعتهم أبا بكر وعمر فيما حكما فيه بأنظارهما[(١)] حسبما روى

➔

لماذا سكت علماء أهل السنّة عن موقف معاومة من الخمر؟!

ثم أنّه روى بعضهم أنّ أشراف العرب في الجاهليه كانت تجتنب عن الخمر، وكان شربها مذمومة عندهم (انظر مقدمة ابن خلدون ج١: ص١٨). وكيف هؤلاء الذين ادّعوا الخلافة سمّوا أنفسهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سيرتهم جارية على ارتكاب الكبائر والحرمات، فكانوا يشربون الخمر ويرتكبون كلّ كبيرة من الكبائر والمحرّمات وكان الناس يتبعونهم في معصية الله؟!! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه كيف يمكن الالتزام بالقول بأنّ أبا بكر وعمر كانا يأمران الناس بطاعة الله مع أنّهما كانا يأمران الناس بطاعة آرائهما في مقابل النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة. فإنّ التاريخ أكبر شاهد على أنّ سياسة الخلفاء عموماً كانت جارية على الزام الناس قبول جميع الأوامر الصادرة من السلطة الجائرة، وحيث أنّ أتباع السقيفة كانوا على دين ملوكهم كانوا يتبعون جميع الأوامر الصادرة من السلطة الجائرة باعتبار أنّها واجبة الامتثال، رغم أنّهم كانوا يشاهدون التحريف وتغيير في دين الله وأنّ آراء خلفائهم كانت حافلة بالبدع والضلال وما إلى ذلك من الفتن التي أسسها خلفاء السقيفة من منع تدوين الحديث، وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها. فهم كانوا يخضعون لجميع ما يصدر من من خلفائهم. وعلى سبيل المثال أنّهم قد شاهدوا أنّ أبا بكر قد أحرق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص٥، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجّيّة السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤ وغيرهم). والغاية من ذلك عدم انتشار أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصحابة وغيرهم من المسلمين

➔

➔

الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهمﷺ! وقد تابعه عمر في هذه السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم ابن محمّد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ و غيرهم). وبذلك قد فتحوا المجال لتأويل الآيات القرآني حسب ما تشتهي أهوائهم فكانوا يتأولون القرآن حسب مشتهياتهم، لأنّ كتاب الله ذو وجوه كثيرة، أمّا السنّة النبويّة فلا يجد أحد عنها محيصاً. وقد مهّدوا بذلك للسلطة الجائرة المخالفة لأوامر رسولهﷺ كما فعلوه في حياة رسول اللهﷺ وبحضرته فعصوه عندما طلب منهم رسول اللهﷺ القلم والدوات ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعد ذلك أبداً، حتّى اتّهموا رسول اللهﷺ بالهذيان ومنعوه من الكتابة (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، وصحيح مسلم ج٥: ص٧٦ كتاب النذر، باب الأمر بقضاء النذر). وهذه المخالفة صارت حجر الأساس للخلافة الجائرة لتبتني عليها أسسها، وأخذت دورها في إلزام الناس بطاعتهم وعلى أثر ذلك تحقّقت ضلالة الأمّة. ويمكن الاستنتاج من إتهام الرسولﷺ بالهذيان - والعياذ بالله- في حديث القرطاس ما يلي من الأمور:

١- فقد أراد الرجل الرد على الله وحيث كان يعلم أنّ الرد على الرسولﷺ، ردّ على الله. ولذلك استهدف عصمة الرسولﷺ الذي مرجعه هو الله سبحانه، حيث قال سبحانه وتعالى في وصف نبيّهﷺ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ (سورة النجم:٣). ويقول تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ (سورة الحشر:٧).

➔

➔
٢- أراد عمر بن الخطّاب من حدوث هذا التنازع عند الرسولﷺ فتح المجال لمن يريد مخالفة الرسولﷺ، حيث كان يعلم أنّه لا ينبغي التنازع عند الرسولﷺ، أي: يحرم التنازع عندهﷺ كما هو صريح حديث البخاري الذي جاء فيه عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول اللهﷺ كتابا لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيﷺ قال: «قوموا عنّي» (صحيح البخاري ج٨: ص١٦١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول النبيﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء). فأراد عمر بهذا النزاع فتح المجال للصحابة للمخالفة مع رسول اللهﷺ.

٣- إنّ عمر بن الخطّاب هو الذي كان سبباً للرزية التي حدثت ذلك اليوم الذي يصفه ابن عبّاس برزية يوم الخميس، إذ أنّه هو الذي حال بين النبيﷺ والكتابة الذي أراد النبيﷺ أن يعصم بها أمّته من الضلال. وهذا معناه أنه أحدث هذه البدعة في الإسلام. وقد جاء هذا المعنى في صحيح البخاري بشكل واضح، فعن ابن عبّاس قال: لما حضر رسول اللهﷺ وفي البيت رجال فقال النبيﷺ: «هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، فقال بعضهم: إنّ رسول اللهﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول اللهﷺ: «قوموا» (صحيح البخاري ج٥: ص١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته). ومعناه أنّ عمر أراد بمنعه الحديث ضلالة الأمّة وانحرافهم. ومع ذلك كلّه فإنّ التابعين لخلافة السقيفة قد أطاعوه وأطاعوا جميع خلفاء الجور الذين خالفوا أوامر الله ورسولهﷺ، وعليه كيف يدّعي ابن تيمية
➔

ذلك البغوي[١] وغيره[٢]. ومنه طاعتهم أبا بكر في المضي إلى أهل البيت عليهم السلام بالنار والحطب ليحرقوهم لو لم يبايعوا[٣]،

→

ويقول بأنّ خلفاء أهل السنّة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله؟!! فلاحظ.

(١) انظر تفسير البغوي ج١: ص٤٤٤ في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)

(٢) انظر تفسير الثعلبي ج٣: ص٣٣٣، وتفسير الواحدي ج١: ص٢٧١، وتفسير الزمخشري ج١: ص٥٣٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)

(٣) لا شكّ أنّ من الحقائق التاريخية الثابتة التي لا يمكن إنكارها حتّى على المتعصّبين من أهل السنّة كابن تيميّة وأضرابه، هي الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، وإحراق باب دارها بالنار، وضربها بالسياط، وإسقاط جنينها، إلى غير ذلك ممّا جرى عليها ويعلمها القاصي والداني، إذ قد روى هذه الحادثة المؤلمة كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، منهم: ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد قال: ومن حديث حذيفة قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله عظيم، فقال: ... الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر، علي والعباس والزبير وسعد بن عُبادة. فأمّا عليّ والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بَعث إليهم أبو بكر عمرَ بن الخطاب ليُخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمةُ، فقالت: «يا بن الخطّاب، أجئت لتُحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلتْ فيه الأمّة... (العقد الفريد ج٢: ص٧٣). ومنهم الطبري في تاريخه قال: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ

←

➔

عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه... (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣). ومنهم ابن أبي شيبه في كتابه المصنف قال: حدّثنا محمّد بن بشر، حدّثنا عبيد الله بن عمر، حدّثنا زيد ابن أسلم عن أبيه أسلم أنّه: حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول اللهﷺ فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله! والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت، قال: فلما خرج عمر جاءوها فقالت: «تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم ولا ترجعوا إلي»، فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتّى بايعوا لأبي بكر (مصنف أبي شيبه ج٨: ص٥٧٢). ومنهم ابن عبد البر في الاستيعاب: حدّثنا محمّد ابن أحمد، حدّثنا محمد بن أيوب، حدّثنا أحمد بن عمرو البزار، حدّثنا أحمد ابن يحيى، حدّثنا محمّد بن نسير، حدّثنا عبد الله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنّ علياً والزبير كانا حين بويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر، فقال: يا بنت رسول الله، والله ما كان من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك وما أحد أحب إلينا بعده منك، ولقد بلغني أنّ هؤلاء النفر يدخلون عليك ولئن بلغني لأفعلنّ ولأفعلنّ. ثم خرج وجاءوها فقالت لهم: «إنّ عمر قد جاءني وحلف لئن عدتم ليفعلن وأيم الله ليفين بها، فانظروا في أمركم ولا ترجعوا إلي». فانصرفوا فلم يرجعوا حتّى بايعوا لأبي بكر. تحريف كلمة من لأحرقن عليكم إلى لأفعلنّ ولأفعلنّ (الاستيعاب لابن عبد البر ج١:

➔

➔
ص٢٩٨). ومنهم المتّقي الهندي في كنز العمّال: عن أسلم أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله ما من الخلق أحد أحب إلى من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بما نعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب. فلمّا خرج عليهم عمر جاؤها قالت: «تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم بايعوا لأبي بكر» (كنز العمّال ج٥: ص٦٥١). ومنهم الصفدي في الوافي بالوفيات قال: عند ذكر إبراهيم بن سيار المعروف بالنظّام المتوفّى سنة ٢٣١ هجرية قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المُحسن من بطنها! (الوافي بالوفيات للصفدي ج٢: ص٢٢٧). ومنهم الشهرستاني في الملل والنحل: وقال النظّام المتوفّى سنة٢٣١ هجرية فقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها؛ وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين! (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٧). ومنهم أبي الفداء في كتابه المختصر في أخبار البشر: وكذلك تخلّف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أميّة ثمّ إنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم. فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة وقالت: «إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة. فخرج علي حتّى أتى أبا بكر فبايعه، كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل، وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي (المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج١: ص١٠٧). ومنهم ابن تيميّة في كتابه منهاج السنّة: وغاية ما يقال إنّه كبس
➔

➔

البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقّه ثم رأى أنه لو تركه لهم لجاز، فإنّه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء (منهاج السنّة ج٨: ص٢٩١). ومنهم ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان: قال محمد بن أحمد ابن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب حضرته ورجل يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن! (لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج١: ص١١١).

ومنهم الذهبي في ميزان الاعتدال وسير أعلام النبلاء: قال محمد بن أحمد ابن حماد الكوفى الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن! (انظر ميزان الأعتدال للذهبي ج١: ١٣٩، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٥: ص٥٧٨). وهنا نكته ينبغي الالتفات إليها وهي أن الحافظ ابن حماد الكوفي ذكر أن ابن أبي دارم كان مستقيماً عامه دهره وأنّه أخذ يروي أحاديث المثالب في أواخر حياته، ومع ملاحظه أن تاريخ وفاته كان سنه ٣٥٧ هـ يعلم مدى تأثير أجواء القمع والارهاب في كتمان الحقائق. فابن أبى دارم عاصر في أواخر حياته عهد الدولة البويهية وبالتحديد زمن معز الدولة الذي فسح المجال للشيعة للإدلاء بآراءهم. ومثل هذا الجوّ سمح لابن أبى دارم بذكر حقيقة ما جرى على الزهراء عليها السلام في أواخر حياته.

ومنهم الطبراني في معجمه الكبير: عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر، أعوده في مرضه الّذي توفّي فيه، فسلّمتُ عليه وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً، فقلت: أصبحتَ بحمد الله بارئاً، فقال: أما إنّي على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلا مع وجعي، جعلت لكم

➔

➔
عهداً من بعدي....ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وددتُ أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددتُ أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددتُ أنّي سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ، فأمّا الثلاث اللاتي وددتُ أنّي لم أفعلهنّ: فوددْت أنّي لم أكن كشفتُ بيت فاطمة وتركته وأن أغلق عليّ الحرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجليْن: أبي عبيدة أو عمر، فكان أمير المؤمنين، وكنت وزيراً (المعجم الكبير للطبراني ج١: ص١٧). ومنهم الطبري في تاريخه: قال أبو بكر عنه: أجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددت أني سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمّا الثلاث اللاتى وددت أنّي تركتهنّ فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب (تاريخ الطبري ج٢: ص٦١٩). ومنهم ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنّه دخل على أبي بكر يعوده في مرضه الذي مات فيه: ... ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أني لم أفعلهنّ: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق علي الحرب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤١٨). وقال: فأمّا التي وددت أني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شئ (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٠). وقال: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأنّي أغلق على المحارب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢١). وقال: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٢). وقال الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: عن حميد ابن
⬅

➔

عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، وقد رواه الليث ابن سعد، عن علوان، عن صالح نفسه قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه... ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهﷺ عنهنّ: وددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأن أغلق على الحرب (تاريخ الإسلام للذهبي ج١: ص٣٨٥). ومنهم الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد: عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه: ..... ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أني فعلتهنّ، وثلاث وددت أني سألت رسول اللهﷺ عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أني لم أفعلهنّ فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب (مجمع الزوائد للهيثمي ج٢: ص٣٥٣). ومنهم الذهبي في ميزان الاعتدال: العقيلي، حدثنا يحيى بن أيوب العلاّف، حدّثنا سعيد بن عفير، حدّثنا علوان ابن داود، عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده ثم قال عبد الرحمن: ما أرى بك بأساً والحمد لله، فلا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلاّ كنت صالحاً مصلحاً فقال: إنّي لا آسى على شيء إلا على ثلاث وددت أنى لم أفعلهن: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق على الحرب، وددت أنّي يوم السقيفة كنت قذفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر، فكان أميراً وكنت وزيراً... (ميزان الأعتدال للذهبي ج٣: ص١٠٩). ومنهم الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين: عن علي بن أبي طالبعليه السلام، قال : لمّا ولدت فاطمة الحسن جاء النبيﷺ، فقال: «أروني ابني ما سمّيتموه؟» قال: قلت: «سمّيته حرباً»، قال: «بل هو حسن»؛ فلمّا ولدت الحسين جاء

➔

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أروني ابني ما سمّيتموه؟» قال: قلت: «سمّيته حرباً»، فقال: «بل هو حسين»؛ ثمّ لمّا ولدت الثالث جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «أروني ابني ما سمّيتموه؟» قلت: «سمّيته حرباً»، قال: «بل هو محسن» ثم قال: «إنما سمّيتهم باسم ولد هارون شبّر وشبير ومشبّر»؛ هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٦٥). وقال الذهبي في الهامش: صحيح رواه اسرائيل عن جدّه (انظر التلخيص على المستدرك للذهبي ج٣: ص١٦٥). منهم المحبّ الطبري في ذخائر العقبى قال: ذكر تسميتهما يوم سابعهما عن علي عليه السلام قال: «لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: "أروني ابني ما سمّيتموه" قلنا: حرباً، قال: "بل هو حسن"، فلمّا ولد الحسين سمّيته حرباً؛ فجاء النبي صلى الله عليه وآله قال: "أروني ابني ما سمّيتموه؟" فقلنا: سمّيناه حرباً، فقال: "بل هو حسين"، فلمّا ولد الثالث سمّيته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: "أروني ابني ما سمّيتموه؟" فقلنا: سمّيناه حرباً، فقال: بل هو محسن، ثمّ قال: "إنما سمّيتهم بولد هارون شبّر وشبير ومشبّر». خرجه أحمد وأبو حاتم (انظر ذخائر العقبي ج١: ص١١٩). وأيضاً: ذكر ولد فاطمة عليها السلام عن الليث بن سعد قال: تزوّج علي فاطمة فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وزينب وأمّ كلثوم ورقيّة فماتت رقية ولم تبلغ، وقال غيره: ولدت حسناً وحسيناً ومحسناً فهلك محسن صغيراً وأمّ كلثوم وزينب ولم يتزوّج عليها حتّى ماتت عليها السلام (انظر ذخائر العقبى ج١: ص٥٥). ومنهم البلاذري في أنساب الأشراف قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر، ومعه قبس فتلقته فاطمةُ على الباب، فقالت فاطمة: «يا بن الخطاب، أتراك محرّقاً علي بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي، فبايع وقال: كنتُ

➔

➔

عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتّى أجمع القرآن (أنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٢٥٢). ومنهم اليعقوبي في تاريخه: وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتّى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: «والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله!» فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٦). ومنهم الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال قال: أحمد بن محمد بن السري بن يحيى المعروف بابن أبي دارم: قال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي فيما قال: ..... ثمّ كان في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب. حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١: ص١٣٩). وعنه أيضاً قال الحاكم: وقال محمّد بن حمّاد الحافظ، كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت محسناً! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١٥: ص٥٧٨). ومنهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام! (الملل والنحل للشهرستاني ج١:

🡐

➔
ص٥٧). ومنهم المسعودي في كتابه الأسرار الفاطمية قال: وقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتّى ألقت المحسن من بطنها. وعن لسان الميزان: إنّ عمر رفس فاطمةعليها السلام حتّى أسقطت بمحسن! (الأسرار الفاطمية: ص١٢٣). منهم الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات قال: استدرك على كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، وقد ترجم فيه النظام المعتزلي إبراهيم بن سيار البصري (١٦٠ــ ٢٣١هــ). وقال: قالت المعتزلة إنما لقب ذلك النظام لحسن كلامه نظماً ونثراً، وكان ابن أخت أبي هذيل العلاف شيخ المعتزلة، وكان شديد الذكاء، ونقل آراءه، فقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن في بطنها! (الوافي بالوفيات ج١: ص٥٧). وأيضاً قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم لبيعة حتى ألقت المحسن من بطنها! (الوافي بالوفيات ج٦: ص١٥). ومنهم المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة قال: فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن خصير، وسلمة بن سلامة ابن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، فصاحت فاطمةعليها السلام وناشدتهم الله، فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما، ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما! (الرياض النضرة ج١: ص٢١٤). ومنهم ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة قال: ورأت فاطمة ما صنع عمر. فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٩). ومنهم الخليلي قال: كما نقل صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في الوافي بالوفيات ضمن حرف الألف كلمات وعقائد إبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام المعتزلي إلى أن قال النظام: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها، وهكذا
➔

➔

تجد ممّا أخرجه البلاذري والطبري وابن خزاية وابن عبد ربه والجوهري والمسعودي والنظام وابن أبي الحديد وابن قتيبة وابن شحنة والحافظ إبراهيم وغيرهم تثبت أنّ علياً وبني هاشم وأخص الصحابة إنّما بايعوا بعد التهديد وبعد اجبارهم قسراً، وأنّ أبا بكر وعمر بالغا بالظلم والقسر لأخذ البيعة (أبوبكر بن أبي قحافة: ص٣١٧). وإلى غير ذلك من المصادر التي ذكرت قضية الهجوم إلى بيت فاطمة الزهراءعليها السلام، ومن الواضح أنّ من أطاع أبا بكر وعمر في الهجوم على بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فقد أطاعهما في عصيان الله ورسولهصلى الله عليه وآله، لأنّ طاعتهما صارت سبباً لغضب الزهراءعليها السلام ومن أغضبها فقد أغضب النبيصلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث المتّفق عليه بين جميع المسلمين، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وإذا كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يغضب لغضب بضعته الزهراءعليها السلام ويتأذّى بأذاها فمعناه أنّ أبا بكر وعمر شملهما قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧) ومن الواضح أنّ المراد من أذى الله سبحانه هو السعي في ما يوجب غضب الله عزّ وجلّ كاتّخاذ الكفر والإلحاد الذان يوجبان غضب الله عزّ وجلّ، لأنّ الأذى لا يعني في شأن الله تعالى إلاّ بمعنى كفر المغضوب عليه، كما ذكره أصحاب التفسير من الفريقين (انظر تفسير القرطبي ج٢: ص٢٨). ولذلك قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**﴾ (سورة المجادلة:١٣)، وقال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم**

🡐

➔
مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المجادلة:١٤). وأمّا إيذاء نبي الأكرم صلى الله عليه وآله فله معنى واسع يشمل كلّ عمل يؤذيه، سواء كان الكفر والإلحاد، أو مخالفة أوامر الله أو الافتراء على الله أو إيذاء أهل بيته صلى الله عليه وآله وخاصّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام. نعم قد وردت الروايات الصحيحة في مصادر علماء الإسلام، ورواها علماء أهل السنّة في أصحّ كتبهم من أنّ إيذاء الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله، منها: ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنها: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وقال صلى الله عليه وآله: «إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله). وقال صلى الله عليه وآله: «فإنّما ابنتي فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله). ومن الواضح أنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب لأذاه ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٦١). فالهجوم على دار الزهراء عليها السلام من الحقائق المؤلمة التي تهزّ الأركان وترتعد فرائص الإنسان وتزعزع الإيمان، لأنّ الباحث المنصف المجرّد عن التعصّب لا مناص له من الاعتراف بأنّ أبا بكر وعمر ارتكبا هذه الجريمة النكراء وكانا سبباً لأذية سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وغضبها كما تقدّم ذكر الأحاديث التي رواها علماء أهل السنّة، وأنّها فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن المنصب الذي اختاره الله لهم وقد بدأت من إبعاد الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة واغتصاب نحلة الزهراء عليها السلام وتكذيبها وإهانتها وشهادتها
➔

نقل ذلك جماعة من عمدهم: مثل ابن أبي شيبة[١]، وابن جريرفي تاريخه[٢]، وابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة[٣]، وغيرهم[٤] وهم قد فُرض عليهم بخبر الثقلين[٥]

➔

مظلومة مكروبة، وانتهت بعد ذلك بشهادة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وكلّ أولادهم وسبي نسائهم وقتل شيعتهم ومحبّيهم وأتباعهم، ولعلّ المؤامرة متواصلة إلى أن يظهر المهدي عليه السلام فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملأت ظلماً وجوراً فلاحظ.

(١) انظر مصنف أبي شيبه ج٨: ص٥٧٢

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣، وج٢: ص٦١٩

(٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٢

(٤) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٢: ص٧٣، ومصنف لابن أبي شيبه ج٨: ص٥٧٢، وكنز العمّال للمتّقي الهندي ج٢: ص٢٢٧، والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٧ وص٥٧، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج١: ص١٠٧، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج١: ص١١١، وميزان الاعتدال للذهبي ج١: ص٥٧، وج٦: ص١٠٩، وج١٥: ص٥٧٨، وج١: ص٥٧٨، وسير أعلام النبلاء له ج١٥: ص٥٧٨ وغيرهم.

(٥) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث التي ثبت صدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله بنقل الفريقين. وقد أخرجه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحّته ووثاقة رُواته، وقد ورد عن بضع وعشرين صحابياً متظافرة كما نصّ على ذلك ابن حجر (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وأفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين لكنهوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار

➔

←

وذكر فيه طرق الحديث من كتب أهل السنّة إلى الصحابة، فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً. وقد تكرّر هذا الحديث من النبي الأكرمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه في مواضع كثيرة، وفي أغلب الروايات بهذا اللفظ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». فقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث... (انظر فيض القديرج٣: ص١٤). قال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وجابر، وحذيفة ابن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن أبي ليلى، وعبد الثرى بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعديّ ابن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي تسريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، وأمّ سلمة، وأمّ هاني بنت أبي طالب، وورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط). فالحديث في غاية الأهميّة والعظمة، ويجب أن تدرس معطياتها ومفاهيمها بدقّة كاملة وبصورة واعية؛ لأنّ الدراية تفوق الرواية، ففي الحديث عدّة نقاط لا بدّ من الالتفات إليها، النقطة الأولى: لماذا أطلق رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه على كتاب الله وأهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ وصف الثقل؟

وعندما نرجع إلى اللغة نجد أنّ معنى الثقل هو كلّ نفيس خطير مصون ثقل، قال الفيروز الآبادي: وثقْل بمعنى كلّ شيء نفيس مصون، ومنه الحديث «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...» (انظر قاموس اللغة ج٣: ص٣٥٣). قال ابن حجر: سمّى رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه القرآن وعترته بالثقلين؛ لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك، إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية

→

➔

والأحكام الشرعيّة، ولذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وقيل: سمّيا ثقلين وجوب رعاية حقوقهما، انتهى (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣١).

ثم إنّ القرآن الكريم أطلق كلمة الثقلين على الجنّ والإنس، والذي يجب أن نبحث فيه هو وجه المناسبة في استخدام هذا المصطلح في الحديث. يقول سبحانه في البداية: ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ**﴾ (سورة الرحمن:٣١). أي: أنّ الله سبحانه سيحاسب يوم القيامة الإنس والجنّ حساباً دقيقاً، على جميع أعمالهم وأقوالهم ونيّاتهم، ويعيّن لكلّ منهم الجزاء والعقاب. والثقلان جاءت بمعنى الوزن الثقيل، وأطلق على جماعة الإنس والجنّ وذلك لثقلهم المعنوي، لأن الله تبارك وتعالى قد أعطاهم عقلاً وشعوراً وعلماً ووعياً، فيكون لهما وزناً وقيمةً، وذلك للتأكيد لهاتين الطائفتين بالخصوص، لأنّ التكاليف الإلهيّة مختصّة بهما في الغالب. والمهمّ أنّ المقصود بالثقل هو الثقل المعنوي الذي يتميّز به عن غيره. قال البدخشاني في مفتاح النجاة بعد ذكر حديث الثقلين: أقول سمّى القرآن وعترته الثقلين، لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينيّة والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية؛ ولذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسّك بهم. وقال أحمد بن عبد القادر العجيلي في ذخيرة المآل: قال علمائنا: إنّما سمّى رسول الله ﷺ القرآن والعترة الثقلين، لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون وهذان كذلك، إذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العليّة والأحكام الشرعيّة، ولذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسّك بهما الثاني ثقالة التمسّك بهما والعمل بما يتلقى عنهما ورعاية حقوقهما على الناس، لأنهما يأمران بالعبوديّة والإخلاص لله تعالى ومخالفة الهوى والعدل والإحسان، وينهيان عن الفحشاء والمنكر وعن متابعة

🡐

←

النفس والشيطان وعن الظلم والعدوان، ومعلوم أنّ تباعة الحقّ والإخلاص ومخالفة الهوى وترك الفحشاء أثقل الأشياء وأمرها. وقال شهاب الدين الدولت آبادي الهندي في هداية السعداء وفي الحديث «إني تارك...»: وقال الطيّبي في الكاشف: ما يقرب ذلك «فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» إنّما سمّيا بذلك لأن الأخذ والعمل بهما ثقيل. وقال السمهودي في جواهر العقدين: وقيل: سمّاها ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بما يتلقى عنهما والمحافظة على رعايتهما والقيام بواجب حرمتهما ثقيل، قيل: ومنه قوله تعالى ﴿**سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾، لأن أوامر الله وفرائضه ونواهيه ما تؤدّي إلاّ بتكليف ما يثقل. وقال محمّد طاهر الفتني في مجمع البحار: فيه «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» سمّيا به لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. وقال مخدوم الشريفي في النواقض: سمّاها ثقلين، لأن الأخذ بهما والعمل بهما والمحافظة على رعايتهما ثقيل. وقال ابن حجر في الصواعق: وسمّاها ثقلين اعظاماً لقدرهما إذ يقال لكلّ خطير شريف ثقل أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جدّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ أي له وزن وقدر أو لأنّه لا يؤدّى إلاّ بتكليف ما يثقل وسمّيا سائر الحيوان. إلى غير ذلك ممّا يقرب هذه التعابير.

النقطة الثانية: عظمة الثقلين ووجوب الأخذ بهما، فإنّ حديث الثقلين يدّل على أن هداية الإلهية وهي بنصّ حديث الثقلين منحصرة بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام معاً، أي: لا يمكن الهداية إلاّ باتّباع القرآن كما لايمكن الهداية الإلهية إلاّ بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، فالقرآن وأهل البيت عليهم السلام كلٌّ منهما يُكمل الآخر في الهداية الإلهية. ونستفيد هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وآله: «ما إن تمسّكتم بهما» لا بأحدهما، لا نتمسّك بالقرآن ونعرض عن أهل البيت عليهم السلام، أو نعرض عن أحاديث أهل

→

➔

البيتعليهم السلام، (ما إن تمسكتم بهما) أي: كلّ منهما في صف الآخر، في عرض الآخر، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وقالصلى الله عليه وآله أيضاً: «فإنّهما لن يفترقا» أي: لن يفترقا في جميع معارفهما ومعالمهما ، وجميع خصوصياتهما، فهما لا يفترقان في مقام الاتّباع، ونحن في مقام اتّباعنا للقرآن لا يفترق اتّباعنا للقرآن عن اتّباعنا لأهل البيتعليهم السلام ولا يفترق اتّباعنا لأهل البيتعليهم السلام عن اتّباعنا للقرآن. ويوضّح هذا المعنى الذي نحن نريده ما أخرجه الطبراني وهو متمّم لحديث الثقلين، فأتمّ الرواية بما روي عن الرسولصلى الله عليه وآله من قِبل بعض الصحابة أنّهصلى الله عليه وآله قال: «ولا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، لا تتقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، ولا تعلّموهما فإنّهم أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٦٦، وج٥: ص١٦٧). ومعنى ذلك أنّه: لا تتقدّموا القرآن و لا تتقدّموا على أهل البيتعليهم السلام، بل كونوا دائمًا ورائهما، وكونوا باتّباعهما، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، دائمًا أنتم معهما ولا تتقدّموا عليهما ولا تتأخّروا عنهما، ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم.

النقطة الثالثة: أنّ حديث الثقلين يدلّنا على أنّ أهل البيتعليهم السلام هم أعلم الناس بالشريعة الإسلامية بعد النبيصلى الله عليه وآله، وأعرف الناس بتفاصيلها وأحكامها وجميع متعلّقاتها، ولذلك قرن رسول اللهصلى الله عليه وآله أهل بيتهعليهم السلام بالقرآن، وعندما قرن أهل البيتعليهم السلام بالقرآن وقالصلى الله عليه وآله: «إنّي مخلّف فيكم ثقلين: كتاب الله وعترتي»، طبعاً المسلمون يعرفون أنّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء، فالقرآن مشتملٌ على سائر التشريعات الإسلاميّة، ومشتمل على سائر الأحكام الإسلامية التي أرادت الشريعة الإسلامية تطبيقها وتنفيذها على وجه الأرض، بما أن القرآن مستوعبٌ لجميع مضامين الرسالة الإسلامية، فكذلك الثقل الآخر والعدل الآخر في حديث الثقلين يكون

➔

متابعتهم وتعظيمهم[1].

➔

كذلك، فبنصّ هذا الحديث أنّ أهل بيت النبوةعليهم السلام مستوعبون لجميع أحكام الشريعة، ولجميع مضامين الشريعة، والمعارف الإلهية، فهم أعلم الناس، كما أن القرآن أعرف الكلّ بما يريده الله، كذلك أهل البيتعليهم السلام أعرف الكلّ بما يريده الله عزّ وجلّ بدلالة الحديث، وهكذا نستفيد من هذا الحديث أنّ أهل البيتعليهم السلام أولى بالقيادة والإمامة، إذ أنّهم أعلم الناس وأعرف الناس أعرف الناس بمعارف الإسلام، وأعلم الناس بالأحكام، وأولى الناس بالقيادة، فهم أولى بالخلافة. وبعد وضوح دلالة الحديث على إمامة المعصومين من أهل بيت النبي الأكرمعليهم السلام كيف يجوز لابن تيمية أنّ يدّعي لزوم طاعة خلفاء الجور؟!! فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض مقاطع حديث الثقلين الذي اتّفق المسلمون على نقله وصحّته، من الأدّلة القطعية على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام، وعظمة منزلتهم عند الله وعند رسولهصلى الله عليه وآله. وقد روى هذا الحديث كبار علماء أهل السنّة كأحمد ابن حنبل وغيره، فرواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد رواه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت ، قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد ابن حنبل ج٥: ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم

➔

➔
الثقلين....»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيد الله ابن زياد الحوض فأنكره وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذلك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ فقال: نعم، يقول : أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكّة، أو بين صنعاء ومكّة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص٢٣٠).

وروى بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حدثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ قال: يا ابن أخي والله لقد كبرتْ سنّي، وقدُم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتُكم فاقبَلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال:قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأْتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٧). وإلى غير ذلك ممّا رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وهذا مصدر واحد من مصادر أهل السنّة وهناك مصادر عديدة من الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة وقد رووا هذا الحديث بأسانيد
➔

➔

عديدة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جداً كالشمس في رابعة النهار؛ حيث أنّ النبي الأكرمﷺ حصر فيه وجوب اتّباع القرآن والعترة من أهل البيتعليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ النبي الأكرمﷺ قرَن طاعة عترته الطاهرةعليهم السلام بمحكم الكتاب العزيز، وكأنّما قالﷺ: كما يجب عليكم الأخذ بالكتاب واتّباعه، كذلك يجب عليكم اتّباع العترة الطاهرةعليهم السلام. فالحديث يدلّ على إمامة العترة الطاهرةعليهم السلام، لأنّ النبيﷺ جعل العترة الطاهرةعليهم السلام عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وحصر الطريق الفوز بالسعادة والنجاة من الضلالة بالتمسّك بهما معاً. فالحديث صريح في وجوب اتّباع العترة الطاهرة الأئمة أهل البيتعليهم السلام، كما يدلّ على وجوب اتّباع القرآن.

ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص والعبارات التي جاءت في كتب أهل السنّة واعترافهم بمدلول الحديث، وإليك بعض أقوالهم. قال الزرقاني: أنّه قال الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

وقال النووي: قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادّة ثقل).

➔

ومنه متابعتهم أبا بكر على جعل عمر خليفة من بعده وهم عالمون بأنّ الخليفة علي عليه السلام حسبما مضى بيان ذلك[1]. ومنه متابعتهم عمر على تحريم

➔

وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل برواياتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المناوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين». زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر». وفي رواية بدل خليفتين: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: كتاب الله القرآن، حبل، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض. قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه. وعترتي –بمثنّاة فوقيّة –: أهل بيتي. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. وسيأتي البحث في شرح الحديث والمستفاد مما ذكروا في شرح الحديث، ويتبيّن للقارئ الكريم دلالة الحديث على على إمامة أهل البيت عليهم السلام بما جاء في كلمات علماء أهل السنّة ومحقّقيهم.

وعليه كيف يقدّم أهل السنّة خلفائهم على العترة الطاهرة عليهم السلام؟!! وكيف يدّعي ابن تيمية ويزعم أنّ طاعة خلفائهم طاعة الله مع أنّهم خالفوا أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وكانوا سبباً لإيذاهما؟!! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الخلافة الشرعية لا بدّ أن تكون مستندة بالدليل الشرعي. وعندما يراجع الباحث إلى كتب أهل السنّة ليعرف مايقولون في مشروعيّة خلافة عمر من قبله خلافة أبي بكر فلا يجدون دليلاً شرعياً على قولهم. أمّا كيف أوصى

➔

➔

أبو بكر بخلافة عمر مع وجود النص من قبل الرسول الأعظمﷺ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام خلافته. وقد ثبت صحّة حديث الغدير عند علماء أهل السنّة، حيث ورد في تفاسيرهم وكتب حديثهم وتاريخهم وسيرهم وغير ذلك أنّه عند ما نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة المائدة:٦٧)، في غدير خمّ فقد أمر الله تبارك وتعالى نبيهﷺ بإبلاغ إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للمسلمين. وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة من طرق الفريقين أنّ رسول اللهﷺ أمر جميع الحجّاج ومنهم كبار الصحابة أن يجتمعوا في مكان يسمى بغدير خمّ، وخطب فيهم خطبة عظيمة، وأمر المسلمين أن يبايعوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للإمامة والخلافة من بعده، فبايعه جميع الصحابة بما فيهم الخلفاء الثلاثة على الإمامة والخلافة. وقد أكّدت النصوص على تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد بيعتهما له بقولهما: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم. وقد أخرج هذه الواقعة كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، وقد جمعها العلاّمة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير وأثبت تواتر الحديث في جميع طبقات رواته، وأنهى الطرق من كتب أهل السنّة إلى مائة وعشرين صحابياً، وتسع وثمانين تابعيّاً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين والمفسّرين من أهل السنّة الذين رووا هذا الحديث (انظر الغدير ج١: ص١٢-٣٣٥). ومن تلك الروايات ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خم، لمّا أخذ النبيﷺ بيد علي ابن أبي طالب فقال: «ألست ولي

➔

➔

المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر ابن الخطّاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب، كتب له صيام ستّين شهراً (انظر تاريخ بغداد ج٨: ص٢٨٤). وعن زيد بن أرقم قال: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبيﷺ وعلياً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشاءين في وقت واحد وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً (انظر كتاب الغدير للعلامة الأميني ج١: ص٢٧٠ نقلاً عن الطبري). وطفق القوم يهنّئون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ويبايعونه بالإمامة، وقد كان في مقدمهم أبو بكر وعمر، كلّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر المناقب للخوارزمي: ص٨٨). وقال ابن عبّاس: وجبت والله في أعناق القوم (انظر خلاصة عبقات الأنوار ج٧: ص١٣١). هذا وقد أنكر أهل السنّة هذه الأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة النبويّة، بسبب متباعهم لخلفاء السقيفة. فإنّهم خالفوا وتمردوا عن الشريعة المقدسة بمتابعتهم لأبي بكر، في قبولهم خلافته بلا وجه شرعي. ثم قبولهم وصيّته لخلافة عمر بلا وجه شرعي، فإنّها مخالفة صريحة لأوامر الله ورسولهﷺ. ولا يخفى على الخبير أنّ هذه المتابعة مضافاً إلى كونها مخالفة لأمر الله ورسولهﷺ أنّها إنكار لما جاء به الله ورسولهﷺ، حيث أنّ قبول وصيّة أبي بكر لخلافة عمر تكذيب لله ورسولهﷺ وسيأتي البحث في هذا الموضوع مفصلاً من أنّ من كذب الله ورسولهﷺ هل يرجع تكذيبه إلى إنكار الله ورسولهﷺ أم لا؟ وسنذكر نتيجة القول بإنكار الله ورسولهﷺ مفصّلاً في

➔

الثلاث: المتعتين[(١)]

محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الدالّة على مخالفة عمر بن الخطّاب للشريعة الإسلاميّة في الأبواب المختلفة من الأحكام الشرعية. منها: مخالفته للكتاب والسنّة، في المتعتين، متعة الحجّ ومتعة النساء. فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عاصم عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: إنّ ابن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما (صحيح مسلم ج٤: ص٥٩ كتاب الحجّ، باب التقصير في العمرة). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمران ابن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم ينزل قرآن يحرّمه ولم ينه عنها حتّى مات قال: رجل برأيه ما شاء، قال محمد: يقال إنه عمر، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم (صحيح البخاري ج٤: ص٤٩ كتاب الحج، باب جواز التمتّع). وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه بسنده عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثمّ ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر حتّى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث (صحيح مسلم ج٤: ص١٣١ كتاب النكاح، باب نكاح المتعة). وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن قتادة عن أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله: إنّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وإنّ ابن عبّاس يأمر بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عفّان: ومع أبي بكر، فلمّا ولي عمر خطب الناس فقال: إنّ القرآن هو القرآن، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الرسول وإنّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: إحداهما متعة

➔
الحجّ والأخرى متعة النساء (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٥٢). وأخرج أيضاً بسنده عن عاصم عن أبي نضرة عن جابر قال: متعتان كانتا على عهد النبيﷺ فنهانا عنهما عمر عنه فانتهينا (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٢٥). وإلى غير ذلك من الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة الدالة على بدعة عمر في الدين من جهة تحريم المتعتان. ولا يخفى على الخبير أنّه لا يحقّ عمر بن الخطاب أن يغيّر حكماً من أحكام الله، ولذلك استدلّ المأمون على جواز المتعة بحديث متعتان كانتا على عهد النبيﷺ فتهى عنهما عمر، في قبال الشريعة المقدّسة. وقد ذكر ابن خلّكان أنّ المأمون أمر أيّام خلافته أن يُنادى بحلّيّة المتعة. قال: فدخل عليه محمّد بن منصور وأبو العيناء، فوجداه يستاك ويقول -وهو مغتاظ-: متعتان كانتا على عهد رسول اللهﷺ وعهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما. قال: ومن أنت يا جُعَل حتّى تنهى عمّا فعله رسول اللهﷺ وأبو بكر؟! فأراد محمّد بن منصور أن يكلّمه، فأومأ إليه أبو العيناء وقال: رجل يقول في عمر ابن الخطّاب ما يقول نكلّمه نحن؟! ودخل عليه يحيى بن أكثم فخلا به وخوّفه من الفتنة، ولم يزل به حتّى صرف رأيه (انظر وفيات الأعيان ج٦: ص١٤٩ في ترجمة يحيى بن أكثم). والجُعَل: هو الحيوان الأسود كالخنفساء، ثمّ قال ابن خلّكان أنّه ذكر البيهقي: أنّ المأمون قال في حقّ عمر بن الخطاب كلاماً، قد نزّه البيهقي كتابه عن ذكره (انظر وفيات الأعيان ج٦: ص١٤٩ في ترجمة يحيى بن أكثم). ومن هنا يعرف أنّ الخليفة العبّاسي المأمون حيث كان يعلم بأنّ فعل عمر من مصاديق البدعة في الدين أنّ البدعة هي الضلالة ولذلك أمر الناس بحليتها. فالحديث يؤكّد مخالفة أهل السنّة للشريعة المقدّسة في متابعتهم لعمر بن الخطّاب في تحريمه المتعتين، لأنّ المأمون الذي هو أحد خلفاء أهل السنّة يرد على بدعة عمر، ومعناه كان من الواجب على
➔

و"حيّ على خير العمل[(١)]".

➔

أهل السنّة عدم متابعة عمر، فلماذا اتّبعه أهل السنّة في مخالفته لله ورسولهﷺ؟ فما ادّعاه ابن تيميّة من أنّ أبا بكر لم يأمر إلاّ بطاعة الله كذب محض، لأنّه أمر بطاعة أهل البدعة، فلاحظ.

(١) لقد أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الدالّة على مخالفة عمر بن الخطّاب للشريعة المقدسة في حذف جملة "حيّ على خير العمل" من الأذان، كما ورد في الأخبار المتّفق عليها بين الفريقين. فقد أخرج التفتازاني في كتابه شرح المقاصد عن عمر بن الخطاب أنّه قال: "ثلاث كن على عهد رسول اللهﷺ أنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وهي متعة النساء ومتعة الحجّ وحيّ على خير العمل" (انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٩٤). وأخرج البيهقي في سننه بسنده عن عبد الوهّاب ابن عطاء عن مالك بن أنس عن نافع قال: كان ابن عمر يكبّر في النداء ثلاثاً ويشهد ثلاثاً وكان أحياناً إذا قال: حيّ على الفلاح، قال على أثرها: حيّ على خير العمل (سنن البيهقي ج١: ص٤٢٤). وأخرج أيضاً بسنده عن نافع قال: كان ابن عمر لا يؤذّن في سفره وكان يقول حيّ على الفلاح وأحياناً يقول حيّ على خير العمل (سنن البيهقي ج١: ص٤٢٤). وأخرج أيضاً بسنده عن بشر بن موسى عن موسى ابن داود عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه: أنّ علي بن الحسين كان يقول في أذانه إذا قال حيّ على الفلاح قال: حيّ على خير العمل (سنن البيهقي ج١: ص٤٢٤). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذه المضامين الدالّة على أنّ عمر حذف جملة "حيّ على خير العمل" من الأذان. وهناك أقوال من كبار علماء أهل السنّة تؤكّد على هذه الحقيقة، وإليك نماذج منها:

قال الشوكاني في شرح الحديث الدالّ على المقام أنّه: احتجّ القائلون بذلك بما في

➔

وعلى جريان الثلاث في قول: أنت طالق ثلاثاً[(١)]،

➔
كتب أهل البيت كأمالي أحمد بن عيسى والتجريد والأحكام وجامع آل محمّد من إثبات ذلك مسنداً إلى رسول الله ﷺ، قال في الأحكام: وقد صحّ لنا أنّ حيّ على خير العمل كانت على عهد رسول الله ﷺ يؤذّن بها ولم تطرح إلاّ في زمن عمر، وهكذا قال الحسن بن يحيى روي ذلك عنه في جامع آل محمّد، وبما أخرج البيهقي في سننه الكبرى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر أنّه كان يؤذّن بحيّ على خير العمل أحياناً. وروي فيها عن علي بن الحسين أنّه قال: هو الأذان الأوّل. وروى المحبّ الطبري في أحكامه عن زيد بن أرقم أنّه أذّن بذلك، قال المحبّ الطبري: رواه ابن حزم، ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أبي أمامة بن سهل البدري، ولم يرو ذلك من طريق غير أهل البيت مرفوعاً. وقول بعضهم وقد صحّح ابن حزم والبيهقي والمحب الطبري وسعيد بن منصور ثبوت ذلك عن علي ابن الحسين وابن عمر وأبي أمامة بن سهل موقوفاً ومرفوعاً... (انظر نيل الأوطار ج٢: ص١٩). وإلى غير ذلك الأقوال الواردة في المقام الدالّة على أنّ عمر بن الخطّاب خالف الله ورسوله ﷺ في هذه البدعة. ولماذا تبعه أهل السنّة في هذه المخالفة مع علمهم بأنّها بدعة في الدين وكلّ بدعة ضلالة؟!!

(١) لا يخفى أنّ من البدع التي أحدثها عمر بن الخطّاب في الدين هي بدعة الطلاق ثلاثاً دفعة واحدة، بأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، أو يكرّره ثلاث دفعات ويقول في مجلس واحد: أنتِ طالق، أنتِ طالق، أنتِ طالق. فتحسب ثلاث تطليقات حقيقة، وتحرم المطلقة على زوجها حتّى تنكح زوجاً غيره. فمن الروايات الصحيحة الدالّة على المقام ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر
➔

➔

طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (صحيح مسلم ج٤: ص١٨٣ كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث). وما أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن طاوس، أنّ رجلاً يقال له أبو الصهباء كان كثير السؤال لابن عبّاس، قال: أما علمت أن الرجل كان إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر؟ قال ابن عبّاس: بلى، كان الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر، فلمّا رأى الناس قد تتابعوا فيها قال: أجيزهنّ عليهم (سنن أبي داود ج١: ص٤٩٠). وما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن طاوس: أنّ رجلاً يقال له أبو الصهباء كان كثير السؤال لابن عبّاس قال: أما علمت أنّ الرجل كان إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر؟ قال ابن عبّاس: بلى، كان الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر، فلمّا أن رأى الناس قد تتابعوا فيها قال: أجيزوهنّ عليهم (السنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص٣٣٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وقد أفتى علماء أهل السنّة طبقاً لهذه الروايات وما أحدثه عمر ابن الخطّاب في الدين. فجعلوا الطلاق ثلاث دفعات في مجلس واحد ثلاث تطليقات، قال ابن قدامة: إذا أوقع ثلاث طلقات بلفظ يقتضي وقوعهن معاً، فوقعن كلّهن كما لو قال: أنت طالق ثلاثاً (انظر المغني لابن قدامة ج٨: ص٤٠٢). وقال عبد الرحمن الجزيري: يملك الرجل الحرّ ثلاث طلقات، فإذا طلّق الرجل زوجته ثلاثاً دفعة واحدة، بأن قال لها: أنت طالق ثلاثاً، لزمه ما نطق به من العدد في المذاهب الأربعة

➔

وفي صلاة نافلة شهر رمضان جماعة[1]،

➔

وهو رأي الجمهور، وخالفهم في ذلك بعض المجتهدين: كطاوس وعكرمة وابن إسحاق وعلى رأسهم ابن عبّاس (انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج٤: ص٣٤١). وقال ابن رشد: جمهور فقهاء الأمصار على أن الطلاق بلفظ الثلاث حكمه حكم الطلقة الثالثة، وقال أهل الظاهر وجماعة: حكمه حكم الواحدة ولا تأثير (انظر بداية المجتهد ج٢: ص٦٦). إلى غير ذلك من أقوال كبار علمائهم وفتاوى فقهائهم، وهي تعرب عن اتّفاق علماء أهل السنّة على نفوذ ذلك الطلاق محتجّين بما قاله عمر بن الخطّاب، من جعل الطلاق ثلاث دفعات في مجلس واحد ثلاث تطليقات، بمرأى ومسمع من الصحابة على خلاف ما جاء في الكتاب والسنّة النبويّة. وإذا كان الأمر كذلك لماذا تبعه أهل السنّة في هذه المخالفة لله ورسولهﷺ؟!!.

(١) لا يخفى على كلّ الخبير المتتبّع في الشريعة الإسلاميّة أنّ صلاة التراويح من البدع التي أحدثها عمر الخطّاب في الدين في السنة الرابعة عشرة للهجرة، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يصلّي الرجل لنفسه ويصلّي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثمّ عزم فجمعهم على أبي ابن كعب ثمّ خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه (صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب الصوم، باب فضل من قام رمضان). فالحديث فيه صراحة على أنّ صلاة التراويح ما جاءت في الكتاب ولا في السنّة، بل أنّها بدعة من عمربن الخطاب في الدين. ومن الواضح لدى كل مسلم أنّ البدعة ضلالة ، وقد ورد عن النبيّﷺ أنّه قال: «أمّا بعد فإنّ أصدق

➔

➔
الحديث كتاب الله، وأنّ أفضل الهدي هدي محمّد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة» (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وقول الله عزّ وجل: وجعل للمتقين اماماً). وعن حذيفة أنّه قال: يا رسول الله فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: نعم.. قوم يستنّون بغير سنّتي ويهتدون بغير هديي... (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). فصلاة التروايح من البدع التي أحدثها عمر ابن الخطاب في الإسلام بإجماع المسلمين، وفي هذا الأمر أخبار متواترة (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٢١٣، وموطأ مالك ج١: ص٧٣، وكنز العمّال ج٨: ص٤٠٩ ح ٢٣٤٧١).

مضافاً إلى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن إقامة الصلاة فرادى في نوافل شهر رمضان بالصراحة، كما ورد في صحاح أهل السنّة، وإليك بعض ما ورد في هذا المجال: فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتجز رسول الله صلى الله عليه وآله حجيرة مخصفة أو حصيرة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي فيها فتتبّع إليه رجال وجاؤوا يصلّون بصلاته، قال: ثمّ جاؤوا ليلة فحضروا، وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله). وأقرّ بذلك جمع من علماء أهل السنّة، منهم القسطلاني حيث ذكر الحديث في ارشاد الساري وسمّاها بدعة من عمر ابن الخطاب؛ لأنّه صلى الله عليه وآله لم يسنّ لهم الاجتماع لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، ولا أوّل الليل، ولا كلّ ليلة،
➔

➔

ولا هذا العدد (انظر ارشاد الساري في شرح البخاري ج١: ص٦٥٦).

وذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: أنّ أوّل من جاء ببدعة صلاة التراويح عمر ابن الخطّاب فقال: أوّل من سنّ قيام شهر رمضان - بالتراويح - وأوّل من حرّم المتعة، وأوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات عمر بن الخطّاب (انظر تاريخ الخلفاء: ص١٣٦).

وقال ابن سعد في الطبقات: وهو أوّل من سنّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٢١٣).

وقال ابن شحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ هـ: هو أوّل من نهى عن بيع أمّهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز، وأوّل من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح وذكر ذلك غير هؤلاء، وكأنّهم رأوا أنّ عمر قد استدرك بتراويحه على الله ورسولهﷺ تشريعاً كانا - معاذ الله - عنهما غافلين.

في حين أنّ النبيّ الأكرمﷺ حثّ على أداء النوافل في البيوت لتزداد شرفاً وبركة، حيث ورد عن أنس بن مالك أنّه قال: قال رسول اللهﷺ: «أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم» (انظرصحيح ابن خزيمة ج٢: ص٢١٣، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٤٥٧).

وأيضاً قد حذّر رسول اللهﷺ عن البدعة في الدين بقوله: «لا يذهب من السنّة شيء حتّى يظهر من البدعة مثله، حتّى تذهب السنّة وتظهر البدعة، حتّى يستوفي البدعة من لا يعرف السنّة، فمن أحيا ميتاً من سنّتي قد أميتت كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن أبدع بدعة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً» (كنز العمّال ج١: ص٢٢٢). وإلى غير ذلك

➔

➔

من الروايات الواردة في الباب، التي تنهى عن صلاة التروايح، وبدعتها في الدين. فرسول الله صلى الله عليه وآله قد بيّن أحكام الله تعالى، وأكّد على أنّها ثابتة إلى قيام الساعة، فلا يضيف عليها أو ينقص منها إلاّ مبتدع مخالف لحكم الله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٤).

ثم أنّه قد أكّد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على هذا الأمر بقوله: «وأمّا أهل السنّة فالمتمسّكون بما سنّه الله لهم ورسوله، وإن قلّوا! وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله، والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا! وقد مضى منهم الفوج الأوّل، وبقيت أفواج، وعلى الله فضها واستيصالها عن جدبة الأرض» (انظر كنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٦: ص١٨٦). وقد نهى الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن صلاة التراويح، حيث ورد أنّه: لمّا اجتمع الناس على أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة سألوه أن ينصب لهم إماماً يصلّي بهم نافلة شهر رمضان، فزجرهم وعرّفهم أنّ ذلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا وقدّموا بعضهم، فبعث إليهم الحسن عليه السلام فدخل عليهم المسجد ومعه الدرّة، فلمّا رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه! وصرّح عليه السلام في كلام آخر: «أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة» (انظر الكافي ج٨: ص٦٣).

وإنّ موقف بعض الصحابة لم يختلف عن موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ورد عن أبي أمامة الباهلي أنّه قال: أحدثتم قيام شهر رمضان ولم يكتب عليكم (انظر الاعتصام للشاطبي ج١: ص٢٦٩). وعن نافع مولى عبد الله ابن عمر: أنّ ابن عمر كان لا يصلّي خلف الإمام في شهر رمضان يعني صلاة التراويح (انظر نصب الراية للزيلعي ج٢: ص١٥٤). وهذه دلالات واضحة وصريحة على أنّ الجماعة لم تسنّ في النافلة. وعليه أن صلاة التراويح بدعة من بدع عمر ابن

➔

وفي العول[1]،

➔

الخطّاب، وعلى مبنى أهل السنّة أنّه المفارق للجماعة، ويشمله قول النبيﷺ أنّه أهل الضلال والكفر. وإذا كان الأمر كذلك لماذا تبعه أهل السنّة في بدعة صلاة التراويح؟!!!

(١) العِول عبارة عن قصور التركة عن السهام المفروضة في الكتاب على مبلغ المال، بزيادة كسورها أو نقصان المال عن السهام المفروضة. مثلاً إذا ترك الميّت لزوجة وأبوين وبنتين فللزوجة الثمن، وللأبوين الثلث، وللبنتين الثلثان، والتركة لا تتّسع للثمن والثلث والثلثين، بل يستغرق الأخيران مجموع التركة ولم يتّسع للثمن.

ولايخفى على الخبير أنّ هذه المسالة كانت من المسائل التي لم يرد فيها نصّ عن رسول اللهﷺ، وقد ابتلى بها عمر بن الخطاب عندما ماتت امرأة في عهده وكان لها زوج وأختان فجمع الصحابة فقال لهم: فرض الله تعالى للزوج النصف، وللأختين الثلثين، فإن بدأت للزوج لم يبق للأختين حقّهما، وإن بدأت للأختين لم يبق للزوج حقّه فتحيّر وقال: والله ما أدري أيّكم قدّم الله وأيّكم أخّر، ما أجد شيئاً أوسع لي من أن أقسم المال عليكم بالحصص وأدخل على ذي حقّ ما أدخل عليه من عول الفريضة (انظر أحكام القرآن للجصّاص ج٢: ص١٠٩، والمستدرك على الصحيحين ج٤: ص٣٤٠). فأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّل من أعال الفرائض عمر وأيم الله لو قدّم من قدّم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة، فقيل له: وأيّها قدّم الله وأيّها أخّر؟ فقال: كلّ فريضة لم يهبطها الله عزّ وجلّ عن فريضة إلاّ إلى فريضة فهذا ما قدم الله عزّ وجلّ، وكلّ فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلاّ ما بقي فتلك التي أخّر الله عزّ وجلّ كالزوج والزوجة، والأمّ والذي أخّر كالأخوات والبنات،

➔

➔

فإذا اجتمع من قدم الله عزّ وجلّ ومن أخّر بدئ بمن قدم فأعطي حقّه كاملاً، فإن بقي شيء كان لمن آخر وإن لم يبق شيء فلا شيء له. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٣٤٠). وأخرج البيهقي في سننه بسنده عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عبّاس بعد ما ذهب بصره، فتذاكرنا فرائض الميراث فقال: ترون الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يحص في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً إذا ذهب نصف ونصف فأين موضع الثلث؟ فقال له زفر: يا أبا عبّاس من أوّل من عال الفرائض؟ قال: عمر بن الخطّاب، قال: ولم ؟ قال: لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً، قال: والله ما أدري كيف أصنع بكم والله ما أدري أيّكم قدّم الله ولا أيّكم أخّر، قال: وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص، ثمّ قال ابن عبّاس: وأيم الله لو قدم من قدّم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة، فقال له زفر: وأيّهم قدّم وأيهم أخّر؟ فقال: كلّ فريضة لا تزول إلاّ إلى فريضة، فتلك التي قدّم الله وتلك فريضة الزوج له النصف، فإن زال إلى الربع لا ينقص منه والمراة لها الربع، فإن زالت عنه صارت إلى الثمن لا تنقص منه والأخوات لهن الثلثان والواحدة لها النصف، فإن دخل عليهن البنات كان لهنّ ما بقي فهؤلاء الذين أخّر الله، فلو اعطى من قدم الله فريضة كاملة ثمّ قسم ما يبقى بين من أخر الله بالحصص ما عالت فريضة – فقال له زفر: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر، فقال: هبته والله – قال ابن إسحاق: فقال لي الزهري: وأيم الله لولا أنّه تقدّمه إمام هدى كان أمره على الورع ما اختلف على ابن عبّاس اثنان من أهل العلم (انظر سنن البيهقي ج٦: ص٢٥٣).

ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنّة حتّى انتهى أمر الخلافة إلى عثمان، فأظهر ابن

🡐

➔

عبّاس تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام خلافه في ذلك وقال: لو أنّهم قدّموا من قدّم الله وأخّروا من أخّر الله ما علت فريضة قط، فقيل له: من قدّمه الله ومن أخّره الله؟ فقال: قدّم الله الزوج والزوجة، والأمّ والجدة، وأمّا من أخّره الله فالبنات وبنات الابن والأخوات الشقيقات والأخوات لأب. ويظهر من بعض الروايات انّ ابن عبّاس كان يصرّ على رأيه ويدعو المخالف إلى المباهلة. قال الشربيني في مغني المحتاج: كان ابن عبّاس صغيراً، فلمّا كبر أظهر الخلاف بعد موت عمر وجعل للزوج النصف، وللأمّ الثلث وللأخت ما بقي (انظر مغني المحتاج ج٣: ص٣٣). ولا عول حينئذ فقيل له: لِمَ لَمْ تقل هذا لعمر؟ فقال: كان رجلاً مهاباً فهبتُه، ثمّ قال: إنّ الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يجعل في المال نصفاً ونصفاً وثلثاً، ذهب النصفان بالمال فأين موضع الثلث؟ (انظر اعانة الطالبين للبكري الديمياطي ج٣: ص٢٨٢)

ومنذ ذلك العصر صار فقهاء أهل السنّة على فرقتين، فرقة قالوا بالعول، وفرقة وفقاً للشيعة الإمامية، تبعاً للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على خلافه، فهم على إيراد النقص على البعض دون بعض من دون أن يكون عملهم ترجيحاً بلا مرجّح، ثمّ قال له الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «هذا لا يغني عنك شيئاً لو متُّ أو متَ لقُسِّم ميراثنا على ما عليه الناس من خلاف رأيك»، قال: «فإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبناءهم، ونساءنا ونساءهم، وأنفسنا وأنفسهم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فسمّيت المباهلة لذلك» (انظر مغني المحتاج ج٣: ص٣٣).

وبالجملة ليس لهم سوى إحسان ظن بأقوال أسلافهم من جهّال الصحابة وفساق التابعين بلا برهان من الله ورسوله قادهم إلى ذلك وهذا ميراث لهم بالتعصيب من العصابة الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف وأصرّوا في

🡐

وغير ذلك من أوليائه التي ذكرها العسكري[١] وغيره[٢]، إلى غير ذلك من متابعتهم ومعاونتهم على المناكير[٣]

→

الشقاق والخلاف، انتهى.

وقد ذهبت الإمامية إلى بطلان العول لأنّه مخالف للنقل والعقل قال ابن عبّاس: سبحان الذي أحصى رمل غالج عدداً جعل في المال نصفاً ونصفاً وثلثاً ذهب النصفان بالمال، فأين الثلث؟ فقيل له: من أوّل من أعال الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطّاب، قيل له: هلاّ أشرت عليه؟ قال: هبته، انتهى. وقال الناصب خفضه الله: أقول العول في الميراث ثابت بالإجماع وذلك للضرورة الداعية إليه لاجتماع الفروض فتارك العول تارك أمر الله تعالى، لأنّ المفروض إذا زادت على المال كيف يحكم فيها إن لم يكن العول إن أعطى بعضهم وترك البعض لزم مخالفة أمر الله تعالى والترجيح بلا مرجّح، فلزم القول بالعول ولا يعال إلاّ عند الضرورة الجالبة إلى مخالفة النصّ، وأمّا ما ذكره أن أول من أعال في الفرائض عمر بن الخطّاب (انظر أحكام القرآن لابن العربي ج١: ص٤٥٦). أهكذا الاقتداء والاتّباع أم هذه من الابتداء الابتداع وكيف يجوز لعلماء أهل السنّة متابعة عمر بن الخطاب في مخالفة كتاب الله؟!!!

(١) قال أبو هلال العسكري: أوّل من أعال الفرائض عمر بن الخطّاب (انظر الأوائل ج١: ص٢٥٦).

(٢) قال السيوطي: أوّل من قال بالعول في الفرائض عمر بن الخطّاب (انظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: ص٤٨).

(٣) لا يخفى على الباحث الخبير المتتبع في أحوال الصحابة ما ارتكبه خلفاء الجور وعمّالهم المناكير والأفعال المحرمة باسم الإسلام وهي كثيرة جدّاً. ولا يخفى على

←

➔

أحد الخطوره هذا الأمر في مجال العقائد والأحكام الشرعية والأمور الاجتماعية والقوى الفكريّة والسياسية، وبث روح الكراهيّة في نفوس عامّة الناس والمجتمع الإسلامي. ومع ذلك قد تبعهم أهل السنّة، وتربّى عليها سلاطينهم فاستخدموا المناكير في الملأ العام بعد أن أسسها خلفاء الجور في العيان لانتزاع السلطان من أهل الدين والديانة ، وتبديلها بحكومة عصر الجاهلية الأولى. والمتتبّع في هذا المجال يجد موارد كثيرة وصورة متكاملة لدور خلفاء الجور في مخالفتهم للشريعة المقدسة ، بل ومخالفتهم الكتاب العزيز وسنّة الرسول الكريمصلى الله عليه وآله ومن تلك الموارد: مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً، رغم أنّ النصوص العديدة أكّدت على أن فدك كانت نحلة للزهراءعليها السلام، وأنّ النبيصلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ**﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج٣: ص٢٢٤، وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنينعليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنينعليه السلام دلالة واضحة على أنّ فدك كانت في أيديهم ملكاً ، لأنّ اليد إمارة على الملكية. ولكن غصبها أبوبكر رغم هذه المليكية. وعليه فما ادعاه أبو بكر من أنّ الأنبياء لا يورثون ، ممّا يعني أنّها كانت ميراثاً لها في غير محله، وباطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى

➔

➔

فرض الإغماض بأن يكون الفدك إرثاً، فإنّ منع فاطمه عليها السلام فدكاً ايضا كانت مخالفة صريحة من أبي بكر للنصّ القرآني. وقد احتجّت الزهراء عليها السلام على أبي بكر في خطبتها المعروفة قائلاً: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ**﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). ثم إنّ أبا بكر لم يكتفه بمخالفة النص في غصب الفدك ، بل خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ صريح الروايات من أهل السنة دالة على أنّ غصب الفدك من الزهراء عليها السلام صار سبباً لسخط الزهراء عليها السلام وغضبها (انظر صحيح البخاري ج ٥ : ص ٨٢ كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر) فإنّ أبا بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام مع علمه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في شأنه: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه فقد أغضب الله عزّ وجلّ، وهذا ما أقرّت به عائشة حينما قالت للنبي صلى الله عليه وآله: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص١٧٥). وروى ابن ماجة عن عائشة أيضاً أنّها رأت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: من أغضبك؟ أغضبه الله (سنن

➔

➔

ابن ماجة ج٢: ص٩٩٣).

ومن مخالفاتهم للكتاب والسنة النبوية منعهم تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الباحث إذا درس كتب التاريخ دراسة علمية، وأحاط ببعض الخلْفيّات التي توخّتها حكومة الخلفاء الثلاثة، علم عِلم اليقين بأنّهم هم الذين منعوا من كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل منعوا حتى التحدّث به ونقله إلى الناس؛ لأنّهم بلا شكّ علموا بأنّ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله تتعارض مع مصالحهم في الكثير من الأمور مفي مجال الحكومة وغيرها. وما أحدثوا في الإسلام من البدع ، وفعل ما تقتضيه مصالحهم. فبقي حديث النبيّ صلى الله عليه وآله الذي هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ممنوعاً ومحرّماً على عهدهم. ولذلك اتّفقت كلمة المحدّثين والمؤرّخين على بداية جمع الحديث وتدوينه في عهد عمر بن عبد العزيز أو بعده بقليل. فقد نقل البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا يقبل إلاّ حديث النبي صلى الله عليه وآله، وليفشوا العلم، وليجلسوا حتّى يُعلَّم من لا يعلمُ، فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً (صحيح البخاري ج١: ص٣٣ كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم).

وهذه البدعة بدءت أساسها من ذلك اليوم المشؤوم الذي سمّي برزيّة يوم الخميس، حيث تمرّد عمر الخطاب عن أمر النبي صلى الله عليه وآله عندما طلب من الصحابة أن يقدموا له القلم الدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بهده أبداً فقال عمر بن الخطّاب: إنّ رسول الله يهجر - والعياذ بالله- وحسبنا كتاب الله يكفينا! (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته). ووافقه على ذلك صاحبه

←

➔

أبو بكر فأكّد على ذلك القول البائس حينما خطب في الناس بعد وفاة النبيﷺ قائلاً: إنّكم تحدّثون عن رسول اللهﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول اللهﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٣). وقال أيضاً: لا تُحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٢-٣) والحمد لله على اعترافه صراحة بأنّهم نبذوا سنّة نبيّهمﷺ وراء ظهورهم، وكانت عندهم نسيّاً منسيّاً.

والسؤال هنا من أهل السنّة والجماعة الذين يدافعون عن أبي بكر وعمر، فإذا كان الأمر كذلك وأنتم تروون في صحاحكم هذه الأحاديث التي يأمر فيها رسول اللهﷺ بالتمسّك بسنّته، والأخذ بها، واستماعها وحفظها وتبليغها إلى من لم يسمعه، وينهى عن الكذب عليه، ويتوعّد من فعل ذلك بأشدّ الوعيد، وفي حديث معروف قالﷺ: «تركت فيكم خليفتين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً...». فما بال أبي بكر وعمر يرفضان السنّة النبويّة، ولا يقيمان لها وزناً، وقد منعوا سنّة رسول اللهﷺ كتابةً وتحدّثاً بها؟!

وقد حدّد عثمان بن عفّان من بعدهما ومعاوية بن أبي سفيان الأحاديث النبويّة بالتي عمل بها في زمن عمر بن الخطّاب؛ قال محمود بن لبيد: سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحلّ لأحد أن يروي حديثاً عن رسول اللهﷺ لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص٣٣٦). وعن معاوية أنه قال: أيّها الناس! أقلوا الرواية عن رسول اللهﷺ، وإن كنتم تحدّثون فحدّثوا بما كان يتحدّث به في عهد عمر (انظر كنز العمّال ج١: ص٢٩١).

➔

➔
وفي رواية ابن عساكر: إيّاكم والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ حديثاً ذكر على عهد عمر (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣: ص١٦٠).
ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالاً على غير دين الله. فلو أن الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أن الحقّ خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو ﴿**ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم**﴾ من الله ﴿**الْحُسْنَىٰٓ**﴾» (انظر نهج البلاغة: الخطبة رقم٥٠).
وقال عليه السلام: «إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيّرت السنة وقد أتى الناس منكراً؟! ثم تشتد البلية وتسبى الذرية، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحا بثفالها، ويتفقّهون لغير الله ويتعلّمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة»، ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته فقال: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عني جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت
➔

➔

قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسوية، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسويت بين المناكح وأنفذت خمس الرسول كما أنزل عزّ وجلّ وفرض ورددت مسجد رسول الله إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سدّ منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممّن كان رسول صلى الله عليه وآله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه... إذن لتفرّقوا عنّي. والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام! غيّرت سنّة عمر! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية عسكري! ما لقيت من هذه الأمّة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ ﴿**إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ**﴾، فنحن والله عنى بذي القربى الذين قرننا الله بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله، فقال تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى**

←

مثل معاونتهم عثمان على إتمام الصلاة في منى بإتمامها خلفه[١]،

➔
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾» (انظر الكافي ج٨: ص٦١). وإلى غير ذلك من الروايات، ولولا حماية أهل السنّة من خلفائهم في منع وتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله لم تتحقّق هذه البدعة من خلفاء الجور وهذه المخالفة لله ورسوله صلى الله عليه وآله التي كانت سبباً لضلالة الأمّة وانحرافها عن الدين والشريعة المقدّسة فلاحظ.

(١) لقد أخرج أصحاب الصحاح من أهل السنّة الروايات والنصوص الدالّة على أنّ عثمان صلّى بمنى بدل الركعتين الظهر أو العصر أربع ركعات بدعةً في الدين، منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن إبراهيم قال: سمعت عبد الرحمن ابن يزيد يقول: صلّى بنا عثمان بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله ابن مسعود فاسترجع ثم قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى ركعتين وصلّيت مع أبي بكر الصديق بمنى ركعتين وصلّيت مع عمر بن الخطّاب بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان (صحيح مسلم ج٢: ص١٤٧ كتاب الصلاة، باب قصر الصلاة بمنى). ومن الواضح أنّ من تبع عثمان في بدعته فقد تعاون على الإثم، وشمله ضلالة البدعة التي أحدثها عثمان في الدين. ولا ندري لماذا حاول بعض علماء أهل السنّة الدفاع عما ارتكبه عثمان، مع علمهم بأنّ فعله بدعة في الدين؟!!

وقال النووي في شرح الحديث: إنّ معنى قوله: ليت عثمان صلّى ركعتين بدل الأربع كما كان النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وعثمان في صدر خلافته يفعلون (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج٥: ص٢٠٤). ولمّا كانت الرواية صريحة في أنّ متلقّى عبدالله بن مسعود من فعل النبي صلى الله عليه وآله هو كون القصر عزيمة، ولذلك استرجع
➔

➔

وأردفه بقوله: فليت حظي من أربع ركعات، ركعتان متقبّلتان.

فحاول النووي وغيره تأويل الأثر وتخفيف الوطأة وقال: مقصوده كراهة مخالفة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا فابن مسعود موافق على جواز الإتمام، ولهذا كان يصلّي وراء عثمان متمّاً، ولو كان القصر عنده واجباً لما استجاز تركه وراء أحد.

ولا يخفى أنّ ما ذكره تعسّف ظاهر، إذ لا معنى للاسترجاع ولا للتمنّي لو كان عمل الخليفة عملاً مشروعاً سوّغه الشرع وأبلغه النبي صلى الله عليه وآله. ولكان يقول: أحد فردي التخيير هو الأفضل، مع عدم نفي العدل الآخر، ولكن الرواية ليست كذلك، بل صريحة في عدم جواز الإتمام. ثمّ إنّ ما عزي إلى عبدالله بن مسعود من أنّه أتمّ الصلاة في السفر عند ما صلّى مع عثمان فإنّما كان مراعاة للسياسة الحاكمة آن ذاك، ثمّ عاب عليه وأبدى مخالفته لما فعله عثمان من البدعة في الدين، وأكّد على لزوم القصر، ولذلك ترى في الحديث أنّ الأعمش قال: حدّثني معاوية بن قرّة عن أشياخه، أنّ عبد الله صلّى أربعاً، فقيل له: عبت على عثمان ثمّ صلّيت أربعاً؟ قال: الخلاف شرّ. ومنه يظهر حال عبد الله بن عمر، في إعادة الصلاة قصراً، قال ابن حزم: روينا من طريق عبد الرزاق، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنّه كان إذا صلّى مع الإمام بمنى أربع ركعات، انصرف إلى منزله فصلّى فيه ركعتين أعادها (المحلّى لابن حزم ج٤: ص٢٧٠). وهؤلاء كانوا يرون رعاية شئون السياسة الزمنية خوفاً من الشرّ، وهي عندهم أولى من رعاية حفظ الأحكام كما نزلت من عند الله والوقوف أمام قبولها وتغييرها، إلاّ أنّ بعض الصحابة كان يرى خلاف ذلك، فهذا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أبى أن يصلّي أربعاً في منى رغم إصرار عثمان وبني أميّة، حيث قيل له: صلّ بالناس، فقال: «إن شئتم صلّيت

➔

وتقديمه الخطبة في العيدين على الصلاة[1]،

➔
لكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله» يعني ركعتين، قالوا: لا إلاّ صلاة عثمان أربعاً، فأبى أمير المؤمنين (انظر المحلّى لابن حزم ج٤: ص٢٧٠). هذا وإنّ بني أميّة قد اتّخذوا من أحدوثة عثمان بدعة مستمرّة مقابل سنّة النبي صلى الله عليه وآله إلى الأبد وإن لم يكن لهم عذر شرعي للإتمام. وقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن الزبير، قال: لمّا قدم علينا معاوية حاجّاً قدمنا معه مكّة، قال: فصلّى بنا الظهر ركعتين، ثمّ انصرف إلى دار الندوة، قال: نهض إليه مروان بن الحكم وعمر بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمّك بأقبح ماعبتَه به، فقال لهما: وما ذاك؟ قال: فقالا له: ألم تعلم أنّه أتمّ الصلاة بمكّة؟ قال: فقال لهما: ويحكما وهل كان غيرما صنعت؟ قد صلّيت هما مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أبي بكروعمر، قالا: فإن ابن عمّك قد كان أتمّها وإن خلافك إيّاه له عيب. قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعاً (مسند أحمد ج٤: ص٩٤). وإلى غير ذلك من الروايات فإنّها صريحة في بدعة عثمان في إتمام صلاة المسافر، فأهل السنّة تعاونوا مع عثمان على تثبيت هذه البدعة المضلّة، فيشتركون معه في الإثم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الصحيحة الدالّة على أنّ عثمان قدم الخطبة في صلاة العيدين، والتي أخرجها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، وإليك بعض ما رواه كبار علمائهم، فمنها: ما أخرجه عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله، ثم أبو بكر، ثم عمر، يصلّون العيد قبل الخطبة (سنن ابن ماجة ج١: ص٤٠٧). وقال ابن حجر في فتح الباري: روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أوّل من خطب قبل صلاة العيد عثمان، صلّى بالناس ثمّ خطبهم يعن على العادة فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك، أي:
➔

ومثل معاونتهم لعائشة وطلحة والزبير ومعاوية على حرب إمامهم[(١)].

➔

صار يخطب قبل الصلاة وهذه العلّة غير التي اعتلّ بها مروان، لأن عثمان رأى مصلحة الجماعة في مروان يتعمّدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ من لا يستحقّ السبّ (يعني الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام)، والإفراط في مدح بعض الناس (يعني عثمان)، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه... (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٢: ص٣٧٦).

أقول: أوّلاً: إن هذه المصلحة التي يدّعيه القائل، بأن عثمان لاحظها، كانت قائمة في عهد من سبقه أيضاً، فلماذا لم يراعها أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان نفسه في شطر من خلافته؟! وكلّهم كانوا يعلمون أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يقدم الخطبة في العيدين. وهل هذا إلا من الاجتهاد في مقابل النصّ؟

وثانياً: إن هذا التعليل يدخل في دائرة الأهداف والنوايا التي تدفعهم إلى البدعة، إذ المصلحة التي تقتضي جعل الحكم هي المصلحة التي يراها الشارع الأقدس. ومن الواضح أنّ الذين ذكروا هذه القضية في الدفاع عن عثمان يعلمون أنّ عثمان لم يكن لديه علم الغيب كي يعرف مصلحة الأمور، ولم يذكروا لنا أنّهم استندوا في القضية إلى رواية بلغتهم ولم تبلغنا. ولو كان ثمة نصّ لم يعدّ الناس هذه الحادثة من أخطاء عثمان. فأهل السنّة تعاونوا على هذا الإثم الذي ارتكبه عثمان والبدعة التي أحدثها في الإسلام، فهم يشتركون معه في ضلالة البدعة فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ معركة الجمل وصفين ونهروان، قد مزّقت صفوف المسلمين، وفرقت شملهم، وأحدثت فجوة واسعة في جدار المجتمع الإسلامي. وإن تسأل عن السبب في حدوثها فلا تجد إلاّ الأحقاد والضغائن والأهواء التي استبدت في النفوس، فأوقدت نار الحرب، فاحترق بها الأخضر واليابس، وفتحت

➔

←

أبواب الفتن المضلة وأدّت إلى إراقة الدماء وإشاعة الفرقة والعداء بين المسلمين. وأهل السنّة قد تعاونوا وأطاعوا الذين تلوّثوا أيدهم بدماء المسلمين في هذه الحروب الثلاثة ضد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. أمّا تلوّث أيدي عائشة وطلحة والزبير في حرب الجمل فقد صرّح المؤرّخون والمحدّثون بأنّه بعد مقتل عثمان بن عفّان، عندما بايعت الناس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للإمامة والخلافة، فمن بين المبايعين طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام، وأنّهما طلباً من الإمامعليه السلام أن يولّيهما بعض ولاياته. ولكن الامامعليه السلام قال لهما: «إنّي لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته»، فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس من المنصب، فاستأذناه في العمرة وخرجا من المدينة إلى مكّة ناكثين بيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢٣١).

فانصرفا عنه وتوجها إلى مكّة، فلم يلقيا أحداً من الناس إلاّ استحثاه على الخروج معهما (انظر وقعة الجمل: ص٩٥). ولمّا وصلا إلى مكّة دخلا على عائشة، وأخذا يحرضانها على الخروج، فخرجت عائشة معهما على جمل مطالبة بدم عثمان، قاصدين الشام، فصادفهم في أثناء الطريق عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة، قد صرفه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بحارثة بن قدامة السعدي، فرجح لهم البصرة، لما فيها من كثرة الضيع والعُدة، فتوجّهوا نحوها، فمانع عنها عثمان بن حنيف والخزان والموكّلون، فوقع بينهم القتال، ثمّ أسروا عثمان وضربوه ونتفوا لحيته (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٨).

فلمّا سمع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بوصولهم إلى البصرة وما فعلوه

→

➔
من الإجرام، جهّز جيشاً وخرج إلى البصرة، ولمّا وصلها بعث إليهم من يناشدهم، فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا وكانوا مصرين على القتال والحرب. ثمّ أخذ الامامعليه السلام يناشد طلحة والزبير، فلم تنفع معهما، عند ذلك نشبت الحرب بينهما وأسفرت عن قتل ستّة عشر آلاف وسبعمائة وسبعون رجلاً من أصحاب الجمل، وأربعة آلاف رجل من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وانكسار جيش أصحاب الجمل (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج٢: ص١٨١). ثمّ إنّ الامامعليه السلام أمر محمد بن أبي بكر أن ينزّل عائشة في دار آمنة بنت الحارث، ثم أمر بإرجاعها إلى المدينة، ورجع هوعليه السلام إلى الكوفة هذا، ومع العلم بأن أكثر المؤرّخين ذكروا أن عائشة كانت من أوائلي المحرضين على قتل عثمان، وعباراتها مشهورة ومعروفة: اقتلوا نعثلاً.. قتل الله نعثلاً. لقد غيّر سنّة رسول الله (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢١٥، وج ٢٠: ص١٧).

وقد قُتل في معركة الجمل من جيش الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام خمسة آلاف (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٥٣٩، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج٣: ص٣٢٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٤٦، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٦٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٢٤٥). وتُجمع النصوص التاريخيّة كلّها على هذا العدد بدون أدنى اختلاف، ولكن هناك اختلاف كبير بين هذه النصوص حول عدد قتلى جيش الجمل بحيث لا يمكن التعويل كثيراً على أيّ منها: فقد ذكرت بعض الأخبار التاريخيّة أنّ عدد من قُتل منهم عشرون ألفاً (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج٣: ص٣٢٤). بينما جاء في أخبار أخرى أنّه قُتل منهم ثلاثة عشر ألفاً (انظرتاريخ الطبري ج٤: ص٥٣٩). وعلى خبر آخر عشرة آلاف (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٥٣٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢:
🡨

➔

ص٣٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص٢٤٥). أو خمسة آلاف (مروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٦٠). وعلى كلّ تقدير فإنّ عائشة وطلحة والزبير كانوا هم السبب الرئيس لإراقة دماء المسلمين.

وأمّا حرب صفّين فإنّها حدثت بعد معركة الجمل وذلك عندما ثار معاوية بغياً على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معلّلاً ثورته بالثأر لعثمان بن عفّان، وطالباً للقصاص من قتلته، ومعلنًا الحرب ضدّ الحكومة الشرعية للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو في الحقيقة شهر السيف ضد الخليفة الشرعي عند جميع أهل السنّة، والسلطان الذي كان حاكماً بالفعل وبيعة جميع المسلمين، وقد رفض معاوية أبي سفيان بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا عزله عن ولاية الشام، فتّوجه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الشام، وبعد أن ألقى الإمام عليه السلام كلّ الحجج والبراهين على معاوية وأتباعه وأوضح لهم طريق الصواب وجادة الحقّ، حتّى على مباني خلافة أهل السقيفة. ولكنّهم أبوا إلاّ طغياناً وبغياً وأصرّوا على باطلهم وغيِّهم، وقد أرسل لهم رسلاً ورسائل متعدّدة، ولمّا أتمّ الحجّة عليهم قرّر المسير إليهم، فجمع أتباعه من المهاجرين والأنصار ومن اتّبعهم بإحسان، حتّى وصل إلى صفّين التي عسكر بها قبالة جيش معاوية، وانتظر هناك الباغين عسى أن يفيقوا إلى أمرهم، ولكنّهم ظلّوا في طغيانهم يعمهون، ولمّا أتمّ عليهم الحجّة بدأ بتعبئة أصحابه فأخرج الألويّة وصار يعقدها لقادة جنده، ولمّا أتمّ أمير توزيع قادته وكتائبه، واصطفّ الجيشان للقتال وحان أوان اللقاء بدقِّ طبول الحرب، وقف أمير المؤمنين عليه السلام كعادته قبل كلّ حرب يوصي جنده وأتباعه فيقول لهم: «لا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم، فأنتم بحمد الله على حجّة، وتركك‍م قتالهم حجّة أخرى، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا

➔

➔
تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيّجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس..» (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص٢٩٣). وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يرغب أن يلاقي أهل الشام جميعهم بجمع أهل العراق خوفاً على الفريقين من الهلاك، فكان يأمر الرجل ذا الشرف من قادته فيخرج وتخرج معه جماعة من الجند، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة فيقتتلان ما سمح لهم به الوقت ثمّ ينصرفان. وهكذا تستمرّ الحرب بين الحقّ والباطل وكلاً يكتب تاريخه بما يُسطّر من مواقف، فالرجال إنّما تُعرف بالمواقف، ولا مواقف أشدّ من الحرب عندما يشتدّ رحاها ويستعرّ شظاها، ثمّ ما تلبث الأمور إلا وتنكشف عن أسود العراق وهم يجولون على أهل الشام، وما يلبث أهل الشام إلا أن ينهزموا أمام ليوث العرين، وهنا تتجلّى إرادة الله تعالى أن لابدّ من امتحان يميز به الطيب من الخبيث، فيرفع أهل الشام المصاحف بإشارة من عمرو بن العاص مع النداء لا حكم إلا لله، فانطلت هذه الخدعة على ثلّة من جيش الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانشقّ الجيش ما بين مؤيّد لمتابعة الحرب التي أذنت بالنصر للحقّ وأتباعه بعد أن وصل الأبطال إلى فصطاط معاوية، وبين معارض انطلت عليه خدعة عمرو بن العاص فجرّد حسامه وهجم على إمامه يطلب منه ايقاف الحرب، وهكذا أفل نجم النصر بعد أن لاح عالياً بسبب الرعاع والجهلة وعديمي الإيمان. وآلت الأمور بعد ذلك إلى التحكيم وقد أجبر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على قبوله، وكان من قبل قد نبّههم وقال لهم أنّ شعار لا حكم إلا لله: «كلمة حقّ يراد بها باطل» (انظر كتاب وقعة صفين لنصر
➔

➔

بن مزاحم: ص٢٦٤). ولكنّهم قد استحكم فيهم الشيطان فأصمّهم وأعماهم عن الحقّ بعد أن كانوا يسمعون ويبصرون. ومع الخطأ الفضيع الذي وقع به الخوارج في إيقاف الحرب فإنّهم وقعوا بخطأ أكبر، وهو الإصرار على أبي موسى الأشعري؛ بوصفه ممثّلاً عن أهل العراق في قبالة عمرو بن العاص الذي مثّل أهل الشام، وقد ابتعدوا بذلك عن جادّة الحقّ بعد أن كانوا فيها، وكان نتيجة إصرارهم نزول أمير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رأيهم بعد أن أوضح لهم فساد اختيارهم وبعدهم عن الصواب، ثمّ يجتمع الحكمان ويخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، فيخلع أبو موسى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويثبت عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٢٢). لتبدأ بعد ذلك صفحة جديدة من مظلومية الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وهي محنة الخوارج. هذا وإنّ معركة صفين راح فيها ضحيتها نحو ستّين ألفاً (انظر تاريخ خليفة بن خياط ج١: ص١٩٦، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٠: ص١٧٢). وقيل: سبعون ألفاً (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص٥٤٥، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج١: ص٣١١). وقيل: تسعون ألفاً (انظر المستطرف من أحوال الرجال للمعرفة لابن مندة العبدي ج٢: ص٥٧١). وقد وصف بعضهم حال القتلى فقال: فلقد بلغني أنه كان يُدفن في القبر خمسون إنساناً. قال معمر: فلقد رأيتها مدّ البصر، يعني قبورهم (انظر بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج١: ص٣١٢). وكان من جملة المقتولين في هذه المعركة خمسة وعشرون بدرياً (انظر المستطرف من أحوال الرجال للمعرفة لابن مندة العبدي ج٢: ص٥٧٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص٥٤٢، وسير أعلام النبلاء له ج٢: ص٥٢٠). وثلاث وستّون من أصحاب بيعة الرضوان منهم عمّار بن ياسر (انظر

⬅

➔

تاريخ خليفة بن خياط ج١: ص١٩٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٣٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٢٥٩، وجوهرة نسب النبيﷺ وأصحابه العشرة ج٢: ص٢٩٥). الذي قال فيه رسول اللهﷺ: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النار» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٩١، وصحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار). وقُتل في هذه المعركة أويس القرني، وهو من التابعين الذين شهد لهم رسول اللهﷺ بالجنّة (انظر بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج١: ص٣١٢). وهؤلاء جميعاً كانوا في صفّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقتلهم أصحاب معاوية بن أبي سفيان بأمره طغياناً وظلماً وطمعاً في الدنيا والسلطان. فالرحمة والرضوان لشهداء صفّين ولجميع الشهداء الذين استشهدوا بين يدي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وكذلك لشهداء العقيدة والدين على مرّ العصور. والمفاهيم الرئيسة التي تعرف من خلال ذكر هذه الأحداث هي أنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو أهل البغي ، قال ابن العربي المالكي: فكلّ من خرج على عليّ باغٍ، وقتال الباغي واجب حتّى يفيء إلى الحقّ وينقاد إلى الصلح، وأنّ قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة، وأهل الجمل، والنهروان والذين خلعوا بيعته حقّ، وكان حق الجميع أن يصلوا بين يديه ويطالبوه بما رأوا، فلمّا تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة، فتناولهم قوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ (انظر أحكام القرآن لابن العربي ج٤: ص١٥٣). فأهل السنّة قد أعانوا عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وأضرابهم في الحروب الثلاثة ضدّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فبتأييدهم لهؤلاء الطغاة وأعانوا أهل الجور والعدوان فلاحظ.

ومثل معاونتهم معاوية على سبّ عليعليه السلام[1].

---

(١) لقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون وأرباب السير أن معاوية كان يصعد المنبر ويلعن ويسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لتقتدي به الناس (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٤: ص٣٦٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٣٥٦). ولم يكتفي بذلك بل أصدر الأوامر لرعيّته بأن يسبّوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وكان يجبرهم على ذلك. فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: أمر معاوية ابن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللهصلى الله عليه وآله فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إلي من حمر النعم: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول له خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي؟»، وسمعته يقولصلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتى به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه؛ ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**...﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل الصحابة، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام). وقال المسعودي في مروج الذهب: ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته - أي معاوية - إلى أن جعلوا لعن عليعليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (مروج الذهب ج٣: ص٤٢). وقال ابن حجر في فتح الباري: ثم اشتدّ الخطب فتنقصّوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقتهم الخوارج على بغضه (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٥٧). وقال الزمخشري في ربيع الأبرار:
←

➔
إنّه كان في أيّام بني أميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية في ذلك (انظر الغدير ج٢: ص١٠٢ نقلاً عن الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار). وقال الحموي: لعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر الشرق والغرب أوّل خليفة من الأمويّين بداء شتم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأوّل من ابتدأ هذه السنة السيّئة وهي سبّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام على المنابر من خلفاء الأمويّين هو معاوية بن أبي سفيان. وقد أصدر أمراً بسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر في جميع البلاد الإسلامية وتبعه الأمويّون على ذلك حتّى زمن عمر بن عبد العزيز الذي أوقف السبّ (انظر معجم البدان ج٣: ص١٩١). وروى الجاحظ - فيما نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج - أن قوماً من بني أميّة قالوا لمعاوية: أنّك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال: لا والله حتّى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص٥٧).

علماً أنّهم كانوا يعلمون أنّ لعن وسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكون مساوقاً للعن وسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله أو لسبّ الله عزّ وجلّ حيث وردت الروايات الكثيرة في مصادر أهل السنّة وهي تدلّ على هذا المعنى، منها: ما أخرجه المحب الطبري بسنده عن ابن عبّاس أنّه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون علياً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سبّوا علياً!! قال: فردني إليهم، فردّه. قال: أيّكم السابّ الله؟ قالوا: سبحان الله، من سبّ الله فقد أشرك، قال: أيّكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، قال: فأيّكم السابّ لعلي؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان. قال: فأنا أشهد
➔

➔

بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبّه الله على منخره» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢). وإلى غيرذلك من الروايات الدالّة على المقام. فمع قطع النظر عن هذه الروايات الصحيحة عند أهل السنّة، لا شك في عدم جواز سبّ ولعن المؤمن، إذ ورد في الأحاديث المتفقة بين الفرقين عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٨ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله). فلايجوز شرعاً سبّ المؤمن بالنصّ إلاّ من سبّه الله ولعنه في القرآن الكريم، أو سبّه رسوله صلى الله عليه وآله، ولعنه الله في الروايات المتّفقة بين جميع المسلمين. والباحث عندما يراجع إلى القرآن الكريم يجد أنّ الله تعالى لعن الكفّار والمنافقين كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾ (سورة الفتح:٦). فيجب على كلّ مؤمن أن يلعن ويسبّ من لعنه الله، وسبّه في كتابه العزيز، وهذا أمر ثابت بإجماع لدى جميع المسلمين. كما أنّ الله تعالى لعن الظالمين في قوله تعالى: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة هود:١٨). ومن هنا يجب على جميع المسلمين أن يلعنوا من لعنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ويسبّوا من سبّه الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وقد لعن الله سبحانه من آذى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). ولا شكّ ولا ريب في أنّ من آذى رسول الله صلى الله عليه وآله على الإطلاق يجوز لعنه بنصّ الآية المباركة. والباحث إذا أراد التحقيق حول مصاديق الآية فليراجع إلى كتاب صحيح البخاري الذي هو من أصحّ الكتب عند القوم بعد القرآن الكريم فيجد هناك أنّ البخاري

➔

➔

أخرج في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). كما أخرج مسلم في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني من آذاها ويغضبني» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله). وأيضاً أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته: أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٤١ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام، باب فرض الخمس). ونقل ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة والمناوي في شرح الجامع الصغير: أنّ فاطمة عليها السلام ماتت وهي غضبى على الشيخين أبي بكر وعمر (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص١٤، وشرح الجامع الصغير ج٢: ص١٢٢). فيصل الباحث إلى أنّ من الظلم والعدوان في حقّ بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله المظلومة فاطمة الزهراء عليها السلام مشمول لهذا اللعن في الآية الكريمة حيث أنّ الروايات الصحيحة عند القوم بيّنت المصاديق للآية الكريمة. كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن من تخلّف عن جيش أسامة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص١٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٥٢). وقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن سفينة أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالسا فمرّ رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال: «لعن الله القائد والسائق والراكب» (ثم قال الهيثمي): رواه البزار ورجالة ثقات (انظر

🡐

ومثل معاونهم يزيد على قتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام وغالب آل محمّد صلى الله عليه وآله ونهبهم رحله وسبيهم ذريّته صلى الله عليه وآله مثل سبي الكفرة من بلد إلى بلد حتّى الشام[1].

←

مجمع الزوائد ج١: ص١١١). وقال الطبري في تاريخه: والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلاّ طغيانا كبيراً ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أميّة ومنه قول الرسول صلى الله عليه وآله وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به «لعن الله القائد والراكب والسائق ومنه» (تاريخ الطبري ج٨: ص١٨٥). فهذه الأدلّة بيان لمصاديق الآية وهناك مصاديق أخرى في أصحّ كتبهم. وعليه ما بال أهل السنّة كانوا يتبعون معاوية في إجرامه ويعاونون معه على لعن وسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!!

(١) من الواضح أنّه لو أردنا أن نعرف مجزرة كربلاء ، وفاجعة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لا بدّ أن نعرف أوّلاً كوارث تولّي يزيد ابن معاوية على الأمّة الإسلاميّة وموقفه الباطني ضد الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ومحاولته النائشة من الضغائن والأحقاد البدريّة والأحديّة والعصبية الجاهلية، لرجوع الناس إلى الجاهلية الأولى. أمّا يزيد بن معاوية، فهو شارب الخمور والمعلن بالفسوق، وناكح الأمّهات والأخوات، والممارس لأنواع الفجور وقاتل ذريّة الرسول عليهم السلام وسابي بناته، والهاتك لحرمة أهل البيت عليهم السلام، ومستبيح المدينة المنوّرة، وحارق الكعبة، وقاتل الصحابة والقرّاء، وهاتك أعراض المسلمين. فالحديث عن يزيد وسوء سيرته وقبح سريرته طويل، ولكنّنا نشير هنا إلى ما يُبيِّن شيئاً من حاله باختصار: فقد روى الطبري، وابن الأثير، وابن الجوزي، وأبو المحاسن، وابن أبي الحديد، والقندوزي، والنويري، وعبد القادر البغدادي، والقاضي التنوخي، واللفظ

←

➔

للأوّل، قال: عن الصقعب بن زهير، عن الحسن البصري، قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لمْ يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة، لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر مرّتين! (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٣٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص٣٣٧، والمنتظم لابن الجوزي ج٥: ص٢٤٣، والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج١: ص١٤١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٦٢، وج١٦: ص١٩٣، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٢٧، وغير ذلك). وروى ابن أبي الحديد عن الشافعي: أنّه أسرّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٦٢). وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: أنّه روى الزبير بن بكار في الموفقيّات، ورواه جميع الناس ممّن عني بنقل الآثار والسير، عن الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية لو لمْ يكن فيه إلاّ واحدة منهنّ لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر ابن عدي وأصحابه، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٦٢).

فيزيد أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام، قال أبو الفرج الأصفهاني: كان يزيد ابن معاوية أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنّين وأظهر الفتك،

🡐

←

وشرب الخمر. وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه، والأخطل الشاعر النصراني. وكان يأتيه من المغنّين سائب خاثر فيُقيم عنده فيخلع عليه.. (انظر الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ج١٧: ص٣٠١). وقال البلاذري: كان يزيد بن معاوية أوّل من أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة (انظر انساب الأشراف ج٣: ص٨١). وقال ابن الجوزي في كتابه الردّ على المتعصّب العنيد: قلت: ليس العجب من فعل عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد بما صنعوا وأتوا إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من عظيم الإجرام، وإنّما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب على ثنية الحسين عليه السلام، وإعادته رأسه الشريف إلى المدينة، وقد تغيّرت ريحه لبلوغه الغرض الفاسد، أفيجوز أنْ يفعل هذا بالخوارج؟! أو ليس في الشرع أنّهم يصلّى عليهم ويدفنون؟ أمّا قوله يزيد: لي أنْ أهبهم، فأمر لا يقع لفاعله ومعتقده إلاّ اللعنة ولو أنّه احترم الرأس حين وصوله إليه وصلّى عليه، ولمْ يتركه في طست ولمْ يضربه بقضيب ما الذي كان يضرُّه، وقد حصل مقصوده من القتل؟ لكن أحقاد جاهليّة، ودليلها ما تقدّم من إنشاده شعر ابن الزبعرى: ليت أشياخي ببدر شهدوا... (انظر الردّ على المتعصّب العنيد لابن الجوزي: ص٥٢).

وقد تعرّض سبط ابن الجوزي في تذكرته إلى ما ذكره جدّه، فقال: وقال جدّي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين عليه السلام، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر، وحمل الرؤوس إليه، وإنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا على أقتاب الجمال، وعزمه على أنْ يدفع فاطمة بنت الحسين عليها السلام إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاده أبيات ابن الزبعرى: ليت أشياخي ببدر شهدوا... وردِّه الرأس إلى المدينة، وقد ظن أنّه تغيّر ريحه، وما كان مقصوده إلاّ

←

➔

الفضيحة وإظهار رائحة الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟ أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يكفنون ويصلّى عليهم ويدفنون؟ وكذا قول يزيد: لي أنْ أسبيكم لمّا طلب الرجل فاطمة بنت الحسين عليها السلام، وهذا قول لا يقنع لقائله وفاعله باللعنة، ولو لمْ يكن في قلبه أحقاد جاهليّة، وأضغان بدريّة لاحترم الرأس لمّا وصل إليه، ولمْ يضربه بالقضيب، وكفّنه ودفنه، وأحسن إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٦٠). وروى الفسوي جواب ابن عبّاس لكتاب يزيد بن معاوية مخاطباً له قائلاً: وقد قتلت حسيناً عليه السلام وفتيان عبد المطّلب، مصابيح الهدى ونجوم الأعلام، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد، مزمّلين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفو عليهم الرياح، وتنتابهم عرج الضباع، حتّى أتاح الله عزّ وجلّ لهم بقوم لمْ يشركوا في دمائهم، كفّنوهم وأجنّوهم، وبي وبهم والله عززت، وجلست مجلسك الذي جلست؛ فما أنسى من الأشياء فلست بناس اطّرادك حسيناً عليه السلام من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله عزّوجلّ، وتسييرك إليه الرجال لقتله في الحرم، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتّى أشخصته من مكّة إلى العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فتزلزلت به خيلك عداوة منك لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أولئك لا كآبائك الجلاف الجفاة أكباد الحمير، فطلب إليكم الموادعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، فتعاونتم عليه، كأنّكم قتلتم أهل بيت من الترك (انظرالمعرفة والتاريخ للفسوي ج١: ص٥٣١).

وقد تكلّم المعتضد الخليفة العبّاسي في ذمّ بني أميّة حتّى وصل إلى يزيد بن معاوية وذكر فيه ما ذكر، فقال: ثمّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين ابن عليّ عليه السلام وابن فاطمة بنت رسول الله عليها السلام، مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكانه

⬅

➔

منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه له ولأخيه بسيّدا شباب أهل الجنّة عليهما السلام، اجتراء على الله وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتثّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته... (انظر تاريخ الطبري ج٥: ص٦٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥: ص١٧٨). وذكر اليعقوبي والدميري، وابن حجر الهيتمي والقندوزي، أنّه: خطب معاوية بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان، قائلاً: ثمّ ، قلّد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدّته ، وصار في حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه. ثمّ بكى، وقال: إنّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة وحرق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله، لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظّاً، وإنْ تكن شرّاً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٢٥٤، وحياة الحيوان للدميري ج٢: ص٨٨، والصواعق المحرقة لابن حجر: ص٢٢٤، وينابيع المودّة ج٣: ص٣٦).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل، قلت لأبي: يا أبت! أتلعن يزيد؟ فقال: يا بنيّ! كيف لا نلعن من لعنه الله تعالى في ثلاث آيات من كتابه العزيز، في الرعد والقتال والأحزاب، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ**﴾ (سورة الرعد:٢٥). وأيُّ قطيعة أفظع من قطيعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في ابن بنته

🡐

➔

الزهراءعليها السلام؟ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). وأيُّ أذية لهصلى الله عليه وآله فوق قتل ابن بنته الزهراءعليها السلام؟ وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢-٢٣). وهل بعد قتل الإمام الحسينعليه السلام إفساد في الأرض أو قطيعة للأرحام؟ (انظر إحقاق الحقّ ج٣٣: ص٦٦٦ نقلاً عن صالح ابن أحمد بن حنبل).

وقال الآلوسي بعدما ذكر المباني في اللعن: وعلى هذا القول لا توقّف في لعن يزيد؛ لكثرة أوصافه الخبيثة، وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكليفه، ويكفي ما فعله أيّام استيلائه بأهل المدينة ومكّة. فقد روى الطبراني بسند حسن: اللّهمّ، مَن ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل والطامّة الكبرى ما فعله بأهل البيتعليهم السلام، ورضاه بقتل الحسينعليه السلام على جدّه (عليه الصلاة والسلام) واستبشاره بذلك، وإهانته لأهل بيته ممّا تواتر معناه وإنْ كانت تفاصيله آحاداً (انظر روح المعاني ج٢٧: ص٧٢).

وقال المناوي: قيل لابن الجوزي، وهو على كرسي الوعظ: كيف يقال: يزيد قتل الحسينعليه السلام وهو بدمشق، والحسينعليه السلام بالعراق؟ فقال: سهمٌ أصاب وراميه بذي سلمٍ* مَنْ بالعراق لقد أبعدت مرماكا (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج١: ص٢٦٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج١: ص٦٨).

وقال التفتازاني: الحقّ أنّ رضى يزيد بقتل الحسينعليه السلام وإهانته أهل البيتعليهم السلام ممّا تواتر معناه، وإنْ كان تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. قال الزين العراقي، وقوله: بل في إيمانه، أي: بل لا

🡐

➔

يتوقّف في عدم إيمانه بقرينة ما قبله وما بعده (انظر فيض القدير ج٣: ص١٠٩).

وقال الذهبي وكان – يزيد – ناصبياً، فظاً غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين عليه السلام، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس، ولمْ يبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين عليه السلام كأهل المدينة قاموا لله، وكمرداس بن أدية الحنظلي البصري، ونافع بن الأزرق انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٤: ص٣٧).

وقال الجاحظ: إنّ الجرائم التي ارتكبها يزيد من قتله للإمام الحسين عليه السلام وإخافته لأهل المدينة، وخرابه الكعبة وأسره لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وضربه ثنايا الحسين عليه السلام بالعصا، ألا تُعدّ دليلاً على قساوته وعداوته وكرهه وحقده وعناده ونفاقه، أمْ أنّها تدلّ على محبّته وإخلاصه للنبيّ صلى الله عليه وآله؟ ثمّ إنّه قال: وعلى أيّ حال فهذه الأعمال مصداق لفسقه وضلاله، فهو فاسق ملعون، وكلّ مَن منع من لعنه فهو ملعون (انظر رسائل الجاحظ: ص٢٩٨). وقال أيضاً: ثمّ الذي كان من يزيد ابنه ومن عُمّاله وأهل نُصرته، ثمّ غزو مكّة، ورمي الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام في أكثر أهل بيته، مصابيح الظلام، وأوتاد الإسلام، بعد الذي أعطى من نفسه من تفريق أتباعه، والرجوع إلى داره وحرمه، أو الذهاب في الأرض حتّى لا يُحسّ به، أو المقام حيث أمر به، فأبوا إلاّ قَتْله والنزول على حكمهم، وسواء قتل نفسه بيده، أو أسلمها إلى عدوّه وخيّر فيها من لا يبرد غليله إلاّ بشرب دمه (انظررسائل الجاحظ: ص٤٦٥).

وقال المناوي: ومن مجازفات بن العربي أنّه... ألّف كتاباً في شأن مولانا الحسين عليه السلام، وأخزى شانئه، زعم فيه: أنّ يزيد قتله بحقّ بسيف جدّه، نعوذ بالله من الخذلان... (انظر فيض القدير ج٥: ص٢٤٦).

➔

➔
وبعد هذه النصوص الصريحة من كبار علماء أهل السنّة لا يشكّ أحد في كفره إلاّ من تعصّب للباطل، أو غلب على عقله الضلال، إذ يزيد بن معاوية نفسه قد أقرّ بالارتداد فضلاً عمّن قال بكفره. فقد روى ابن عبد ربّه الأندلسي: وأمر مسلم بن عقبة بقتل معقل بن سنان الأشجعي صبراً، ومحمّد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي صبراً. وكان جميع من قُتل يوم الحرّة من قريش والأنصار ثلاث مائة رجل وستّة رجال، ومن الموالي وغيرهم أضعاف هؤلاء. وبعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلمّا ألقيت بين يديه جعل يتمثّل بقول ابن الزبعرى يوم أحد: ليت أشياخي ببدر شهدوا* جزع الخزرج من وقع الأسل. لأهلّوا واستهلّوا فرحاً* ولقالوا ليزيد: لا تشل. فقال له رجل من أصحاب رسول اللهﷺ: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين؟! قال: بلى، نستغفر الله. قال: والله، لا ساكنتُك أرضاً أبداً؛ وخرج عنه (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٤: ص٣٩٠). وذكر ابن كثير بعد الدفاع عن إمامه يزيد بن معاوية هذا القول. وأمّا ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك، واستشهاده بشعر ابن الزبعرى في وقعة أحد التي يقول فيها: ليت أشياخي ببدر شهدوا* جزع الخزرج من وقع الأسل. حين حلّت بفناهم بركها * واستحرّ القتل في عبد الأشل. قد قتلنا الضِعف من أشرافكم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل. وفيها، فقال: لعبت هاشم بالملك فلا * ملك جاء ولا وحي نزل. فهذا إن قاله يزيد بن معاوية، فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنّع به عليه. وسيُذكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً، وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية؛ فإنّه لم يمهل بعد وقعة الحرّة وقتل الحسين عليه السلام إلاّ يسيراً حتّى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده إنّه كان عليماً قديراً، وقد توفّي في هذه السنة
➔

➔
خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرّة ممّا يطول ذكرهم (انظرالبداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص٢٤٦). وهذا عجيب من ابن كثير، حيث صرّح هنا بكلّ قوة بلعن يزيد على فرض أنّه قال هذا البيت، ولعلّ ذلك في اعتقاده من التعليق على المحال، لأنّه كان يحسن الظن به، إذ بعد ذلك يثني على يزيد ابن معاوية، بل نقل أنّه من الطبقة العليا التالية للصحابة، فيكون لعنه متوجّهاً للشيعة على حسب دعواه، مع أنّ جزم علمائهم كما تقدّم، والطبري بقوله: هذا البيت وما تقدّم عن حاضنة يزيد، يدحض قوله وأقوال من هم على شاكلته.

قال عبد الحيّ الدمشقي: وأمّا من قال بكفره، فكثير وأمّا حكم مَن قتل الحسين عليه السلام، أو أمر بقتله ممّن استحلّ ذلك، فهو كافر، وإنْ لمْ يستحلّ ففاسق فاجر، والله أعلم (انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج١: ص٦٨). وقال ابن الدمشقي: إنّ السبي لمّا ورد على يزيد بن معاوية خرج لتلقّيه، فلقي الأطفال والنساء من ذرّيّة عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، والرؤوس على أسنّة الرماح، وقد أشرفوا على ثنيّة العقاب، فلمّا رآهم أنشد: لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت* تلك الرؤوس على ربا جَيْرون. نعب الغراب فقلتُ قل أو لا تقل* فقد اقتضيت من الرسول ديوني. يعني بذلك أنّه قتل الحسين عليه السلام بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر مثل عتبة جدّه ومَن مضى من أسلافه! وقائل مثل هذا القول بريء من الإسلام، ولا يشكّ في كفره (انظرجواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب لابن الدمشقي ج٢: ص٣٠٠). وقال المناوي: قال المولى بن الكمال: والحقّ أنّ لعن يزيد على اشتهار كفره، وتواتر فظاعته وشرّه على ما عُرف بتفاصيله جائز (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج١: ص٢٦٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في حقّ يزيد الذي أعانه أهل السنّة بأيديهم وألسنهم وأقلامهم.
➔

➔
وكان موقف الإمام الحسين عليه السلام من حكومة يزيد المتجاهر بالفسق والفجور والزنا وشرب الخمور هو موقف القرآن والسنّة النبويّة المقبول عند جميع المسلمين آن ذاك، وهو موقف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمبيين للأحكام الإسلامية والمتحوّل الجذري في المجتمع الفاسد، وإيجاد الانقلاب الكلّي، وترويج الحكم الإلهي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وما يقوم على أساسه من عدل وقسط وصلاح. ودفع مشكلة الانحراف الجذري في المجتمع الحاصل من خلافة يزيد. فهذه الأمور ممّا دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى نهضته المباركة، ليقوم للدين عمود ولتستقيم كلمته في العباد.

ولتصديق ذلك لا بدّ لنا من إلقاء نظرة على نماذج من أقوال الإمام الحسين عليه السلام، لنتلمس من خلالها المحتوى المبدئي في حفظ مصلحة الإسلام ورعايتها التي ضحّى الإمام عليه السلام بنفسه وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام من أجلها، ومن هذه الأقوال قوله عليه السلام: لا بيعة ليزيد، شارب الخمور، وقاتل النفس المحرّمة (العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ص١٧٤).

وكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة كتاباً يطلب فيه أخذ البيعة على أهل المدينة، ثمّ أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها: خذ الحسين، وعبد الله بن عُمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ومن أبى فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه. وقام العامل بهذه المهمّة، فبعث إلى الإمام الحسين عليه السلام في منتصف الليل، ولمّا استقرّ المجلس بالإمام عليه السلام نعى الوليد إليه معاوية، ثمّ عرض عليه البيعة ليزيد، فقال عليه السلام: «مثلي لا يبايع سرّاً، فإذا دعوتَ الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً». ثمّ أقبل عليه السلام على الوليد وقال: «أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور،
➔

➔

وقاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة» (البداية والنهاية ج٨: ص١٥٧).

وقوله عليه السلام: «الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان» بعد أن رفض الإمام الحسين عليه السلام بيعة يزيد عندما لقيه مروان صباح اليوم الثاني، فدار بينهما كلام، ونصح فيها مروانُ الإمامَ عليه السلام ببيعة يزيد. فاسترجع الحسين عليه السلام وقال: «على الإسلام السلام، إذا بُليت الأمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان، فإذا رأيتُم معاوية على منبري فابقروا بطنه، وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا، فابتلاهم الله بيزيد الفاسق». وطال الحديث بينهما حتّى انصرف مروان مغضباً (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣٢٦).

وقوله عليه السلام: «لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعتُ يزيد». روي أن محمد ابن الحنفيّة قال للإمام الحسين عليه السلام: يا أخي، أنت أحبّ الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلاّ لك، وأنت أحقّ بها: تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث برسلك إلى الناس، فإن بايعوك حمدتَ الله على ذلك، وإن اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولم تذهب مروءتك ولا فضلك. فقال الحسين عليه السلام: «فأين أذهب؟» قال: تنزل مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار، وإلا لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجتَ من بلد إلى آخر حتّى تنظر ما يصير إليه أمر الناس. فقال الحسين عليه السلام: «يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعتُ يزيد بن معاوية» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣٢٩).

وقوله عليه السلام قبل خروجه من المدينة وصيّة لأخيه محمد بن الحنفية قال فيها: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة

➔

➔

جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣٢٩).

وقوله عليه السلام: عند ما وافتْهُ في مكّة كُتب أهل الكوفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه القدوم عليهم لأنّهم بغير إمام. وكثرت لديه عليه السلام الكتب، حتّى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، واجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب. ولمّا اجتمع عنده ما ملأ خرجين، كتب إليهم كتاباً واحداً دفعه إلى ابن عمّه مسلم ابن عقيل، وقال عليه السلام فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنه: ليس علينا إمام فأقبلْ، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ. وقد بعثتُ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمْري، ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام» (تاريخ الطبري ج٤: ص٢٦٢).

وقوله عليه السلام: عند ما قد ورد أن الإمام الحسين عليه السلام لمّا بلغه أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد ابن العاص في عسكر، وأمّره على الحاجّ، وولاّه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين عليه السلام أينما وُجد، عزم عليه السلام على الخروج من مكّة قبل إتمام الحجّ، واقتصر على العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت. وقبل أن يخرج قام عليه السلام خطيباً فقال:

🡐

➔

«الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلاّ بالله، وصلّى الله على رسوله: خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً. لا محيص عن يَم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣٦٦).

وقوله عليه السلام عندما سار الإمام بعد خروجه من مكّة حتى نزل في شراف، والتقى بالحرّ الرياحي مع ألف فارس معه، فقام فيهم خطيبا فقال: «أيّها الناس، إنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان» (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤: ص٤٧). وإلى غير ذلك من أقواله عليه السلام في هذا المجال الدالّة على موقفه عليه السلام من يزيد، وسبب خروجه عليه، كما وردت أقوال أخرى عنه عليه السلام حول نهضته المقدّسة وهي كثيرة، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، وكلّما اتّسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده في ذلك، فقد بقي الكثير ممّا لم يقال عن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة الّتي لا نظير لها. فعلينا أن نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقول للآخرين.

ثم أنّه لو نظرنا إلى الحادثة منذ أن خرج الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام من المدينة وتوجّه نحو مكّة إلى أن استُشهد في كربلاء، ثمّ سبي أهل البيت عليهم السلام إلى الشام ورجوعهم منها لأمكننا أن نقول إنّ الإنسان يستطيع عدّ مائات الدروس من تلك النهضة العظيمة، التي كانت في أشهر معدودة فقط. ولا أودّ القول آلاف الآلاف الدروس وإن أمكن قول بذلك حيث أنّ كلّ إشارة من الإمام عليه السلام في هذه الواقعة

➔

ومعاونتهم له على قصّة الحرّة[1] وما يدريك ما قصة الحَرّة، هي وقعة هتكت فيها حرمة خير البشر صلى الله عليه وآله وزنى بألوف من نسوة بلدته الشريفة صلى الله عليه وآله.

العظيمة تعتبر درساً عظيماً، لكن عندما نقول الدرس أي لو أردنا أن ندقّق في هذه الأقوال والأعمال لأمكننا استقصاء عناوين متعدّدة، وكلّ فصل يعتبر درساً للأمّة وللتاريخ، وتربية النفوس وإدارة المجتمع والتقرّب إلى الله. وهكذا هو الإمام الحسين بن علي عليه السلام كالشمس الساطعة في أفق السماء، أي إن كان الأنبياء والأئمّة والشهداء والصالحين كالأقمار والأنجم، فالإمام الحسين عليه السلام كالشمس الطالعة بينهم، لأنّه العلّة المبقيّة لأهداف جميع الأنبياء والأوصياء. ومع ذلك كلّه تجد أهل السنّة تعاونوا مع يزيد في شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وهل بعد تعاونهم مع يزيد لساناً وعملاً يبقى مجال للعمل بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

(١) الحَرّة: بفتح الحاء وتشديد الراء بمعنى الأرض ذات الحجارة السود النخرات كأنّها أحرقت بالنار. والحرّة من الأراضي الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة كأنها مطرت والجمع حرّات وحرار (انظر لسان العرب ج٣: ص١١٧). والحرّة هي الأراضي ذات الأحجارالواقعة شرق المدينة المنوّرة. وإنّما سمّيت تلك المنطقة بالحرّة لوجود الأحجار فيها. وحيث كانت الأراضي الحرّة محل التقاء الجيشين، جيش أهل المدينة وجيش أهل الشام فسمّيت الواقعة بوقعة الحرّة. وكانت لهذه الوقعة الكثير من المقدّمات المهمّة والخطيرة، فهذه الواقعة تجسّد فيها الخلاف السياسي والاجتماعي بين أهل المدينة والأمويّين. والحق! أن جذور الخلاف بين أهل المدينة والأمويّين تعود إلى أسباب، لعلّ من أهمّها غصب حقوق أهل البيت عليهم السلام كما سنوضّحها من خلال المباحث الآتية.

وولدن ألوفاً من الزنا، فيا شدّد الله سبحانه عليه وعليهم عقوباته القادحة[1]؛

---

(١) إنّ وقعة الحرّة من المأساة التي حلّت بفناء حرم رسول الله ﷺ، والتي جرت تبعاتها على أتباعها طوال سنين عديدة، وتسمية هذه الواقعة المؤلمة تعود إلى المجزرة التاريخية التي ارتكبها يزيد بن معاوية في المدينة المنوّرة، تلك البقعة المقدّسة التي فيها مثوى حبيب رب العالمين إمام المرسلين وسيّد ولد آدم أجمعين ﷺ وبارك عليه، وزاده فضلاً وشرفاً. وقد جرت أحداث هذه الواقعة في شهر ذي الحجّة من سنة ثلاث وستّين. ويعود أسباب وقوع هذه المجزرة إلى عدّة عوامل أبرزها: حكومة الطاغية يزيد بن معاوية طالما لم يعتقد بنبوّة النبي محمد ﷺ كأبيه وجدّه. والذي يؤمن به أنّه الملك الذي لعبت به بنو هاشم فلا قرآن ولا وحي نزل، مضافاً إلى أنه يريد أن يثأر لأشياخه الذين قتلهم النبي ﷺ في معركة بدر، وقد حان الوقت ليستفرغ سمّ حقده بعد القضاء على الحامي والوالي في كربلاء، وقد ظهر ذلك على فلتات لسانه ولسان أبيه حينما كانا يعبّران دوماً عن المدينة بالخبيثة والنتنة مقابل تسميتها من قبل الرسول ﷺ بالطيّبة. فالحرب ظاهراً ضدّ أهل المدينة وأمّا باطناً فكانت ضد النبي ﷺ والنبوّة. ثمّ أنّ يزيد جهّز مسلم بن عقبة جيشاً كبيراً وإن اختلف في عدده، ففي تاريخ اليعقوبي كان قوامه خمسة آلاف رجل (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٥). وفي تجارب الأمم قال: فانتدب له اثني عشر ألف رجل (انظر تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢: ص٧٧). ووافقه الطبري في تاريخه (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٧١). وإنّهم وإن اختلفوا في عدد الجيش وقوامه إلاّ أنّهم قد اتّفقت كلمتهم على أن قائد الجيش هو مسلم مسرف بن عقبة. ومسلم بن عقبة المرّي قد أطلق عليه لقب مسرف ومجرم بن عقبة نتيجة ما حصل في وقعة الحرّة (انظر تجارب الأمم ج٢: ص٧٧). وكان شيخاً كبيراً مريضاً. وقد تم انتدابه تنفيذاً لوصية معاوية لابنه يزيد حيث

←

➔
وصّاه بقوله: إذا أرابك من أهل المدينة ريب، فارمهم بمسلم بن عقبة (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٧٢).

وزاد ابن قتيبة قوله: أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مسرّة، فاستشره، يعني مسلم بن عقبة. فلمّا كانت تلك الليلة قال يزيد: أين مسلم بن عقبة؟ فقام فقال: ها أنا ذا، قال: هيئ ثلاثين ألفاً من الخيل (انظر الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ج٢: ص١٤). وقد وصّاه إذا ظفر بهم أن ينهب المدينة ثلاثة أيّام. وقال له: إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني (انظر تجارب الأمم ج٢: ص٧٧). وقبل خروجه إلى المدينة مرض مسلم فأدنف حتّى دخل عليه يزيد يعوده. قال له: قد كنت وجّهتك لهذا البعث وكان معاوية أوصاني فيك وأراك مدنفاً ليس فيك سفر، فقال:يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ، إنّما أنا امرؤ ليس بي بأس. قال: فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة، فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم وساروا به حتّى حاجزة فنزلوا بها، فأرسل إلى أهل المدينة يوعظهم ويعدهم بإرجاع العطاءات التي أخذها عمرو ابن سعيد منهم واشترى بها عبيداً لنفسه، فأجابوه: نخلع يزيد كما نخلع عمائمنا ونخلع نعالنا (انظر الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ج٢: ص١٣).

ولما وصل جيش يزيد بقيادة مسلم بن عقبة إلى الحرّة قال: يا أهل المدينة، إنّ يزيد ابن معاوية يزعم أنّكم الأصل، وإنّي أكره إراقة دمائكم، وإنّي أؤجلكم ثلاثاً فمن ارعوى وراجع الحقّ قبلنا منه وانصرفت عنكم، وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم. ولما مضت الثلاثة أيام قال: يا أهل المدينة قد مضت الأيّام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ واتّخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وعلى رأسهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري. ثمّ دارت
➔

→

المعركة بين مسلم وأهل المدينة واقتتلوا أشدّ القتال ثم انهزم أهل المدينة وسيطر مسلم عليها (تاريخ الطبري ج٤: ص٣٧٧). ولقد أباح مسلم المدينة لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون أموالهم، ونقل عن ابن قتيبة أنه بلغ عدد قتلى الحرّة من المهاجرين والأنصار والوجهاء ألفاً وسبع مئة ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى الصبيان والنساء (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص١٨٤). عن معجم البلدان: أنّه قد استبيحت الفروج وحملت منهم ثمان مئة حرّة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرّة (انظر معجم البلدان الحموي ج٢: ص٢٤٩). وبعد مضي الثلاث انتقل مسلم إلى قصر بني عامر بـ"دومة"، فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة ولكن بأسلوب جديد وبدعة جديدة، أي البيعة على أنهم خول وأرقاء وعبيد ليزيد وإلا فليس أمامهم إلاّ القتل. وبعد أن فرغ هذا المجرم من استباحة المدينة وهتك حرمها، قرّر التوجّه إلى مكّة لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن استخلف على المدينة المجروحة روح بن زنباع. فلمّا كان في بعض الطريق هلك وكان ذلك آخر المحرم سنة أربعة وستّين. وبناء على ما ذكر من أنه دخل المدينة في آخر ذي الحجّة فيعني ذلك أنّه بين ما اقترفت يداه وموته أقل من شهر. ولم تمض فترة قليلة حتّى قتل يزيد في العام نفسه أيضاً. وهذا جزاء من يهتك حرم الله ورسوله. وذكر اليعقوبي أنه لما بلغ بثَنيه عقبة "المشلل" احتضر واستخلف على الجيش الحصين وقال حين الاحتضار: اللّهمّ إن عذّبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرّة فإنّي إذاً لشقي. ثم خرجت نفسه ودفن فيها، وجاءت أم ولد يزيد ابن عبد الله بن زمعة فنبشته وصلبته على المشلل وجاء الناس فرجموه وبلغ ذلك الحصين بن نمير فرجع فدفنه وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع وقيل لم يدع منهم أحداً (انظر الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي ج٢٢: ص١٥). فهذه الحقيقةً

←

لعدم إيمانهم وشناعة فعلهم[(١)]،

➔

يأنف القلم من ذكر اسم هذا المجرم الذي شوّهت مخازيه وبوائقه صحائف التاريخ واشمأزّت الأجيال من سيرته البشعة التي يندى لها جبين الإنسانية ويقشعر لها الضمير الإنساني الحيّ، فهذا المنحرف الذي نشأ جانحاً نحو كلّ رذيلة ميالاً إلى كلّ موبقة لم يترك كبيرة أو صغيرة من الآثام والجرائم إلاّ وجاء بها فكان خليعاً مستهتراً مدمناً على الخمور واللهو والعبث مع الكلاب والقردة، ملحداً حاقداً على الإسلام والنبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام. وقد ورث هذا الحقد عن أبيه وجدّه رأسي الكفر والنفاق، أنه يزيد بن معاوية سليل الشجرة الملعونة في القرآن، الذي تولّى الخلافة بعد أبيه معاوية لمدّة ثلاث سنوات ارتكب فيها من الجرائم البشعة والمجازر الرهيبة والفظائع المهولة، ما لم ترتكبه طواغيت العصور، فلوّث التاريخ بصحائفه البشعة وجرائمه المنكرة، التي جعلته في الحضيض الأدنى من الغي والضلال والطغيان. فأهل السنّة مع ما وجدوا من يزيد وبني أميّة من قصّة الحرّة وغيرها، مع ذلك تبعوهم وأعانوهم على ظلمهم، ويكون يزيد عندهم خليفة رسول اللهﷺ فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ سبب حدوث واقعة الحرّة هو عدم إيمان يزيد بن معاوية وجيشه بالله ورسولهﷺ، حيث أنّه كان يريد أن يأخذ ثار أسلافه وأشياخه الذين قتلوا في معركة بدر، باستباحة المدينة المنوّرة؛ أي كانت إرادة يزيد أخذ ثار الكفار والمشركين من المسلمين. فكان داعياً للمشركين، وقد قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ**﴾ (سورة الروم:١٦). ولقد استعملت هذه الآية الكريمة كلمة "محضرون" في أهل النار، وهو دليل على منتهى الكراهة وعدم الرضا لما يتلقونه ويستقبلونه، لأنّ

➔

وحديث من أخاف المدينة[1]

➔

الإحضار يطلق في موارد تكون على خلاف الرغبات الباطنية للإنسان. واللطيفة الأخرى أنّ الله تعالى اكتفى بذكر أهل النار لسبب عدم إيمانهم وإنكارهم للمبدأ والمعاد. وذلك للإشارة إلى أنّ عدم الإيمان يكفي للدخول في النار، بمقتضى أنّ الله سريع الحساب، فإنّه ينهي حساب عباده بسرعة، فيكون عقابه يوم القيامة بصورة مفاجئة وكالبرق الخاطف. ومن جهة أخرى فقد استعمل هذا التعبير في شأن يوم القيامة ليفكر الناس بيوم القيامة ويكونوا على أهبة الاستعداد، فيزيد بن معاوية كان يترصّد الفرصة ليبين للناس حقيقة عدم ايمانه، وقد حان الوقت ليستفرغ سمّ حقده بالقضاء على المدينة المنوّرة، وقد ظهر ذلك على فلتات لسانه ولسان أبيه حينما كانا يعبّران دوماً عن المدينة بالخبيثة والنتنة مقابل تسميتها من قبل الرسولصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالطيبة (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٦٣). فالحرب كانت في الظاهر ضدّ أهل المدينة وأمّا باطناً كانت ضد النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والنبوّة وأهل البيتعليهم السلام،كما لها شواهد كثيرة من التاريخ والسير. وقد اعترف بذلك علماء أهل السنّة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي أخرجها علماء الإسلام من الفريقين، فرواه كبار علماء أهل السنّة في كتبهم المعتبرة ، منهم: أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن السائب بن خلاد قال: قال رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من أخاف المدينة أخافه الله عزّ وجلّ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٥٦). ومنهم: ابن عساكر بسنده عن عبد الله ابن نافع عن عبدالله بن نافع مولى ابن عمر عن ابن المنكدر عن ابني جابر بن عبد الله: أنّ جابر كان قد ذهب بصره، فلمّا كان يوم الحرّة خرج فارّاً وهو بيني وبين ابنه

➔

دليل ما دعونا به وما نقلناه[١].

➔

فنكبه حجر فقال: حس تعس من أخاف النبيﷺ، قال: قلت: ومن أخاف رسول اللهﷺ؟ فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٥٩: ص١٠٩). وروى ابن قتيبة في حديث طويل قال: وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره، فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة، وهو يقول: تعس من أخاف الله ورسوله. فقال له رجل: ومن أخاف الله ورسوله؟ فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي»، فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله، فترامى عليه مروان فأجاره، وأمر أن يدخله منزله، ويغلق عليه بابه (انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٨٣). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام بهذا المضمون، وهي تدلّ بوضوح على أنّ من أخاف أهل المدينة ملعون، قد لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقد قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ (سورة المائدة: ٦٠).

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ المدينة المنوّرة لها حرمة عظيمة إلى يوم القيامة، ولها فضائل تميّزها عن سائر المدن ويكفي دعاء رسول اللهﷺ فيها، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنّه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبيﷺ فإذا أخذه رسول اللهﷺ قال: «اللّهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا، اللّهم إنّ إبراهيم عبدك وخليلك ونبيّك، وإنّي عبدك ونبيّك، وإنّه دعاك لمكّة، وإنّي أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكّة ومثله معه» قال: ثمّ يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر (انظر صحيح مسلم
➔

➔
ج٤: ص١١٦ كتاب الحجّ، باب فضل المدينة ودعاء النبيﷺ فيها بالبركة). وكذلك تحذير النبيﷺ لكلّ من يريد المساس بها وبأمنها فقالﷺ: «لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلاّ إنماع كما ينماع الملح في الماء» (انظر صحيح البخاري ج٢: ص٣٢٢ كتاب الحجّ، باب حرم المدينة). وفي رواية: «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلاّ أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص، أو ذوب الملح في الماء» (صحيح مسلم ج٤: ص١١٣ كتاب الحجّ، باب فضل المدينة ودعاء النبيﷺ فيها بالبركة). وفي رواية: «من أخاف أهل المدينة ظلماً، أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٥٥). وبعد هذا التحذير أخبرﷺ عمّا سيحدث من الواقعة التي سيقتل بها خيار الناس من أصحابه الذين ساروا على هديه. وهو إشارة إلى واقعة الحرة. فماذا حدث لأهل المدينة يوم الحرّة؟

نعم: إنّ يزيد بن معاوية شنّ الغارة على أهل المدينة المشرفة، وبعث مسلم بن عقبة الهاتك الفاتك إلى هتك ذلك الجوار المقدّس بوصية من والده الآثم (انظر وفاء الوفاء للسمهودي ج١: ص٩١). وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جويرية بنت أسماء: سمعت أشياخ المدينة يتحدّثون: إنّ معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنّي عرفت نصيحته. فلمّا ولي يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة فأكرمهم وأجازهم فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلع يزيد فأجابوه، فبلغ ذلك يزيد فجهّز إليهم مسلم بن عقبة... (انظر فتح الباري ج١٣: ص٦٠). وقال ابن قتيبة: عندما انتهى مسلم بن عقبة من الحرب والإغارة على أهل المدينة المنوّرة، كتب رسالة إلى يزيد جاء فيها: السلام عليك يا أمير المؤمنين... فما صلّيت الظهر إلاّ في
➔

ومتابعتهم له على طامة العظمى هدم الكعبة المعظّمة وحرقها(١)

➔

مسجدهم، بعد القتل الذريع والانتهاب العظيم... وأوقعنا بهم السيوف، وقتلنا من أشرف لنا منهم، وأتبعنا مدبرهم، وأجهزنا على جريحهم، وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين (الامامة والسياسة ج١: ص٢١٨). فأهل السنّة اتّبعوا يزيد بن معاوية في جناياته وجرائمه في واقعة الحرّة؛ لأنّهم يعتقدون بأنّ يزيد بن معاوية مع شربه الخمور وإتيانه المنكرات وقتله النفوس المحترمة وهتكه الحرمات كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أنّ أبوه نصبه للخلافة والإمامة، فكان يزيد خليفة أهل السنّة مع أنّه كان معلناً بالمنكرات ولعبه بالكلاب والقرود والصقور والفهود على رؤوس الأشهاد. وكان كلّ الناس يطّلع على فجوره، ويشاهد الفظائع من كلّ أموره ويعاين لعبه من الغواني ويعرف خبثه بكلّ المعاني، ويعلم أنه ممّن لا يؤتمن على نقير ولا يولي أمر قطمير. ففي هذه الحالة أخذ معاوية البيعة من الناس لابنه يزيد، ورفعه إلى أوج الخلافة وأحلّه عرش الملك والإمامة وملّكه رقاب المسلمين وسلّطه على أحكام الدنيا والدين، فغشّ بذلك الناس. وحسب ما ورد في كتب أهل السنّة أنّ طاعة يزيد واجبة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ أسلافهم قد بايعوا يزيد بأمر معاوية وكان يزيد عندهم من أولى الأمر، وكانوا يعتقدون بأنّ الوقوف بوجه الطاغية معاوية وابنه يزيد خروج على إمام زمانه. فكما ترى أنّهم أطاعوا أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله واتّخذوا معاوية وابنه يزيد خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأطاعوا أوامرهما، فحاربوا المسلمين بأمر معاوية ويزيد، وفعلوا ما فعلوا من الإجرام في حقّ الإسلام والمسلمين فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ من فظائع يزيد التي سودت وجه التاريخ وقبحت صحائف التاريخ والسير، هدم الكعبة بيت الله الحرام وإحراقها وهتك حرمتها، قال المسعودي في

➔

➔

كتابه مروج الذهب: ومن جملة الجرائم التي ارتكبها يزيد بن معاوية، والتي اعتبرها مثالباً كثيرة، حيث يقول: إن ليزيد أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة، من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول، ولعْن الوصي، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك ممّا قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه (مروج الذهب ج٣: ص٧٢). وقد أجمع المؤرّخون وأصحاب السير، على أنّ يزيد لعنه الله أمر جيش الشام بقيادة الحصين بن النمير التميمي بالمسير نحو مكّة المكرّمة ومحاصرتها ورمي الكعبة والمتحصّنين فيها بعشرة آلاف صخرة وإشعال النار فيها. ويصف المسعودي ذلك المشهد بالقول: تواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشتاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات، وانهدمت الكعبة واحترقت البنية، ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلاً، وقيل: أكثر من ذلك (مروج الذهب ج٣: ص٧٢). وقال اليعقوبي: أنّ الحصين ابن نمير قائد جيش يزيد رمى الحرم بالنيران حتّى أحرق الكعبة، كما اضاف وكان قاضي ابن الزبير ينادي عند احتراق الكعبة: يا أهل الشام! هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد، فاتّقوا الله يا أهل الشام! غير أن جيش يزيد لم يأبه لذلك حتّى التهمت النيران جدران الكعبة... (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٢٥١). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتب التاريخ، وحيث أنّ أهل السنّة يعتقدون بخلافة يزيد ووجوب طاعته واتّباعه، ولازم ذلك الاعتقاد بوجوب امتثال أوامر يزيد. ومن ناحية أخرى أنّ الكعبة المعظمة هي قبلة المسلمين، فيكون هدمها وإحراقها من أعظم الجرائم وأبشعها التي لا ينكرها أحد من المسلمين، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟!! وهكذا وقعوا في عويصة لا يمكنهم حلّها. فذهب جماعة منهم إلى تكفير يزيد. وأمّا المتعصّبين منهم قد اتّخذوا موقفاً كريهاً لتبرئة

🡐

➔

يزيد وأعوانه من هذه الجريمة النكراء. وإن كانت محاولتهم فاشلة، لاعترافهم على عدم إمكان الجمع بين الإسلام والأمر بهدم الكعبة المعظمة، فعلى الباحثين أن يعرفوا حقيقة المتعصّبين من أهل السنّة. فقد أخرج الطبري في تاريخه عن محمد ابن عمر عن رياح بن مسلم عن أبيه قال: كانوا يوقدون حول الكعبة، فأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الأوّل (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٨٣)، ورواه الذهبي في تاريخه ج٥: ص٢٤. وفي رواية أخرى، قال محمّد بن عمر: وحدّثني عبد الله ابن زيد، قال: حدّثني عروة بن أذينة، قال: قدمت مكّة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت إليها النار، ورأيتها مجرّدة من الحرير، ورأيت الركن قد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة، فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله ابن الزبير، قالوا: هذا... احترقت بسببه، أخذ قبساً في رأس رمح له فطيرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود (انظر الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٨: ص٤٦٩). وإلى غير من الروايات الواردة في هذا المجال. والقضية أوضح من أن يخفى على أحد، فإنّ تصدّع جدران الكعبة وتزعزع بعضها جراء رميها بعشرة آلاف صخرة، ينفي مثل هذه الروايات التي رواها المتعصبين من علماء أهل السنّة لتبرير خليفتهم يزيد بن معاوية، لا سيّما أنّه أقدم قبل ذلك على جرائم أكثر فجاعة وبشاعة من هدم الكعبة، منها: قتل الإمام الحسين عليه السلام وواقعة الحرّة التي استباح فيها أهل المدينة، إذ يذكر مؤرّخون أن الجيش الأموي أباد أهل المدينة حتّى قتل منهم الآلاف، فهدم الكعبة طامّة أخرى ومصيبة دخلت على أهل الإسلام وجريمة ارتكبها يزيد كجرائمه السابقة وذلك بمعونة أهل السنّة. ولا يخفى على الخبير أنّ معونة أهل السنّة له يتصوّر بصور عديدة، منها: مساعدتهم

➔

إلى غير ذلك من معاونات‍هم لمن تأمر بعده من بني أميّة وبني العبّاس[(١)].

➔

لارتكاب الجرائم، وأخرى بمحاولتهم تبرئة يزيد وجيشه عن هذه الجريمة البشعة. وكلّ ذلك دليل على مخالفة أهل السنّة للشريعة المقدّسة، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الجرائم التي ارتكبها حكّام بني أميّة وبني العبّاس على مرّ التاريخ، يفوق حدّ التصور، حيث أنّ الأحداث الرهيبة التي ارتكبها حكّام بني أميّة وبني العبّاس من سفك دماء الأبرياء إلى نهب أموال المسلمين وهتك أعراضهم منذ بدء حكومتهم إلى انتهائها لا يمكن إحصائها. فهذا أبوالعبّاس السفّاح الذي لُقّب بهذا اللقب لكثرة سفكه الدماء لمّا تربّع على كرسي الخلافة وجلس على منصّة الحكم وانقادت إليه أزمة الأمور؛ قال المقريزي في النزاع والتخاصم: فكان أوّل ما فعله أن ولّى ابن أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ابن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل، فدخلها في اثني عشر ألفاً، فأوّل ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثني عشر رجلاً، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح، فنادى: من دخل الجامع فهو آمن، فأتاه الناس يهرعون إليه، فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلاً ذريعاً تجاوز فيه الحدّ وأسرف في المقدار، فيقال أنّه قتل أحد عشر ألف إنسان ممّن له خاتم، سوى من ليس في يده خاتم وهم عدد كثير، بحيث لم ينجُ من رجال الموصل – مع كثرتهم – إلاّ نحو أربعماءة رجل صدموا الجند فأفرجوا لهم، فلمّا كان الليل سمع صراخ النساء اللاتي قتل رجالهنّ، فأمر من الغد بقتلهنّ. فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان، وكان في عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجيّ فأخذوا النساء قهراً، فلمّا فرغ إبراهيم من قتل الناس في اليوم الثالث ركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فأخذت امرأة بزمام دابّته فأراد أصحابه قتلها فكفّهم عنها، فقالت له: ألستَ من بني هاشم؟

➔

➔
ألست ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أما تأنف للعربيّات المسلمات أن ينكحهنّ الزنوج؟ فلم يُجبها وبعث معها من بلّغها مأمنها، ثمّ جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم، فكانت هذه فعلة لم نسمع بأقبح منها إلاّ ما كان من السفّاح (انظرالنزاع والتخاصم للمقريزي: ص١٥٠). ولعمري لقد فاق فرعون في فساده وأربى عليه في عتوّه وعناده، وإنّ السفّاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمّة محمد صلى الله عليه وآله من سوء العذاب أشدّ وأقبح ممّا كان فرعون يسوم بني إسرائيل منه، فكيف بها إذا ضمّت مع ما حكاه البلاذريّ قال: كان أبو العبّاس - يعني السفّاح - يسمع الغناء، فإذا قال للمغنّي: أحسنت! لم ينصرف من عنده إلاّ بجائزة وكسوة، فقيل له: إنّ الخلافة جليلة، فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ، فاحتجب عنهم وكانت صلاته قائمة لهم (انظر أنساب الأشراف ج٤: ص١٦٧). فأين هذا من هدى النبوّة وسيرة أئمّة الهدى عليهم السلام؟ فما أبعده عن هداهم، ولله درّ القائل: نزلوا بمكّة في قبائل نوفل ونزلتَ بالبيداء أبعد منزل (انظر الوافي بالوفيات للصفدي ج٧: ص٢٣٤).

ولا يفترق العبّاسيّون عن بني أميّة في شيء، لا في الظلم والقسوة، ولا في الفسوق والفجور، ولا في الاستهتار والزندقة، فالغاية واحدة عند الجميع، وهي الانتفاع والاستقلال، والمبدأ واحد وهو اللامبالاة بالدين والقيم، فالكلّ ركب متون الأهواء وسلك طريق الضلال، من قطع الرؤوس، ونصب المشانق، وهدم الدور على الأحياء، وما إبراهيم وأخوه السفّاح إلاّ كمعاوية، وما المنصور والرشيد إلاّ كهشام، وما المتوكّل إلاّ كيزيد بن معاوية، فلقد عرفنا من فعلهما أنّها حاكمين يتّخذون من القتل وسيلة لتوطيد سلطانهم، أو لحفظ الأمن بزعمهم. فقد كان كلّ من الأمويّين والعبّاسيّين يقتل لا لسبب شرعي بل بدافع من الغدر والإسراف في القتل، وحين ضاق الناس ذرعاً بالأمويّين، وبلغ الاستياء ذروته من سياستهم، أرسل إبراهيم الإمام
➔

➔

- أخو السفّاح - أبا مسلم الخراسانّي إلى خراسان وقال له فيما قال: احفظ وصيّتي: انظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم، فإنّ الله لا يتمّ هذا الأمر إلاّ بهم، واتّهم ربيعة في أمرهم، وأمّا مضر فإنّهم العدوّ القريب الدار، واقتل مَن شككتَ فيه، وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان من يتكلّم بالعربية فافعل، وأيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله! (انظر تاريخ الطبري ج٦: ص١٤-١٦) وبعد أن نقل المقريزي هذا الكلام، قال معقّباً: فأين - أعزّك الله - هذه الوصيّة من وصايا الخلفاء الراشدين لعمّالهم، وتالله لو توجّه أبرّ مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يُوصي بهذا، فكيف وإنّما توجّه إلى دار الإسلام وقتال أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب، لينتزع من أيديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشرك، ليتّخذوا مال الله دولاً، وعبيده خولاً؟! وقد عمل أبو مسلم بوصيّة إبراهيم (انظر النزاع والتخاصم: ص١٣٥). وأيّ فرق بين قول إبراهيم العبّاسي: واقتُل من شككتَ فيه، وقول معاوية الأمويّ حين كتب إلى عمّاله: انظروا من اتّهمتموه بموالاة أهل البيت عليهم السلام فنكّلوا به وأهدموا داره؛ فقد جاء في كتاب الشيعة والحاكمون: كان البيت العبّاسي بيت جهل وخمول بعد عبد الله بن عبّاس، ولولا انتسابهم إلى عمّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يرد لأحد منهم ذِكر في التاريخ، أمّا البيت العلويّ فكان في جميع الأدوار بيت العلم والدين، ومهوى أفئدة المسلمين، فمن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى ولديه الحسنَين عليهما السلام، ومنهما إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، ومنه إلى الصادقَين: محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام إلى آخرهم. وكان العبّاسيّون يعتزّون بقرابتهم من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كاعتزازهم بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله، وكانوا يحضرون مجالس أبناء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام متأدّبين متعلّمين، وكان محمد بن عبد الله

➔

➔

ابن الحسن يأخذ المنصور بركابه ويسوّي ثيابه على السرج.

ولمّا دارت الدوائرعلى الأمويّين واستُخلف المنصور اختفى محمد بن عبد الله ابن الحسن خوفاً على نفسه، فطلبه المنصور من أبيه وحاول قتله بكلّ وسيلة ليتخلّص من البيعة التي في عنقه، واجتهد في البحث عنه وعن أخيه إبراهيم، ونصب العيون وبذل الأموال، فعرف مكانهما، ولم يعد أمامهما إلاّ الاستسلام أو الخروج، فخرج محمد في المدينة وإبراهيم في البصرة وحاربا حتّى قتلا، وكان محمد يُعرف بصاحب النفس الزكيّة، وقُتل معه خلق كثير من أبناء الأنصار والمهاجرين وأبناء جعفر بن أبي طالب ومن أبناء الحسين، وقتل معه الحسين وعلي ابنا زيد بن علي ابن الحسين.

قال المسعودي: إنّ المنصور أكل عجّة من مخّ وسكّر فاستطابها وقال: أراد إبراهيم أن يمنعني من هذا وأشباهه. من أجل هذه العجّة قتل المنصور أبناء الرسول الألوف من الأبرياء (انظر مروج الذهب ج٣: ص٢٩٨). وقال: جمع المنصور أبناء الحسن وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم وحملهم في محامل مكشوفة وبغير وطاء، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين، ثمّ أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، وأشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون على فراغ كلّ واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضروريّة في مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة وتورّمت أجسادهم، ولا يزال الورم من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً (انظر مروج الذهب ج٣: ص٣١٠). وقال ابن الأثير: دعا المنصور محمد بن عبد الله العثمانّي وكان أخاً لأبناء الحسن من أمّهم، فأمر بشقّ ثيابه حتّى بانت عورته، ثمّ ضُرب مائة وخمسون سوطاً، وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت على وجهه، ثمّ

➔

➔
قتله (الكامل في التاريخ ج٥: ص٥٢٥، في حوادث سنة ١٤٥هـ). وقال: أحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحسن الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصغر؟ لأقتلنّك قتلة لم أقتلها أحداً، ثمّ أمر به فبُني عليه أسطوانة وهو حيّ فمات فيها (الكامل في التاريخ ج٥: ص٥٢٦).

فالتاريخ أكبر شاهد على تلك الجرائم البشعة من الدولتين. حيث أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يدفن الأحياء خنقاً تحت الأرض، وكان المنصور يقيم عليهم البناء فوق الأرض، وهذا هو الفارق الوحيد بين خليفة الشام وخليفة العراق، بين الأمويّ والعباسيّ، غير أنّ العباسيين أخذوا التجربة في قتل والإجرام من بني أمية ففعلوا ما فعلت بني أمية وازدادوا عليها تجربةً ما أمكنهم، ولهذا قال الشاعر: والله ما فعلت أميّةُ فيهمُ* معشار ما فعلت بنو العبّاسِ (الصحيح من سيرة النبي للسيد جعفر مرتضى العاملي ج٣٣: ص١٨٧). وقال الأمير أبو فراس الحارث الحمداني: ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت * تلك الجرائم إلاّ دون نيلكم (انظر الغدير للعلاّمة الأميني ج٣: ص٤٠٠). وقال الصفدي: أنّه كان للقاسم بن إبراهيم طباطبا ضيعة بالمدينة يقال لها الرس، فلم يسمح له المنصور بالمقام بها حتّى طلبه فقفز إلى السند وقال: أرقت لبارق ما زال يسري * ويبكيني بمبسم أم عمرو. فلم يترك وعيشك لي دموعاً* بأجفاني ولا قلباً بصدري (الوافي بالوفيات ج٢٤: ص٨٣). وقال المقريزي في كتابه النزاع والتخاصم: أنّ المنصور دلّ امرأة ابنه المهدي ووليّ عهده على بيت واستحلفها أن لا تفتحه إلاّ بعد وفاته بحضور زوجها، وبعد هلاكه فتحه المهدي وإذا فيه رؤوس من قتل من الطالبيّين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وفيهم أطفال (انظرالنزاع والتخاصم: ص١٤٤). وقال أيضاً: أنّى هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمّديّة وسيرة أئمّة الهدى؟! أين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة
➔

➔

من رحمة النبوّة، وتالله ما هذا من الدين في شيء، بل هو من باب قول الله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ (انظر النزاع والتخاصم: ص١٤٤).

وقال محمد الاسقنطوريّ: دخلت يوماً على الدوانيقيّ – أي المنصور – فوجدته في فكر عميق، فقلت له: ما هذا الفكر؟ قال: قتلتُ من ذريّة فاطمة بنت محمد ألفاً أو يزيدون، وتركتُ سيّدهم ومولاهم، فقلت: ومن ذلك؟ قال: قد عرفت أنّك تقول بإمامته وأنّه إمامي وإمامك وإمام جميع هذا الخلق، ولكن الآن أفرغ منه (انظر الثاقب في المناقب: ص٢٠٨، ح١٨٤، وعيون المعجزات: ص٨٠). وتدلّنا هذه الرواية على انتشار التشيّع حتّى بين حجّاب المنصور وحواشيه، بل إنّ الربيع وزير المنصور كان شيعيّاً. وكان المعلّى بن خُنيس من الشيعة المقرّبين لدى الإمام الصادقعليه السلام، وكان مولاه ووكيله، فكتب المنصور إلى عامله على المدينة – وهو داود بن عروة – بقتله، فاستدعاه داود وقال له: اكتب أسماء الشيعة وإلاّ ضربت عنقك، فقال: أبالقتل تهدّدني؟! والله لو كان اسم أحدهم تحت قدمي ما رفعتها. فضرب عنقه وصلبه، فعزّ ذلك على الإمام الصادقعليه السلام ودعى على داود، وما انتهى من دعائه حتّى ارتفع الصياح وجاء الخبر بهلاكه (انظر الإرشاد للشيخ المفيد ج٢: ص١٨٥).

وقتل المنصور من أبناء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام ألفاً أو يزيدون باعترافه، وقتل من شيعتهم ما لا يُعدّ ولا يحصى، وتفنّن في ظلمهم، واخترع أنواعاً من القتل وألواناً من التنكيل، تماماً كما يتفنّن علماء القرن العشرين باختراع الوسائل التي تخفّف آلام البشريّة وتيسّر العسير من شؤونهم، فمن الضرب بالسياط على الأعين حتّى تسيل، إلى هدم البيوت على

➔

وفتوى إمامه أحمد بتسليم الصدقات لمن له شوكة وسمي بأمير المؤمنين ولو علم فسقه، مستفادة من فعل سلفه[١]، فإنّهم بدفعهم صدقاتهم إلى

➔

الأحياء، إلى رصفهم مع الأعجاز في الجدران، إلى تسميمهم بالفضلات والقذارات، إلى ما لا نهاية.

والحقّ أنّ المنصور أدّى رسالته كحاقد على الفضيلة وأهلها كغيره من حكّام بني أميّة وبني العبّاس، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: إنّ حميد بن قحطبة الطائي الطوسي قال: طلبني الرشيد في بعض الليل وقال لي فيما قال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم، فجاء بي الخادم إلى دار مغلقة ففتحها وإذا فيها ثلاثة بيوت وبئر، ففتح البيت الأوّل وأخرج منه عشرين نفساً عليهم الشعور والذوائب، وفيهم الشيوخ والكهول والشبّان، وهم مقيّدون بالسلاسل والأغلال، وقال لي: يقول لك أمير المؤمنين: اقتل هؤلاء، وكانوا كلّهم من ولد علي وفاطمة؛ فقتلتهم الواحد بعد الواحد والخادم يرمي بأجسادهم ورؤوسهم في البئر، ثمّ فتح البيت الثاني وإذا فيه أيضاً عشرون من نسل علي وفاطمة، وكان مصيرهم كمصير الذين كانوا في البيت الأول؛ ثمّ فتح البيت الثالث وإذا فيه عشرون، فألحقهم بمن مضى، وبقي منهم شيخ وهو الأخير فقال: تبّاً لك يا ميشوم أيّ عذرٍ لك يوم القيامة عند جدنا رسول الله؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وهدّدني، فقتلت الشيخ ورمى به في البئر (انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١: ص١٠٨، وبحار الأنوار ج ٤٨: ص١٧٦-١٧٨). وإلى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبها حكّام بني العبّاس. وعلى هذا فإنّ متابعة أهل السنّة لحكّام بني أميّة وبني العبّاس وتعاونهم على ما ارتكبوا من الجرائم مخالفة صريحة للشريعة المقدّسة فلاحظ.

(١) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل: ص٤٨

الفسقة الفجرة حصلت لهم القدرة على هذه الفعال الشنيعة فأفتى هو بذلك تبعاً لهم[١]،

(١) لا يخفى على الخبير أنّ أهل السنّة يعتقدون بوجوب دفع الزكاة والصدقات الواجبة إلى الحكّام وخلفاء الجور وإن كانوا من الفسقة والفجرة، ويعتقدون بأنّ التصرّف في هذه الأموال إنّما يكون بإذن الحاكم واختياره وتحت لوائه وحكومته كائناً من كان. وذلك لأنّ حسب اعتقادهم أنّ الحاكم هو الإمام الذي يكون حكمه واجب الامتثال على الأمّة، وهو المباشر لأمور المسلمين من الأموال وغيرها، فيعتقدون بوجوب دفع الوجوهات الشرعية إليه. وإن اختلف بعضهم في دفع الزكاة والصدقات إلى الحاكم الفاسق، حيث ذهب بعضهم كالحنفيّة والمالكيّة إلى عدم جواز دفعها إليه. قال الحطاب في مواهب الجليل وهو من كتب فقه المالكية: وإذا كان الإمام جائراً فيها لم يُجْزِه دفعها إليه طوعاً، فإن أجبره أجزأته على المشهور. وكذلك الخوارج، قال ابن فرحون في شرح قوله: فإن أجبره أجزأته على المشهور (انظر المواهب الجليل للحطاب الرعيني ج٣: ص٢٥٥). وقال في التوضيح: لأنه من باب التعاون على الإثم والعدوان، والواجب حينئذٍ جحدها والهروب منها ما أمكن... قال الإمام أحمد حنبل كما في رواية كانوا يدفعون الزكاة إلى الأمراء وهؤلاء أصحاب النبيﷺ يأمرون بدفعها، وقد علموا فيما ينفقونها فما أقول أنا، وقد استدلّوا على قولهم هذا بأحاديث وآثار (انظر المواهب الجليل ج٣: ص٢٤٨). ولكن مع ذلك كله فإنّ اعتقاد أكثر أهل السنّة على دفع الوجوهات والأموال إلى الحكّام وإن كانوا أهل الفسق والفجور، وذلك لما ورد في كتبهم من الروايات الدالّة على ذلك، فقد أحمد بن حنبل في مسنده عن أنس بن مالك أنّ رجلاً قال لرسول اللهﷺ إذا أدّيت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله؟ فقال: نعم إذا أدّيتها إلى رسولي فقد برئت منها إلى الله ورسوله، ولك أجرها ←

➔

وإثمها على من بدلها (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٣٦). وعن ابن عمر قال: ادفعوا صدقاتكم إلى من ولاّه الله أمركم، فمن برّ فلنفسه ومن أثم فعليها (المصنف لابن أبي الشيبة ج٣: ص٤٧). وقال النووي في كتابه المجموع: رواه البيهقي بإسناد صحيح أو حسن وعن قزعة مولى زياد بن أبيه أنّ ابن عمر قال: ادفعوها إليهم وإن شربوا بها الخمر؛ رواه البيهقي بسند صحيح أو حسن قال البيهقي: وروينا في هذا عن جابر بن عبد الله وابن عباس وأبي هريرة، وممّا جاء في تفريقها بنفسه ما رواه البيهقي بإسناد عن أبي سعيد المقبري واسمه كيسان قال: جئت عمر بن الخطّاب بمائتي درهم فقلت: يا أمير المؤمنين هذه زكاة مالي، قال: وقد عتقت؟ قلت: نعم، قال: اذهب بها أنت فاقسمها... (المجموع للنووي ج٦: ص١٦٤). وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وفي رواية أنّه قال: ادفعوا صدقة أموالكم إلى من ولاه الله أمركم، فمن برّ فلنفسه، ومن أثم فعليها. وفي الباب أيضاً عند البيهقي عن أبي بكر، والمغيرة بن شعبة وعائشة، وأخرج البيهقي أيضاً عن ابن عمر بإسناد صحيح أنّه قال: ادفعوها إليهم وإن شربوا الخمور. وأخرج أيضاً من حديث أبي هريرة: إذا أتاك المصدّق فأعطه صدقتك، فإن اعتدى عليك فوله ظهرك ولا تلعنه وقل: اللّهم إني أحتسب عندك ما أخذ منّي. قوله: أثرة بفتح الهمزة والثاء المثلّثة هي اسم لاستئثار الرجل على أصحابه. والأحاديث المذكور في الباب استدلّ بها الجمهور على جواز دفع الزكاة إلى سلاطين الجور وإجزائها. وحكى المهدي في البحر عن العترة وأحد قولي الشافعي أنّه لا يجوز دفع الزكاة إلى الظلمة ولا يجزئ، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٢٤)، ويجاب بأنّ هذه الآية على تسليم صحّة الاستدلال بها على محلّ النزاع عمومها مخصّص بالأحاديث المذكورة في الباب. وقد زعم بعض المتأخّرين أنّ الأدلّة المذكورة

➔

فحال المولى لمن هذه سيرتهم، وحال معاونهم على شناعاتهم متساويتان من حيث الظلم[(١)]،

➔

لاتدلّ على مطلوب المجوّزين، لأنّها في المصدق والنزاع في الوالي (نيل الأوطار للشوكاني ج٤: ص٢٤٠). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم.

أقول: كما ترى أنّ كتبهم مشحونه بذكر أدلة وجوب تسليم الصدقات إلى حكّام الجور وخلفائهم وإن كانوا من الفسقة والفجرة حتّى ورد في بعض أحاديثهم: ادفعوها إليهم وإن شربوا بها الخمر، فقد روى البيهقي في سننه بإسناد صحيح كما صرّح بذلك النووي (انظر المجموع للنووي ج٦: ص١٦٤)، غير أنّ بعضهم وقع في الاضطراب والاختلاف، حيث لم يمكنه التخلّص من القول بالمتناقضين؛ إذ من ناحية وجب عليهم أن يعتمدوا على خلفائهم في جميع أمورهم التي منها الأمور المالية، ومن ناحية أخرى ثبت عندهم بالقطع واليقين فسق كثير من خلفائهم، فتحيّروا في اختيار طرفي النقيض. ومن عجائب الدهر أنّ بعضهم قد التزم بالمتناقضين وصرّح بفسقهم، ومع ذلك ذهب إلى وجوب دفع الأموال إلى حكّام الجور. وعلى كلّ تقدير فإنّ دفع الأموال إلى الظلمة والفسقة موجب لتقوية الظلم والفسق في المجتمع، فهم في هذا الأمر يشتركون مع حكّامهم في هذه المعصية العظيمة، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ إعانة الظالم تتحقّق بارتكابها مرّة واحدة، فلو فرض أنّ الإنسان قدّم للجائر سوطاً أو سيفاً لضرب البريء فيصدق عليه أنّه أعان الظالم، وأمّا إذا بلغت الإعانة إلى حدّ التعاون بمد الأموال وامتداد القدرة للسلطة الجائرة بحيث أصبحت حكومة الجائرة قوية، بتقديم الأموال وغيرها من دعمهم ونصرتهم وتأييد سلطانهم فيدخلهم في عنوان أعوان ظلمة، ويشمله قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ**

➔

➔
ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأنعام:١٢٩). هذه الآية تبيّن مصير المجرمين الضالّين والمضلّين الذين يكملان الظلم في حقّ الآخرين، فتذكر أنّ التابعين والمتبوعين فهم في صف من الإجرام حيث تعاونوا مشتركاً على الظلم. والمفروض أن يكون مجتمع المسلمين خالياً من الظلم، لأنّ الأحكام الإسلاميّة تكون مبنيةً على العدل والمصالح الواقعية. وهذا الأصل الثابت لا يتغيّر في الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (سورة النساء:٥٨)، بل جاء الأمر بالعدل مطلقاً في جميع نواحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (سورة النحل:٩٠). وقد وردت النصوص الكثيرة في باب النهي عن الظلم والأمر بالعدل. وأنّ هلاك الأقوام الماضية التي عوقبت كان بسبب الظلم. قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (سورة الكهف:٥٩). فيحرم الظلم في الإسلام بكلّ أشكاله، وعلى كلّ طوائف المسلمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللهُ لا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران:٥٧)، وهذا دليل على التحريم؛ لأنّه – كما ذكر علماء أصول الفقه – كلّ شيء نصّ القرآن الكريم على أنّ الله تعالى لا يحبّه فهو محرّم، وتركه من مقاصد الشريعة. وعليه فإنّ القرآن الكريم صريح في أنّ الحكومة محرّمة على الظالمين، والظالمون محرومون من هداية الله، لأنّهم أهل ضلال، كما قال تعالى: ﴿وَٱللهُ لا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة آل عمران:٨٦)، هب أنّ الظالمين في صراع دائم مع الحقّ، ولكن يجب على المسلمين أن يتّبعوا الحقّ. لا كما يعتقده أهل السنّة من أنّ من غلب على أمور الناس فهو الحاكم وإن كان ظالماً ووإن كان باطلاً أن يتعاونوا معه، ويتشاركوا في حكومتهم مشاركة في شرور أعمالهم، كما قال تعالى:
➔

من جهتين: عدم تولية أهل الحقّ وتولية غيرهم، وعدم معاونة أهل الحقّ ومعاونة ظلمتهم[1].

→

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأنعام:١٢٩). إذ من البديهي أنّ الظالمين لا تتّسع دائرة حكومتهم لولا معونة الناس لهم. ولا يتمّ أمرهم لولا أعوانهم الذين يتقرّبون إليهم، ويعينوهم ويساعدوهم على ظلم الآخرين، وهو ما أطلق عليه افي الروايات بأعوان الظلمة. وقد حذرهم الله تعالى من عواقب السيّئة التي ستنتظرهم بعد ذلك، حيث أنّ بعض الناس يظنّ أنّ العقاب على الظالمين وحدهم دون من عاونهم، ولكن الأمر أوضح من أن يخفى على أحد حيث أنّه لولا معونة أعوان الظلمة لم يتمكّن الظالم من الظلم على الآخرين. فأهل السنّة باتّباعهم حكّام الجور، والظلمة وبسبب مساعدتهم وإعانتهم لهم في الأمور المادّيّة والمعنويّة بدفع الأموال إليهم وبمدهم ما يتوسّع به سلطانهم فهم من أعوان الظلمة.

(١) وبعبارة أخرى: أنّ من تولى الظالمين فقد أعانهم على ظلمهم وباطلهم ، وسيكون الظالمين وضعهم في الآخرة كما كانوا عليه في الدنيا يجر بعضهم بعضاً كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأنعام:١٢٩). فمن لم يتولّى ولاية الحقّ والخلافة الإلهيّة فهو مرتكب للظلم من جهتين، الجهة الأولى: عدم تولية أهل الحقّ، وعدم معاونتهم لأهل الحقّ، والجهة الثانية: تولية الباطل، ومعاونتهم على ظلمه. وتوضيح المقام أنّ الساحة الكونية تنطوي دوماً على الصراع بين الحقّ الباطل. وهما متقابلان ومتصارعان، فمن اتّبع الباطل وانحرف عن جادة الحقّ، فقد جعل نفسه في صفوف أهل الباطل وجيش أهل الضلال، لأنّه ليس بعد الحقّ إلاّ الضلال كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا

←

➔

﴿الضَّلَالُ﴾ (سورة يونس:٣٢)، وكلّما طال المقام بهم ازدادوا ضلالاً كما قال الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالمينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة ابراهيم:٢٧). فأطلق سبحانه وتعالى عنوان الظالمين على من اختار طريق الباطل! فهم في شأنهم، ولا شأن لهم الضلال، لأنّ باختيارهم الباطل يريدون الانحراف عن الحقّ، وبهم يثبت الطريق الباطل، وبهم يمتدّ الضلال. ولا شكّ أنّ إحياء الباطل تنتهي إلى إماتة الحقّ، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱلَّذينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُون ٱلله منْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (سورة هود:١١٣). هذه الآية تبيّن واحداً من أقوى وأهمّ الأسس والبرامج الاجتماعية والعقائديّة، فتخاطب عامّة المسلمين لأداء وظيفتهم الاجتماعيّة فتقول: ﴿وَلا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱلَّذينَ ظَلَمُواْ﴾ والسبب واضح، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُون ٱلله منْ أَوْلِيَاءَ﴾ ومعلوم عندئذ حالكم ﴿ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾. فالركون هو الاعتماد أو الاستناد إلى الشيء، وقد فسّرها المفسّرون بالتعاون، وإظهار الرضا والمودّة، كما فسّرها جماعة بالطاعة، وكلّ هذه المعاني ترجع إلى الاعتماد والاتّكاء كما هو واضح، حيث أنّه مفهوم جامع كلّي. فاختيار طريق الباطل ركون إليه كما هو ظاهر واضح.

الجهة الثانية ملازمة اختيار طريق الباطل لمعونة الظلمة؛ حيث أنّ الظالم لا يستطيع أن يقوم بعمل كلّ شيء من الظلم والطغيان والاعتداء ومجاوزة الحدّ بمفرده، وأنّه لابدّ له من فئة من الناس تعاونه على القيام بظلمه، سواء أكانت هذه الفئة المعاونة له الرغبة في المعاونة أم لا، لأنّ التعاون أمر وحقيقة واقعية خارجية تتحقّق باتّفاقها في الخارج وتترتّب عليها آثارها من العدوان والظلم والطغيان. وقد قال الله تعالى على لسان نبيّه موسى عليه السلام محذراً هؤلاء من عدم مساعدة الظالمين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمينَ﴾ (سورة القصص:١٧). والظهير هو

🡐

وخامسها: ما زعمه من حاجة الناس إلى ولي ولو فاجر، فإنّه من عجيب غشّه(١)

➔

المعين لإنسان آخر في أي عمل ما سواء أكان هذا العمل خيراً أم شراً، فنبي الله موسى عليه السلام طلب من الله تعالى أن لا يكون عوناً ومعيناً للظالمين والمجرمين الذين يسعون في الأرض الفساد. وهذا معناه أنّ القرآن يرشدنا إلى عدم التعاون مع الظالمين سواء أكان العمل خيراً أم شرّاً. ثمّ أنّ هذا المعاون قد يكون موظّفاً أو غير موظّف أو رئيساً أو مرؤوساً يطيع من هو فوقه. فالعبرة في المقام هي مساعدة الظالم على إيقاع الظلم بالغير، وسواء أكان ذلك بمقابل من المال أو تولّي منصب معيّن أو وظيفة معيّنة أم لا. وقد تعدّدت العقوبات التي نصّت عليها الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة على عقوبة مَن يعاون الظلمة والمجرمين على الاعتداء على الغير وبشاعة وشناعة هذا الفعل لأنه يؤدّي إلى كثرة أهل الفسق والفجور في المجتمع وضياع أهل الحقّ وشعورهم، وبأنّ الإصلاح لا يمكن تحقيقه في المجتمع لحشد أهل الباطل وتجميعهم وتحزيبهم ضد الحقّ. وهناك أحاديث من الفريقين تدّل على المقام منها: رواه الطبراني بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقّاً فقد برئ من ذمّة الله وذمّة رسوله صلى الله عليه وآله» (المعجم الأوسط للطبراني ج٣: ص٢١١). وإلى غير ذلك من الروايات. فاختيار طريق الباطل والانحراف عن الحقّ يجعل الإنسان في صفوف جيش أهل الباطل والضلال؛ لأنّ وجوده في تلك الصفوف يعتبر عوناً ومعيناً للظالمين، وعليه فما بال أهل السنّة في متابعتهم وإعانتهم للحكّام والظلمة فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية يرجع إلى أنّ الفاسق له أهلية الولاية والحكومة على المؤمنين، حيث لو لم يكن للفاسق الولاية من الله على المؤمنين، ➔

➔
لم يكن لهذا الزعم معنى. وبعبارة أخرى بعد ثبوت الولاية للحاكم الجائر والفاسق عند أهل السنّة، يجب عليهم الرجوع إلى الحاكم وإن كان فاسقاً، لأنّ حسب زعمهم أنّ الناس يحتاجون إلى الحاكم براً كان أم فاسقاً. ولكن الخبير يعلم بأنّ هذه الدعوى باطلة، لأنّ الفاسق يستحقّ العذاب بفسقه، واستحقاق العقاب مترتّب على مخالفة الدين، والولي هو الحاكم، والإمام الذي يقود الناس، فكيف يمكن أنّ الله يأمر باتّباع الإمام الفاجر الذي يستحق العذاب بفسقه، وهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩). هذه الآية الكريمة توضّح صفات الفاسقين الذين يتّبعون الشيطان، حيث أنّ الشيطان يضع حبل وسوسته في أعناق أهل المعصية ويجرهم إلى طريق الغواية والضلال، ويبعدهم عن الحقّ. فإنّ الفاجر والفاسق والمنافق بسبب اتّباعهم عن الشيطان يبتعدون عن الحقّ، ويبتعدون عن الله سبحانه. وإذا ابتعدوا عن الله والحقّ، معناه أنّهم اختاروا الباطل واتّبعوا خطوات الشيطان فصاروا له قرين، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ (سورة الزخرف:٣٦). ومن يكون الشيطان له قرين فهو من الفاسقين. فكيف يمكن دعوى أنّ الله يأمر باتباع من هو قرين للشيطان؟!! ومن كان حاله هذا كيف يجوز أن يكون له الولاية على المؤمنين؟!!

وبعبارة أخرى: أنّ الفاسق ظالم؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩)؛ تشير الآية الكريمة إلى أنّ الأحكام الإلهيّة الواردة في الشريعة المقدّسة هي حدود الله، فتقول: ﴿**فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾، أي: أنّ من تجاوز الحدّ الذي رسمه الله للمؤمنين فهو من
🡐

➔
الظالمين. ومن الواضح أنّ الحاكم هو القائد الذي يتكفل هداية الناس إلى الله عزّوجلّ. فإذا كان الحاكم والقائد أهل الفسوق والضلال كيف يمكنه أن يهد الناس إلى الله؟!!! فعدم لياقته بمقام الهداية من الواضحات الأوليّة. حيث لا يصدر منه إلاّ القذر ومن يكون كذلك كيف يمكن أن يطهر العين النجسة؟!! فالطهارة والنظافة بحاجة إلى بئر نظيف وماء طاهر ليكون مطهّراً لغيره، قال الله تعالى ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ**﴾ (سورة السجدة:١٨).

مضافاً إلى أنّ المستفاد من القرآن والروايات أنّ الفاسق ليس له أهليّة الولاية والحكومة، على الناس. كما أنّ الرجوع إلى الفاسق من أظهر أنحاء الركون إلى الظالم، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَلا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾ (سورة هود:١١٣)، هذه الآية الكريمة من أبلغُ ما يُتصوّر في النهي عن عقوبة موالاة الظالمين، فتخاطب الآية الكريمة عامّة المسلمين ليؤدّوا وظيفتهم القطعية فتقول: ﴿**وَلا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾، والسبب في ذلك واضح، حيث يقول تعالى: ﴿**فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ**﴾، ومعلوم عندئذ حالكم ﴿**ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾. إذ أنّ الركون هو الاعتماد أو الاستناد إلى الشيء. وعليه إذا كان رؤوس الظلم من البشر هم أساس الفساد على وجه المعمورة، فإنّ أعوانهم وأتباعهم لا يقلّون عنهم سوءً ولا ذمّاً، وإنّما انتشر الظلم في الأرض من خلالهم، وتحقّق القهر والبغي على الناس بقوّتهم وأيّديهم. فمن هو فرعون لولا جنده وأتباعه وأعوانه كمثل هامان وأضرابه. ومن هذا الباب جاء ذكر "الملأ" في القرآن الكريم بصيغة الذمّ والقدح والتوبيخ، نظراً لكونهم أعوان الظلمة وأتباعهم، كما قال تعالى على لسان قوم هود: ﴿**قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ**
➔

لخروجه بذلك عن محلّ البحث، فإنّ بحثنا في الولي الشرعي الذي هو القائم مقام النبيصَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في سياسة الناس بشريعته[1].

ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (سورة الأعراف:٦٦). وقال تعالى على لسان قوم صالح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ...﴾ (سورة الأعراف:٧٥). وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٧). هذه الآية الآخيرة تتحدّث عن ضلالة فئة، وتذكر لهم ثلاث صفات: الصفة الأولى: إنّهم ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. والصفة الثانية: أنّهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، أي: يقطعون ارتباطهم مع الأنبياء، والأولياء، والمؤمنين. والصفة الثالثة: أنّهم يفسدون في الأرض. ومن الواضح أنّ الفاسقين إذا كانت أيديهم مفتوحة لكلّ ما يريدوا أن يفعلوا فلا يهمّهم أن يعثوا في الأرض فساداً، ويرتكبوا كلّ لون من الانحراف. وتؤكّد الآية في الخاتمة أنّ أولئك هم الخاسرون، أي أنّهم بدّلوا نعم الله بالخسران، حيث أنّهم بدّلوا كلّ القوى الماديّة والمعنويّة المودعة لهم إلى المحنة والفتنة الدائمة، ولن ينالوا سعادة الدين والقرب من ربّ العالمين، وذلك هو الخسران المبين.

وملخّص الكلام أنّه كيف يمكن أن يكون للفاسق الولاية على المؤمنين والآيات والروايات تحذر من موالاة الظالمين. فمع وضوح الأمر لا ندري كيف خبط الرجل في المقام وقال بجواز ولاية الفاسق على المؤمن فإنّه ليس إلاّ من دجله وتزويره وتمويهه على الحقائق، ليخدع أهل نحلته ويلبس عليهم الحقّ بالباطل ويكتم الحقّ، ﴿ولكن الله يُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

(١) وتوضيح المقام أنّ البحث هنا في الإمامة والولاية الشريعة التي تقتضي وجوب

➔

الطاعة، وبحسب المعتقدات الإسلاميّة أنّ الإمام له الولاية على الناس بالأدلّة الشرعية من الكتاب والسنّة النبويّة. فلا يكون البحث هنا في الحكومة العرفيّة مع قطع النظر عن الشرع الأقدس. فإنّ ما ذكره ابن تيمية في المقام خلط بين المقامين، ومعناه خروجه عن محلّ البحث، إذ الإمام والحاكم الشرعي هو من له الولاية من الله تبارك وتعالى، وقد قال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٥٧)؛ فصريح الآية الكريمة أنّ الولاية الحقيقيّة هي لله سبحانه وتعالى، ومعناه أنّ الله سبحانه وتعالى يتولّي أمر هداية المؤمنين ليخرجهم من الظلمات إلى النور. وبعبارة أوضح أنّ لكلّ من المؤمن والكافر قائداً وهادياً، فهذه الآية تقول: أنّ الله ولي الذين آمنوا، أي: أنّ الله تبارك وتعالى يهدي إلى الإيمان، والذين آمنوا يسيرون في ظلّ هذه الولاية الإلهيّة، فيخرجهم الله من الظلمات إلى النور. ثمّ أنّ الله تعالى خصّص بعض أوليائه المقرّبين بالولاية كما خصّصها للنبي الأكرمﷺ والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦). هذه الآية المباركة نصّ على أنّ الله تبارك وتعالى جعل الولاية الشرعيّة منحصرة في الله ورسولهﷺ ومن أعطى الزكاة في حال الركوع، وقد أجمعت الأمّة على أن من المقصود بمن أعطى الزكاة في حال الركوع هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومعناه أنّ هداية المؤمنين إلى الحقّ إنّما تكون بولاية الله وولاية رسولهﷺ وولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالب عليه السلام، وكلّ من ثبتت ولايته شرعاً ثبتت إمامته، وكلّ من ثبتت إمامته وجبت طاعته. ثمّ أنّ الله تبارك وتعالى ذكر معنى ولاية الرسول صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب:٦)، فمعنى الولاية أولويّته صلى الله عليه وآله بالمؤمنين من أنفسهم، أي: أنّه صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين في جميع المسائل الحياتيّة والقضائيّة والحكوميّة وغيرها...، وأنّ إرادته ورأيه مقدّمة على إرادة ورأي أيّ مؤمنين على نحو الإطلاق، حيث أنّ إرادته لا تتخلّف عن إرادة الله عزّ وجلّ. فالآية الكريمة ذكرت أولوية النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين بصورة مطلقة، ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمن من نفسه في جميع الصلاحيّات التي يمتلكها المؤمن في حقّ نفسه، وهذا المقام بنصّ الآية ثابت للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أيضاً، لأنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بإجماع المسلمين، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٨٤، وسنن ابن ماجة ج١: ص٤٥، وسنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧، والمستدرك للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٠٩ وغيرها من المصادر). وهذا النصّ الصحيح لدى جميع المسلمين يدلّ على أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كولاية الرسول صلى الله عليه وآله التي استودعها الله تعالى له، وأكّد على جميع المؤمنين وجوب متابعته. وأيضاً أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على استمرار هذه الولاية من بعده في أئمة الهدى من أهل بيته عليهم السلام، وقد دلّت الأحاديث والروايات الكثيرة التي رواها علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله الدالّة على إمامتهم عليهم السلام، ومن أهمّها حديث الثقلين وحديث السفينة وحديث الكساء وغيرها من الأحاديث التي تدلّ على

➔

ومن المعلوم سياسة الفاجر للناس في غير الشريعة[1]؛

➔

ولايتهم الشرعية بعد ولاية الله ورسولهﷺ ومقتضاها وجوب الطاعة والإمامة والخلافة والحكومة والمرجعيّة والزعامة؛ لأنّ من ثبتت ولايته ثبتت إمامته ومن ثبتت إمامته وجبت طاعته ولذلك قال تعالى: ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)؛ فيتّضح من جميع ما تقدم أنّ من تمسّك بولاية أولياء الله يشمله قوله تعالى: ﴿**يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾، أي: من ظلمات الجهل والكفر والفسوق إلى نور الهداية. وبهذه الأدلّة يعرف تزوير ابن تيميّة وخروجه عن محلّ البحث ليدلّس على أهل مذهبه، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ السياسة الشرعيّة عبارة: عن السياسة القائمة على الكتاب وسنّة النبويّةﷺ وسنّه من له الولاية الشرعية من الله سبحانه، وذلك بالنص من الكتاب والسنّة القطعية المتفق عليها بين جميع المسلمين. فقد نصّ تبارك وتعالى على وجوب طاعة من له الولاية الشرعية من الله عزّ وجلّ، بقوله تعالى: ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)؛ هذه الآية تدلّ على أنّ من له الولاية الإلهية تجب طاعته، لأنّ من له الولاية من الله عزّ وجلّ يكون له منصب القيادة والحكومة الشرعية. حيث أنّ مقتضى الولاية الإلهيّة وجوب الطاعة على الإطلاق، ومعنى وجوب الطاعة على الإطلاق الحاكميّة والقيادة الشرعيّة. وهذا المعنى يستفاد من الآية الكريمة، حيث يعرف من قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ...**﴾ الملازمة بين وجوب طاعة الله وطاعة الرسولﷺ، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ (سورة النساء:٨٠). فطاعة الله وطاعة رسولهﷺ واجبتان بنصّ الآية المباركة.
➔

➔
وهكذا الأمر بالنسبة إلى أولى الأمر، فإنّها واجبة أيضاً بمقتضى العطف كوجوب طاعة الرسولصلى الله عليه وآله، والمراد بها طاعة الأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام؛ لأنّ الآية تدّل على ولاية أولى الأمر بالملازمة بين ولاية الله ورسولهصلى الله عليه وآله وطاعتهما تثبت وجوب طاعة أولى الأمر أيضاً، ومن ثبتت طاعته على الإطلاق ثبتت عصمته ومن ثبتت عصمته وجبت إمامته. ثم إنّ المستفاد من الأدّلة المتواترة أنّ الأئمة من بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله اثني عشر . ومن هنا يعلم أنّ الولاية الإلهية أنيطت بمن له الولاية والعصمة. فالولاية الإلهية وقيادة الأمّة الإسلاميّة الماديّة والمعنويّة في جميع حقول الحياة من جانب الله سبحانه تكون لمن له العصمة. فثبت بنصّ الآية أنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومينعليهم السلام لهم الولاية من الله عزّ وجلّ، لكونهم معصومين، ولا تشمل غيرهم، لأنّ عطف أولى الأمر على الرسولصلى الله عليه وآله يدلّ على أنّ أولى الأمر لا بدّ أن يكون معصوماً بمقتضى إطلاق العطف، والمعصوم تجب طاعته ومن تجب طاعته بالنصّ فله القيادة الشرعية. فكما أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان له القيادة والمرجعيّة الشرعيّة، لوجوب طاعته كذلك أولى الأمر تجب طاعتهم بنصّ الآية المباركة. فالسياسة الشرعيّة التي هي تطبيق القوانين الإلهية الكلّيّة على الموضوعات الجزئيّة وإجراء الأحكام الإسلاميّة إنّما تكون بيد القائد الشرعي الذي جعل الله تبارك وتعالى له الولاية الشرعية، ومن جعل الله له الولاية الشرعية فقد جعله حاكماً على الناس؛ لأنّ الوحيد الذي يقوم بين الناس بالقسط والعدل هو من له الولاية والحاكمية من الله عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ**﴾ (سورة النساء:٥٨). هذه الآية تبين أنّ مسألة العدالة في الحكومة، من أهمّ المسائل الشرعيّة عند الشارع الأقدس، فيقول تعالى: وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل، أي:
➔

➔

إنّ الله يلزم أوليائه بإجراء العدالة في القضاء والحكم بين الناس. وعليه الفاسق المرتكب للكبائر فلا يجوز له تصدّي هذا الأمر، لأنّ الفاسق ظالم، وقد قال الله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٢٤). والمقصود من الظلم في التعبير القرآني "لا ينال عهدي الظالمين" لا يقتصر على ظلم الآخرين، بل المقصود منه الظلم على إطلاقه هو الظلم في المقابل العدل. فالظالم على نحو الإطلاق غير مناسب لمقام الإمامة والقيادة، لأنّ معنى الظلم وضع الشخص أو العمل أو الشيء في غير مكانه المناسب، ولمّا كانت منزلة الإمامة والقيادة الإلهيّة منزلة ذات مسؤوليات جسيمة هائلة عظيمة، فإنّ لحظة من الذنب والمعصية خلال العمر تسبّب سلب لياقة هذه المنزلة عن الشخص لذلك نرى أئمة أهل البيتعليهم السلام كانوا يثبتون إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، بعد النبيصلى الله عليه وآله مباشرةً بهذه الآية المباركة، مشيرين إلى أنّ الآخرين قد عبدوا الأصنام في الجاهليّة، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لن يسجد لصنم. وأي ظلم أكبر من عبادة الأصنام؟! وقد قال الله تعالى عن لسان لقمان لابنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة لقمان:١٣). وفي حديث قد روى هشام بن سالم عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «قد كان إبراهيم نبيّاً وليس بإمام، حتّى قال الله: إنّي جاعلك للناس إماماً، قال: ومن ذريّتي، فقال الله: لا ينال عهدي الظالمين، من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً» (انظر الكافي ج١: ص١٧٥). وفي حديث آخر عن عبد الله بن مسعود عن النبيصلى الله عليه وآله: «إن الله قال لإبراهيمعليه السلام: لا أعطيك عهداً للظالم من ذريّتك، قال: يا ربّ ومن الظالم من ولدي الذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصلح أن يكون إماماً» (انظر الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٧٩). ومن خلال هذه

➔

فإنّ الفاجر هو الظالم العاصي لله[1]، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ

➔

النصوص والروايات قد اتّضح أن السياسة الشرعية تكون جارية بيد القائد والحاكم الشرعي، وأيضاً ثبت بالنصّ أنّ الحاكم الشرعي يجب أن يكون معصوماً، وبإجماع المركب ليس هناك معصوم بين القادة والخلفاء إلاّ أئمة الاثني من أهل البيت عليهم السلام، فما ذكره ابن تيميّة من أنّ السياسة جارية بيد غير المعصوم باطل بالأدلّة والنصوص القطعية من الكتاب والسنّة، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الفسق والفجور بمعنى العصيان والخروج من طاعة الله بكبيرة، والفرق بينهما، أنّ الفِسْق: هو إظهار العصيان بالخروج من طاعة الله، والفُجُور: مضافاً إلى إظهار العصيان الانبعاث في المعاصي والتوسّع فيها بالاستهانه بالتعاليم الدينية. وبعبارة أخرى: أنّ الفاسق بفعله يقصد المعصية والفاجر مضافاً إلى قصد المعصية يقصد هتك الدين. فالفجورمن مادة فَجَرَ، وتعني الشقّ الواسع، وحيث أنّ الذنوب والمعاصي بقصد هتك الدين كأنّما تشقّ الحجب الدينيّة، لذلك سمّيت بالفجور، كما أنّ بياض الصبح سمّي بالفجر؛ لأنّه يشقّ ستار ظلام الليل. فالعاصي أعمّ من الفاسق والفاسق أعمّ من الفاجر، فكلّ فاجر فاسق، وكلّ فاسق عاص، وليس كلّ عاص فاسقاً، ولا كلّ فاسق يكون فاجراً. فالفجور فيه زيادة التمادي في المعصية، والاستهانه بالتعاليم الدينيّة، وهو من الأسباب والعوامل والطرق المؤدّية إلى انحراف الدين وشرع الإلهي. وعليه لو كان الحاكم فاجراً فإنّه يهيّأ الفرصة لانحراف الدين وتضليل الآخرين، إذ لو سمح له أنّ يمدّ أفكاره وأهدافه الهدامة بأعماله الشنيعة فيطمس معالم الدين ويمحق أحكامه. وعلى سبيل المثال نذكر هنا ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني في باب فسق وفجور يزيد ابن معاوية، قال: كان يزيد بن معاوية أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء،

➔

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾(١)،

➔
وآوى المغنّين وأظهر الفتك، وشرب الخمر. وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه، والأخطل الشاعر النصراني. وكان يأتيه من المغنّين سائب خاثر فيُقيم عنده فيخلع عليه (انظر الأغاني ج١٧: ص٣٠١). وهنا يتوجّه هذا السؤال إلى علماء أهل السنّة، وهو أنّه من أين جاء يزيد وكيف صار يزيد حاكماً وخليفة على المسلمين؟!!! فيلزم على كل باحث الجواب عن هذا السؤال، ولو أراد الباحث أن يتأمّل في هذا الموضوع لا بأس أن يلاحظ ما رواه كبار علماء أهل السنّة، فقد روى ابن عبد البر بسنده عن حذيفة أنّه قال لعمر: إنّك لتستعمل الرجل الفاجر، فقال: أستعمله لأستعين بقوّته، ثُمّ أكونُ على قفاه أيْ على تتبُّع أمره (انظر الاستذكار لابن عبد البر ج٣: ص٢٠٢)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٢: ص١٢٦. وروى ابن عقيل في النصائح الكافية عن عمر ابن الخطّاب أنّه قال: غلبتي أهل الكوفة أستعمل عليهم المؤمن فيضعف وأستعمل عليهم الفاجر فيفجر (انظر النصائح الكافية: ص٢١٠). فالأدلّة والنصوص تدّل بوضوح على أنّ يزيد تسلّط على القدرة بامتداء خلفاء السقيفة، ففي الواقع أنّ السقيفة سلّط يزيد الفاسق والفاجر على الناس فلاحظ.

(١) سورة الطلاق:١، هذه الآية الكريمة تُبيّن حقيقة المعصية، ألا وهي التعدّي عن حدود الله والتخطّي عن قوانينه. وحيث أنّ كلّ معصية ظلم بنص قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾، فعليه أنّ الظلم عبارة عن التعدّي عن حدود الله كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٢٩). ومؤدّى الآيتين الكريمتين أنّ المتعدّي لحدود الله مطلقاً يكون ظالماً، أي سواء
➔

وقد نفي سبحانه إمامة الخلق التي هي عهده في مخاطبة ابراهيم عليه السلام عن الظالمين(١).

➔

كان التعدّي عن عمد أم سهو؛ لأنّ التعدّى من حدود الله تعالى إذا كان عمداً فواضح، وإذا كان سهواً فهو ظالم لنفسه، إلاّ أنّه معذور بالنسبة إلى العقوبة التي استحقّها المرتكب للظلم، فترتفع عنه العقوبة. وأمّا قبح الظلم باق على حاله حتّى وإن كان معذوراً، لأنّ العقل مستقلّ في الحكم بقبح الظلم، فيكون قبحه ذاتياً. وبه يظهر أنّ الإمام يجب أن لا يكون مخطئاً أصلاً، حتّى سهواً ونسياناً، لأنّ السهو والنسيان مرفوعان عن الأشخاص العاديين، أمّا بالنسبة إلى الإمام فلا يرتفع بهما عنه قبح المعاصي، فيكون ظالماً في ذلك المصداق بالذات، فيشمله أنّه من الظالمين. وبنصّ القرآن أنّ عهد الإمامة لا ينال الظالمين على إطلاقه. فيجب أن يكون الإمام معصوماً على الإطلاق، وفي جميع الحالات. فالعصمة شرط ركن أساسي في الإمامة الإلهيّة، والقيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا الشرط بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتحقّق إلاّ في الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بالنصّ من الكتاب والسنّة، وبالإجماع المركب كما سيتبيّن ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة البقرة:١٢٤). هذه الآية المباركة وما بعدها تتحدّث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام محطم الأصنام، فتقول: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾، فتُشير الآية في هذه الفقرة إلى الاختبارات المتتالية التي اجتازها إبراهيم عليه السلام بنجاح، وتبيّن من خلالها مكانة إبراهيم عليه السلام وعظمته وصفاته البارزة في العصمة والنبوة. ➔

➔

وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح استحقّ أن يمنحه الله الوسام الكبير، وهو الولاية والإمامة، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامـاً**...﴾. وبعد أن أعطاه الله مقام الإمامة تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يستمرّ هذا الخط الإمامة من بعده، وأن لا يبقى محصوراً بشخصه. فيقول تعالى عن لسان ابراهيم عليه السلام: ﴿**قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي**...﴾، لكن الله أجابه: ﴿**قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّلمِينَ**﴾ غير أنّه استجيب طلب إبراهيم عليه السلام في استمرار خطّ الإمامة في ذريّته، لكن هذا المقام لا يناله إلاّ الطاهرون والمعصومون من ذريّته لا غيرهم. ولا بدّ لنا من الدراسة في الآية الكريمة بشأن إبراهيم عليه السلام، وما أدّاه هذا النّبي العظيم من أعمال جسيمة واستحقّ بذلك ثناء الله، فأولاً: لا بدّ لنا أن نفهم المقصود بالكلمات في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**...﴾. فإنّ المستفاد من الآيات والروايات المقصود بالكلمات هو مجموعة المسؤوليات والمهام الثقيلة الصعبة التي وضعها الله على عاتق إبراهيم عليه السلام فحملها وأحسن حملها، وأدّى ما عليه خير أداء، وهي عبارة عن أخذ ولده إلى المذبح والاستعداد التامّ لذبحه، إطاعة لأمر الله سبحانه. وإسكان زوجته وولده في واد غير ذي زرع بمكّة المكرمة، حيث لم يسكن فيه إلاّ المعدود من الناس الذين لا يمكنهم المغادرة منها. وكذلك نهوض إبراهيم عليه السلام بوجه عَبَدة الأصنام وتحطيم الأصنام، والوقوف ببطولة في تلك المحاكمة التاريخية، ثمّ إلقاؤه في وسط النيران، وثباته ورباطة جأشه في كلّ هذه المراحل، والهجرة من أرض عبدة الأصنام والابتعاد عن الوطن، والاتّجاه نحو أصقاع نائية لأداء رسالته... وأمثالها. فكلّ واحد من هذه الاختبارات يكون ثقيلاً وصعباً حقّاً، لكنّه بقوّة إيمانه نجح فيها جميعاً، وأثبت لياقته لمقام الإمامة. فقوله تعالى: ﴿**إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾، أي جعلناك مقتدى ليقتدى بك الناس، ويتبعونك في

➔

←

أقوالك وأفعالك ، فقد أسنَدَ الله تعالى جعل الأئمة والخليفة ونصبهم في هذه الآيات إلى ذاته المقدّسة، ولم يُعطِ صلاحيّة شيء من ذلك إلى غيره مطلقاً. فكما أنّه ليس للناس ولا لأحادهم أن يَختاروا نبيّاً لأنفسهم كذلك ليس لهم ولا من حقّهم إطلاقاً أن يختاروا لأنفسهم إماماً، فالإمام هو الذي يقتدي ويأتمّ به الناس.

والذي نجده في كلامه تعالى: إنّه كلّما تعرض لمعنى الإمامة تعرض معها الهداية، كما قال تعالى في قصص إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٢-٧٣). وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة:٢٤)، فالتوصيف بالهداية في تعريف الإمامة، ثمّ تقييدها بالأمر، معناه أنّ الإمامة ليست مطلق الهداية، أي: ليس كلّ من يتّصف بصفة هداية الناس أنّه إمام، بل الهداية التي تقع بأمر الله عزّ وجلّ. وبالجملة أنّ الآية تبيّن هذه الحقيقة بشكل واضح وهي أنّ الإمام يجب أن يكون إنساناً يهدي الناس بأمر الله. فقوله تعالى: يهدون بأمرنا، يدلّ على هذا المعنى دلالة واضحة. ويدلّ أيضاً على أنّ الإمام المهيمن على سبيل السعادة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ (سورة الإسراء:٧١)، ومعناه أن الذين اعتقدوا بقيادة الأنبياء وأوصيائهم ومن ينوب عنهم في كلّ زمان وعصر، سوف يكونون مع قادتهم ويحشرون معهم، أما الّذين انتخبوا الشيطان وأئمة الضلال والظالمين والمستكبرين قادة لهم، فإنّهم سيكونون معهم ويحشرون معهم.

فالآية الشريفة أبطلت إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وبيّنت إنّما الإمامة تكون بالصفوة والطهارة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً

←

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً﴾[(١)]،

➔

جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٢-٧٤). فلم تزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّى ورثها النبي الأكرمﷺ، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران:٦٩)، فكانت الولاية والقيادة له خاصّة، ثمّ قلّدها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرضها الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ (سورة الروم:٥٦).

وملخّص الكلام أنّ حقيقة الإمامة بعد النبيﷺ هي التي عبّر عنها الإمام الرضا عليه السلام: «هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة، فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وأشار بها ذكره، فقال: إنّي جاعلك للناس إماماً» (الكافي ج١: ص١٩٩).

(١) سورة هود:١٨، لقد عدّ الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أشدّ مراتب الظلم التي لا يرتاب العقل العادي في شناعتها وفظاعتها، لمن افترى على الله الكذب. ولذا أوردها في سياق السؤال الاستنكاري فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ

➔

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

➔

عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فالاستفهام فيها إنكاري، أي: لا أحد أظلم وأشدّ إجراماً من المفترى على الله الكذب، لأنّ الظلم يعظم بعظمة من يتعلّق به، وإذا اختصّ بجانب الله كان أشدّ ظلماً.

وتوضيح المقام: أنّ الظلم من أشنع الذنوب، بل ببيان أدق عليه السلام أنّ سائر الذنوب إنّما هي شنيعة مذمومة بمقدار ما فيها من الظلم، فكلّما كان الظلم في الذنوب أشدّ فهو دليل على أنّ الذنب أعظم إثماً. وفي بعض الأحاديث أشدّ أنواع الظلم إلى الإنسان ظلم من لا يجد ناصراً إلاّ الله. وفي الحديث القدسي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يقول الله عزّ وجلّ: اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري» (انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٢: ص٣١١، والمعجم الصغير للطبراني ج١: ص٣١). وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لما حضر الإمام علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله» (انظرجامع السعادات للمحقّق النراقي ج٢: ص٢٩٣). ولا أعزّ قدراً وأكرم ساحة من الله سبحانه ولا من آياته. فالآية الشريفة تدلّ على أنّ من أظلم هذه الساحة المنزّهة أو ما ينتسب إليه بوجه، وافترى على الله كذباً بأن كذب بآياته كتكذيب النبي صلى الله عليه وآله أو إنكار الإمامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله كلّها داخلة في مسألة الافتراء على الله سبحانه فهو ظالم بظلم ليس أعظم منه ظلماً في العالم، فلاحظ.

(١) سورة المائدة:٤٥، هذه الآية والآيات المترادفة لها، فيها صراحة على التهديد والوعيد وسوء العاقبة والعذاب الخالد لمن لم يحكم وفق ما أنزل الله، فوصفهم الله

➔

➔

بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وفي موضع آخر وصفهم بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٧)، وفي موضع آخر وصفهم بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٤). ولعلّ هذا التنوع في إطلاق الصفات المختلفة إنّما هو لبيان أنّ لكلّ جانب من الجوانب ثلاثة حكم خاص، أحدها: ينتهي بالمشرع الذي هو الله سبحانه، والثاني: يمسّ المنفذين للحكم وهم الحكّام أو القضاة، والثالث: يرتبط بالفرد أو الأفراد المكلّفين الذين ينطبق عليهم الحكم. فكلّ صفة من الصفات الثلاثة المذكورة تكون إشارة إلى واحد من الجوانب الثلاثة، لأنّ الذي لا يحكم بما أنزل الله قد يكون أنّه تجاوز القانون الإلهي، ومن تجاوز القانون الإلهي فقد كفر. ومن جانب آخر قد يكون مرتكباً للظلم والجور بابتعاده عن حكم الله على انسان برئ مظلوم، كما هو محلّ شاهدنا، فيكون من الظالمين. ومن جانب آخر قد يكون خرج عن حدود واجباته ومسؤوليّته التكليفية الشخصية، فيصبح بذلك من الفاسقين؛ لأنّ الفسق بمعنى الخروج عن حدود العبوديّة والواجب. وعلى كلّ تقدير فإنّ الله تبارك وتعالى قد نهى عن الحكم بغير ما أنزل الله. وفي مكان آخر بيّن حقيقة من يحكم بغير ما أنزل الله، فيبيّن سبحانه وتعالى أنّه في الحقيقة يتحاكم إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيداً﴾ (سورة النساء:٦٠). فأكّد سبحانه وتعالى على أنّ من حكم بغير ما أنزل الله قد يصل إلى مرحلة أنّه يختار التحاكم إلى الطاغوت والشيطان. أي: أنّ نتيجة الحكم بغير ما أنزل الله الدخول في حكومة الطاغوت. ولذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

➔

وقد عرفت ممّا سبق سياسة الثلاثة[1]،

➔

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). فالآية الكريمة تصف أولياء الكفّار، بأنّهم الطاغوت والشيطان. ومن هنا يعرف أنّ الحاكم الجائر هو يسوق الناس من النور إلى الظلمات كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، ولهذا السبب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. فهذا هو حقيقة من لم يحكم بما أنزل الله فلاحظ.

(١) لقد انقطع أهل السنّة إلى الخلفاء الثلاثة الذين غصبوا الخلافة من آل محمّد عليهم السلام وأنكروا إمامتهم جهاراً وتقمّصوا هذا الرداء غصباً، وابتلوا الدين بكلّ بلية وآفة ولم يكتفوا بذلك حتّى قدموا الطلقاء وأشدّ أعداء الإسلام للحكومة والتسلط عللى رقاب الناس. فأحدثوا في الدين ما أحدثوا من البدع والتحريفات والمخازي الشنيعة والمنكرات مما لا تعدّ ولا تحصى، فشملهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ (سورة القصص:٤١). فالجعل في الآية بمعنى: الجعل التكويني في أصل الخلقة، لا بما يلزم منه الجبر، بل ذلك بما علمه الله في سابق علمه من صفات أئمّة الضلال ودعوتهم النار وظلمهم وجبروتهم وعنادهم للدين. وكلّ ذلك ثابت وله واقع لا شكّ ولا مرية فيه. وهذه سنّة الله، حيث جعل لكلّ ولي من أوليائه عدوّاً من الشياطين كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة الأنعام:١١٢). فالجعل هنا بمعنى علمه بما

➔

ومن تخلّف بعدهم وتأمّر على الناس بغير ما وردت به الشريعة[١].

➔

يختار الناس من أئمة الضلال، الذين وقفوا بوجوه الأنبياء والأولياء، فتشير الآية إلى هذه السنّة الإلهيّة وتخاطب الرسول صلى الله عليه وآله: يا أيّها الرسول كما ابتليناك بأعدائك من المشركين والمنافقين ابتلينا جميع الأنبياء عليهم السلام بأعداء من المعاندين اللجوجين المتعصّبين الذين هم من شياطين الإنس والجنّ. والشيطان يريد أن يضلّ الإنسان فيُلقي إغوائاته الباطلة، ليغترّ بها الناس، فيضلّهم عن سبيل الله. طبعاً هناك من الشياطين من هو من الإنس. ففي حديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الأئمّة في كتاب الله عزّ وجلّ إمامان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَجَعَلنَاهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنَا**﴾، لا بأمر الناس، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم. قال: ﴿**وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ**﴾، يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّ وجلّ» (الكافي ج١: ص٢١٦). وفي رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى أصحابه، جاء فيها: «فقد كُذّب نبيّ الله والرسل من قبله وأُوذوا مع التكذيب بالحقّ، فإن سرّكم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل – أصل الخلق – من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين سمّاهم الله في كتابه في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ**﴾ فتدبّروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه...» (الكافي ج٨: ص٥). فيظهر من ذلك سياسة الخلفاء الثلاثة ويتّضح من خلال الآية الكريمة كيفيّة حكم هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ**﴾، فانتخاب أهل السنّة الخلفاء معناه انتخاب أئمة الضلال الذين سمّاهم الله في القرآن الكريم بأئمّة يدعون إلى النار، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ سياسة الخلفاء والملوك التابعين لمؤامرة السقيفة كانت مبنيّة

➔

➔

على مخالفة الإسلام، والخروج عن أوامرالله ورسولهﷺ، والتلاعب في التعاليم الدينيّة، وعدم تطبيق القوانين الاسلامية في دولتهم. إذ أنّ المستندات والوثائق التاريخة دالّة على أنّهم كانوا يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر، كالمنافقين في عهد رسول اللهﷺ الذين اشتركوا في غزوات الرسولﷺ ضدّ المشركين، ولكن الغاية منهم كانت القضاء على الإسلام ورسول اللهﷺ، والرجوع إلى الجاهلية وعبادة الأصنام والأوثان. فهذا أبو ذر يخاطب معاوية والي الشام، يوم نفاه إليها عثمان ليحقره ويزجره ويؤذيه، حيث قال له: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله؛ فأجابه أبو ذر: ما أنا بعدوّ لله ولا لرسولهﷺ، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسولهﷺ، حيث أنتما أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول اللهﷺ، ودعا عليك مرّات، ألاّ تشبع، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إذا ولّى الأمّة الأعين الواسع البلعوم، الذي يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأمّة حذرها منه». فقال معاوية: ما أنا ذاك، قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول اللهﷺ، وسمعته يقول وقد مررت به «اللّهم العنه ولا تشبعه إلاّ بالتراب»، وسمعتهﷺ يقول: «است معاوية في النار». فضحك معاوية وأمر بحبسه وكتب إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره. فوجّه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٨: ص٢٥٨). وحقّاً فقد كان أبو سفيان وابنيه يزيد ومعاوية ملعونين على لسان رسول اللهﷺ يوم وجدهم رسول اللهﷺ وأبو سفيان راكباً واحد ابنيه يقود والثاني يسوق فقال: «اللّهم العن الراكب والقائد والسائق» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢٨٩). وقد أشار إليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان قوله: «يا بن صخر، يا ابن اللعين..» (انظر شرح نهج

➔

➔

البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص١٣٦). وفي رسالة أخرى من الإمام عليه السلام إلى معاوية، قال: «فلقد سلكت طرائق أبيّ سفيان أبيك وعتبة جدك، وأمثالهما من أهلك ذوي الكفر والشقاق والأباطيل...» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨: ص٢٣). وأخرج ابن عساكر بسنده عن أنس قال: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمى، فقال: هل هنا أحد؟ (يريد أحد من غير بني أميّة). فقالوا: لا (وكان في المجلس ممّن يخشى حضوره ولا يليق أن يقال غير لا) فقال: اللّهم اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غاصبيّة، واجعل أوتاد الأرض لبني أميّة (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٣: ص٤٧١). وجاء في الاستيعاب: عن طريق ابن المبارك عن الحسن: أن أبا سفيان حينما صارت الخلافة لعثمان دخل عليه، وقال: صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة أو نار (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص٦٩٠). وقد أيّد عثمان رأي أبي سفيان عملاً، فأظهر ما أبطنه وحقّق أماني أبي سفيان، كما حقّقها قبله أبوبكر وعمر حينما جعل الأول يزيد بن أبي سفيان ولياً في الشام وأعقبه بمعاوية وهيئا بذلك خلافة بني أميّة. وقد ثبت في التاريخ كما سنوضّحه في محلّه أنّ عمر ابن الخطاب لم يقم الشورى إلاّ تثبيتاً لملك بني أميّة وتضعيفاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك حينما قرن إليه أعضاء الشورى وهم أبعد كلّ البعد ليكونوا أصولاً وأوتاداً دون المسلمين كما ظهرت هذه الحقيقة في امتصاصهم بيت مال المسلمين. فقد ذكر المسعودي قول أبي سفيان في محضر عثمان، أنّ أبا سفيان لا زال كافراً لا يؤمن بالمعاد (انظر مروج الذهب ج١: ص٤٤٠). أخرج الطبري في تاريخه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال في تعريفه عن معاوية: طليق ابن طليق حزب من هذه الأحزاب لم يزل الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله

➔

وقد عرفت صرفهم للصدقات في الوجه السابق فيما خالف دين الله بسياستهم الناس بالمبتدعات والمناكير[(١)]،

➔

وللمسلمين عدوّاً، هو وأبوه حتّى دخلا في الإسلام كارهين (تاريخ الطبري ج٤: ص٤). ورغم جميع الوصايا التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعترته الطاهرة عليهم السلام، فقد أظهروا وأبرز أشد عدائهم للعترته الطاهرة عليهم السلام، فكانت جميع سلوكهم من أعمالهم وأقوالهم على خلاف نصوص الكتاب وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقربوا ألد أعداء الإسلام للسلطة، وأبعدوا عنها أقرب أحبّائه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته المقرّبين. ثمّ مهّدوا لما بعدهم الخلافة في الطلقاء ومن يبطن الحقد لدين الاسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله، ولم يألو جهداً من تمزيق هذا الدين والضرب على أيدي مؤيّدية له. كما مهّدوا للمرتزقة منهم الدسّ والكذب في الأحاديث والروايات غير آبين عمّا يحط من كرامة نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وأوتاده من أئمة المسلمين عليهم السلام والصحابة المخلصين. وقد أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف وقتلوا وفتكوا وشرّدوا من لم يواليهم ومن لم يشيد ملكهم. فالبذرة التي بذرها أبو بكر بعد غصبه للخلافة وتقريبه أعداء الله ونبيّ الإسلام وذويه، فقد وضع حجر الإساس لهذا الطريق الباطل. وبذلك سدّ أمام المخلصين حتى أينعت وأتت أكلها في زمن عثمان، ومن بعده أخذها حكام بني أميّة وبني العبّاس بالجور والعنف، ثمّ من بعدهم ألد خصوم الإسلام، وأعدائهم الذين لم يألوا جهداً من تحطيم هذا الدين حنيف حتّى شهد بذلك أقوالهم وأعمالهم وأفعالهم التي سجلها التاريخ والمحدّثون كما سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لقد تقدّم ذكر بعض المناكير التي فعلها الخلفاء الثلاثة، لاسيّما البدع التي أحدثوها

➔

➔
في الإسلام، ومخالفتهم للشريعة المقدّسة في أموال المسلمين. وهذه الحقيقة تتضح للباحثين من خلال الرجوع إلى كتب التاريخ والسيرة، إذ هناك نصوص وروايات صريحة تدلّ على المقام. وحيث أنّها كثيرة لا مجال لاستقصائها في هذه العجالة. ولا بدّ لنا من عرض اليسير من بعض تلك نصوص تنويراً للأذهان السليمة الخالية عن الشوائب والأوهام. وإليك بعض ما ورد في كتبهم: فمنها ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج البلاغة، قال: لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال: يا بن عفّان، لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجه عنّي يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلاّ ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٦). روى البلاذري في أنساب الأشراف، وقال أبو مخنف والواقدي في روايتيهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم. وكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إنّ له قرابة ورَحماً، قالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك، فقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله (انساب الأشراف ج٥: ص٥١٥). وقال الشيباني: أوّل من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفّان (انظر العقد الفريد ج٢: ص٣٦٥). وروى الطبري عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن كعب قال: لمّا وجّه عثمان عبد الله بن سعد إلى أفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق أفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث
➔

←

ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله ابن سعد، إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال لا أدري (تاريخ الطبري ج٣: ص٣١٤). وقال ابن الأثير في الكامل: وحمل خمس أفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس أفريقيّة، فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس أفريقية عبد الله ابن سعد. وبعضهم يقول: أعطاه مروان الحكم، وظهر بهذا إنه أعطى جميع أفريقية (الكامل في التاريخ ج٣: ص٩١). وروى ابن عساكر لمّا وليهم عثمان لأنّ لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر وفي نسخة أخرى بخمس أفريقية وأعطى أقرباءه المال وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتّخذ المال واستسلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلّ (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٩: ص٢٥١). وأخرج البلاذري في الأنساب من طريق الواقدي عن أمّ بكر بنت المسور قالت: لمّا بني مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور فيمن دعا، فقال: مروان وهو يحدّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا أفريقيّة، وإنّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلاً، فأعطاك ابن عفّان خمس أفريقيّة وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متق (انساب الأشراف ج٥: ص٥١٥). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمر (عثمان) لمروان بمائة ألف من بيت المال وقد

←

فأوّل من سنّ هذه السنّة إمام السقيفة بتجهيزه بها جيشاً لمحاربة مالك ابن

➔

زوّجه ابنته أمّ أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي؟ قال: لا. ولكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقت في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنّا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمها كلّها في بني أميّة! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٩) وقال الحلبي في سيرته: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية، وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وأنّه جاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وأنّه أنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وأنّه حمى لنفسه دون إبل الصدقة وأنه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربدة، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية، وضرب عمار ابن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن ابن عوف: إنّك منافق وإنّه أقطع أكثر أراضي بيت المال وأن لا يشترى أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة في البحر إلاّ في تجارته، وأنّه أحرق الصحف التي فيها القرآن وأنّه أتمّ الصلاة بمنى ولم يقصرها لمّا حجّ بالناس، وأنّه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد أجاب عن ذلك كلّه في الصواعق فراجعه (السيرة الحلبية ج٢: ص٢٧٣). وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص التي رواها علماء أهل السنّة في مخالفة خلفائهم للشريعة المقدّسة، من نهب أموال المسلمين من بيت المال وغيره وهي صريحة صراحةً قاطعة فلاحظ.

نويرة وقومه[(١)]،

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض مطاعن أبي بكر التي لا يجد الباحث عنها جواباً بعد الإلمام بمجمل الواقعة، وهي من المسلمات التاريخية. وإليك قصة التي نقلها علماء أهل السنّة في كتبهم: فقد روى المؤرّخون والمحدّثون من علماء أهل السنّة أنّ أبا بكر أرسل جيشه إلى قبيلة مالك بن نويوة وإنّهم قتلوا مالك بن نويرة غدراً وفعلوا من الإجرام ما سودت به وجه التاريخ: مع أنّه روى ابن حجر أنّ مالكاً كان فارساً شجاعاً مطاعاً في قومه وفيه خيلاء، كان يقال له الجفول، قدم على النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأسلم فولاه صدقة قومه ثقةً به... (انظر الإصابة ج٢: ص٢١٨). فكان مالكاً من المسلمين حقّاً وكان عاملاً لرسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ على صدقات قومه، وبقي مسلماً حتّى آخر لحظة من حياته. وكان رجلاً سريّاً نبيلاً يردف الملوك وهو الذي يضرب به المثل فيقال: مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصدّاء وفتىً ولا كمالك، وكان فارساً، شاعراً، مطاعاً في قومه، وكان ذا لمة كبيرة (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥: ص٦٦، والإصابة لابن حجر ج٢: ص٢١٨). وقال ابن الأثير: أنّه (مالك بن نويرة) لم تظهر عنه ردّة، وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحد كان مالك قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع، فلمّا قدم خالد البطاح بث سراياه فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه، فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنّهم أذنّوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فقتلوهم فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد امرأته فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً وقدم خالد على أبي بكر، فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرأ مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، لأرجمنّك، وقيل: إنّ ←

➔

المسلمين لمّا غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح، فقالوا: نحن المسلمون، فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون، فقالوا لهم: ضعوا السلاح وصلّوا، وكان خالد يعتذّر في قتله أنّ مالكاً قال ما أخال صاحبكم إلاّ قال كذا، فقال: أوما تعده لك صاحباً فقتله، فقدم متمم على أبي بكر يطلب بدم أخيه وأن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برد السبي، وودى مالكاً من بيت المال (الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٥٨). فهذا جميع ما ذكره الطبري في تاريخه ج٢: ص٥٠٢ وغيره من المؤرّخين والمحدّثين. ويدلّ على أنّ دعوى المدافعين خلافة السقيفة، بأنّه وأصحابه ارتدّوا عن الإسلام غير صحيح؛ حيث أنّ من له أدنى اطّلاع على كتب التاريخ يعلم علم اليقين أنّ مانعي الزكاة لم يرتدّوا عن الإسلام، كيف وقد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلّوا بفنائهم(انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٢). ثم إنّ أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله(انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٥٨). والمرتدّ لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال ولم يقل أحد أن مانعي الزكاة ارتدّوا عن الإسلام إلاّ في زمن متأخّر عندما أصبحت هذه القضية من مطاعن أبي بكر، فأهل السنّة حاولوا جهدهم وبدون جدوى أن يبرّروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا بُدّاً من نسبة الارتداد إليهم؛ لأنّهم عرفوا أنّ النصوص صريحة في الدلالة على أنّ قتال المسلم كفر (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٨ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر). وحتّى أن البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر في قصّة مالك بن نويرة، جعل له باباً بعنوان: من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردّة!! وهذا وحده يكفي للاحتجاج على أهل السنّة، حيث أنّ البخاري مع ما كان فيه من التعصب الشديد لم ينسب الردة إلى مالك صراحةً، بل قال: وما نسبوا إلى الردّة، فهو دليل

🡠

➔

على أنّ البخاري نفسه كان لا يعتقد بردّتهم (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٥٠ كتاب استتابة المرتدّين). وقد حاول البعض الآخر تأويل الحديث كما تأوّله أبو بكر بأن الزكاة هي حقّ المال، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من قوله: والله لأقتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٥٠ كتاب استتابة المرتدّين). وهو تأويل في غير محلّه أيضاً؛ لأنّه، أولاً: أنّ رسول اللهﷺ حرّم قتل من قال لا إله إلا الله فقطّ (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١٠٩ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). وثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال، فغاية الأمر يبيح ماله، وفي هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوّة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. وثالثاً: لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول اللهﷺ ثعلبة الأنصاري الذي امتنع عن أداء الزكاة، وقصّته معروفة لا داعي لذكرها (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص١٣٨). ورابعاً: إليك ما أثبته الصحاح في حرمة من قال لا إله إلاّ الله وسأقتصر على ما رواه البخاري ومسلم وعلى بعض الأحاديث روماً للاختصار. أوّلاً : فقد أخرج أرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنّة بما فيهم البخاري ومسلم عن المقداد بن الأسود أنّه قال لرسول اللهﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفّار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها؟ ثمّ لاذ منّي بشجرة، فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول اللهﷺ: «لا تقتله» فقال: يا رسول الله إنّه قطع إحدى يدي، ثمّ قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول اللهﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنّه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩ كتاب المغازي، باب غزوة بدر، وصحيح مسلم ج١: ص٦٧ كتاب الإيمان، تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلاّ الله). وهذا الحديث يفيد بأن الكافر الذي قال: لا إله إلاّ الله ولو بعد اعتدائه

➔

➔

على مسلم بقطع يده فإنّه يحرم قتله. وليس في الرواية إقرار واعتراف برسالة النبي محمدﷺ ولا إقامة الصلاة ولا صوم رمضان ولا حجّ البيت، فأين تذهبون وماذا تتأوّلون؟

ثانياً: أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول اللهﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غشيناه، قال: لا إله إلاّ الله، فكفّ الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتّى قتلته، فلمّا قدمنا، بلغ النبيﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قلت: كان متعوّذاً، فما زال يكرّرها حتّى تمنّيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٨ كتاب المغازي، باب باب بعث النبيﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة). وهذا الحديث ايضا يفيد بأنّ من قال "لا إله إلاّ الله" يحرم قتله ولذلك ترى رسول اللهﷺ يشدّد النكير على أسامة حتّى يتمنّى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم ليشمله حديث الإسلام يجب ما قبله ويطمع في مغفرة الله له ذلك الذنب الكبير.

ثالثاً: أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي ذر الغفاري، قال: أتيت النبيﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: ما من عبد قال "لا إله إلاّ الله" ثم مات على ذلك إلا دخل الجنّة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر. وكان أبو ذر إذا حدّث بهذا الحديث قال: وإن رغم أنف أبي ذر (صحيح البخاري ج٧: ص٤٥ كتاب اللباس، باب الثياب البيض). وهذا الحديث يثبت دخول الجنّة لمن قال "لا إله إلاّ الله"، ومات على ذلك، فلا يجوز قتلهم فلماذا قتل أبو بكر مالك بن نويرة؟!! ولماذا

➔

➔

يتأول أهل السنة فعل أبي بكر هذه الحقائق الثابتة؟!!

وبالتأكيد أن أبا بكر وعمر كانا يعرفان كلّ هذه الأحكام، ولكنّهما من أجل حطام الدنيا وحرامها وغصب الخلافة قد غيّروا جلّ أحكام الله على علم وبيّنة. وهل من سائل يسأل أبا بكر في أي آية وجدت قتال المسلمين الذين يمنعون الزكاة وسبي نسائهم وذراريهم؟ فكتاب الله الذي بيننا وبين أبي بكر يقول في حق مانعي الزكاة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ * فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَا أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (سورة التوبة: ٧٥-٧٨). وباتّفاق جميع المفسّرين أنّ هذه الآيات نزلت بخصوص ثعلبة الذي منع الزكاة على عهد النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص١٣٨). أضف إلى ذلك بأنّ ثعلبة منع الزكاة وامتنع من أدائها إلى النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لأنّه أنكرها وقال هي جزية. وقد شهد الله في هذه الآيات على نفاقه ومع ذلك كلّه لم يقاتله النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولم يأخذ أمواله بالقوّة وكان قادراً على كلّ ذلك. أمّا مالك بن نويرة وقومه فلم ينكروا الزكاة كفرض من فروض الدين وإنّما أنكروا خلافة أبي بكر الذي استولى على كرسي الحكومة باسم خلافة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ غصباً بعد وفاة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مع أنّه كان يرى أنّ الخلافة حقّ أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ، فعدم دفع مالك بن نويرة مال الزكاة إنّما كان إعتراضاً منه على السلطة الحاكمة، ورفض بدعة أبي بكر، لا أنّه أنكر الزكاة. ولا شكّ أنّ رفض البدعة معناه رفض المخالفة للدين، لا رفض الدين. فما فعله أبو بكر من قتل مالك ظلماً وجوراً إنّما يكون معناه مخالفة صريحة للدين؛ فمالكم كيف تحكمون؟!!!.

حيث منعوه من صدقات مالهم، لما عرفته فيما مضى من عدم كونه المقاتل على التأويل(١)،

(١) هذه العبارة إشارة إلى النصوص الدالّة على انحصار القتال على التأويل بالإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وتوضيح المقام أنّه قد ورد في القرآن الكريم عشراتُ الآيات في وجوب القتال والمحاربة الكفّار والمشركين، كقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللهَ لا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٩٠). وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لله فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٩٣). وقوله تعالى: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ (سورة النساء:٧٤). وقوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ (سورة الحج:٣٩). وإلى غير ذلك من الآيات الدالّة على وجوب القتال والمحاربة الكفّار والمشركين. ولكن عموم هذه الآيات مشتملة على الأمر بالقتال فقطّ، وأنّ ألأمر بالقتال في حياة النبيصلى الله عليه وآله كان بيدهصلى الله عليه وآله، لأنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله كان عالماً بالتنزيل. وأمّا قتال بعد النبيصلى الله عليه وآله فلا بدّ أن يكون بيد من عنده علم الكتاب، وهذا الأمر ثابت في الإسلام بالأدلّة والنصوص القطعية، إذ من الواضح أنّ الأمر بالقتال والجهاد إنّما يكون فيه المصلحة الأساسية لحفظ الإسلام والمسلمين، وتشخيصها إنمّا يكون بيد من له العلم بما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز. وحيث كان هذا الأمر في حياة رسول اللهصلى الله عليه وآله بيدهصلى الله عليه وآله. وقد أمر النبيصلى الله عليه وآله الأمّة أن يتّبعوا هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في القتال من بعده، لأنّه الوحيد الذي يعلم تأويل الكتاب من بعدهصلى الله عليه وآله، وذلك من خلال ←

➔

الروايات المتواترة بين الفريقين. فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١). وأخرج بسنده عن الزبيدي عن أبيه قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال صلى الله عليه وآله: «لا ولكنّه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: وكأنّه قد سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون فإنّها تدلّ بالصراحة على أنّ أمر القتال في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله كان بيده صلى الله عليه وآله، وكان يقاتل على التنزيل، أي يقاتل حسب مفاد الآيات القرآنيّة، فكان أمره صلى الله عليه وآله بالقتال واجب الاتّباع، كما أن أمره صلى الله عليه وآله باتّباع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القتال من بعد وفاته صلى الله عليه وآله أيضاً واجب الاتّباع. ومعناه أن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الوحيد الذي عنده علم تأويل الكتاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. ويتبيّن أيضاً هذا المعنى من خلال معرفة معنى الراسخون في قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ (سورة آل عمران:٧). فالراسخون في العلم بسبب معرفتهم جميع أسرار القرآن وبطون المحكمات والمتشابهات وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما يدركون

➔

بل المقاتل على التأويل عليعليه السلام[(١)]

➔
معاني المحكمات والمتشابهات وتأويل القرآن الكريم. ومن هنا يعرف مدلول قولهصلى الله عليه وآله: سيقاتل علي بن أبي طالبعليه السلام على التأويل، هو أنّ الأمر القتال بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله إنّما يكون منحصراً بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ لأنّه الوحيد الذي قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنّه سيقاتل على التأويل، ثمّ أكّدصلى الله عليه وآله صراحة على أنّ هذا الأمر لم يكن لأبي بكر وعمر، حيث جاء في الحديث: لمّا سألوا رسول اللهصلى الله عليه وآله عن قتال أبي بكر وعمر؟ قالصلى الله عليه وآله: «لا»، أي لايحقّ لهما ذلك؛ لأنّ القتال على التأويل إنّما أمره يكون بيد رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن عنده علم التأويل، وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وغيره لا يليق بهذه المنزلة. فبنصّ هذا الحديث ثبت عدم جواز قتال أبي بكر بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله، إذ أنّ قتاله لم يكن عن تأويل، فقتاله مانعي الزكاة كمالك بن نويرة وقومه وسبي نسائهم وذراريهم على خلاف ما أمر به رسول اللهصلى الله عليه وآله. وفي الحقيقة أنّه على خلاف ما أنزل الله تعالى، لأنّ الأمر بالقتال يكون بيد رسول اللهصلى الله عليه وآله ، ومن بعد النبيصلى الله عليه وآله يكون بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، الذي كان عنده علم تأويل الكتاب فما فعله أبو بكر مخالف للقرآن والسنّة النبويّة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة ألتي رواها علماء الإسلام في كتبهم. وإليك ما أخرج كبار علماء أهل السنّة في هذا المجال: منها، ما أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا عند رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص٣١). ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن أبي سعيد، قال: قال رسول
➔

➔

اللهﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله»، قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكن خاصف النعل» وعلي يخصف نعله (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص٣٣). ومنها: ما أخرجه بسنده عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي، عن أبيه، قال سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: كنّا جلوساً ننتظر رسول اللهﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول اللهﷺ ومضينا معه، ثمّ قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكنّه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: وكأنّه قد سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢). ومنها: ما أخرجه في كتاب فضائل الصحابة بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا جلوساً في المسجد، فخرج علينا رسول اللهﷺ وعلي في بيت فاطمة، وانقطعت شسع رسول اللهﷺ، فأعطاها علياً يصلحها، ثمّ جاء فقام علينا، فقالﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، «ولكنّه صاحب النعل». قال إسماعيل: فحدثّني: أبي أنه شهد، يعني علياً بالرحبة فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، هل كان من حديث النعل شيء، قال: «وقد بلغك؟» قال: نعم، قال: «اللّهم إنك تعلم أنه ممّا كان يخفي إلي رسول اللهﷺ» (كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦٣٧). ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد، قال: كنّا مع رسول اللهﷺ، فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلاً، ثمّ قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على

➔

➔

تنزيله»، فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال صلى الله عليه وآله: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال صلى الله عليه وآله: «لا»، «ولكن خاصف النعل» يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحن ج٣: ص١٢٣). ومنها: ما أخرجه الهيثمي بسنده عن أبي سعيد، قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله، فتخلّف عليها علي يخصفها، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله ومضينا معه، ثمّ قام ينتظره وقمنا معه، فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكنّه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: فكأنّه قد سمعه، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٣٣، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٣: ص٨٢). ومنها: ما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا جلوسا في المسجد، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وكأنّما على رؤوسنا الطير، لا يتكلّم أحد منّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ منكم من يقاتل الناس على تأويل القرآن، كما قاتلتهم على تنزيله»، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكنّه خاصف النعل ولكنّه خاصف النعل في الحجرة»، قال رجاء الزبيدي: فأتى رجل علياً في الرحبة، فقال: يا أمير المؤمنين، هل كان في حديث النعل شيء، قال: «اللّهم إنّك لتشهد أنه ممّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسره إلي» (شرح مشكل الآثار ج١٠: ص٣٣٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في الباب، فإنّها تدلّ بالصراحة على أنّ المقاتل على التأويل هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

🡐

فزعم من تسمّى بأهل السنّة أنّهم مطيعون لهم في طاعة الله دون معصيته[1].

←

طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) لا يخفى على خبير أنّ أهل السنّة يعتقدون بوجوب طاعة السلطان الذي غلب على الرعية وملك زمام أمورهم وأصبح حاكماً على الناس، براً كان أو فاجراً، وإن كان معلناً للفسوق وشارباً للخمور كيزيد بن معاوية، فلم يختلفوا في وجوب طاعته وإن اختلفوا في ما تنعقد به الإمامة على أقوال، قال الماوردي (المتوفى ٤٥٠ هـ): اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى: فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحلّ والعقد من كلّ بلد ليكون الرضا به عامّاً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها. وقال طائفة أخرى: أقل ما تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما: أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها، وهم: عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأسيد بن خضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة. والثاني: أنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة. وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما وشاهدين، كما يصحّ عقد النكاح بولي وشاهدين. وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأن العبّاس قال لعلي: أمدد يدك أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ (الأحكام السلطانيّة: ص٦-٧). فكما ترى أنّ الاختلافهم ليس من جهة وجوب طاعة المتسلّط على الحكم والقدرة، وإنّما الاختلاف عندهم فيما تنعقد به الإمامة، وأمّا

←

➔

إذا وصل إلى الحكم والقدرة فهو عندهم خليفة وإن كان معلناً للفسوق والشرب وأهل البدعة كيزيد بن معاوية وأضرابه، فحكومة آل أبي سفيان عندهم مشروعة، وإن كانت قائمة على أساس الجور والعدوان، لا سيّما ملك يزيد بن معاوية، الذي لم تدم سلطته إلاّ ثلاث سنين قتل في السنة الأُولى منها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام عليهم السلام، وفي السنة الثانية غزا المدينة المنوّرة وأباحها على جنده ثلاثاً وهم بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله -وسمّيت بوقعة الحرّة - وفي الثالثة منها هدم الكعبة، أمّا مأساة كربلاء فسنذكر تفاصيلها، حيث ما تزال ظلالها الحزينة ترافقنا إلى اليوم. وتفاصيلها لا يتّسع لها هذا الكتاب، وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وأمّا وقعة الحرّة فنذكر نبذة يسيرة منها من كتب أهل السنّة ليعرف الباحث مدى وجوب طاعة الخلفاء عند أهل السنّة. فقد قال سبط ابن الجوزيّ: وذكر المدائنيّ في كتاب الحرّة عن الزهريّ قال: وأمّا وقعة الحرّة وقضايا ابن الزبير فتفاصيلها خارجة عن عهدة هذا الكتاب، إلاّ أنّنا نذكر نبذة عن صفحة تاريخه السوداء في وقعة الحرّة. قال سبط ابن الجوزيّ: وذكر المدائنيّ في كتاب الحرّة عن الزهريّ قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأمّا من لم يُعرف من عبد أو حرّ أو امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتّى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وامتلأت الروضة والمسجد. قال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم... وذكر أيضاً المدائنيّ عن أبي قرّة قال: قال هشام ابن حسّان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج، وغير المدائني يقول: عشرة آلاف امرأة. قال الشعبيّ: أليس قد رضي يزيد بذلك وأمر به وشكر مروان ابن الحكم على فعله؟! (انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦: ص١٥-١٦) وقال

🡐

➔

ابن قتيبة: فوجّه يزيد مسلم بن عقبة المريّ في جيش عظيم لقتال ابن الزبير فسار بهم حتّى نزل المدينة فقاتل أهلها وهزمهم وأباحها ثلاثة أيّام فهي وقعة حرّة (المعارف لابن قيبة: ص١٩٨). وقال اليعقوبي: فوجّهه في خمسة آلاف إلى المدينة فأوقع بأهلها وقعة الحرّة فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً... حتّى دخلتُ المدينة فلم يبق بها كثير أحد إلاّ قتل وأباح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وَلدت الأبكار لا يعرف من أولدهنّ (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٢٥٠). وقال ابن حجر: فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المريّ وأمره أن يستبيح المدينة ثلاثة أيّام، وأن يبايعهم على أنّهم خول وعبيد ليزيد، فإذا فرغ منها نهض إلى مكّة لحرب ابن الزبير، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين وأفحش القضية إلى الغاية (انظر تهذيب التهذيب ج١١: ص٣١٦). وقال ابن الجوزيّ: فأباحها مسلم بن عقبة ثلاثاً يقتلون الرجال ويقعون على النساء! وحكّمتْ امرأةٌ مسلم بن عقبة في ولدها وكان قد أُسر فقال: عجّلوه لها، فضربتْ عنقه، ثمّ دعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد وقال: بايعوا على أنّكم خَوَل له وأموالكم له! فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة: نبايع على كتاب الله، فأمر به فضرب عنقه، وجيء بسعيد بن المسيّب إلى مسلم فقالوا: بايع، فقال: أُبايع على سيرة أبي بكر وعمر! فأمر بضرب عنقه فشهد رجل أنّه مجنون فخلّي عنه، وذكر محمّد بن سعد في الطبقات أنّ مروان بن الحكم يحرّض مسلم بن عقبة على أهل المدينة ونهبها ثلاثاً، فلمّا قدم مروان على يزيد شكر له وأدناه. ثمّ قال ابن الجوزي: من أراد أن ينظر إلى العجائب فلينظر إلى ما جرى يوم الحرّة على أهل المدينة بإطلاق يزيد أصحابه في النّهب (الرد علي المتعصّب العنيد: ص٥٤). وقال الشبراوي: إنّ يزيد ابن معاوية قال لمسلم بن عقبة: إذا ظفرت بالمدينة فخلّها للجيش ثلاثة أيّام

➔

قد عرفت فساده من حيث كذبهم في ذلك[1]،

➔

يسفكون الدماء ويأخذون الأموال ويفسقون بالنساء. وقال ابن قتيبة: فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذٍ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبع مئة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان، ذكروا أنّه قُتل يوم الحرّة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ثمانون (الاتحاف بحبّ الأشراف: ص٦٥). وإلى غير ذلك من كلماتهم ورواياتهم في هذا المجال، وهناك روايات حول أمره بهدم الكعبة المعظمة وإحراقها، سنذكرها إن شاء الله في محلّه. والمهمّ أنّه لا ندري كيف جاز لأهل السنّة طاعة مثل يزيد بن معاوية والاعتقاد بأنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يعلمون حاله وأوصافه فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه عندما نأتي إلى كتب علماء أهل السنّة في الإمامة نجدهم يشترطون في تولية الإمام العدالة وغيرها من الشرائط السائدة لحفظ الأمانة (انظر اصول الدين لعبد القادر البغدادي: ص٢٧٧، والأحكام السلطانية للماوردي: ص٦، وشرح المقاصد للتفتازاني ج٢: ص٢٧١ وغيرهم). ولكن عندما نأتي إلى أوصاف خلفائهم على أرض الواقع نجدهم يعترفون بقصور أكثرهم عن تولّي الخلافة عندهم، لعدم توفّر الشرائط فيهم، ومع ذلك يعتقدون بإمامتهم وخلافتهم. فقد أجمع علماء أهل السنّة على وجوب طاعة الإمام الغالب وإن كان جائراً ومعلناً للفسق والفجور كيزيد بن معاوية شارب الخمور والمعلن بالفسوق، وناكح الأمّهات والأخوات، وقاتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، والهاتك لحرمة أهل البيت عليهم السلام، ومستبيح المدينة المنوّرة، وحارق الكعبة، وقاتل الصحابة والقرّاء، وهاتك أعراض المسلمين. قال ابن حجر في كتابه فتح الباري: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأنّ طاعته خير من الخروج عليه

🡐

➔

لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلاّ وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته (فتح الباري ج١٣: ص٥)، وعنه الشوكاني في نيل الأوطار ج٧: ص٣٦١. فكما ترى لم يستثنوا من ذلك إلاّ طاعة الكفر الصريح ولا غير.

نعم يزيد بن معاوية قد استخلفه من تقدّم عليه من خلفاء السقيفة ومن سار على منهجهم وقام مقامهم هادفاً غصب حقوق أهل البيت عليهم السلام وانتزاعها منهم، وبدءوا بغصب خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام، ثمّ غصب نهب حقوق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ثمّ حقوق أئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام واحداً بعد آخر، ولمّا وصل الأمر إلى الإمام الحسين الشهيد عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أبدوا ضمائرهم إلى آخر مرحلة العداء لله ولرسوله صلى الله عليه وآله. إذ أنّهم أرادوا بشهادة الإمام الحسين عليه السلام محو الدين وآثاره، وإرجاع الجاهليّة الأولى. لو أرادوا أن يستثنوا يزيد من هذه القاعدة فلا بدّ أن يخرجوا معاوية وخلفاء السقيفة واحداً بعد آخر، وهذا معناه سقوط هذا المنهج وهذا الائتلاف من ناحية المضمون. ولذلك وضعوا لمنع لعن يزيد قانون بعنوان تكفير وتفسيق من لعن الصحابة، ويريدون بهم يزيد ومعاوية وخلفاء السقيفة لا غير، وقد صرّحوا بذلك في كتبهم. قال أبو حامد الغزالي، فقد سئل عمّن يصرح بلعن يزيد بن معاوية، هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل كان راضياً بقتل الحسين ابن علي أم لا؟ وهل يسوغ الترحّم عليه أم لا؟ فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو الملعون (انظر حياة الحيوان للدميري ج٢: ص٣٠٦). وهناك تصريحات من علمائهم على وجوب طاعة يزيد عندهم كقول عبد الغني المقدسي عندما سئل عن يزيد بن معاوية فأجاب بقوله: خلافته صحيحة، وقال بعض العلماء:

➔

➔

بايعه ستّون من أصحاب النبيﷺ، منهم ابن عمر، وأمّا محبّته: فمن أحبّه فلا ينكر عليه، ومن لم يحبّه فلا يلزمه ذلك، لأنّه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول اللهﷺ فيلزم محبّتهم إكراماً لصحبتهم، وليس ثمّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه، وإنّما يمنع من التعرض للوقوع فيه خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسداً لباب الفتنة (انظر الذيل على طبقات الحنابلة لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ج٤: ص٣٤). وجاء في جملة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى محمّد ابن أبي بكر: فقد كنّا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبرّراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه (عليه الصلاة والسلام) ما عنده وأتمّ ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلج حجّته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره، على ذلك اتّفاقاً واتّساقاً، ثمّ إنّهما دعوه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم وأرادا به العظيم، ثمّ إنّه بايعهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضهما الله. أبوك مهد مهاده وبنى لملكه وسادة فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، وسلمنا إليه، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك والسلام (انظر جمهرة رسائل العرب ج١: ص٤٧٧، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١٩٠ وغيرها من المصادر). فهذه الرسالة أكبر برهان على أنّ علماء أهل السنّة وكبارهم كانوا يكذبون على الناس البسطاء ليخفون جرائم خلفائهم. ومن ناحية أخرى كانوا يرشدون الناس إلى طاعتهم وطاعة الحكّام الجائرة، ولولا ذلك لكان من الواجب عليهم أن يصرّحوا بفساد مذهبهم من الأساس، والباحث المنصف لو درس التاريخ يجد هذه الحقيقة

➔

بل قد عرفت فيما مضى من هو إمام الحقّ حسبما دلّت على ذلك السنن الصحيحة[١].

➔

بوضوح في مصنفاتهم فلاحظ.

(١) لقد استدلّ الشيعة الإماميّة على امامة مولانا أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام بالنصوص الصحيحة التي رواها علماء أهل السنّة في كتبهم المشهورة، وهي على طوائف، الطائفة الأولى: الأحاديث الناصّة على أمر النبي صلى الله عليه وآله باتّباع أهل بيته عليهم السلام وأخذ معالم الدين عنهم.

الطائفة الثانية: الأحاديث الدالّة على أن الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام خير أهل الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله.

الطائفة الثالثة: الأحاديث الناطقة بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وأنهم أوصياءه وأئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين بعد النبي صلى الله عليه وآله.

الطائفة الرابعة: الأحاديث الدالّة على شهادة النبي صلى الله عليه وآله بأعلميّة أهل بيته عليهم السلام من غيرهم .

الطائفة الخامسة: الأحاديث الناصّة على مدح شيعة أهل البيت عليهم السلام التابعين لهم، وهم أهل الجنة ، وهم الفرقة الناجية. وإليك بعض هذه الأحاديث الواردة في المقام:

أمّا الطائفة الأولى، فمنها: حديث الثقلين الذي رواها كبار علماء أهل السنّة وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وقد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظرمسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤، وسنن النسائي ج٥: ص٤٥، ومسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣٠٣، والمعجم الكبير للطبراني ج٣: ص٦٥، والمصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص١٧٦، وكتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم:

➔

➔

ص٦٣٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٦٢ وغيرها من المصادر). وهذه المكرمة ما أفضلها من مكرمة حيث يقرن النبيﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أهل بيته عليهم السلام بكتاب ربّه، ويحثّ أمّته على التمسّك بهما معاً، وأنّ المتمسّك بهما لا يضلّ عن دينه بعده في كلّ عصر أبداً إلى يوم القيامة. وأن أهل بيته لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم حتّى يردا معاً عليهﷺ الحوض. وهل يجد المسلم في نفسه حاجة بعد قول نبيهﷺ هذا الصريح الفصيح إلى دليل آخر على الاقتداء بأهل بيته عليهم السلام، وأخذ الأحكام منهم عليهم السلام. وهل يحتاج مذهبهم إلى حثّ من صاحب الشريعة أعظم وآكد من هذا الحثّ. وقد اتّفق المسلمون من الفريقين على رواية هذا الحديث بألفاظ متقاربة والمعنى واحد.

ومنها: حديث السفينة المتواتر بين طوائف المسلمين وهو قول النبيﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٢: ص٣٤٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٤: ص١٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٦٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢١٨، والدرّ المنثور للسيوطي ج١: ص٢٧٣، وفيض القدير للمناوي ج٢: ص٦٥٨ وغيرها من المصادر). وهو صريح في وجوب الأخذ عن أهل بيته عليهم السلام، وإنّ النجاة منحصرة بهم، ومن الوضح الناجي في دينه يستلزم العصمة المطلقة، فالحديث يدلّ على وجوب التمسّك بأهل البيت عليهم السلام لأنّهم معصومون.

ومنها: قولهﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٤٤٨، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٦٨٠، وتاريخ مدينة

🡐

←

دمشق لابن عساكر ج٤٠: ص٢٠، ومسند أحمد بن حنبل كما في أرجح المطالب لعبيد الله الأمرتسري: ص٣٢٨، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٨٣٥ ح١١٤٥، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج١: ص٧١، وكنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٢: ص٩٦ وغيرها من المصادر). والحديث صريح في أنّ أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وإطلاق قوله صلى الله عليه وآله: «أمان لأهل الأرض» يقتضي الأمان في جميع الجهات، من الماديّة والمعنويّة، وما جاء به الدين، من الأمور الدنيويّة والأخرويّة، فمن اتّبع أهل البيت عليهم السلام فهم الأمان له في الدين والدنيا والآخرة.

وأمّا أمّا الطائفة الثانية فهي الأخبار الدالّة على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام خير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوّلين والآخرين، منها قوله صلى الله عليه وآله: «علي خير البشر من شكّ فيه فقد كفر» (انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٧٨، وكتاب الثقات لابن حبان ج٩: ص٢٨١).

أو قوله صلى الله عليه وآله: «من لم يقل علي خير الناس فقد كفر» (انظر تاريخ بغداد ج٣: ص٤٠٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧٢).

أو ما ورد عن عطاء قال: سألت عائشة عن علي قالت: ذلك خير البشر لا يشكّ إلاّ كافر (انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٢٧٣).

أو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «علي خير البشر من أبى كفر» (انظر كنز العمال ج١١: ص٦٢٥، وتاريخ بغداد ج٧: ص٤٣٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧٢).

أو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: قال للإمام أميرالمؤمنين علي أبي طالب عليه السلام: «أنت خير أمّتي في الدنيا والآخرة» (انظر المناقب لابن مردويه: ص١١١).

عن ما ورد ابن جنادة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خير من يمشي على الأرض بعدي علي ابن

←

➔

أبي طالب» (انظر المناقب لابن مردويه: ص١١١).

أو ما ورد عن بريدة إن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال لفاطمة: «إنّ زوجك خير أمّتي، أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً» (انظر المناقب للخوارزمي ص١٠٦).

ومنها: قولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا علماً وفهماً، ويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣: ص١٢٨، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص٨٦، والمناقب للخوارزمي: ص٣٤، وكنز العمّال ج١٢: ص١٠٣ وغيرها من المصادر).

ومنها: ورد عن سلمان قال: رآني رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فناداني قلت: لبيك، فقالصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أشهدك اليوم أنّ علي بن أبي طالب خيرهم وأفضلهم» (انظر كشف الغمّة ج١: ص١٥٥). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون، ودلالتها واضحة لايحتاج إلى البحث. كما أنّ الروايات الواردة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ كثيرة لا يسعنا المجال لاستقصائها. والحديث صريح في أنّ طريق النجاة منحصر في قبول ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ وأنّه الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنّ ولايته كولاية الرسولصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وولاية الرسولصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كولاية الله، وطاعته كطاعة الرسولصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في المقام بهذا المضمون. فهذه الروايات وغيرها بهذا المضمون تدل على أنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ خير البشر بعد رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من الأوّلين والآخرين.

أمّا الطائفةالثالثة فهي النصوص الدالّة على أنّ خلافة والإمامة منحصرة في الأئمة

🡐

➔

الاثني عشرعليهم السلام، فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي أنه قال: «كلّهم من قريش» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب اخراج الخصوم).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة أن النبيصلى الله عليه وآله قال: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه).

ومنها ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن جابر الأنصاري قال: دخل جندل بن جنادة على النبيصلى الله عليه وآله وسأله عن مسائل ثمّ قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لا تمسّك بهم، قال: «أوصيائي الاثنا عشر»، قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة. وقال: يا رسول الله سمّهم لي، فقالصلى الله عليه وآله: «أوّلهم سيّد الأوصياء أبو الأئمة علي، ثمّ ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرّنك جهل الجاهلين. فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه»، فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياءعليهم السلام إيليا وشبّراً وشبيراً فهذه اسم علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما أساميهم؟ فقال: «إذا أنقضت مدّة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي، فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجّة. فيغيب ثم يخرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. طوبى للصابرين في غيبته، طوبى

➔

➔
للمقيمين على محبتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ ثمّ قال: ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾. فقال جندل: الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم ثم عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين، فخرج إلى الطائف، ومرض، وشرب لبناً، وقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن؛ ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٢٨٤).

وإلى غير ذلك من الروايات وإنّ دلالتها على المقام واضحة.

أمّا الطائفة الرابعة فهي الروايات الواردة في شهادة النبي صلى الله عليه وآله بأعلميّة أهل بيته عليهم السلام، منها: ما رواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة بسنده عن ابن عبّاس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لمّا صرت بين يدي ربي كلّمني وناجاني فما علمت شيئاً إلاّ علمته علياً فهو باب مدينة علمي» (ينابيع المودة ج١: ص٢١٤).

ومنها ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن علم علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٨٤)، ورواه محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص١٢٧، وابن المغازلي في المناقب: ص٢٢٨، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦١٥، والشوكاني في فيض القدير ج٣: ص٦٠، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص١٣٥، والقندوزي الحنفي ج١: ص٢١٥ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخوارزمي في المناقب بسنده عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أعلم أمّتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام» (المناقب للخوارزمي: ص ٨٢).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول
➔

➔

اللهﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج١١: ص٥٥، وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص١١٠٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١١٤ وغيرهم.

ومنها: ما رواه مسلم بن عبيد عن الحسن، قال: قال رسول اللهﷺ: «عليّ أقضى أمّتي» (الاستيعاب لابن عبد البر ج١: ص١٧). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال عمر: ... أقضانا علي (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٩ كتاب التفسير، باب قوله ما ننسخ من آية أو ننساها). وأخرج أحمد بن بن حنبل بسنده عن ابن عبّاس قال: قال عمر: علي أقضانا (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١١٣).

ومنها: مارواه الكنجي الشافعي بسنده عن أم سلمة عن رسول اللهﷺ قال: «عليّ وعاء علمي، ووصيي، وبابي الذي أُوتَى منه» (كفاية الطالب: ص٧٠).

ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة بسنده عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللهﷺ: «علي باب علمي ومبين لأمّتي ما أرسلت به من بعدي، حبّه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة، ومودّته عبادة» (ينابيع المودة ج٢: ص٢٤٠).

ومنها: قولهﷺ: «أعلمُ أمّتي بالسنّة والقضاء بعدي عليّ بن أبي طالبعليه السلام» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص٢٩، والرياض النضرة ج٢: ص١٩٤، ومناقب الخوارزمي: ص٤٨، وتذكرة الخواص: ص٨٧، ومطالب السؤول: ص١٢، وفيض القدير: ج٤ ص٢٥٧ وغيرهم).

ومنها: ما رواه الترمذي في سننه عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» (سنن الترمذي ج٥: ص٣٠١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، ولذلك كان جميعُ

➔

➔

الصحابة يقرّون للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالأعلميّة، ويرجعون إليه عندما تشكل عليهم أمور الدين، ويَقبلون حكمَه من دون توقّف؛ لمعرفتهم بأنّه باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، ووارث حكمته، وقد قال فيه أبو الفضل بن العبّاس ابن عتبة بن أبي لهب ما كنت أحسبُ أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن أليس أول من صلّى لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢١). وإلى غير ذلك من الروايات ودلالتها على المقام واضحة.

وأمّا الطائفة الخامسة فهي الروايات الواردة في مدح النبي لشيعة أهل بيته عليهم السلام منها ما رواه الحمويني الجويني في كتابه فرائد السمطين بسنده عن عن جابر قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «قد أتاكم أخي» ثمّ قال: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، إنه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية» قال: ونزلت فيه: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾. قال: فكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء خير البريّة (فرائد السمطين ج١: ص١٥٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧١، والطبري في تفسيره ج١٠: ص٧١، والشوكاني في فتح القدير ج٥: ص٩٧٧، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج٢: ص٤٦٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج١: ص٦٦ وغيرهم.

ومنها: بسنده عن جابر قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «قد أتاكم أخي» ثمّ قال: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية،

➔

وأمّا الولي بمعنى مطلق السلطان المسيس للخلق فمطلق الناس محتاجون حتّى الكفرة إلى سياسة في المطالب الدنيويّة وبه تسار السبيل بتأمينه لها، والنفس والعرض والمال به محفوظة غالباً. وعلى فرض عدمه ينتشر الفساد في العالم، والتعرّض له ليس له مدخلية بالسلطان الذي وظيفته سياسة الناس بالدين نيابة عن رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله [1]

➔

وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية» قال: ونزلت فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٤٥).

ومنها ما رواه الشبلنجي في نور الأبصار بسنده عن ابن عبّاس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين» (نور الأبصار: ص٧٠).

ومنها ما رواه ابن المغازلي في المناقب بسنده عن عمرو بن حُرَيْث عن داود بن سُلَيْك عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم»، ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: «هم من شيعتك وأنت إمامهم» (المناقب لابن المغازلي: ص٢٣٢). وإلى غير ذلك من الروايات، وملخص الكلام أنّ الشيعة تستدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالروايات والنصوص التي رواها كبار علماء أهل السنّة فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الفرق بين الحاكم العرفي والولي الشرعي واضح؛ لأنّ من الأمور الثابتة عند المسلمين جميعاً هو وجوب اتّباع الحاكم الشرعي بأمر الله تبارك

➔

➔

وتعالى. والحاكميّة الشرعية مبنيّة على الولاية الإلهيّة، أي أنّ الحاكم الشرعي هو من له الولاية الإلهية ومن له الولاية الإلهية لا بدّ أن تكون ولايته بنصّ من الله عزّوجلّ. فالرسول الأكرمﷺ كان له الحاكمية الشرعية؛ لأنّه كان له الولاية الإلهيّة، والولاية الإلهيّة بمعنى السلطة المقيّدة بالشرعية السماويّة التي بيّنها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦). هذه الآية الكريمة حصرت الولاية الشرعيّة في ولاية الله تعالى وولاية رسولهﷺ وولاية المعصومينعليهم السلام الذين أعطاهم الله تعالى هذا المنصب فكما أعطى الله لرسولهﷺ الولاية الشرعية قد أعطى هذه لمن أعطى الزكاة للفقير في حال الركوع. وقد اتّفقت الروايات من الفريقين على أنّ الآية نزلت في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فبمقتضى الآية الكريمة أنّ الولاية والحاكميّة الإلهية منحصرة في الله ورسولهﷺ والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومقتضى الحصر نفي ولاية غيرهم. ثمّ أنّ هناك آيات عديدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسولهﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، وفيها أنّ الله تعالى قرن طاعته بطاعة رسولهﷺ، ومن هذه المواضع، قوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (سورة النساء: ٨٠). هذه الآية الكريمة تؤكّد أوّلاً بأنّ طاعة النبيﷺ هي في الحقيقة طاعة لله: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ...**﴾ أي لا انفصال بين طاعة الله وطاعة الرسولﷺ، وذلك لأنّ النبيﷺ لا يخطو أية خطوة خلافاً لإرادة الله... وكلّ ما يصدر منه من فعل وقول وتقرير فهو مطابق لإرادة الله سبحانه

➔

➔

وتعالى ومشيئته. ومن تلك المواضع التي أمر الله تعالى بطاعة الرسولﷺ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:٣٢). ويستفاد من الآية أنّ طاعة الله وطاعة رسولهﷺ لا تنفصلان، فإنّ طاعة الرسولﷺ هي طاعة الله. ثمّ تقول الآية وإن لم تفعلوا أي لم تطيعوا الله ورسوله، فلستم تحبّون الله، والله لا يحبّكم. ثمّ ختمت الآية بنفي الحبّ عن الكافرين، فقال تعالى: فإنّ تولوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين، وفيه دلالة على كفر من شمله ذلك، لأنّ نفي الحبّ في الله تبارك وتعالى معناه سلب الإيمان والكفر. وأيضاً أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (سورة النساء:٥٩). فأمر سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بطاعة أولى الأمر كما أمر بطاعته وطاعة رسولهﷺ فتكون طاعة أولى الأمر واجبة كطاعة رسول اللهﷺ، ومعناه أنّ طاعة أولى الأمر مطلقة كطاعة الرسولﷺ، ولايخفى على الخبير أنّ وجوب الطاعة المطلقة تدلّ على العصمة، لأنّ الطاعة المطلقة معناه وجوب الاقتداء في جميع الشؤون، ووجوب الإقتداء في جميع الشؤون لا يصحّ إلاّ لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. وعليه فلا بدّ أن يكون أولى الأمر معصوماً كالرسولﷺ، لأنّ مقتضى عطف أولى الأمر على الرسولﷺ أن يكون أولى أمر كالرسول واجب الطاعة، وإلاّ لما صح إطلاق العطف، إذ لا يجوز الأمر بطاعة غير المعصوم على الإطلاق؛ حيث أنّ غيرالمعصوم لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب، فالأمر من الله تعالى بطاعة أولى الأمرعلى نحو الإطلاق دليل على أنّه لا بدّ أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول اللهﷺ في وجوب الطاعة. فالآية قد حصرت الطاعة المطلقة لله ولرسولهﷺ ولأولى الأمر المعصومين، كما أنّ معناه لا بدّ أن يكون أولى الأمر

🡐

➔

متصفاً بجميع شرائط الرسول صلى الله عليه وآله لظاهر العطف. والجدير بالانتباه هو أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ... (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٠: ص١٤٤). فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولى الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً. وقد ذهب كلّ مفسري الشيعة بالاتّفاق إلى أنّ المراد من أولي الأمر هم الأئمة المعصومون عليهم السلام الذين أنيطت إليهم قيادة الأمّة الإسلامية الماديّة والمعنويّة في جميع حقول الحياة من جانب الله سبحانه والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولا تشمل غيرهم، وذلك لأنّ الآية توجب إطاعة أولي الأمر من دون قيد أو شرط، أي أنّ ظاهر الآية وجوب طاعة أولي الأمر بنحو مطلق كطاعة النبي صلى الله عليه وآله. هذا مضافاً إلى تصريح بعض أهل السنّة بوجوب إطاعة أولى الأمر على نحو الإطلاق كطاعة النبي صلى الله عليه وآله، لاقترانه بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يقيده بشيء، فتشترك مع إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله في السياق وتتساوى معها في الإطلاق، فهي لا تقبل التقييد أبداً، ومنهم الفخر الرازي في تفسيره كما تقدّم. وهكذا نرى الفخر الرازي مع ما نعهد منه من كثيرة الإشكال في مختلف المسائل العلميّة، قد قبل دلالة هذه الآية على أن أولي الأمر يجب أن يكون

➔

➔
معصوماً، غاية ما في الأمر حيث أنّه لم يكن عارفاً بمذهب أهل البيتعليهم السلام وأئمة هذا المذهبعليهم السلام وتجاهل عن أنّه لا بدّ أن يكون أولي الأمر أشخاصاً معيّنين، فاضطرّ إلى تفسيرغريب، لا يقبله العاقل المنصف الخالي من التعصّب، فزعم أنّ المراد بقوله تعالى: أولي الأمر أهل الحلّ والعقد من الأمّة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمّة حجّة.

ويلاحظ عليه: أنّه إذا دلّت الآية على عصمة أولي الأمر فيجب علينا أن نعرفعهم، فمن هم أولى الأمر المعصومين الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنّ طاعتهم كطاعة النبيصلى الله عليه وآله أوجبها الله تعالى في القرآن الكريم. فلا بدّ أن يكون أولى الأمر شخصاً كالنبيصلى الله عليه وآله، وإلاّ فلا معنى لمفهوم الآية عندئذ. وادّعاء العجز وهروب من الحقيقة لا ينفع الفخر الرازي، حيث أنّه صرّح بدلالة الآية على عصمة أولي الأمر، ولم يستثمر نتيجة من قوله هذا وما بنى عليه استدلاله المنطقي، حيث استدرك قائلاً: بأنّا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والوصول إليه واستفادة الدين والعلم منه، فلا مناص من كون المراد هو أهل الحل والعقد (انظر تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج١٠: ص١٤٤). فهل العجز يختصّ بزمانه أو كان يشمل زمان نزول الآية؟ والثاني باطل قطعاً، فإنّه لا يعقل أن يأمر الوحي الإلهي بإطاعة المعصوم ثمّ لا يقوم بتعريفه حين النزول، أو بتعريف النبيصلى الله عليه وآله للمعصوم باعتبار أنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله مفسّر للقرآن الكريم. والأوّل باطل أيضاً للنصوص الواردة عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في إمامة أهل البيتعليهم السلام كما بيّنا جملة منها، وسيأتي بيان تفصيها في محلّه إن شاء الله تعالى.

والمهمّ أنّ الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن
➔

وقد حصلت سياسة الدنيا من الثلاثة ومن تخلّف بعدهم في الجملة[١]،

➔

أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته. وعليه يظهر بطلان قول ابن تيميّة، من أنّه قد حصلت الإمامة السياسية للخلفاء الثلاثة ، لأنّ طاعة الولي الشرعي واجبة لا كل من كان حاكماً سياسياً، بمعنى مطلق السلطان . فإنّ ما زعمه ابن تيمية مخالف لصريح القرآن الكريم، لأنّ أولي الأمر كما تقدّم من الآية الكريمة يجب أن تكون ولايته من قبل الله عزّ وجلّ. كما أنّ مستفاد من القرآن يجب أن يكون معصوماً. وأمّا السلطان الذي يحتاج اليه المجتمع لحفظ النظام والأمور الدنيويّة لا يجب أن يكون مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً شرعياً، فإنّ الكلام في الولي والإمام الشرعي الذي وظيفته سياسة الناس بالدين نيابة عن رسول ربّ العالمينﷺ وهو الذي تجب طاعته بنصّ القرآن الكريم. ومن البديهي أنّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الكفر والعصيان ولو كان على سبيل الإطاعة عن شخص آخر. وعليه فمرجع قول ابن تيميّة إلى أنّ الله تبارك وتعالى يرضى بطاعة أهل العصيان – والعياذ بالله –.

(١) لا يخفى على الباحث بطلان ما ادّعاه ابن تيمية في المقام، حيث أنّ الدراسة في التاريخ تقتضي الإذعان بأنّ أنّ الخلفاء الثلاثة والحكّام التابعة لهم من بني أميّة وبني العباس قد عمدوا في دولتهم إلى سياسة البطش والقتل والاغتيال والنفاق منذ يوم غصب الخلافة في السقيفة، فكانت دولتهم مبنية على الظلم والاعتداء ورسوم الجاهليّة. فإنّ الباحث لو درس التاريخ دراسة علمية يجد اتفاق بني أميّة مع أبناء عمومتها يهود المدينة من بني النظير وبني قريظة وبني قنيقاع وغيرهم وهم قد

➔

➔

خططوا في بادئ الأمر اغتيال الرسول الأعظمﷺ مرّات عديدة في مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة، وبدأت بعملية اغتيال النبيﷺ في ليلة المبيت والتي بات فيها الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مكان الرسولﷺ في مكّة المكرمة، ثم استمرت بمسلسل الاغتيالات التي تعرّض لها خاتم الأنبياء والمرسلينﷺ طيلة حياته من قِبل هذا الخط الإرهابي الأموي الخطير. وإلى أن تنالت أيادي النفاق والجاهلية السياسة غصب الخلافة لتتواصل بعد اغتيال الرسولﷺ أوصيائه الميامين الأئمة الطاهرينعليهم السلام واحداً بعد الآخر. وكلّما بلغ الإمامة أحد المعصومين من أهل البيتعليهم السلام لهداية الأمّة الاسلاميّة، قامت في قباله أيادى النفاق من بطون قريش وبني أميّة وآل أبي سفيان وآل مروان وآل عبّاس لاغتيالهم بشتى أنواعها. فبدؤوا بمؤامرة السقيفة وغصب الخلافة من مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام رغم تنصيب النبي الأكرمﷺ الامامعليه السلام وتعيينه من قِبل البارئ تعالى بأنّه الخليفة بلا فصل بعد الرسولﷺ على الأمّة في واقعة غدير خم والتي روتها كتب أهل السنّة قبل غيرها جملة وتفصيلاً. ووصف الامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام واقعة السقيفة في نهج البلاغة عبر خطبته الشهيرة بخطبة الشقشقيّة وهو يقول: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبرَ على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٣). فعقد أحفاد أميّة وأكثر بطون قريش عزمها على السيرعلى نهج أسلافهم المشركين بتمزيق الأمّة الإسلامية وعودتهم إلى عصر الجاهليّة خدمة لمصالح أبناء عمومتهم اليهود، وسعياً منهم للوصول إلى كراسي

➔

➔

الملك بالظلم والتجبّر والتفرعون، فكان هدفهم الرئيسي تمزيق محور الإسلام: القرآن وأهل البيت عليهم السلام، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ أساس الإسلام والخط الأصيل المحمدي متوقف على هذين الثقلين. فبادروا إلى إبعاد الأمّة الإسلامية عن الإسلام المحمدي الأصيل الذي ترفض حقيقته كلّ نوع من الفرعنة والطغيان والظلم والتجبّر، وقد حكم الله على زعماء أعداء الإسلام بأنهم فراعنة تماماً فقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً**﴾ (المزمل: ١٥-١٦). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن عدد منهم لمّا وقف على قتلى بدر: «جزاكم الله من عصابة شرّاً، لقد كذّبتموني صادقاً وخوّنتموني أميناً!» ثمّ التفت إلى أبي جهل ابن هشام فقال: «إنّ هذا أعتى على الله من فرعون! إنّ فرعون لمّا أيقن بالهلاك وحد الله، وهذا لمّا أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى» (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٩١). فالخطّ الإرهابي الأموي الخطير بادر إلى اغتيال الإنسانية جمعاء والإيمان كلّه، والفكر والأخلاق والمثل العليا، بل اغتيال للبطولة والكرامة والحقّ والصدق والعقيدة الخالصة للإسلام الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وآله بجهده وجهاده وكيانه ودمه. فكان غصب الخلافة اغتيالاً للأمّة أيضاً حيث فقدت خليفتها وقائدها الفذ، وقمة شامخة في العلم والفضل والجهاد، وكان جبلاً راسخاً من الثبات والاستقامة والشجاعة والبطولة، وعَلَماً من أعلام الدين وإماماً للمتقين... واغتيالاً للقرآن الناطق كما سمّاه المحبّ والعدوّ، وقد عرف أعداء الإسلام جيّداً من أنه لم تعرف الإنسانية في تاريخها الطويل رجلاً بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أفضل من الامام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولم يسجّل لأحد من الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله من الفضائل والمناقب والسوابق ما سجّل للامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وكيف

➔

➔
تحصى مناقب رجل كانت ضربته لعمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين (انظر المواقف للإيجي ج٣: ص٦٢٨). وكيف تعدّ فضائل رجل أسرّ اولياؤه مناقبه خوفاً، وكتمها أعداؤه حقداً (المناقب لابن المغازلي: ص٩٧)، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين، وهو الذي لو اجتمع الناس على حبه - كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله - لما خلق الله النار (انظر المناقب للخوارزمي: ص٦٧). ولا يسع المقال والوقت للتطرّق عن فضائل هذه الشخصية العظيمة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي لا يعرفك إلا الله وأنا» (انظر المناقب لابن شهر آشوب ج٢: ص٢٦٧). وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «علي منّي وأنا منه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٦٤). و«هو ولي كلّ مؤمن بعدي» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤). وأيضاً: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٦). وقد اعترف أعداؤه ومن أنكر حقّه بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل قبل غيرهم بمكانة هذه الشخصية العبقرية الإسلامية الوحيدة بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فقد قال الخليفة أبو بكر: أين مثلك يا أبا الحسن؟! (أسنى المطالب: ص٣٥). وقال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٣). وقالت عائشة: علي أعلم الناس بالسنّة (تاريخ الكبير للبخاري ج٢: ص٢٥٥). وقال معاوية لمّا بلغه أمر مقتل الامام عليه السلام: لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب... (الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٢٥).

وهو اعتراف صريح وواضح ممّن حمل راية العداء وغصب الحقّ في الخلافة وحاربه ظلماً وجوراً وزوراً على مكانته المرموقة والرفيعة التي لا يسمو غيره محلّها.

وقال الشافعي: ما أقول في رجل أخفت أولياءه فضائله خوفاً وأخفت أعداؤه فضائله حسداً وشاع له من هذين ما ملىء الخافقين؟ (المناقب للخوارزمي: ص٨).
➔

وشيدت بهم المبتدعات المنافية لشريعة سيد البرياتﷺ(١)

➔
قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهﷺ من الفضائل كما جاء لعلي بن ابي طالب (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٠٧). وقال أيضاً: من أبغض علياً فهو في الدرك الأسفل من النار (كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٧٣). وقال الفخر الرازي: ومن اتّخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه (تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وقال ابن الأثير: مناقبه لا تحصى. وقال الجوزي: فضائل علي أشهر من الشمس والقمر وأكثر من الحصى والمدر. وإلى غير ذلك ممّا اعترفوا به، والفضل ما شهدت الأعداء، فأخذوا يعيثون في الأرض فساداً ويحرقون الأخضر واليابس طمعاً بسطوتهم وسلطنتهم على رقاب العباد. وعليه فإنّ بطلان ما ادعاه ابن تيمية أوضح من أن يخفى على أحد.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ البدع التي أحدثها خلفاء الثلاثة في الإسلام، ومن بعدهم خلفاء بني أميّة وبني العبّاس كثيرة جدّاً وشهرتها قد ملأت في الآفاق. وقد أقرّ بذلك علماء أهل السنّة، فنذكر هنا جملة يسيرة من تلك المبتدعات ألتي أحدثها خلفاء الجور والتابعين لسياسة السقيفة، منها: بدعة تكلّم أبي بكر في الصلاة وذلك عندما اجتمعت أهل السقيفة للمؤامرة ضدّ الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد شهادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراءعليها السلام فقالوا: لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل (أي الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام) حيّاً، فقال أبو بكر: من لنا بقتله؟ فقال عمر: خالد بن الوليد، فأرسلا إليه فقالا: يا خالد، ما رأيك في أمر نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما، فوالله إن حملتماني على قتل ابن أبي طالب لفعلت. فقالا: والله ما نريد غيره. قال: فإنّي له فقال أبو بكر: إذا
➔

➔

قمنا في الصلاة صلاة الفجر فقم إلى جانبه ومعك السيف، فإذا سلمت فاضرب عنقه. قال: نعم. فافترقوا على ذلك ندامة أبي بكر عند إجراء المؤامرة ثم إن أبا بكر تفكّر فيما أمر به من قتل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعرف أنّه إن فعل ذلك وقعت حرب شديدة وبلاء طويل، فندم على ما أمره به. فلم ينم ليلته تلك حتّى أصبح ثمّ أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة. فتقدّم فصلّى بالناس مفكّراً لا يدري ما يقول... وأقبل خالد بن الوليد متقلّداً بالسيف حتّى قام إلى جانب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد فطن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ببعض ذلك. فلمّا فرغ أبو بكر من تشهّده صاح قبل أن يسلم: يا خالد لا تفعل ما أمرتك، فإن فعلت قتلتك! ثم سلّم عن يمينه وشماله. فالتفت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى خالد فإذا هو مشتمل على السيف تحت ثيابه فقال: «يا خالد أوكنت فاعلاً؟» فقال: إي والله إذن لوضعته في أكثرك شعراً، فوثب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ بتلابيب خالد وانتزع السيف من يده، ثمّ صرعه وجلس على صدره وأخذ سيفه فقال له: «كذبت ولأنت أضيق حلقة من ذلك، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما سبق القضاء لعلمت أي الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٥١). والكلام في الصلاة بدعة، وقد شاعت هذه القضية عند علماء أهل السنّة حتّى صارت دليلاً لاستناد أبي حنيفة على جواز التكلّم في الصلاة قبل التسليم (راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢٢٢). وأفتى سفيان الثوري استناداً إلى هذه القضية أيضاً بأنّ من أحدث قبل التسليم وبعد التشهد فصلاته تامة (انظر المسترشد في أمامة علي عليه السلام: ص٩٠، والإيضاح: ص١٩٠).

ومنها: أنّ عمر بن الخطّاب هو أوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع
➔

➔

تكبيرات، فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن أبي وائل قال: جمع عمر الناس فاستشارهم في التكبير على الجنازة، فقال بعضهم: كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً، وقال بعضهم كبّر سبعاً، وقال بعضهم: كبّر أربعاً، قال: فجمعهم على أربع تكبيرات كأطول الصلاة (المصنف لابن أبي شيبة ج٣: ص١٨٦).

ومنها: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطّاب، فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن ابن عيينة قال: أخبرني ابن أبي حسين قال: أدركني ابن طاوس بالطواف فضرب على منكبي، فقال لأبيه: صاحبك على أن يجهر بالتسليم، يعني ابن هشام، قال: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطّاب؛ فعاب عليه ذلك الأنصار فقالوا: وعليك أي عليك السلام (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٢: ص٢١٨). وأخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن ابن طاووس قال: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطاب، فعاب ذلك عليه الأنصار فقالوا: وعليك أي عليك السلام ما شأنك؟ قال: أردت أن يكون إذني (كنز العمّال ج٨: ص١٥٨ ح٢٢٣٧٤). وقوله: (أذاناً) أي إعلاماً بانتهاء الصلاة.

ومنها: أنّ عثمان أتمّ الصلاة الرباعي في منى، ولمّا سمع عبد الله بن مسعود أنّ الخليفة أتمّ الصلاة في منى استرجع، أي قال ﴿**إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه راجِعُونَ**﴾ أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه صلّى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثمّ أتمّها أربعاً (انظر صحيح مسلم ج٢: ص١٤٦ كتاب الصلاة، باب قصر الصلاة بمنى).

ومنها: أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحطّ إلى السجود ولم يكبّر، فقد جاء في كتاب الوسائل في مسامرة الأوائل: إنّ أول من

➔

منهـا مـا مـضى بيانـه وشـيد فيهـا نبـذة مـن المنـاكير مـن سـفك الـدم المحرّم[١]،

➔

نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده، انحطّ إلى السجود ولم يكبّر(انظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: ص١٨). وقال السيوطي: أنّه قال العسكري في كتاب الأوائل: أنّ عثمان أوّل من خفض صوته بالتكبير... (انظر تاريخ الخلفاء: ص١٨١). وإلى غير ذلك من المخالفات والبدع التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم حكام بني أميّة وبني العبّاس، وكلّهم سلكوا نفس الطريق الذي سلك عليه خلفاء السقيفة، وكانت أعمالهم متفرّعة على غصب الخلافة الإلهية من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١)هذه العبارة إشارة إلى دماء الأبرياء التي أريقت وسالت بعد حادثة السقيفة لتشييد ما أسّسها الغاصبين للخلافة والإمامة، وذلك كقتل مانعي الزكاة، وأمثاله. فمن الأخبار صحيحة لدى الفريقين، أنّ أبا بكر أمر خالد بن الوليد بقتال مانعي الزكاة وقتل المسلمين، وهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقتل فيها جمع كثير من المسلمين بسبب تهمة لا أصل لها في الإسلام فقتلهم، وسبي نسائهم وأخذ أموالهم وهتك أعراضهم، وقام بأعمال وجرائم ينـدى لها الجبين. وكان يقول قولته المشهورة: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة... (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). ولكن من الواضح لدى كلّ مسلم أنّ مانعي الزكاة لم يرتد عن الإسلام، ولم يقل أحد بذلك. كما لم يقل أحد من الصحابة والتابعين أنّ مانعي الزكاة ارتدّوا عن الإسلام. وهذا ادّعاء موجود في كتب بعض المتأخّرين أهل السنة إنّما ظهر في الألسن بعدما أصبحت هناك مذاهب وفرق وكانت هذه

➔

➔

الجريمة الشنيعة تكشف عن حقيقة أبي بكر وبطلان خلافته، فأهل السنّة حاولوا جهدهم وبدون جدوى أن يبرّروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا بداً من نسبة الارتداد إلى مانعي الزكاة. وثانياً: كيف يمكن دعوى الارتداد، وهم قد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلّوا بفنائهم (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). وثالثاً: أنّ أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله، والمرتدّ لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال. قال ابن الأثير: وقدم متمم بن نويرة (أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي وودى مالكاً من بيت المال (انظر الكامل لابن الأثير ج٢: ص٣٥٩). ثمّ حاول البعض الآخر بأن يقول: أنّ الزكاة هي حقّ المال ،وعدم دفع حقّ المال موجب للارتداد، وهذه دعوى باطلة أيضاً، أوّلاً: لأنّ الزكاة من الأحكام الشرعيّة الفرعيّة التي تركها لا توجب الكفر والارتداد، غاية ما في الباب أن تركها موجب لفسق تاركها. وثانياً: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم قتل من قال "لا إله إلاّ الله" فقط، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتها الصحاح سنوافيك بها مفصّلاً في محلّه إن شاء الله تعالى (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لايشعر). ثالثاً: لو كانت الزكاة حقّ المال فغاية الأمر أنّه يبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوّة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. ورابعاً: لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة له وقصّته معروفة لا داعي لذكرها. فما هو جواب أهل السنّة عن الدماء التي سالت وأريقت وكذلك الأعراض والأموال التي استبيحت للحفاظ على الحكومة الجائرة التي أسّسها خلفاء السقيفة؟ وما هو جوابهم عن الشرّ والفساد الذي انتشر بين

🡐

ومن تحريم بعض المباحات وندب بعض المحرّمات وتحليلها وغير ذلك(١).

➔

المسلمين أثر تلك الحكومة الجائرة التي روجت الظلم والفتنة والفساد حتّى اشتدّت نقماتها على تمادي الأيّام، فبأيّ وجه شرعي قتلوا هؤلاء مانعي الزكاة؟ وبأيّ حكم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله استبيحت دمائهم وأموالهم وأعراضهم وبأي حقّ أعلنت أهل السنّة عليهم الردّة وطبقت عليهم أحكامها؟!

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما فعلها الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم خلفاء بني أميّة وبني العبّاس من البدعة في الدين. وهم قد وضعوا الحجر الأساس لمخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وترويج الظلم والفسق والفجور وما إلى ذلك في المجتمع الإسلامي، لتثبيت حكومتهم الجائرة. فكانوا يحرّمون ما أحلّه الله ويحلّلون ما حرّمه الله، فأرادوا بذلك أن يصدّوا عن سبيل الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الناس كانوا يعرفون الإسلام والإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وبما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فأرادوا هؤلاء أن يمنعوا الناس عن السبيل إلى الله عزّ وجلّ حتى لايبقوا وحدهم في نصب العداء لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، فشملهم قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَـذباً أُوْلَئكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلأَشْهَادُ هَؤُلاء ٱلَّذينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّالمينَ * ٱلَّذينَ يَصُدُّونَ عَن سَبيلِ ٱللهِ وَيَبْغُونَهَا عوَجاً وَهُم بِٱلآخرَةِ هُمْ كَافرُونَ**﴾ (سورة هود: ١٨-١٩). هذه الآية تبيّن أنّ تكذيب دعوة النبي الصادق صلى الله عليه وآله في الواقع هو تكذيب لكلام الله وافتراء عليه. فما فعلها الغاصبين للخلافة في السقيفة كان في الحقيقة تكذيباً لله ورسوله صلى الله عليه وآله، فهذه الآية تشملهم من جهة أنّهم صدّوا عن سبيل الله وظلموا أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث منعوهم عن نعمة إدارة الأمور بيد أئمة أهل البيت عليهم السلام. وأيضاً شملهم قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُم مَّنْ**

➔

➔
ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ (سورة النساء:٧٦). فإنّ نتيجة الصدّ عن سبيل الله هو المنع والمحاولة لإضلال الناس، ومصيره العذاب والجهنّم والكفر، فأهل البدعة هم أهل الضلال. وهناك أدلّة وروايات من أهل السنّة الدالّة على أن البدع كلّها سيئة على نحو الإطلاق؛ منها ما رواه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن ابن عبّاس: إنّ أبغض الأمور إلى الله البدع (السنن الكبرى للبيهقي ج٤: ص٢١٦). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في خطبته: «أمّا بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمّد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة» (انظر صحيح مسلم ج٣: ص١١ كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة). وهذا نصّ صريح في أنّ كلّ بدعة ضلالة. ومنها ما رواه الترمذي بسنده عن العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، ... ثمّ قال: «وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ بدعة ضلالة» (انظر سنن الترمذي ج٤: ص١٥٠). ومنها: ما رواه البخاري بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٦٧ كتاب الصلح، باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود). ومنها ما رواه الترمذي بسنده عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها» (سنن الترمذي ج٤: ص١٥٠). ومنها قول عبد الله بن مسعود: اتّبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، وكلّ بدعة ضلالة (انظر الإبانة لابن بطة: ص١٧٥). ومنها قول عبد الله بن عمر: كلّ بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة (انظر كتاب الجنائز للألباني: ص٢٠٠). كما أنّ هناك أقوال من علماء أهل السنّة تدلّ على المقام، منها: قول
➔

←

سفيان الثوريّ: البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها (الجامع الأحكام للقرطبي ج٧: ص١٤١، ومسند ابن الجعد: ص٢٧٢). ومنها قول مالك ابن أنس: من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أن محمّداًﷺ خان الرسالة؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً (انظر كتاب الاعتصام للشاطبي ج١: ص٦٤). ومنها قول أحمد بن حنبل: أصول السنّة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكلّ بدعة فهي ضلالة (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج١٨: ص٨٧). ومنها قول ابن رجب حيث قال في التعليق على قول النبيﷺ: كلّ بدعة ضلالة، من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين (انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري ج٧: ص٢٦٦). ومنها: قول ابن حجر: فقولُهﷺ: «كلّ بدعة ضلالة» قاعدةٌ شرعية كلّية بمنطوقها ومفهومها، أمّا منطوقها: فكان يُقال: حكم كذا بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع؛ لأنّ الشرع كلّه هدى (فتح الباري في شرح البخاري ج١٣: ص٢٥٤). ومنها قول شيخ الوهابيّة محمّد بن صالح العثيمين: إنّ قولهﷺ: كلّ بدعة كُلّية عامّةٌ شاملة، وكلّ ما ادّعي أنّه بدعةٌ حسنة فالجواب عنه بهذا، وعلى هذا، فلا مدخل لأهل البدعة في أنّ يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة، وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول اللهﷺ: «كلّ بدعة ضلالة» (انظر كتاب الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع: ص١٣). ومنها قول الشوكاني: هذا الحديث من قواعد الدين، ومن أصرحه وأدلّه على إبطال ما ذهب إليه الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام (انظر نيل الأوطار ج٢: ص٦٩). وإلى غير ذلك من الأدلّة والأقول الواردة في كتب أهل السنّة والجماعة، فإنّها صريحة في أنّ كلّ بدعة ضلالة وصاحبها أهل

←

نعم شيد فيها صور بعض المشروعات دون معانيها من حيث عدم فعلهم لها على حسب ما جائت به الشريعة لتعلمهم لها من الجهلة بمعانيها وشروطها ومقارناتها مثل الصلاة والصيام والزكاة والحجّ وغير ذلك[١]،

➔
النار والكفر، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ خلفاء الجور كانوا يتظاهرون بإتيان بعض الأعمال كالصلاة والصيام والحجّ ونحو ذلك إلاّ أنّهم بتحريفهم في الأحكام الإلهيّة بصورة رسميّة، وببدعتهم في الدين، كانوا يخالفون الله ورسوله ﷺ لئلا تتّحد صفوف الأمّة ولاينتشر الإسلام الحقيقي في المجتمع الإسلامي، وليتمكّنوا من السيطرة على ساحة الحكم، والتسليط على أعناق الناس، بل وكانوا يحادّون الله ورسوله ﷺ ويعادون الله ورسوله ﷺ بالمعاندة فشملهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (سورة المجادلة:٥). قال القرطبي: يحادّون الله، أي: يحادّون أولياء الله كما في الخبر من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة. وقال الزجاج: المحادّة أن تكون في حدّ يخالف يحادّون الله، أي يحادّون أولياء الله كما في الخبر من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة (انظر تفسير القرطبي ج١٧: ص٢٨٩). وحيث أنّ خلفاء الجور كانوا يعلمون أنّ امتداد الإسلام بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام، فوقفوا أمام هذين الركنين الأساسيين بالتحريف في الدين واستهدفوا الانفصال بين الأمّة والثقلين للوصول إلى أغراضهم الدنيوية، فكانوا يخدعون الناس بإقرارهم لبعض أحكام الإسلام التي تعلموها من خلال أيام حياة النبي ﷺ، ثمّ يجرون أهدافهم ضد التعاليم الدينية. ومن الواضح أنّ النبي الأكرم ﷺ كان يتولّى المسؤوليات الدينيّة، من الحكم والقضاء والتشريع، ولم يفارق الحياة حتّى قد أتمّ التشريع
➔

➔

وأكمل الدين، وقد قالﷺ في حجّة الوداع: «ليس شيء يقرّبكم إلى الجنّة إلاّ وقد أمرتكم به، وليس شيء يقرّبكم إلى النار إلاّ وقد نهيتكم عنه» (كنز العمّال ج٤: ص٢٤). فقد جعلﷺ: مرجعاً وثيقاً للمعارف الدينيّة والأحكام الشرعيّة، فأمر أمّته بالرجوع إلى كتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ، وهذا كلّه جاء في حديث الثقلين (انظر استجلاب ارتقاء الغرف السخاوي الشافعي ص١٠٩). ولا شكّ أنّ المسائل الدينيّة والأحكام الشرعيّة إنّما هي ألطاف من الله تبارك وتعالى على العباد لتحقيق النظم في حياة الإنسان كلّها، لأنّها مبنيّة على الحكمة والمصالح الواقعيّة للعباد؛ لأنّ الله تبارك وتعالى حكيم، والحكيم إنّما يكون أمره ونهيه وتشريعه على أساس الحكمة والمصالح والمفاسد الواقعيّة. فالشريعة الإسلامية مبتنية على مصالح العباد في المعاش والمعاد في الدنيا والآخرة، فهي عدل كلّها، ورحمة كلّها، وحكمة كلّها، ومصلحة كلّها. فجاءت الشريعة بالمصلحة من قبل الله تبارك وتعالى والشارع الأقدس لهذا الدين الحنيف، فالله تبارك وتعالى عدل وحكيم وأحكامه رحمة للعباد. وعليه فإنّ روح الإسلام التسليم لما شرع لهم الحكيم العليم. فيجب أن يكون المسلم تسليماً لأوامر الله تعالى بدون قيد أو شرط. وقد ورد هذا المعنى في جملة من الآيات في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦). فتقول الآية: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، والخبير يعلم أن القضاء الإلهي هنا تعني القضاء التشريعي، والقانون والأمر والحكم والقضاء، بل ويجب عليهم أن يجعلوا إرادتهم تبعاً لإرادة الله تعالى، كما أنّ كلّ وجودهم من الشعر حتّى أخمص القدمين مرتبط به ومذعن

➔

➔

له. ومن البديهي أن الله تعالى غني عن طاعة الناس وتسليمهم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله ينظر بعين الطمع لهذه الطاعة، بل هي في الحقيقة لمصلحتهم ومنفعتهم. فإنّهم قد يجهلونها لكون علمهم محدودة، إلاّ أنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بإبلاغها. وأوصى من بعده أن يرجعوا إلى الثقلين كتاب الله وعترته الطاهرة عليهم السلام لئلاّ يبقوا متحيّرين في أمرهم. وإنّ هذه الحالة تشبّه تماماً بحالة الطبيب الماهر الذي يقول للمريض: إنّني أبدأ بعلاجك إذا أذعنت لأوامري تماماً، ولم تبد أي مخالفة تجاهها، وهذه الكلمات تبيّن غاية حرص الطبيب على علاج مريضه، والله تعالى أسمى وأرحم بعباده من مثل هذا الطبيب، ولذلك أشارت الآية إلى هذه المسألة في نهايتها، حيث تقول: ﴿**وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً**﴾. فسوف يضلّ طريق السعادة، ويسلك طريق الضلال والضياع، لأنّه لم يعبأ بأمر ربّ الكون الرحيم ولم يعمل بأمر رسوله صلى الله عليه وآله، ذلك الأمر الضامن لخيره وسعادته، وأية ضلالة أوضح من هذه؟

ومن هنا يتّضح أنّ التحريف والتغيير في الدين موجب لتبديل المصلحة بالمفسدة؛ لأنّ ما كان من قبل الله فيه المصلحة وتبديله بغير ما أراد الله فيه المفسدة. وأيضاً يتّضح أنّ تحريف الأحكام نوع من التكذيب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ حقيقة التشريع الإسلامي إنّما يكون بأمر الله ونهيه. والباحث لو درس التاريخ دراسة علمية من أجل رفع الستار عن حقيقة هذا الأمر يجد أنّ أوّل من ارتكب هذه الجريمة العظمى أي التحريف في الدين والبدعة فيه هم الصحابة والخلفاء الذين غيّروا أحكام الدين بتغييرهم السنن النبويّة الشريفة من أجل المطامع الدنيوية الرخيصة، وحبّ الجاه والشهرة. وأوّل موقف رهيب في هذا المجال هو موقف عمر ابن الخطّاب وأكثر الصحابة تجاه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك عندما أراد النبي صلى الله عليه وآله أن

➔

➔

يكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصم المسلمين من الضلالة (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٣٧ كتاب المغازي، باب مرض النبيﷺ ووفاته). فعارضوا النبي الأكرمﷺ بشدّة وقساوة، وعدم احترام لمقامه السامي، حتّى اتّهموه بالهجر والهذيان، مُدّعين بأنّ كتاب الله يكفيهم فلا حاجة لكتابة الرسولﷺ، ومن خلال هذه الحادثة التي سمّاها ابن عباس رزيّة المسلمين، يتبيّن لنا بأنّ أكثريّة الصحابة كانوا يرفضون السنّة النبويّة ويقولون: حسبنا كتاب الله. وبذلك قد فتح الرجل الطريق والجرأة على الكذب بالنبيﷺ ولذلك قال النبيﷺ: «كثرت علي الكذابة» (انظر أضواء على السنة المحمديّة للكتور محمود أبو رية: ص٣٢٠). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنّه قال رسول اللهﷺ: «ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار» (صحيح البخاري ج١: ص٣٦ كتاب العلم، باب كتابة العلم).

أمّا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأتباعه من الصحابة وهم الأقليّة، والذين سمّاهم رسول اللهﷺ بشيعة علي، فكانوا يمتثلون أوامر الرسولﷺ بدون اعتراض ولا نقاش، ويعتبرون كلّ أقواله وأفعاله سنّة واجبة الاتّباع تماماً ككتاب الله. وأمّا المسمّين بأهل السنّة والجماعة القائلين بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان قد اقتدوا بهؤلاء الصحابة واتّخذوا دينهم من هؤلاء الذين أعلنوا موقفهم السلبي صراحة تجاه أوامر الله ورسولهﷺ، وقد غيّروا أحكام الله ولم يبالوا من تحريف الدين والبدعة فيه، بل ولم يكتفوا بذلك حتّى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول اللهﷺ؛ فقد نقل الذهبي: إن أبا بكر جمع أحاديث النبيﷺ في كتاب، فبلغ عددها خمسمائة حديث، ثم دعا بنار فأحرقها (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٥، وعلوم الحديث لصبحي الصالح: ص٣٩). وأخرج المتّقي الهندي في

⬅

➔

كنز العمّال بسنده عن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن، عن إبراهيم بن عمرو، عن عبيد الله التيمي، عن القاسم بن محمد، قال: قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلّب كثيراً، قالت: فغمني، فقلت: تتقلّب لشكوى أو لشيء بلغك، فلمّا أصبح قال: أي بنية هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فأحرقها وقال: خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد تقلّدت ذلك. وقد رواه القاضي أبو أميّة الأحوص بن المفضل بن غسان الغلابي، عن أبيه، عن علي بن صالح، عن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (كنز العمّال ج١٠: ص٢٨٥). وأخرج الذهبي بسنده عن الحاكم قال، فقال: حدّثني بكر بن محمد الصيرفي بمرو أنا محمد ابن موسى البربري أنا المفضل بن غسان أنا علي بن صالح أنا موسى بن عبد الله بن حسن ابن حسن عن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدّثني القاسم بن محمد: قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، قالت: فغمني فقلت: أتتقلّب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أي بنية هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذاك (تذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص٥). وإلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة عند القوم الدالّة على المقام. وبما أنّ هذا الحدث يُعدّ في غاية الخطورة والأهميّة، ولا بدّ أن يستند إلى فلسفة محكمة، وحجّة بالغة، إلاّ أنّا نرى أنّ أبا بكر لم يستند في إتلافه هذا الكتاب إلى نصّ شرعي، وإنما برّر عمله ذلك بأنّه أتلفه مخافة أن يكون كتب شيئاً لم

🡐

➔

يحفظه جيّداً، فإنّ التبرير المذكور لهذا التصرّف كان أوهن من بيت العنكبوت، والعذر أقبح من الذنب. وقد جاء في تذكرة الحفاظ للذهبي وهو بصدد المنع عن أصل رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عن تدوينه: إنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه (تذكرة الحفاظ ج١: ص٢).

وأمّا عمر بن الخطّاب فقد منع الصحابة عن رواية الحديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج الدارمي بسنده عن قرظة بن كعب أنّه قال: بعثنا عمر بن الخطّاب إلى الكوفة، وشيّعنا إلى موضع قرب المدينة يقال له صرار، وقال: أتدرون لم شيّعتُكم، أو مشيتُ معكم؟ قلنا: نعم، لحقّ صحبة رسول الله، أو لحقّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولحقّ الأنصار، قال عمر: لكنّي مشيت معكم لحديث أردتُ أن أحدّثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم، إنّكم تقدمون على قوم، أو تأتون قوماً، تهتزّ ألسنتُهم بالقرآن اهتزاز النخل، أو: للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، أو: لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، أو: فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا شريككم، أو: فلا تصدّوهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر سنن الدارمي ج١: ص٨٥). فقد حذا عمر بن الخطّاب حذو أبي بكر بن أبي قحافة في مسألة الإحراق، ولذا روى الخطيب البغدادي في تقييد العلم عن القاسم بن محمّد ابن أبي بكر أنّه قال: إنّ عمر بن الخطّاب بلغه أنّه قد ظهر في أيدي الناس كتب فاستنكرها وكرهها وقال: أيّها الناس، إنّه قد بلغني أنّه قد ظهرت في أيديكم كتب،

➔

➔

فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقينّ أحد عنده كتاباً إلاّ أتاني به، فأرى فيه رأيي. قال: فظنّوا أنّه يريد أن ينظر فيها، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف؛ فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار. ثمّ قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٢). وذكر ابن عساكر: أنّه بعث عمر بن الخطّاب إلى أبي مسعود وابن مسعود فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله (تاريخ مدينة دمشق ج٣٣: ص١٥٩). وفي الكامل لابن عدي: بعث عمر ابن الخطّاب إلى عبد الله بن مسعود، وإلى أبي الدرداء، وإلى أبي مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فحبسهم بالمدينة حتّى استشهد (الكامل لابن عدي ج١: ص١٨).

وسار عثمان بن عفان على نفس الخطى المريبة التي سار عليها أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب من قبله، ولم يسمح بالرواية إلاّ لما أُقرّ من قبله رسميّاً، ضمن سياسة المنع السابقة، وفي حدودها المرضيّة. وقد روي بهذا الشأن عن محمود ابن لبيد أنّه قال: سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحلّ لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا عهد عمر (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص٣٣٦). وعلى أيّة حال فقد اتّخذ الحكّام والولاة فيما بعد ذلك عين سياسة المنع هذه، واقتفوا نفس الأثر، ولذا يقول الشيخ محمد أبو زهو: وقد تتابع الخلفاء على سنّة عمر.. فلم يشأ أحدهم أن يدوّن السنن، ولا أن يأمر الناس بذلك حتّى جاء عمر بن عبد العزيز (الحديث والمحدّثون لمحمد أبي زهو: ص١٢٦). ومن أساليب الإبادة التي تعرّضت إليها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد هذه المرحلة أسلوب الدفن للكتب الحديثية، والغسل، والمحو لها، ولذا يقول إبراهيم ابن هاشم على ما في تقييد العلم: دفنّا لبشر بن الحارث ثمانية عشر ما بين قمطر

🡐

فـإنّهم يتلقّونهـا عـن حفظـة علـم الـشريعة وهـم أهـل البيـت عتـرة خيـر الرسل عليهم السلام [(١)]

➔

وقوصرة (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٦٣).

والمهمّ أنّ أحد أسباب التحريف في الـدين والبـدع الـصادرة مـن الخلفـاء والـصحابة هومخالفتهم للشريعة المقدّسة من أجل المطامع الدنيوية، وإنّ المـصلحة الظاهريـة كانت تقتضي أن يتظاهرون بإتيان بعض الأعمال كالـصلاة والـصيام والحجّ ونحـو ذلك، وبتحريفهم بأداء بعض الأعمال والمخالفة لبعض الآخر كانوا يخـالفون سـنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسنن أهل بيته عليهم السلام لـئلاّ تتّحـد صـفوف الأمّـة ولا ينتـشر الإسـلام الحقيقي في المجتمع، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ خلفاء الجور كانوا يأخذون معالم الدين وأحكـام الإسـلام مـن أهل البيت عليهم السلام فكانوا يراعون ما تستخدم مصالحهم وأهدافهم الشخصية، ويبدّلون ما كان علـى خـلاف مـصالحهم بالبـدع الزائفـة والآراء الباطلـة والأفكـار الفاسـدة. وكان الناس التابعين لهم يتبعونهم فـي جميـع ذلـك، حتّـى انتـشرت جميـع بـدعهم وآرائهم بين المسلمين جيلاً بعد جيل. ولا يخفـى علـى الخبيـر أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله كـان لـه الولايـة وقيـادة فـي المـسائل الدينيّـة والـسياسيّة والاجتماعيّـة، وكـان لـه المرجعيّة الدينية العلميّة والثقافيّة، وجميع مـا كـان يـرتبط بحيـاة المـسلمين، فكـان يبيّن لهم جميع احتياجـاتهم العقائديّـة والفقهيّـة والأخلاقيّـة وغيـر ذلـك ممّـا كـان المسلمين يواجهونه. وحيث كانت حاجة المـسلمين إلـى مثـل هـذه المرجعيّـة فـي جميـع الأزمـان حتـى بعـد وفـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله، فكـان مـن الـلازم أن يقـوم مقـام النبي صلى الله عليه وآله من له جميع صـفات النبـي صلى الله عليه وآله فـي المجـالات المختلفـة مـن العلميـة والثقافية وغيـر ذلـك، ليـسدّ الفـراغ الحاصـل بوفـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله. ولكـن سياسـة

➔

حسبما دلّ على ذلك خبر الثقلين[(١)]،

➔ السقيفة منعت الناس من الرجوع إلى ما أوصى به الرسول الأعظمﷺ في هذا المجال. فاستغلّ خلفاء الجور هذه الحاجة من الأمّة ولكن حيث لم يكونوا مؤهلين لها فاستخدموا البدع والتحريف في الدين مكان الأحكام والمعالم الدينية. نعم كانوا يعملون ببعض الأحكام التي كانت تسخدم مصالحهم لحفظ الظاهر. ولكن الباحث يعلم أنّ رسول اللهﷺ أوصى أمّته بالتمسّك بأهل بيتهعليهم السلام، وحثّ على ذلك من خلال أحاديث كثيرة باعتبار أنّهمعليهم السلام مرجعاً دينياً علميّاً غنيّاً يستمر بهم الرسالة السماوية وسيبقى بهم الإسلام إلى يوم القيامة. وهم عدل القرآن الكريم الكتاب السماوي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فالقرآن وأهل البيتعليهم السلام هما الذين ترفعان حاجة المسلمين بعد وفاة رسول اللهﷺ. ولهذا أمرﷺ المسلمين بالتمسّك بالثقلين معاً مرّات عديدة، من خلال الروايات المتواترة التي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه، وبه يعرف أنّ جميع أسرار الدين والمعارف الإلهية والأحكام الشرعيّة تكون مطوية فيهما فلاحظ.

(١) فإنّ حديث الثقلين من الأحاديث الثابتة الصحيحة عند علماء الإسلام ومحدّثيهم، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين، وقد تكرّر صدور هذا الحديث من النبي الأكرمﷺ في مواضع عديدة، وكلّ موضع منها يشكل مسيره التاريخية، وسنذكر مواردها إن شاء الله تعالى في محلّه. فحديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبويّة عند أهل السنّة والجماعة وأقواها سنداً، وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث... (انظر فيض القديرج٣: ص١٤). وقال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن ➔

➔

نيّف عشرين صحابياً... (الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وجابر وحذيفة بن أسيد الغفاري وخزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وضميرة وعامر بن أبي ليلى وعبد الثرى بن عوف وعبد الله بن عباس وعبدالله بن عمر وعديّ بن حاتم وعقبة بن عامر وعلي بن أبي طالبعليه السلام وأبي ذر وأبي رافع وأبي تسريح لخزاعي وأبي قدامة الأنصاري وأبي هريرة وأبي الهيثم بن التيهان وأمّ مسلمة وأم هاني بنت أبي طالب وورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط). وقد أفرد العلامة السيّد ميرحامد حسينقدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته: عبقات الأنوار.

هذا وروى السمهودي بإسناده عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سببه بيده وسببه بأيدكم، وأهل بيتي» (جواهر العقدين: ص١٧٢). وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين ابن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماه يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد لله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل

🡐

➔
بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام) وغيرهم من علماء أهل السنّة.

وأمّا دلالة الحديث فإنّه بالصراحة يدلّ على حصر الإمامة في أهل البيتعليهم السلام ويدلّ أيضاً على عصمتهم؛ لأنّ النبيصلى الله عليه وآله قرن أهل بيته بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرّح الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله في الحديث بأنّهما «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر مجمع الزوائدج٩: ص١٦٤)، ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام عليّ بن ابي طالبعليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص٧٤ في الباب الرابع، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٦٦، والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٨، والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم.

فدلالة الحديث على عظمة أهل البيتعليهم السلام أوضح من أن يخفى على أحد ، حيث أنّ المستفاد من الحديث أنّ من أراد أن يعرف عظمة أهل ابيتعليهم السلام يلزم عليه أوّلاً: أن يعرف عظمة القرآن ، ثمّ يعرف معنى المعيّة في قول رسول اللهصلى الله عليه وآله وأيضاً يعرف معنى قولهصلى الله عليه وآله: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي»، ثمّ يعرف معنى عدم تفرّقهما إلى يوم القيامة. ومن الواضح أنّ البحث في هذه الجهات تطلب مجالاً واسعاً، ولكن نكتفي هنا بذكر كلام المناوي في شرح هذا الحديث قال: «علي مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»، وقال: ولهذا كان أعلم الناس بتفسيره (أي تفسير القرآن)، قال المولى خسرو الرومي: عندما قال القاضي:
➔

➔

إنّه جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة: أراد بعظمائهم علياً وابن عباس والعبادلة وأبي وزيد، قال: وصدرهم عليّ، حتّى قال ابن عبّاس: ما أخذت من تفسيره فعن علي، ويتلوه ابن عبّاس... (فيض القدير ج٤: ص ٣٥٧). وهذا الكلام من المناوي يدل على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّه كان أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فالحديث من جهة الدلالة واضح، إذ فيه النكات الدقيقة التي تتضمن بيانات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ونحن اكتفينا بالإشارة إلى بعضها ومن تلك النكات: دلالة جملة إنّي قد تركت على أنّ الكتاب والعترة تركة وميراث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أمّته؛ لأنّ نسبة النبي صلى الله عليه وآله إلى أمّته نسبة الأب إلى ولده، وذلك أنّ الإنسان موجود مركّب من الجسم والروح، ونسبة الروح إلى الجسم نسبة المعنى إلى اللفظ واللبّ إلى القشر، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أخبر أمّته عن رحيله، وأنّ ربّه تعالى سيدعوه إلى جواره فيجيبه ويفارقهم كأنّي قد دعيت فأجبت، وأكّد عليهم أنّي تركت فيكم حصيلة عمري وثمرة وجودي شيئين كتاب الله وعترتي، فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبي صلى الله عليه وآله، والانقطاع عن النبي صلى الله عليه وآله انقطاع عن الله سبحانه أيضاً.

وكان يكفي لبيان عظمة القرآن مجرّد إضافتها إلى الله تعالى كما يكفي لبيان عظمة العترة الطاهرة إضافتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، ومع ذلك قد وصفهما النبي صلى الله عليه وآله بالثقلين ليدلّ على جوهرهما الغالي ووزنهما الثقيل، فنفاسة القرآن الكريم وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول، لأنّ القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي الذي هو تبيان لكلّ شيء، وهو النور الذي أنزله تعالى

➔

➔

ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو النور والضياء الذي يبدّد للبشريّة ظلمات الكفر والحيرة، ويحدّد لهم المنهج الصحيح في بيداء الضلالة ليرشدوا ويسعدوا.

ثمّ إنّ وصفه العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامه صلى الله عليه وآله عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن - في كلام النبي صلى الله عليه وآله - إلا إذا كانت العترة فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النحل:٨٩) شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿**لا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة الفصّلت:٤٢) شريكاً في عصمته.

ويدلّ قوله صلى الله عليه وآله: «لن يفترقا» أو «لن يتفرّقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة الطاهرة بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وذلك أنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله لكافّة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام وإشاراته للعلماء ولطائفة للأولياء وحقائقه للأنبياء عليهم السلام، فيلزم من جملة لن يفترقا أن تكون العترة كذلك وفي بعض صيغ حديث الثقلين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، واهتداء الإنسان لا يتيسّر إلاّ بالتعليم والتربية بالوحي الإلهي. وبقانون التناسب والسنخيّة، لا بدّ أن يكون لكتاب الوحي الإلهي الذي يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدّونة من معلّم يعلم معالمه وحدوده.

وفي تفسير قوله صلى الله عليه وآله «لا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»، نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر في وصف أهل البيت عليهم السلام: وتميّزوا عن بقية الصلحاء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً... (إلى أن قال): ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم علي ابن أبي طالب عليه السلام، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبوبكر: عليّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما

➔

وخبر السفينة[1]،

➔
قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدير خمّ (الصواعق المحرقة: ص١٥٩). فأراد أن يبيّن رسول الله ﷺ مصداق العترة وأن يعرّف الذي لا يفترق القرآن عنه ولا يفترق عن القرآن لئلاّ تبقى أية شبهة لأحد من الأمّة، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه...».

فمع أنّ الحجّة كانت تامّة ببيان الكبرى لانطباقها على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مطابقة لعلمه وعصمته - بشهادة الكتاب والسنّة - فقد أكّدها رسول الله ﷺ بإثبات ولايته على كلّ مؤمن للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لئلاّ يتخلّف أحد عن دائرة هدايته العامّة وولايته المطلقة وخلافته بلا فصل، فلاحظ.

(١) إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد رواه علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة وبألفاظ مختلفة عن النبي ﷺ. قال ابن حجر: وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»، وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (الصواعق المحرقة: ص١٥٠). ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»". ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨ والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٤٥، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢:
➔

➔

ص٥٣٣ وغيرهم؛ وجاء في رواية الطبراني عن حنش بن المعتمر.. مثله وفيه: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»، و«مثل باب حطة بني إسرائيل» (انظر المعجم الأوسط ج٤: ص١٠). وأخرج أيضاً بسنده عن مسلم بن إبراهيم عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق» (المعجم الكبير ج٣: ص٤٦).

وأخرج أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زُج في النار». قال: أخرجه ابن السري (ذخائر العقبى: ص٢٠)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص١١٨وغيره. وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢١٨). وأخرج الهيثمي بسنده عن عبد الله بن الزبير أنّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها سلم ومن تركها غرق». رواه البزار (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨).

وجاء في النهاية لابن الأثير بهذا اللفظ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من تخلّف عنها زخ به في النار» قال: أي دفع ورمي (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢: ص٢٩٨). وقال ابن عربي في تفسيره: وأمّا التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق». والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبي وتزكية نفس، كما جاء في

➔

➔

كلام إدريس النبي عليه السلام ومخاطباته لنفسه ما معناه: «إن هذه الدنيا بحر مملوء ماء، فإن اتّخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلاّ غرقت فيها وهلكت»، فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتّخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم... (انظر تفسير ابن عربي ج١: ص٣٢٣).

والحديث يدلّ بالصراحة على إمامة أهل البيت عليهم السلام من وجوه: الأوّل: أنّ حديث السفينة يدلّ على وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام على الإطلاق، ولا يجب اتّباع أحد كذلك - بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله - إلاّ الإمام كما دريت فيما سبق في وجوه دلالة حديث الثقلين على المطلوب. ويشهد لدلالته على وجوب اتّباعهم مطلقاً كلمات عدّة من علماء أهل السنّة التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

الثاني: يدلّ الحديث على الإمامة أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم، لأنّ النجاة والخلاص على نحو الإطلاق تستلزم العصمة والعصمة تستلزم الإمامة والخلافة، فيدلّ الحديث على وجوب اتّباعهم عليهم السلام على نحو الإطلاق؛ لأنّهم أهل النجاة والخلاص، ومن المعلوم أن كونهم كذلك دليل على عصمتهم، والعصمة والاتّباع على نحو الإطلاق تستلزم الإمامة والخلافة. هذا وقد نصّ جماعة من علماء أهل السنّة على دلالة الحديث على وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام على نحو الإطلاق وصرّحوا بأنّ وجه تشبيه بالسفينة دالّ على ذلك؛ منهم الواحدي في تفسيره حيث قال: انظر كيف دعا الخلق إلى النسب إلى ولائهم والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوح عليه السلام. جعل ما في الآخرة من مخاوف الأخطار وأهوال النار كالبحر الذي لجّ براكبه، فيورده مشارع المنية ويفيض عليه سجال البليّة، وجعل أهل بيته عليهم السلام مسبب الخلاص من مخاوفه والنجاة من متألّفه، وكما لا يعبر البحر

➔

➔

الهياج عند تلاطم الأمواج إلاّ بالسفينة، كذلك لا يأمن نفخ الجحيم ولا يفوز بدار النعيم إلاّ من تولى أهل بيت الرسول (صلوات الله عليه وعليهم)، وتخلى لهم ودّه ونصيحته وأكّد من موالاتهم عقيدته، فإنّ الذين تخلّفوا عن تلك السفينة آلوا شرّ مآل وخرجوا من الدنيا إلى أنكال وجحيم ذات أغلال، وكما ضرب مثلهم بسفينة نوح قرنهم بكتاب الله تعالى فجعلهم ثاني الكتاب وشفع التنزيل (انظر تفسير الواحدي: ص١٠٥).

وقال السمهودي في تنبيهات الذكر الخامس: ثانيها قولهصلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه»، الحديث، ووجهه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوحعليه السلام، وقد سبق في الذكر قبله في حثّهصلى الله عليه وآله على التمسّك بالثقلين كتاب الله وعترته. قولهصلى الله عليه وآله: «فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»، وقولهصلى الله عليه وآله في بعض الطرق: «نبّأني اللطيف الخبير»، فأثبت لهم بذلك النجاة وجعلهم وصلة إليها، فتمّ التمسّك المذكور، ومحصّله الحثّ على التعلق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهمصلى الله عليه وآله، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران (انظر جواهر العقدين مخطوط).

وقال ابن حجر: ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ: إن من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهمعليهم السلام وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز تيار الطغيان (الصواعق المحرقة: ص١٥٣).

الثالث: دلالة الحديث على أفضلية أهل البيتعليهم السلام من سائر الناس مطلقاً، إذ لو كان أحد أفضل منهم - أو في مرتبتهم من الفضل - لأمر الرسولصلى الله عليه وآله بالاقتداء به

🡐

وما بمعناهما[١]. فعلم ممّا بيناه عدم حصول السياسة الدينيّة من إمامة الثلاثة ومن تابعهم[٢].

←

دونهم، وإلاّ لزم أن يكون قد غش أمّته، وحاشا لله من ذلك...

وقد صرّح بذلك جماعة من أعيان علماء السنّة كما تقدّم ذكر بعضهم.

الرابع: أنّ الحديث يدلّ على أن محبّة أهل البيت عليهم السلام توجب النجاة وهذا المعنى يستلزم عصمتهم، إذ لو كان منهم ما يوجب سخط الباري تعالى لما جازت محبّتهم ومتابعتهم فضلاً عن وجوبها وكونها سببا للنجاة - وهذا واضح - وإذا ثبت عصمتهم عليهم السلام لم يبق ريب في إمامتهم...

الخامس: أنّ الحديث يدلّ على وجوب محبة أهل البيت عليهم السلام على الإطلاق، ووجوبها كذلك دليل على وجوب عصمتهم وأفضليّتهم والانقياد لهم، كما أنّ آية المودة تدلّ على ذلك، وكلّ ذلك يستلزم الإمامة.

السادس: أنّ الحديث يدلّ على هلاك وضلال المتخلّفين عن أهل البيت عليهم السلام. ومن الواضح أنّ تخلّف الخلفاء عنهم موجب لهلاكهم وضلالهم، كما أنّ مصير أتباع الخلفاء أيضاً الهلاكة والضلالة بنصّ هذا الحديث. كما أنّ الحديث دالّ على بطلان خلافة خلفاء أهل السنّة. ويدل الحديث ايضا على أنّ منكر إمامة أهل البيت عليهم السلام كافر؛ لأنّ إنكار ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله مع الالتفات إنكار للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وإنكار النبي صلى الله عليه وآله كفر باتّفاق المسلمين فلاحظ.

(١) وذلك كحديث الكساء وحديث يوم الدار وحديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض وحديث المباهلة وغيرها من الأحاديث.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّ السياسة الدينية الصحيحة هي السياسة التي مبنيةً على الولاية الإلهية، كولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية أهل البيت عليهم السلام على الأمّة. وهي في

→

➔

الحقيقة التولي إلى ولاية الله عزّ وجلّ، والعمل بما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ (سورة المائدة:٥٥). فقد ابتدأت هذه الآية بكلمة "إنما" التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث وهم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والذي آمن وأقام الصلاة وأدّ الزكاة وهو في حالة الركوع في الصلاة. وقد وردت الروايات المتواترة من الفريقين في شأن نزول الآية، بأنّ المراد من المؤمن الذي أعطى الزكاة في حال ركوع صلاته هو مولانا الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. وسنتطرق لذكر الروايات بالتفصيل في محلّه. وأمّا إجمال القضية فهي أنّ كلمة "الولي" الواردة في الآية، تدلّ على أنّ الولاية المذكورة في الآية هي أساس السياسة الدينية، وهي منحصرة الثلاثة الذين عينهم الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ..﴾ وبهذه الصورة فإنّ الآية الكريمة تعتبر نصّاً قرآنيا يدلّ على أنّ ولاية مولانا الإمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ولاية إلهية كولاية الرسول صلى الله عليه وآله. كما أنّ آية التطهير تدلّ على ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، حيث أنّها تدلّ على عصمتهم، ومن الواضح أنّ العصمة شرط للولاية والإمامة كما أنّها شرط للنبوّة كما سيأتي تفصيل الكلام فيه إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ الخلفاء الثلاثة الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام لم تكن لديهم السياسة الدينة؛ لأنّه لم تكن لهم الولاية الإلهية. حيث أنّ ثبوت الولاية إنّما تكون متوقفة على النصّ، كولاية النبي صلى الله عليه وآله على الأمّة، وولاية الإمام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام كما جاء ذكرهما في الآية الكريمة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه...» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨)، أي أنّ ولاية علي كولايتي

➔

فالمقصود لله ورسوله لم يحصل منهم لما نبّهنا عليه[(١)].

وسادسها: ما قاله من ثبوت الجرم على أهل الشوكة المقدّمين للمفضول على الفاضل فإنّه ناقض لمبنى مذهبه[(٢)]؛

من الله. فالسياسة الدينية متوقفة على الولاية الإلهية فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّه لمّا كانت الغاية من الخلافة الشرعيّة إجراء الولاية الإلهية والسياسة الدينيّة وتطبيقها في الحكومة الإسلامية التي حقّقها النبي الأكرمﷺ حسب الولاية التي جعلها الله تعالى لهﷺ، فلم يتحقّق ذلك بسياسة خلفاء الجور، لأنّ المقصود من الخلافة الشرعيّة إجراء الأحكام الإسلامية والسياسة الدينية التي أسّسها النبي الأكرمﷺ على أساس الوحي، وهذه السياسة كانت متقوّمة بإجراء الأحكام الإسلاميّة بشكل صحيح على ما شرعه الله في الكتاب العزيز وإجراء السنّة النبويّة. ولكن لم يحصل ذلك في حكومة خلفاء الجور؛ لأنّ حكومة خلفاء الجور كانت متقوّمة بالإنحراف والبدع في الدين ، وعلى أساس الظلم والإرهاب والعنف، وهي مخالفة لسياسة الله ورسولهﷺ وأهل البيتعليهم السلام، لأنّها كانت مبنيّه على أساس الميول النفسانية الباطلة والأهواء الزائغة، لا على أساس الولاية الشرعيّة، والمعارف الدينية، فلم يحصل بحكومتهم المقصود كما هو ظاهر واضح.

(٢) وتوضيح المقام أنّه قدتقدّم البحث حول قبح تقديم المفضول على الفاضل أو الجاهل على العالم عقلاً، بل الوجدان قاض بقبحه، ولا يشكّ فيه ذو عقل ومن كان عنده أدنى مرتبة من الالتفات. وهذه القاعدة العقليّة من المسلّمات التي تكون جارية في كلّ المجتمعات وعلى مدى كلّ الأعصار والأمصار؛ لأنّ الحكم العقلي من الفطريّات البديهيّات، ومن الارتكازيّات والواضحات، إذ كلّ أحد يعلم بالضرورة أنّ كل عالم يكون مستغنياً عن الجاهل وكل جاهل يكون محتاجاً إلى

➔
العلم ، كما أنّ كل فاضل يكون مستغنياً عن المفضول، والمفضول يكون محتاجاً إليه. وقد جاءت هذه الحقيقة في الكتاب والسنّة بصورة واضحة، فقد قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إِلاّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (سورة يونس:٣٥). فإذا أراد الإنسان الوصول إلى أمر واقع وإلى حقيقة من الحقائق فلا بدّ أن يهتدي بمن يعلم تلك الحقيقة فعند ذلك يهتدي ويوصل إلى تلك الحقيقة، وأمّا الذي ليس بمهدي وليس بعارف بالحقيقة فإنّه كيف يمكن أن يكون هادياً للآخرين إلى الواقع؟!!! وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر:٩)، وقال تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (سورة الرعد:١٦). وحيث أنّ التقدّم في الموارد المذكورة في كمال الوضح عقلاً، لذلك جاء في الآيات بشكل الاستفهام الاستنكاري، كما جاءت هذه الحقيقة في السنّة النبوية وهي كثيرة. منها: ما رواه الباقلاني عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «من تقدّم على قوم من المسلمين، وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه، فقد خان الله ورسوله والمسلمين» (انظر التمهيد للباقلاني: ص١٩٠). ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن ابن عبّاس عن رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «ومن ولي ولياً من المسلمين شيئاً من أمور المسلمين وهو يعلم أن في المسلمين من هو خير للمسلمين منه وأعلم بكتاب الله وسنّة رسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقد خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين» (تاريخ مدينة دمشق: ج٥٣: ص٢٥٦). ومنها: ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من استعمل رجلاً على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين». ثمّ قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٩٢)، ورواه ابن حجر في سبل
➔

لأنّ تميز الفاضل من المفضول شرعاً مرجعه إلى ما ورد في حقّ الفاضل من المناقب وجهات الفضل في الشريعة ما لم يرد في حقّ غيره[1]،

➔

السلام ج٤: ص١١٧. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وعلى هذا الأساس فقد قرّر العلماء الفريقين على أنّ قاعدة قبح تقديم المفضول على الفاضل من الأمور المسلّمة، وحتّى ابن تيمية أذعن بذلك، حيث قال: تولية المفضول مع وجود الأفضل ظلم عظيم (انظر منهاج السنّة ج١: ص٤٧٥). وقال المحبّ الطبري: لا ينعقد ولاية المفضول عند وجود الأفضل (الرياض النضرة ج١: ص٢١٦). فالمرتكز في النفوس وجوب تقدّم الفاضل على المفضول عقلاً، ككون الإنسان أعلم وأشجع وغير ذلك من صفات الفضل فهو أمر واضح لا غبار عليه، فكيف يقول ابن تيمية أن الجرم الوحيد الذي ارتكبها خلفاء الجور هو تقديم المفضول على الفاضل. أوّلاً: أنّ هذا الجرم ليس جرماً صغيراً بعد ما ثبت من قبح التقدم عقلاً ونقلاً. وثانيا: لم يكن جرم خلفاء الجور منحصراً بهذا الأمر، بل هناك انحرافات وبدع منهم في الدين كما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ تقدّم الفاضل على المفضول مرجعه شرعاً إلى الآيات المحكمة كقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة الزمر:٩)، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ عديدة**﴾ (سورة الأنعام:٥٠)، و قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾ (سورة الرعد:١٦). وإلى غير ذلك من الآيات. كما يدل على ذلك الروايات الواردة في تفسير هذه الآيات كما سنذكرها إن شاء الله في محلّه. وعليه فإنّ الأفضليّة عبارة عن تقدّم الشخص بمجموعة

➔

➔

خصال يتحلّى بها الفاضل، وتكون هذه الخصال سبباً لتقدّمه على غيره شرعاً. وذلك بالدليل القطعي الدالّ على تقدّمه شرعاً. ولا معنى للتفصيل بين موارده مع وحدة الملاك. ولا يخفى على أحد أنّه قد وردت في الأدلّة والنصوص المعتبرة لدى الفريقين من الكتاب والسنّة الدالة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام على جميع الخلق بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، واعترف بذلك علماء أهل السنّة، منهم التفتازاني، فإنّه روى الأحاديث النبوية الدالّة على أفضليّة أهل البيتعليهم السلام على غيرهم، ثمّ روى من طرقهم المعتبرة حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»، وقال: ويدلّ على وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت الطاهرين في كلّ زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحث المذكور على التمسّك بهم، كما أنّ الكتاب كذلك (انظر شرح المقاصد ج٥: ص٢٠٢-٢٠٣). وقال بعض العلماء: أنّ هذا الحديث صار سبباً لتشيّع بعض علماء أهل السنّة، معلّلاً بأنّ ميتة الجاهليّة إنّما تكون بفوات المعارف التي هي من أصول الدين وذلك لا ينطبق إلا على رأي الشيعة وممّا يفيد بقاءهم إلى انقضاء التكليف (انظر كتاب كشف الغطاء ج١: ص٧٢). كما روى بعض علماء أهل السنّة عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: «النجوم أمان لأهل السماء... وأهل بيتي أمان لأمّتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٢: ص٤٤٨). وقال ابن حجر: إنّ القطب لا يكون إلاّ من أهل البيتعليهم السلام (راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ص٩١، وفيض القدير للمناوي ج٥: ص٥١٧). وروى الزمخشري في ربيع الأبرار: أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «لمّا أسرى بي جبرائيل إلى السماء أخذ بيدي وأقعدني على درنوك من درانيك الجنّة، ثمّ ناولني سفرجلة، فبينما أنا أقلّبها انفلقت وخرجت منها جارية

➔

➔
لم أرَ أحسن منها، فسلّمت علي، فقلت: من أنت؟ فقالت: أنا الراضية المرضيّة، خلقني الجبّار من ثلاثة أصناف: أعلائي من عنبر، ووسطي من كافور، وأسفلي من مسك، ثمّ عجنني بماء الحياة وقال لي: كوني، فكنت، خلقني لأخيك وابن عمّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام» (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ج١: ص٢٣٤). وروى أبو بكر الخوارزمي في كتاب المناقب عن بلال، قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم متبسّماً ضاحكاً، ووجهه مشرق كدائرة القمر، فسألته عن ذلك، فقال: «بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي، فإنّ الله تبارك وتعالى زوّج عليّاً عليه السلام من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان بهزّ شجرة طوبى، فحملت رقاقاً» يعني صكاكاً «بعدد محبّي أهل البيت عليهم السلام، وأنشأ ملائكة من نور، ورفع إلى كلّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها، نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلا دفعت إليه صكّاً في فكاكه من النار» (انظر المناقب للخوارزمي: ص٣٤٠)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص٦٦. والأحاديث في هذا المجال كثيرة وهي تدلّ بالصراحة على أفضليّة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وبعد ثبوت هذه الأدلّة عند أهل السنّة يلزم عليهم الإلتزام بتقدّم أهل البيت عليهم السلام على جميع الخلق بمقتضى الأدلّة الثابتة عندهم، وبمقتضى الأمر العقلي وقبح تقديم المفضوم على الفاضل يلزمهم القول بتقدّم الأفضل. فالأدلّة النقلية والعقلية يدلاّن على تقدّم الفاضل على المفضول كما هو واضح ظاهر. وإذا ثبت عندهم تقدّم الأمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يلزمهم اتباعهم، حيث أنّ الإمام والخليفة يلزم أن يكون أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ الإمام هو حجّة من قِبل الله على العباد، وبقاء الدين والشريعة موقوف على وجوده، إذ بالإمام يعرف معالم الدين والأحكام الشرعيّة،
➔

فيصير الغير دونه في المنزلة عند الله[1]،

➔

فيجب أن يكون أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس، أنّه قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله من عند زينب بنت جحش فأتى بيت أمّ سلمة – وكان يومها من رسول الله صلى الله عليه وآله – فلم يلبث أن جاء علي، فدقّ الباب دقّاً خفيّاً، فاستثبت رسول الله صلى الله عليه وآله الدقّ وأنكرته أمّ سلمة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «قومي فافتحي له الباب»، فقالت: يا رسول الله من هذا الذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب؟ فأتلقاه بمعاصمي وقد نزلت في آية في كتاب الله بالأمس فقال لها كالمغضب: «إن طاعة الرسول طاعة الله ومن عصى الرسول فقد عصى الله، إنّ بالباب رجلاً ليس بالنزق ولا بالخرق، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، ففتحت له الباب فأخذ بعضادتي الباب حتّى إذا لم يسمع حسّاً ولا حركة، وصرت إلى خدري استأذن، فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتعرفينه؟» قلت: نعم، هذا علي بن أبي طالب، قال صلى الله عليه وآله: «صدقت، سحنته من سحنتي ولحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، اسمعي واشهدي، هو قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي، اسمعي واشهدي هو والله محيي سنّتي، اسمعي واشهدي لو أن عبداً عبد الله ألف عام من بعد ألف عام بين الركن والمقام، ثمّ لقي الله مبغضاً لعلي لأكبّه الله يوم القيامة على منخريه في النار» (انظر المناقب للخوارزمي:ص٨٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، فإنّها تدلّ بالصراحة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وبعد ثبوت هذه الأفضلية بالدليل القطعي فما وجه تقدّم الآخرين عليهم؟! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت أفضليّة أهل البيت عليهم السلام بالأدلّة القاطعة من الكتاب والسنّة يجب تقدمهم على غيرهم شرعاً وعقلاً، لأنّه لا يجوز التقدّم على من قدّمه

➔

➔

الله ورسولهﷺ على الآخرين، كما أنّ النبيﷺ مقدّم على غيره، فلا يجوز التقدّم عليه. ولا يخفى على الخبير أنّ الميزان في الأفضليّة عند الله هو القرب من الله عزوجل، والقرآن الكريم قد أعطانا الملاك الأفضلية والتقدم بالتقوى ، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (سورة الحجرات:١٣). فقد نبّه تبارك وتعالى في صدر الآية على بأنّ الناس بما هم ناس يساوي بعضهم بعضاً، لا اختلاف بينهم ولا فضل لأحدهم على غيره، وأنّ الاختلاف المترائي في الخلقة من حيث الشعوب والقبائل وغير ذلك إنّما هو للتوصّل به إلى تعارفهم ليقوم به الاجتماع المنعقد بينهم إذ لا يتمّ ائتلاف ولا تعاون وتعاضد من غير تعرّف، وعليه فلا تفاخر في الأنساب ولا تفاضل بين الناس إلاّ بالتقوى والتقرب إلى الله. فالملاك الوحيد عند الله في التقرب إلى الله التقوى، وكلّما ازدادت هذه الصفة في الإنسان يزداد تقرّبه إلى الله وكلما ازداد التقرب إلى الله فهو الأفضل، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ (سورة القمر:٥٤-٥٥). والمستفاد من الآيتين: أنّ مكان استقرار المتّقين في الجوار الله والقرب منه سبحانه. وقد ورد في الحديث عن رسول اللهﷺ قال: «أيّها الناس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤١١). فإنّ التقوى تُهئ الأرضيّة لكلّ البرامج للدعوة إلى الله سبحانه، لأنّ حقيقة التقوى هي ذلك الإحساس الداخلي بالمسؤولية، ولولا هذا الإحساس فإنّ الإنسان لا يندفع ولا يتحرّك باتّجاه أي برنامج بنّاء. فالتقوى هي الهدف الأسمى للهداية والانتفاع بآيات الله، كما جاء

➔

➔

في الآية الثانية من سورة البقرة: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾. فإنّ دعوة الأنبياء إلى الله تعالى فرع التقوى. فالميزان الحقيقي في الأقربية إلى الله هي التقوى، ولذلك قال تعالى مخاطباً للنبي الأكرمﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيماً**﴾ (سورة الأحزاب:١). من الواضح أنّ النبيﷺ هو أتقى الناس عند الله تبارك وتعالى، فإنّ الأمر بالقوى إشارة إلى أنّ التقوى ملاك للدعوة إلى الله. وتأكيداً لموضوع التقوى نفي ورفض طاعة الكافرين حيث يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾، ومعناه الإشارة إلى أنّ أعداء الله الضارّين في مقابل أهل الدعوة إلى الله يعرفون بنفي التقوى فهم أشواك ضارّة موذية ولا بدّ أن يُتحذّر منهم. فالميزان الذي يعطينا القرآن للأفضليّة هي التقوى، كما أنّ الروايات تدلّ على ذكر المصاديق للآية الكريمة، فقد ورد في الحديث عن رسول اللهﷺ إنّه قال: «أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر» (الرسالة السعدية للعلامة الحلّيقدس سره: ص١٦٠). وروى الشيخ الصدوققدس سره بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ أقرب الناس إلى الله عزّ وجلّ وأعلمهم وأرأفهم بالناس محمّد والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين» (انظر كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٢٨). وأخرج النسائي في سننه الكبرى بسنده عن حبّة العرني أنّه سمع أبا سعيد الخدري يروي عن رسول اللهﷺ في قوم يخرجون من هذه الأمّة، فذكر من صلاتهم وزكاتهم وصومهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز القرآن تراقيهم يخرجون في فرقة من الناس يقاتلهم أقرب الناس إلى الحقّ؛ ذكر ما خصّ به علي من قتال المارقين (انظر السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٥٩). ومن هنا يعرف أنّ الميزان في الأفضلية هو

➔

والمنصف متى نظر إلى السنن المعروفة بالصحّة والحسن عند من تسمّى بأهل السنّة يعلم علماً يقيناً بأنّ الفضل بأجمعه مختصّ بأهل البيتعليهم السلام[1]،

➔

القرب إلى الله، والقرب إلى الله يحصل بالتقوى. فالشرط الأساسي للدعوة الإلهية والهداية الربانية هو أن يكون الهادي أتقى الناس. ومن الواضح أنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله هو أتقى الناس، وقد ثبت بشهادة الله عزّ وجلّ وبنص الآية المباهلة أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله في جميع الصفات النفسانية التي منها التقوى، فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يكون أتقى الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. ومعناه أنّهعليه السلام أقرب الناس إلى الله، ومن كان أقرب الناس إلى الله فهو أفضل الناس. ومن الواضح أنّ الهداية الإلهية والدعوة إلى مشروط بالأفضلية، فيتّضح من خلال ما تقدم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو أفضل الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، إذ قد ثبت أفضليّته بالميزان القرآني والسنّة النبوية، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد ورد في كثير من تراث أهل السنّة، الروايات الدالّة على أفضلية أهل البيتعليهم السلام، وقد رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، وهي كثيرة جداً، قال ابن حجر بعد ذكر قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣)، أنّه قال أكثر المفسّرين: على أنّ آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام (الصواعق المحرقة: ص٢٢٠). وقال أيضاً: وصحّ أنّه جعلصلى الله عليه وآله على هؤلاء كساء وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي» أي خاصّتي «وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم؟ قال: «إنّك على خير» (الصواعق المحرقة: ص٢٢٠). وروى أيضاً عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا تصلّوا عليّ الصلاة

➔

➔

البتـراء»، فقـالوا: ومـا الـصلاة البتـراء؟ قـال: «تقولـون: "اللّهـم صـلّ علـى محمّـد" وتمسّكون بل قولوا: "اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد"» (انظر الصواعق المحرقة: ص٨٧). وروى السيوطي في الدر المنثور بسنده عن كعب بن عجرة: أنّ رجلاً أتى إلى النبيصلى الله عليه وآله فقال: أمّا السلام عليك فقد علمناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال النبيصلى الله عليه وآله: «قل: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد» (الدرّ المنثور ج٥: ص٢١٦). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن كعب ابن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية، أنّ النبيصلى الله عليه وآله خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: «فقولوا: صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم» (صحيح البخاري ج٧: ص١٥٦ كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبيصلى الله عليه وآله).

والعجيب من هؤلاء علماء أهل السنّة والجماعة الذين رووا ما عرفته من الأخبار الدالّة على أنّ الصلاة على محمّد، لا تقبل حتّى يصلّى فيها المصلّي على محمّد وآل محمد، وأنّه نهى النبيصلى الله عليه وآله عن الصلاة البتراء، أي التصلية على النبيصلى الله عليه وآله بدون ذكر الآل، وظاهر النهى التحريم، ومع ذلك تراهم مصرّين أشدّ الإصرار على ترك ذكر الآل عند التصلية، فاذا أرادوا الصلاة على النبيصلى الله عليه وآله قالوا: (صلى الله عليه وسلم) وتركوا الآل رأساً؛ والجدير بالالتفات أنّ البخاري الذي روى هذا الحديث في صحيحه ج٧: ص١٥٦ كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبيصلى الله عليه وآله فإنّه رغم أنّه روى الحديث بكامله، ولكنّه لم يذكر الآل في عنوان الباب، كسائر علماء أهل السنّة ترك ذكر آل محمّد، وهذه القضية جارية في جميع كتبهم المؤلفة في

➔

ومن هذه السنن خبر الثقلين[(١)]،

➔

الأحاديث والتفاسير والمناقب والرجال والسير ونحو ذلك. ولعمري ليس ذلك إلا تعصّباً ومخالفة للنبىﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، وقد أخرج أرباب الصحاح منهم عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّيﷺ إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان وعلاماته).

وهناك روايات كثيرة رواها علماء أهل السنّة بأسناد صحيحة عن النبيﷺ في كتبهم وصرّحوا بتواتر بعضها ومع ذلك لم يعملوا بها وتركوها وراء ظهورهم وخالفوها، بل وسحقوها تحت أقدامهم، رغم الوصايا الكثيرة من الرسولﷺ في حقّهم، وأخذ البيعة منهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يوم غدير خم، وقد هنّأه جميع الصحابة في ذلك بما فيهم الخلفاء الثلاثة على إمرة المسلمين، ولكنّهم نكثوا بيعتهم وخانوا ما عاهدوا الله ورسوله عليه في طاعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(١) فإنّ حديث الثقلين من الأحاديث المشهورة التي اتّفق على روايته الفريقان، وقد رواه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم بأسناد صحيحة، قال ابن حجر: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (انظر الصواعق: ص١٤٨ الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل). وقد ورد هذا الحديث بألسنة مختلفة، ولكن المعنى واحد يتضمّن على حقائق جوهريّة وليتبيّن من خلاله حقيقة الخلافة بوضوح وجلاء. فمدلول الحديث يحكي عن استخلاف رسول

➔

➔

اللهﷺ لعترته الطاهرةعليهم السلام من بعده مبيّناً في عبارات صريحة وموضحاً بأنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والانحراف إنّما يكون منحصراً في التمسّك بالثقلين. واليك بعض متون الحديث: فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤). وأخرج بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢). وإلى غير ذلك ممّن رووا هذا الحديث. غير أنّ بعض المتعصّبين من أهل السنّة كالبخاري لم يخرج الحديث في صحيحه، ولكنه لم يمكنه إنكاره، حيث أنّ الباحث يرى في مطاوي كلماته ما يدلّ على وجود الحديث واعتبار سنداً عنده. حيث أنّ البخاري فتح باباً في صحيحه بعنوان باب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، ولكن لم يذكر فيه حديث الثقلين مع أنّ المناسب لهذا الباب هو حديث الثقلين. وهذا معناه أنّه عرف أنّ حديث الثقلين يدّل على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام فلم ينقله تعصّباً وعناداً. وأيضاً أنّه أخرج في كتاب الوصية، بسنده عن طلحة ابن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفي هل كان النبيﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله (انظر صحيح البخاري ج٦: ص٢٤٠ كتاب الوصية، باب هل أوصى النبيﷺ). وقد ذكر شرّاح الحديث أنّ المقصود بقولهﷺ: أوصى بكتاب الله هو ما جاء في حديث الثقلين. قال ابن حجر في شرح الحديث: أنّ ما أجاب عبدالله بن أبي أوفى: أوصى بكتاب الله، إشارة إلى حديث الذي رواه مسلم في

➔

فإنّه قد خاطبﷺ به الصحابة فأمرهم ومن يأتي بعدهم بمتابعة أهل بيته عليهم السلام ناصّاً في بعض متونه التي رويت على جهة الصحّة[1]

➔

صحيحه، أي: بالتمسّك به والعمل بمقتضاه، فإنّه اشارة لقوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي...» (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٥: ص٢٥٨). فالحديث فيه اشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه من حديث الثقلين. وعليه فإنّ ابن تيمية وإن لم ينقل الحديث بألفاظه ولكن يعرف من مطاوي الروايات التي نقلها في صحيحه صحة الحديث عنده. وقد أخرج مسلم حديث الثقلين في صحيحه ولكن اختصره لئلاّ يستدلّ المنصف به على إمامة أهل البيت عليهم السلام. فأخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أنّ الحديث ليس فيه ذكر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن حيث فيه إشارة إلى واقعة الغدير، فقد فهم مسلم أنّ الحديث ورد في فضيلة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وكذلك غيره من أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة. فأهل السنّة خالفوا مدلول الحديث ومقتضاه، وفي الواقع أنّهم خالفوا أمر الله ورسولهﷺ في قوله تعالى: ﴿مَا ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (سورة الحشر:٧). فإنّ الآية الصريحة في وجوب طاعة النبيﷺ وأنّ طاعتهﷺ واجبة كطاعة الله، وأمرهﷺ واجب الامتثال كأمر الله سبحانه وتعالى، وقولهﷺ كقول الله. وحديث الثقلين يدلّ بالصراحة على أنّ الأمان من الضلال إنّما يكون منحصراً بالتمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام، فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث التي اتّفق على صحّته جميع علماء الإسلام، فقد أخرجه الحفّاظ وأئمة الحديث من علماء أهل السنّة في صحاحهم، ➔

➔

ومسانيدهم، وسننهم في أعلى درجة الصحّة. وقد صرّح بذلك كبار علمائهم، قال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابياً... (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مروي عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وجابر، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة ابن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن أبي ليلى، وعبد الثرى بن عوف، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله ابن عمر، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي تسريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم ابن التيهان، وأمّ سلمة، وأمّ هاني بنت أبي طالب، ورجال من قريش... (انظر استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي: ص٤٠ مخطوط). وقد أفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين لكنهوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً.

وممّن روى هذا الحديث، أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد ابن حنبل ج٥: ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال : لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم

🡐

➔
الثقلين....»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيد الله ابن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يذكره؟ فقال: نعم، يقول: أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكّة، أو بين صنعآء ومكّة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص ٢٣٠).

وروى أيضاً بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حّدثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنت أعي من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فما حدّثتُكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشِك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٧). وإلى غير ذلك ممّا رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وهذا مصدر واحد من مصادر أهل السنّة وإنّما ذكرنا الروايات التي أخرجه أحمد بن حنبل، لأنّه إمام الحنابلة وهو إمام ابن تيميّة، وهناك مصادر عديدة من
➔

➔
الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة وقد رووا في كتبهم هذا الحديث بأسانيد عديدة لم نذكرها رعاية للاختصار.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جداً كالشمس في رابعة النهار؛ حيث أنّ النبي الأكرمﷺ حصر فيه وجوب اتّباع القرآن والعترة الطاهرة وأهل بيتهعليهم السلام إلى يوم القيامة. وإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ الحديث صريح في دلالته؛ لأنّ النبي الأكرمﷺ قرَن طاعة عترته الطاهرةعليهم السلام بمحكم الكتاب العزيز، ومعناه أنّه كما يجب على جميع المسلمين اتّباع القرآن والأخذ به كذلك يجب عليهم اتباع العترة الطاهرةعليهم السلام، لأنّهﷺ جعل العترة الطاهرةعليهم السلام عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وقد حصرﷺ التمسك بهما معاً موجباً للفوز بالهداية والسعادة، وعدم التمسّك بهما موجباً للضلالة والخسران. فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن وأئمّة الطاهرين من العترة الطاهرةعليهم السلام. ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص والعبارات من بعض علماء أهل السنّة واعترافهم بما ذكرنا في شرح الحديث: قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

وقال النووي: قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦
➔

وهو متن نقله الطبراني بإسناد رجاله ثقات[١]، نصّ عليه مفتي الحجاز في عصره ابن حجر الهيتمي في ردّه على الشيعة[٢]، على هلاكة من تقدّم على عترته، وهلاكة من تأخّر عنهم، ونهى عن تعليمهم، وبيّن ذلك بقولهﷺ: «فإنّهم أعلم منكم[٣]».

➔

مادّة ثقل).

وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل برواياتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المنّاوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين». زاد في رواية: أحدهما أكبر من الآخر. وفي رواية بدل خليفتين: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: كتاب الله القرآن، حبل، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض. قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه. وعترتي - بمثّناة فوقيّة -: أهل بيتي. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم. وسيأتي تفصيل الكلام في شرح الحديث ودلالته إن شاء الله تعالى.

(١) انظر المعجم الكبير للطبراني ج٣: ص٦٦

(٢) انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦

(٣) هذه العبارة اشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين، الدالّة على أنّ العترة الطاهرةعليهم السلام أعلم الناس بعد النبيﷺ. فقد روى الطبراني في معجمه الكبير

➔

➔

بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي لكم فرط وإنّكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربّي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج٣: ص٦٦). وجاءت قريب من هذه العبارة في الصواعق المحرقة لابن حجر آخر وهو قوله ﷺ: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٤٨). وقال السيوطي: أنّ معنى قوله ﷺ: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»: أي لا تتقدّموا على الكتاب والعترة فتهلكوا وفي رواية أخرى: لتهلكوا (انظر الدر المنثور للسيوطي ج ٢ : ص ٦٠). وقال الشيخ المفيد: لا تتأخّروا عنهما فتهلكوا، وفي رواية فتزلوا (انظر الأمالي للشيخ المفيد: ص٦٠)، وقد جاء في رواية أخرى فتضلّوا (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٩٥). وهذا الحديث قرينة على أنّ المقصود بالهلاكة الضلالة.

ولا يخفى أنّ عموم قوله ﷺ «ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم» يدلّ على أنّ أهل البيت عليهم السلام عندهم جميع علوم القرآن، ما ليس عند غيرهم. فهم أعلم الناس بالكتاب، كما أنّ رسول الله ﷺ كان كذلك. وحيث أنّ الله تعالى اختصّ بهم هذا المقام العظيم، فقال النبي ﷺ: «فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثمّ إنّ معنى قوله ﷺ: «لا تقدموهما»، أي قدموا دائماً الكتاب والعترة الطاهرة من أهل

➔

ومن السنن المعروفة لديهم الحسنة خبر السفينة، فإنّهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد قال فيه: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق[1]».

➔

البيتعليهم السلام، ولا تتكبّروا عليهما ولا تتقدّموا عليهما؛ معناه الاقتداء الدائم والمستمر بهما والاهتداء الدائم والمستمر بهديهما، أي: اجعلوهما أئمّتكم، وإن لم تفعلوا ذلك ولم تجعلوهما في المقدّمة، فإنّ مصيركم ينتهي إلى الهلاك والضلال وسوء العاقبة. وكذلك قولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «لا تتأخّروا عنهما» أي: لا تنحوهما جانباً أو تتركوا اتّباعهما، إذ لو تركتم اتّباعهما فتزلّوا وتضلّوا وتهلكوا. وكذلك قولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «ولاتعلّموهم»: أي لا تعلّموهم من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالّة، وتأويلاتكم الخاطئة والفاسدة، وأقوالكم الموضوعة، ولا تتركوا التعلّم منهم والأخذ منهم، فتعلّموا منهم، لأنّ ما يعلّموكم به فقد جاءوا بها من عند الله الخالق المدبّر الذي يعلم ما يصلح الإنسان ويرفعه إلى أعلى المراتب السامية، ويجنّبه عن كلّ ما يضلّه ويضرّه وما ليس له فيه منفعة أو مصلحة. فمن القضايا الأساسيّة والبديهيّة التي بيّنتها هذه العبارة من الحديث بشكل عامّ هي القضايا المحوريّة والمركزيّة في العقيدة والأحكام وغيرها التي سنوضحها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج ٢ : ص ٣٤٣، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرج بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذريقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥١). وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج٢: ص٧٨٥،
➔

➔
والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في المعجم الأوسط ج٤: ص١٠ وغيرهم. فإنّ حديث السفينة من الأحاديث النبويّة الصحيحة التي رواه علماء الفريقين بطرق عديدة، عن عدّة من صحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال ابن حجر المكي: جاء (حديث السفينة) من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق». وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). فالحديث من حيث السند في غاية القوّة الإجادة. وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»، و«إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٨٥، وابن كثير في تفسيره ج٤: ص١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص٣٢٤ وغيرهم.

ومن الطبيعي أنّه لا يسع المجال هنا لاستقصاء جميع طرق الحديث في هذه العجالة. ولمن الاطّلاع فليراجع المصادر والجوامع الحديثيّة من الفريقين، فإنّها بالغة عن حدّ التواتر.

وأمّا دلالة الحديث، فإنّه يدلّ على وجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام، وما أروعه من تشبيه دالّ على وجوب الإتباع، حيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتطلّع صوب المستقبل من وراء حُجب الغيب، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّهها بالأمواج المتلاطمة العاتية، وقد شبّه صلى الله عليه وآله الدنيا ببحر يموج بأمواجه الجبلية، والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبّثون به من أجل النجاة. وإذا بسفينة النجاة في وسط هذه المعمعة، يريد أن يأخذ بيد الناس وينجّيهم من الغرق والهلاك، فما هي هذه
➔

➔

السفينة؟ نعم هذه السفينة، سفينة أهل البيتعليهم السلام التي تأخذ بيد كلّ إنسان وتهديهم إلى ساحل الأمان والسلام. فإنّ وضع البشرية كوضع قوم نوح، في وسط المعمعة، في لجة ظلماء؛ يحتاج إلى بصيص نور، يمسك به لكي يركب تلك السفينة، وينجو من الغرق والهلاك.

فينبغي أن تكون الأمّة على حذر، وأن تدرك هذا المعنى من الحديث: من أنّ طريق النجاة الوحيد للنجاة في هذا العالم منحصر في ركوب هذه السفينة، والالتجاء بأهل البيتعليهم السلام، والاعتصام بحجزتهم، والتمسّك بتعاليمهم وسننهم، وليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب طاعة أهل البيتعليهم السلام. لأنّ معنى النجاة من الهلاك في التمثيل والركوب في السفينة الإنقاذ ليس إلاّ، وهو يؤدي إلى معنى وجوب الطاعة. وقد اعترف بذلك شرّاح الحديث من أهل السنّة قال الطيّبي: بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة. أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذر اهتمّ بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسّكوا به. وفي رواية له بقوله: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبيصلى الله عليه وآله يقول: «ألا: إن مثل أهل بيتي...» الحديث. أراد بقوله: فأنا أبو ذر، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنّه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه. وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق من أبي ذر». وفي رواية أبي ذر: «من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم»، فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال: «ذلك فاعرفوه». أخرجه الترمذي وحسنه الصنعاني في كشف الحجاب شبّه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات، والبدع والأهواء الزائغة، ببحر لجي يغشاه

➔

➔
موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلّها، وليس فيه خلاص ومناص إلاّ تلك السفينة، وهي: محبّة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر كتاب شرح المشكاة للطيبي المسمّى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي المخطوط). وقال القاري بمثل كلمات الطيّبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٦١٠).

وقال السمهودي: قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث. ووجه: إن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام... ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي: مخطوط).

وقال المناوي «إنّ مثل أهل بيتي» فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة «فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك» وجه التشبيه: أن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه وآله لأمّته بالتمسّك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها. ومحصوله: الحثّ على التعلّق بحبّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم، والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة المترادفة. ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستحقّ النيران، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدّة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين احتجّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة، الذين أذهب عنكم
➔

وهو في المعنى مثل خبر الثقلين[1].

➔

الرجس وطهّرهم، وبرأهم من الآفات وافترض مودّتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن التقى. واعلم أنّ المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحثّ على التمسّك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنّة حتّى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢: ص٥١٩). وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في شرح الحديث. وعليه فإنّ الحديث على وجوب طاعة أهل البيت عليهم السلام، وبعد وجوب طاعتهم وثبوت أفضليتهم هل لعاقل أن يترك الأفضل ويقدم المفضول عليه؟!!

(١) لا يخفى على الخبير أنّ المقصود والمراد في حديث الثقلين نفس المقصود والمراد في حديث السفينة، إذ الخبير لو تأمل في دلالة الحديثين يجدهما يؤكّدان على أنّ طريق النجاة من الضلال والهلاك منحصر في الانقطاع والتمسّك بأهل البيت عليهم السلام، ووجوب اتّباعهم على الإطلاق. ومرجعه إلى حجيّة قولهم وفعلهم وتقريرهم عليهم السلام كما أنّ قول وفعل وتقرير رسول الله صلى الله عليه وآله يكون حجّة. وحيث أنّ هذين الحديثين قد رواه الفريقين الشيعة وأهل السنّة وأكّدوا على صحّة أسنادهما معناه وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام على جميع المسلمين. وإلى هذا المعنى أشار الشافعي في أشعاره: ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم * مذاهبهم في أبحر الغي والجهل. ركبت على اسم الله في سفن النجا * وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل. وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم * كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل. إذا افترقت في الدين سبعون فرقة * ونيف كما قد جاء في محكم النقل. ولم يك ناج منهم غير فرقة * فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل. أفي الفرق الهلاك آل محمّد *

➔

فعلم منهما كون أهل بيته عليهم السلام جامعين لعامّة جهات الفضل، ولـذلك فرض على الناس متابعتهم، فمن لم يتابعهم هالك[(١)].

➔

أم الفرقة اللائي نجت منهم قل لي. فان قلت في الناجين فالقول واحد * وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل. إذا كان مولى القوم منهم فإنّني * رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّي. فخل عليّاً لي إماماً ونسلهُ * وأنت من الباقين في أوسع الحل. ويحكى عن الشافعي أنّه أنشد هذه الأبيات في جواب من سأله عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي شهادة صريحة منه على وجوب طاعة أهل البيت عليهم السلام، وقد روى القصّة والأبيات العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير (لاحظ الغدير ج٢: ص٤٢٣).

(١) لا شكّ أنّ فضائل الدالّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام المروية في الكتب الفريقين كثيرة، وأكثرها تدلّ على جامعيتهم في العلم والفضل والعدالة والورع والتقوى و...، وقد اهتمّ علماء الإسلام بنقل هذه الروايات في مصنفاتهم وجوامعهم الحديثية. وليتأمّل باحث في أسباب اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بأهل بيته عليهم السلام، كما أنّ الله تبارك وتعالى قد خصّص لأهل البيت عليهم السلام بآيات عديدة في كتابه الكريم، وقد زكّاهم ونزّههم من جميع الشوائب وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وجعلهم امتداداً لرسالة أنبيائه وسفرائه، ليقوموا بدور تبليغ الدين وتوضيح معالمه. فالآيات والروايات الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام تدلّ على جامعية أهل البيت عليهم السلام لجميع جهات الفضل فيهم من جهة أنّهم قدوة للناس. ولا بدّ أن يكون القدوة جامعاً للفضل كي يرفع حاجة الناس عند الاقتداء بهم إلى يوم القيامة. ولهذا الخصوص فقد أوصى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله المسلمين مرّات متعدّدة بالتمسّك بأهل البيت عليهم السلام، وجعلهم صلى الله عليه وآله: عِدلاً للقرآن الكريم، ليعرف الناس أنّ ما في القرآن من

➔

➔
الفضل موجود في أهل البيت عليهم السلام، وأنّهما لن يتفرقا أبداً. ومعناه أنّه لا يستطيع أيّ مسلم أن يتغاضى عن أهل البيت عليهم السلام ويقول: حسبنا كتاب الله، وكذلك لا يستطيع أي مسلم أن يقول يكفينا وجود أهل البيت عليهم السلام ولا حاجة لنا بالقرآن. قال ابن حجر الهيثمي: لقد سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله، القرآن والعترة - الأهل والأقارب - بالثقلين لأنّ كلمة الثقل تطلق على الشيء الثمين الذى تتمّ المحافظة عليه جيداً وأنّ القرآن والعترة هما كذلك، لأنّ هذين الاثنين هما منجم العلوم الذاتيّة والأسرار والحكم السامية والأحكام الشرعيّة، ولهذا السبب فقد حثّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الناس على الاقتداء والتمسّك بهما (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦).

وبهذا نستطيع أن نستخلص ثلاثة مواضيع مهمّة جدّاً: الموضوع الأول: هو أنّ الله تبارك وتعالى قد أتمّ الحجّة في كتابه العزيز بأدقّ بيان في تقدّم أهل البيت عليهم السلام على الخلق أجمعين.

الموضوع الثاني: أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أكّد على أنّ النجاة من الهلاكة والضلالة منحصرة في التمسّك بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام.

الموضوع الثالث: أنّ إجرام الغاصبين للخلافة والمفضولين الذين تقدّموا على أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وحرّموا الناس ومنعوهم عمّن يهديهم نحو السعادة، بل كانوا سبباً لضلالة الناس، كما قال تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ (سورة النحل:٢٥).

فإنّ أهل الضلال يحملون أوزار من يضلّونهم؛ لأنّ في أعمالهم وأقوالهم الضالّة أثر سلبي في تضليل أعداد كبيرة من الناس. فمن أسوأ حاله ممّن حمل أوزار آلاف البشر إلى وزره! أو الأكثر من ذلك، فإنّ أقوالهم وأعمالهم ستركد في مخيّلة من يأتي بعدهم من الأجيال لتكون منبعاً لإضلالهم، وهذا ممّا يزيد في حمل
➔

وسابعها: ما زعمه من وجوب تقديم من هو أصلح عند أكثر أهل

➔

أوزارهم. وقد جاءت عبارة ليحملوا بصيغة الأمر للدلالة على الاستمرار. أمّا مفهومها فلبيان عاقبة أمر المضلّين ونتيجة أعمالهم، كما نقول لشخص ما: لكونك قمت بهذا العمل غير المشروع، فعليك أن تتحمّل عاقبة ما فعلت لتذوق مرارة عملك القبيح. كما ورد في الأحاديث المرتبطة بالسنّة السيّئة المرويّة بطرق الفريقين. من أنّ «من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزر من عمل بها» (انظر الكافي ج٥: ص٩). وأخرج أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «من سنّ سنة ضلال فاتّبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، ومن سنّ سنّة هدى فاتّبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٥٠٥). وقال القرطبي في تفسير الآية: فمن كان إماماً في الضلالة ودعا إليها واتّبع عليها فإنّه يحمل وزر من أضلّه من غير أن ينقص من وزر المضلّ (تفسير القرطبي ج٧: ص١٥٨). وأيضاً قال في مكان آخر: ونظير هذا قولهﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» روي من حديث أبي هريرة وغيره. وقال الحسن: قال النبيﷺ: «من دعا إلى هدى فاتّبع عليه وعمل به فله مثل أجور من اتّبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وأيّما داع دعا إلى ضلالة فاتّبع عليها وعمل بها بعده فعليه مثل أوزار من عمل بها ممّن أتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» ثم قرأ الحسن: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾ (تفسير القرطبي ج١٣: ص٣٣١). فيعرف من جميع ما تقدم وجوب طاعة أهل البيتعليهم السلام على جميع المسلمين فلاحظ.

السنّة وعند بعضهم مستحبّ، فإنّه من بهتانه البيّن[1]؛

---

(١) وتوضيح المقام أنّه لا شكّ ولا شبهة في لزوم تقديم الأصلح والأنفع والأفضل شرعاً وعقلاً، لأنّه من المسلّمات عند الشرع والعقل والعقلاء تقديم الأصلح والأنفع، وأنّه من مرتكزات العقلائية أيضاً. فإنّ العقل حاكم مستقلاً بتقديم الأصلح والأنفع. وشك أنّ العقل له منزلة في كتاب والسنّة، وتتبيّن هذه منزلة للباحث من خلال الدراسة في الكتاب والسنّة النبويّة وما ورد من الحثّ على النظر والتدبّر والتفكّر في حقائق الأمور، لاسيّما في الأفعال وما يكون العقل مناطاً للتكليف. ومن أجل ذلك أنّ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الإسراء:٧٠). فبيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة وجه فضيلة الإنسان على كثير من المخلوقات ليتدبّر ويتفكّر الإنسان في السموات والأرض وما فيهما، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يونس:١٠١). وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (سورة الحج:٤٦). فالعقل مستقلّ في حكمه بتقديم الأصلح والأنفع والأفضل. كما أنّ السيرة العقلائيّة التي هي مقتضى الطباع العقلائيّة وجبلة الناس وفطرتهم لو خليت ونفسها ولم تردع لكان مقتضاها جري العقلاء على تقدم الأصلح، فلا يمكن رفع اليد عن ذلك. إذن ما زعمه ابن تيمية من أنّ تقديم الأصلح عند أكثر أهل السنّة مستحبّ، فإنّه بهتان بيّن، لأنّ تقدّم خلفاء الجور على أئمة أهل البيتعليهم السلام مخالف للعقل والشرع لدى جميع علماء أهل السنّة، حيث أنّ تقدّمهم على سائر الخلق واجب، لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله هو أحدهم، وهو أفضل الخلق قطعاً للنصوص المتكاثرة لدى الطرفين. وحينئذ يكون ←

لتقديم جمهور الصحابة لابن أبي قحافة وهو ليس فيه فضل حسبما بينا ذلك فيما سلف[(١)]

➔

أهل البيت عليهم السلام بهذا اللحاظ المجموعي أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويجب الاعتقاد بهذه الأفضليّة وإلاّ جاز الاعتقاد بتقدّم وأفضليّة المفضول على الفاضل وهو باطل بحكم العقل المستقلّ في جميع الأديان والمذاهب الحاكم بتقديم الأصلح والأنفع مستقلاً. كما أنّ الشرع حاكم بذلك، فإنّ القرآن الكريم قد بيّن هذه الحقيقة بصورة واضحة حيث طرحها في قالب التساؤل والاستفهام الاستنكاري من الناس، لأنّ فيه جهة تربوية، تاركاً للسامع التحليل والتقويم الفكري والعقلي فيه، نذكر هنا بعض النماذج من ذلك، فمنها قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة الزمر:٩)، ومنها قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة الأنعام:٥٠)، ومنها قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ**﴾ (سورة الرعد:١٦). كما أنّ الروايات المتّفقة بين الفريقين تدلّ على المقام وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. وعليه ما زعمه ابن تيمية من أنّ أهل السنّة يعتقدون بتقدّم الأفضل كذب محض، كما أنّ ادّعائه بأنّ تقديم الأصلح عند أكثر أهل السنّة أيضاً كذب وافتراء كما لا يخفى على أحد فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الأدلّة من الكتاب والسنّة تدلّ على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ودلالتها واضحة حتى عند الصحابة، ولكنّهم مع ذلك قدّموا أبا بكر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلافاً للكتاب والسنّة النبوية، وهذا معناه تقديم المفضول على الفاضل. مضافاً إلى أنّ أبا بكر نفسه اعترف بذلك على المنبر وقال: "وليتكم ولست بخيركم" (المعجم الأوسط

➔

←

للطبراني ج٨: ص٢٦٧). وقال الدهلوي: فلمّا توفيت فاطمة بعث أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام على أبي بكر وقال: «ائتني وحدك». فجاءه أبو بكر في بيته، فجلسا وتحدّثا، ثمّ قال علي لأبي بكر: «إنّك استأثرت هذا الأمر دوننا...» فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، كان الأنصار يدّعون هذا الأمر لأنفسهم، وكانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم، وكان يخاف منهم الفتنة، فتسارعت إلى إطفاء الفتنة وأخذت بيعة الأنصار. وإن كان لك في هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس وأُقيل بيعتهم وأبايعك والناس، فقال أمير المؤمنين: «الموعد بيني وبينك بعد صلاة الظهر»، فلمّا صلّوا الظهر رقى أبو بكر المنبر وقال: أقيلوني، فلست بخيركم وعلي فيكم... (انظر دلائل الصدق ج٣: ص٨١). وقد اتّفقت كلمة علمائهم على صحّة هذا الحديث وقول أبي بكر: لست بخيركم. وإذا كانت هذه الكلمة هي القدر المتيقّن من كلام أبي بكر فبها الكفاية؛ لأنّ مدلولها قرار منه على نفسه عند أهل السنّة. وإذا كان أهل السنّة يشترطون الأفضليّة في الخلافة، فمعناه أنّ أبا بكر فاقد لشرائط الخلافة باعتراف نفسه. وأيضاً يبطل به ما قاله عمر بن الخطّاب في السقيفة مخاطباً أبا بكر: أنت سيّدنا وخيرنا... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). حيث أنّ اعتراف أبي بكر ينفي قول عمر، وهناك روايات كثيرة رواها محبّ الدين الطبري في كتابه رياض النضرة. وقد فتح باباً في أحوال أبي بكر، وقال: باب ذكر استقالة أبي بكر من البيعة: عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبي بكر وهو أخذ بطرف لسانه، وهو يقول: إنّ هذا أوردني الموارد، ثمّ قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم. قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، ثلاثاً خرّجه حمزة بن الحارث. وعن أبي الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بويع له وبايع له علي وأصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم

←

ومثله عمر على علي عليه السلام[1]

←
هل من كاره...؟ خرّجه ابن السمّان في الموافقة. وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كلّ يوم يقول: قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم...، خرّجه الحافظ السّلفي في المشيخة البغدادية وابن السمّان في الموافقة. وأبو الجحاف هذا هو داود بن أبي عوف البرجمي التميمي مولاهم، كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين (انظر الرياض النضرة لمحب الطبري ج٢: ص٢٥١). وفي تاريخ الخميس ما نصّه: ذكر ابن حبّان: إنّ أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إيّاه يقيلهم في بيعتهم ويستقيلهم فيما تحمّله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون له: والله لا نقيلك ولا نستقيلك... (تاريخ الخميس - ذكر بيعة أبي بكر، من الموطن الحادي عشر).

وأمّا كلمة "وعلي فيكم" فقد اعترف بها ابن روزبهان فيما رواه عن أبي بكر، ثمّ قال: والله العالم بقصد أبي بكر منها، فقد كان بعض مشايخنا يرى أن الكلمة هذه كانت إيعازاً منه إلى ضرورة القضاء على الإمام عليه السلام (انظر دلائل الصدق ج٣: ص٢٥). فأصل القضية مورد اتّفاق أهل السنّة. ومن الواضح أنّ قوله: لست بخيركم... عام يشمل جميع موارد الفضل بلا استثناء، وإذا كان الأمر كذلك بأي وجه شرعي أو عقلي جاز لأهل السنّة أن يقدوا أبا بكر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!! فإنّ القواعد المسلمة عند جميع العقلاء تقديم فاضل على المفضول فما بال أهل السنّة في تقديمهم أبي بكر مع اعترفه بمفضوليّته على من هو أفضل منه. فإنّ أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكون بالنصّ من الكتاب والسنّة وكذلك باعتراف أبي بكر، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ تقديم أهل السنّة عمر بن الخطّاب على الإمام أمير المؤمنين
←

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام مخالف للشرع والعقل، لأنّ النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة تدلّ على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ودلالتها واضحة عند الصحابة وأهل السنّة. كما اعترف عمر بن الخطاب بأفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منه من خلال النصوص الواردة في مصادر أهل السنّة وهي كثيرة منها قول عمر: "لولا علي لهلك عمر"، وقد قالها في مناسبات عديدة، ذكر بعضهم أنّه قاله سبعين مرّة (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٧: ص٤٤٢، والمناقب للخوارزمي: ص٩٧). وفي تمهيد الباقلاني: "لولا علي لضلّ عمر" (انظر تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني: ص٥٠٢). والوجه في تقدم الإمام عليه السلام على عمر بن الخطّاب وجميع الصحابة واضح عند أهل السنّة، لأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يسئل من الصحابة أحداً، وقد سألوه، ولم يستفتهم وقد استفتوه، حتّى أنّ عمر قال: "لولا علي لهلك عمر"، ويقول: "لا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبو الحسن" (انظر الغدير ج٤: ص٦٤). ثمّ قال العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير: ولعمر كلمات مشهورة تعرب عن غاية احتياجه في العلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام منها قوله غير مرّة : "لولا علي لهلك عمر"، وقوله: "اللّهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب". وقوله: "لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا لحسن"، وقوله: "لا أبقاني الله بعدك يا علي؟" وقوله: "أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها"، وقوله: "أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن". وقوله: "أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن". وقوله: "اللّهم لا تنزّل بي شديدة إلاّ وأبو الحسن إلى جنبي"، وقوله: "لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن". وقوله: "لا أبقاني الله إلى أن أدرك قوما ليس فيهم أبو الحسن"، وقال سعيد بن المسيّب: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، وقال معاوية: كان

➔

الذي قد عرفت أنّه ثاني خير رسل الله صلى الله عليه وآله في الفضل[1]،

➔

عمر إذا أشكل عليه شيء أخذه منه. ولمّا بلغ معاوية قتل الإمام قال: "لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب". أخرجه أبو الحجاج البلوي (انظر الغدير ج٣: ص٩٧). وايضاً أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال عمر: ... وأقضانا علي عليه السلام (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٩ كتاب التفسير، باب قوله ما ننسخ من آية أو ننساها). فيجب على جميع أهل السنّة أن يرجعوا إلى تراثهم ويعرفوا من هو الأفضل حسب ما جاء في نصوصهم، فإنّ تقديم والتأخير أمران يحتاجان إلى الدليل، كما أنّ نسبة العلم والجهل تكون كذلك، فلا يجوز أن يقال للجاهل عالم وكذلك بالعكس، وهذا أمر بديهي، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر:٩). وحيث أنّ هذه الحقيقة واضحة عند كلّ عاقل فقد جاء في الذكر الحكيم على وجه الاستفهام الإنكاري. وعليه فإنّ الصحابة وجميع أهل السنّة يعلمون أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل من عمر ابن الخطّاب، أوّلاً : لأنّ النصوص من الكتاب والسنة السنّة تدّلال على ذلك كما هو واضح ظاهر. وثانياً: بإقرار عمر بن الخطّاب نفسه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أفضل منه، وإقرار عقلاء على أنفسهم نافذ، فكان من اللازم على الصحابة وجميع أهل السنّة أن يقدّموا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على عمر بن الخطّاب بما يلزمهم الأدلّة، ولكن لم يلتزموا بما هو حجّة عليهم. ومعناه عدم جواز تقديمهم عمر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الأدلّة الدالّة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالبعليه السلام على جميع الخلق بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومعناه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أولى من جميع الناس بالإمامة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، إذ من كان أفضل الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله فهو مقدّم عليهم، ومن كان مقدّماً على غيره في جميع الجهات فهو أولى بالإمامة. فالآيات والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جداً فلا يمكن استقصائها في المقام لكثرتها، بل نكتفي بذكر الروايات والسنن ألتي رواها علماء أهل السنّة في المقام، لأنّها اعتراف ضمني منهم على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته بلا فصل بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. ومن تلك الروايات ما رواه أحمد بن حنبل في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فإنّه قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالبعليه السلام (فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص٧٩). ومنها: ما رواه ابن عبّاس، فإنّه قال: ما نزل في أحد في كتاب الله ما نزل في عليعليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٨١٢). ومنها ما رواه في حديث آخر قال: نزل في عليعليه السلام ثلاثمأة آية من كتاب الله عزّ وجلّ (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٨٩). ومنها: ما رواه في حديث ثالث قال: ما أنزل الله: يا أيّها الذين آمنوا، إلاّ وعليعليه السلام أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّدصلى الله عليه وآله، في غير مكان من كتابه العزيز، وما ذكر علياًعليه السلام إلاّ بخير (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٧). ومنها: ما رواه عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة أنّه قال: كان لعليعليه السلام ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له القدم في الإسلام، والصهر من رسول اللهصلى الله عليه وآله، والفقه في السنّة، والنجدة في الحرب، والجود في المال (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٧، والرياض النضرة للمحب الطبري ج٣: ص١٥٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج٤: ص٢٢). ومنها: ما ورد أنّه سئل أحمد ابن

🡐

➔
حنبل عن علي عليه السلام ومعاوية، فقال: إنّ علياً عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتّش أعداؤه عن شيء يعيبونه به فلم يجدوه، فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله، فأطروه كيداً منهم به (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٩، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٧: ص٨٣). ومنها: ما رواه ابن حجر عن أحمد بن حنبل، وقال القاضي إسماعيل، والنسائي وأبو علي النيسابوري، وغيرهم: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أو جياد أكثر ما جاء في علي عليه السلام (انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٧: ص٥٧). وإلى غير ذلك من اعترافاتهم في المقام. وأمّا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها أكثر من تحصى، نذكر هنا بعضها من باب التيمّن والتبرّك، منها: قوله صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٤). ومنها: قوله صلى الله عليه وآله: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني» (انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧: ص١٢، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص١٧٧، وفيض القدير للمناوي ج٤: ص٤٧١). ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة، ولتؤتنّ الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلاً منّي أو كنفسي...» فأخذ بيد علي، فقال: «هو هذا» (انظر المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٨). وإلى غير ذلك من الروايات التي الدالّة على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل. وقد همّ العلامة الحلّي رحمه الله لجمع الروايات والنصوص في هذا المجال، فبلغ إلى عدد الألفين ولذلك صنف كتابه الموسوم بالألفين في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وكتبه بطلب من ولده فخر المحقّقين ولم يتمّه بسبب وفاته، وقد أتمّه ولده من بعده. قال العلامة الحلّي رحمه الله في مقدّمة كتابه: ... والحثّ
➔

فنحن نتنزّل ونفرض رجحان ذلك عندهم، فأي ثمرة في ذهابهم إلى ذلك وهم مخالفون له في العمل[1]؟

فإنّ قيل هم مجمعون على تقديم أبي بكر وعمر على علي عليه السلام بالفضل، قيل هم مجتهدون بهوى أنفسهم في قبال النصوص الصحيحة

➔

على امتثال أمر الله سبحانه ورسوله، وعدم صلاحية غيره للخلافة والإمامة بالبراهين النقليّة من طرق أهل السنّة. ثمّ إقرار الصحابة كأبي بكروعمر وعثمان ومعاوية وهكذا إلى تمام العشرة المبشّرة، ثمّ أقارير سائر الأصحاب ثمّ التابعين والعلماء منهم صحّة النصوص سنداً ودلالة... (انظر مقدمة كتاب الألفين). ومن الواضح ذكر هذا العدد من الفضائل يحتاج إلى مجال واسع، وللباحثين أن يراجعوا هذا الكتاب. وهل بعد ذلك يجوز لابن تيمية أنّ يقول بأنّ هذه الفضائل تدلّ على استحباب تقدّم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!

(١) وبعبارة أوضح: أنّه على فرض صحّة قول ابن تيميّة من أنّ أهل السنّة يعتقدون باستحباب تقديم من هو الأصلح للخلافة على غيره، فما هو فائدة هذه العقيدة، بعد مخالفتهم في العمل بالنسبة إلى هذا الاعتقاد؟ فإنّهم بتقديمهم خلفاء الجور على من يستحقّ الخلافة والإمامة، قد خالفوا هذا الاعتقاد شرعاً وعقلاً؛ حيث أنّهم قدموا المفضول الذي يستحبّ تأخيره باعترافهم على الأفضل. فلا ثمرة لذكر هذا الاستحباب بعد مخالفتهم له. نعم هذا الاعتقاد يعتبر اعترافاً منهم على مخالفتهم العملية للدين والشريعة المقدّسة، حيث أنّهم يستندون استحباب تقديم الأصلح أو لزومه بالأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة، ويكون هذا الأمر ثابت عندهم على أساس الموازين الدينيّة، فيلزمهم العمل به، ولكن في مقام العمل يخالفونه مخالفة عملية بلا وجه مقبول، فلاحظ.

عندهم وهي معلومة الحجيّة عليهم[(١)]،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ دعوى الإجماع على أمر بلا إقامة دليل أو ادّعاء الفضل بلا وجه لا يثبت شيئاً حتّى عند أهل السنّة، فلا بدّ من قيام الدليل واثبات الفضل بالنصّ والبرهان الجلي، إذ من الواضح لدى الخبير أنّ الفضيلة ليست أمراً ادّعائياً، بل أنّها من الأمور الواقعيّة والحقيقيّة، كالنور الذي يسطع منه الضوء واقعاً، فلا معنى لإدعاء النور في الظلمات ولو كانت الدعوى بإجماع جميع الناس. وقد بيّن سبحانه وتعالى هذه الحقيقة على وجه الاستفهام الإنكاري فقال الله تعالى: ﴿هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰاتُ وَٱلنُّورُ﴾ (سورة الرعد:١٦). فإنّ هذا الاستفهام استنكار واستبعاد واستعجاب لوضوح الأمر فيه، فإنّ كلّ عاقل يعلم أنّ النور أمر واقعي وحقيقي لا يمكن إنكاره على أحد، كذلك الظلمات. فادّعاء النور في الظلمات أو ادّعاء الفضيلة مع عدم وجودها قبحه أوضح من أن يخفى على أحد، فلا أثر له في الواقع. لذلك قال الله تبارك وتعالى مخاطباً الرسول الأعظمﷺ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر:٩). فلا شكّ أنّ أولى الألباب لا يساوون بين العلم والجهل، ولذلك جاء في الذكر العزيز بصورة الاستفهام الاستنكاري، لوضوح علوّ منزلة العلم والعلماء عند أولى الألباب في مقابله الجهل والجهلة. فمن البديهي أنّ من له العقل واللباب يعرف أنّ هاتان المجموعتان غير متساويتين، ولا يقفون في صف واحد من الدنيا، ولا في الآخرة وأنّهم مختلفون ظاهراً وباطناً، كما أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأنعام:٥٠) أيضاً يكون كذلك، فإنّ هذه الآية المباركة أيضاً فيها الاستفهام الاستنكاري من جهة وضوح الأمر فيها، بل وفيها ردّ على الذين كانوا يدّعون أنّهم لا يتصوّرون المقامين. وفي الواقع أنّ الآية إشارة إلى مقام النبيﷺ وعظمته، فيقول تعالى: هل يمكن للذين يغمضون ←

ومن ذلك ما مضى نقله من السنن التي دلّت على أفضليّة علي عليه السلام من سائر الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)].

←

أعينهم ويغلقون عقولهم أن ينظروا إلى الحقائق جيّداً ويفهمونها؟!! **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**؟ فالسؤال في هذه الآية المباركة متوجّه إلى من له العقل والإدراك، ومعناه أنّ الفرق بين الإنسان البصير بالمعرفة وبين غيره، أشبه بالأعمى والبصير، فيا ترى هل يستويان؟!!! فمع عدم وجود فضيلة للخلفاء الثلاثة هل يمكن قبول دعوى الفضيلة حتّى لو ادّعوا الإجماع عليها فلا فلا يمكن قبوله لمن له العقل، إذ أنّه بمثابة ادّعاء النور في سواد الظلمات. وكذلك العكس فإنّه بعد وجود النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة على أفضليّة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هل يصح إنكاره؟! وهل يصحّ تقديم المفضول عليه؟!! كلاّ ثمّ كلاّ.

(١) لا يخفى أنّ الروايات الواردة في أفضليّة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قد رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة ، وهي أكثر من أن تحصى. وقد رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، وهي تدلّ بالصراحة على أفضلية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل وهي دالّة على إمامته وخلافته بلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي حجّة شرعيّة عليهم، ويجب عليهم العمل بمضمونها. وإليك نماذج من تلك الروايات: فمنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنني أولى

←

➔

بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد ابن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له وادي خمّ، فأمر صلى الله عليه وآله الصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون» أو «لستم تشهدون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم عاد من عاداه ووال من والاه» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٧٢).

ومنها ما أخرجه أيضاً بسنده عن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٨٤).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلاّ قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨).

➔

➔

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن عبد الله: حدّثني عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يونس ابن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياًعليه السلام في الرحبة ينشد الناس: «أنشد الله من سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ من كنت مولاه فعلى مولاه لمّا قام فشهد؟» قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأنّي أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمّهاتهم؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن نعيم بن حكيم: حدّثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن عليعليه السلام: «إنّ النبيصلى الله عليه وآله قال يوم غدير خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه"»، قال: فزاد الناس بعد «وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج١: ص١٥٢).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول اللهصلى الله عليه وآله ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول اللهصلى الله عليه وآله يتغيّر فقال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٤٧).

ومنها ما أخرجه أيضاً بسنده عن سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبيصلى الله عليه وآله فشهدوا أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٦٦).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن عبد الله عن أبيه: ثنا أسود بن عامر إنّا أبو إسرائيل عن

🡐

➔

الحكم عن أبي سلمان عن زيد بن أرقم قال: استشهد علي الناس فقال: «أنشد الله رجلاً سمع النبيﷺ يقول: "اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه"»، قال: فقام ستّة عشر رجلاً فشهدوا (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٧٠).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن الأشجعي عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: «كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟» قالوا: سمعنا رسول اللهﷺ يوم غدير خمّ يقول: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه» قال رياح: فلمّا مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيّوب الأنصاري (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤١٩).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن أبي بكر: إنّ النبيﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة ، وفيها - أيضاً - لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللهﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله برئ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّها نحو مكّة. ثم قالﷺ لعليعليه السلام: «ألحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلّغها أنت». قال: ففعل - الإمام أمير المومنين علي بن أبي طالبعليه السلام - ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قالﷺ: «ما حدث فيك إلاّ خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣).

ومنها: ما أخرجه أيضاً بسنده عن ابن عباس أنّه قال: إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عبّاس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عبّاس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال:

←

➔

فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفثصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه، فجاء بصفية بنت حيي. قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلاّ رجل منّي وأنا منه». قال: وقال لبني عمّه: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي معه جالس، فأبوا فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه ثمّ أقبل على رجل منهم فقال: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً». قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: أنّ نبي اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيم، كان صاحبك نراميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك. قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك قال: فقال له علي: «أخرج معك» قال: فقال له نبي الله: «لا» فبكى علي فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّك لست بنبي، أنّه

←

ومنها: ما دلّ على وجود فضل في أبي بكر وعمر مثل خبر ستّة لعنتهم[١]،

➔

لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي». قال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي». وقال: سدّوا أبواب المسجد غير باب علي، فقال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه لبس له طريق غيره. قال: وقال: «من كنت مولاه فإن مولاه علي». قال: وأخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنّه قد رضى عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم هل حدّثنا أنه سخط عليهم بعد؟ قال: وقال نبي الله صلى الله عليه وآله لعمر حين قال: ائذن لي فلأضرب عنقه قال: «أو كنت فاعلاً؟ وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع إلى أهل بدر»، فقال: «اعملوا ما شئتم» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها أحمد ابن حنبل في هذا المجال وهذه نبذة يسيرة من الروايات التي أخرجها أحمد ابن حنبل في فضائل مولانا الإمام أمير المومنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا شخص واحد من علمائهم، وهناك روايات كثيرة رواها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم وهي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا الإمام أمير المومنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بلا فصل بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهي كثيرة جداً وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) الظاهر أنّ المقصود بالفضل هنا ما يقابل الفضائل الحقيقيّة، وفي الواقع أنّ المراد به المطاعن التي تكون سبباً للعن الأنبياء والمرسلين عليهم، وذلك للإشارة إلى الدرجات السافلة في الطعن، فكأنّما يريد أن يقول: أنّ هذا الطعن بالنسبة إلى هذا الشخص الذي يجتمع فيه جميع الرذائل يعتبر فضلاً في حقّه، حيث كما أنّ للفضيلة درجات ومقامات عالية، كذلك في مقابلها الرذائل لها مراتب وضيعة، فإنّ من شمله لعن الأنبياء والمرسلين يكشف عن هبوطه وتنزّله في الرذالة إلى أدنى

➔

ومثل خبر الثقلين(١)،

➔

الدرجة، بحيث يلعنه الأنبياء والمرسلون. ولكن مع ذلك هذا اللعن بالنسبة إلى هذا الشخص يكون أول مرتبة في الطعن، وكأنّما اعتبره فضيلة له. وعلى أي حال فقد أخرج خبر "ستّة لعنهم الله وكلّ نبي مجاب" كبار علماء أهل السنّة، منهم: الحاكم النيسابور في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم، لعنهم الله وكلّ نبي مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله والتارك لسنّتي». ثمّ قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه؛ انظر المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٦)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبّان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، الطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص١٢٧، السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٤٦ وغيرهم. والحديث يشمل الخليفتين الأوّل والثاني للأسباب المذكورة فيه، كما لا يخفى ذلك على الخبير. وقد تقدّم ذكر بعض المناكير والبدع والظلم والجور التي ارتكبها الخليفتين على رؤوس الأشهاد، وهي من الستّة في الحديث، وسنذكرها مفصّلاً في محلّه. والباحث عندما يراجع إلى الآيات والروايات التي فيها استحقاق اللعن لمن يرتكب بعض موبقات يجد هناك ما يدل على خلود االملعون في نار جهنّم. والخلود في الجهنّم إنّما يكون لغير المؤمن، ومن هنا يعرف حال الخليفتين باستحقاقهما اللعن من الأنبياء والمرسلين، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة بين الفريقين، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين، وقد تكرّر هذا الحديث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة ➔

➔

وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث... (انظر فيض القديرج٣: ص١٤). وقال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيّف عشرين صحابياً... (الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وجابر، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضميرة، وعامر بن أبي ليلى، وعبد الثرى بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعديّ بن حاتم، وعقبة ابن عامر، وعلي بن أبي طالبعليه السلام وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي تسريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، وأمّ مسلمة، وأمّ هاني بنت أبي طالب، وورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط). وقد أفرد العلاّمة السيّد ميرحامد حسينقدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته "عبقات الأنوار". هذا وروى السمهودي بإسناده عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سببه بيده وسببه بأيدكم، وأهل بيتي» (جواهر العقدين: ص١٧٢). وإلى غير ذلك من الأقول والكلمات من علماء الفريقين التي وردت في كتبهم حول حديث الثقلين.

وقد روى مسلم حديث الثقلين في صحيحه بسنده عن يزيد بن حيّان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوا فيه ثمّ قال:

➔

➔

قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمدالله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٤: ص كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام). وغيره من أرباب الصحاح والمسانيد. والحديث فيه دلالة واضحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام إذ يدلّ الحديث يدل على أنّ المرجعيّة من بعد النبي صلى الله عليه وآله التي اختاره الله ورسوله منحصرة في الثقلين. ولو كان هناك من له اللياقة بالولاية والإمامة والقيادة غير هذين الثقلين لكان على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذكره في الحديث. فدلالة الحديث على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام في غاية الوضوح؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قرن أهل بيته عليهم السلام بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الطبيعيّ أنّ هذه المقارنة دليل على انّ ما في كتاب الله عزّ وجلّ يكون في أهل البيت عليهم السلام، إذ من الواضح أنّ أيّ انحراف مخالفة بينهما يكون افتراقاً عن الكتاب العزيز، والحديث فيه التصريح من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٤)، ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص٧٤، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٦٦، والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٨، والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم. فيدلّ بالصراحة على أنّ

➔

وخبر السفينة[1]،

➔

الأصلح للإمامة هم العترة الطاهرة عليهم السلام، كما يتضح ذلك من شرح علماء أهل السنّة للحديث فلاحظ.

(١) إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد رواه علماء أهل السنّة بطرق متعددة وألفاظ مختلفة عن النبي صلى الله عليه وآله. فرواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»". ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٤٥، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٥٣٣، وغيرهم. وجاء في رواية الطبراني عن حنش ابن المعتمر... مثله وفيه: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»، و«مثل باب حطة بني إسرائيل» (انظر المعجم الأوسط ج٤: ص١٠). وأخرج أيضاً بسنده عن بن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق» (المعجم الكبير ج٣: ص٤٦).

وأخرج أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زُجّ في النار». قال: أخرجه ابن السري (ذخائر العقبى: ص٢٠)، ورواه القندوزي الحنفي

➔

➔
في ينابيع المودة ج٢: ص١١٨ وغيره.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢١٨). وأخرج الهيثمي بسنده عن عبد الله بن الزبير أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها سلم ومن تركها غرق». رواه البزار (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨). قال ابن حجر: وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»، وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (الصواعق المحرقة: ص١٥٠).

وجاء في النهاية لابن الأثير بهذا اللفظ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من تخلّف عنها زخ به في النار» قال: أي دفع ورمي (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢: ص٢٩٨). فالحديث في غاية القوة من جهة السنّة، وكذلك من جهة الدلالة، لأنّه يدلّ بوضوح على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام حتّى باعتراف كبار علماء أهل السنّة. قال ابن عربي في شرح الحديث: وأمّا التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق». والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبي وتزكية نفس كما جاء في كلام إدريس النبي صلى الله عليه وآله ومخاطباته لنفسه ما معناه: إنّ هذه الدنيا بحر مملوء ماء فإنّ اتّخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلاّ غرقت فيها وهلكت، فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتّخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم... (انظر تفسير ابن عربي ج١: ص٣٢٣).
➔

➔

وقال الواحدي: انظر كيف دعا الخلق إلى النسب إلى ولائهم والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوح عليه السلام، جعل ما في الآخرة من مخاوف الأخطار وأهوال النار كالبحر الذي لجّ براكبه، فيورده مشارع المنيّة ويفيض عليه سجال البليّة، وجعل أهل بيته (عليه وعليهم السلام) مسبّب الخلاص من مخاوفه والنجاة من متألفه، وكما لا يعبر البحر الهياج عند تلاطم الأمواج إلاّ بالسفينة، كذلك لا يأمن نفخ الجحيم ولا يفوز بدار النعيم إلا من تولى أهل بيت الرسول (صلوات الله عليه وعليهم)، وتخلى لهم ودّه ونصيحته وأكّد من موالاتهم عقيدته، فإنّ الذين تخلّفوا عن تلك السفينة آلوا شرّ مآل، وخرجوا من الدنيا إلى أنكال وجحيم ذات أغلال، وكما ضرب مثلهم بسفينة نوح قرنهم بكتاب الله تعالى فجعلهم ثاني الكتاب وشفع التنزيل (انظر تفسير الواحدي: ص١٠٥).

وقال السمهودي في تنبيهات الذكر الخامس: ثانيها قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه»، الحديث، ووجهه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام، وقد سبق في الذكر قبله في حثّه صلى الله عليه وآله على التمسّك بالثقلين كتاب الله وعترته قوله صلى الله عليه وآله: «فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»، وقوله صلى الله عليه وآله في بعض الطرق: «نبّأني اللطيف الخبير»، فأثبت لهم بذلك النجاة وجعلهم وصلة إليها، فتمّ التمسّك المذكور، ومحصّله الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم (صلى الله وسلم عليه وعليهم)، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران (انظر جواهر العقدين: مخطوط).

وقال ابن حجر: ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ: إن من أحبّهم وعظمهم شكراً لنعمة

←

وغيرها ممّا دلّ على هلاكة من تقدّم على العترة ومن تأخّر عنهم[(١)]،

➔

مشرفهمﷺ وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان (الصواعق المحرقة: ص٩١). وإلى غير ذلك ممّا ورد في شرح الحديث. فالحديث يدلّ بالصراحة على هلاك وضلال المتخلّفين عن أهل البيتعليهم السلام. ومن الواضح أنّ من المتخلّفين عن هذا عن أهل البيتعليهم السلام هم الخلفاء الثلاثة وأتباعهم، حيث أنّهم تخلّفوا عن سفينة النجاة التي جاءت ذكرها في الحديث النبوي، فهم تخلفوا عن أمر رسول اللهﷺ واختاروا مصير الهلاك والضلال. وعليه فإنّ حديث السفينة يدلّ بالصراحة على أنّ الأصلح للإمامة وخلافة بعد رسول اللهﷺ هم أهل البيتعليهم السلام الذين مثلهم رسول اللهﷺ بسفينة النجاة، وباعتراف كبار علماء أهل السنّة أنّ المراد بهذا التمثيل لزوم الاتّباع منهمعليهم السلام. وإذا كان الأمر كذلك معناه أنّ غصب الخلافة منهم يعدّ من أكبر الجرائم بعد تخلفهم عن السفينة، ومن تخلّف عن سفينة أهل البيتعليهم السلام فإنّ مصيره الهلاك والضلال، وأمّا من غصب هذا المقام منهم فله الويلات فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين، وهي تدّل على ضلالة من تقدّم على العترة الطاهرةعليهم السلام، وقولهﷺ: «فلا تقدموا عليهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» حيث ورد في الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي لكم فرط وإنّكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول اللهﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلّوا، والأصغر

➔

←

عترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموا عليهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج٣: ص٦٦). ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة وفيه: «فلا تقدموا عليهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم» (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٤٨). ومعنى قولهﷺ: «فلا تقدموا عليهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»: أي لا تتقدّموا على الكتاب والعترةعليهم السلام «فتهلكوا» وفي روايات «لتهلكوا» (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٢: ص٦٠)، ولا تتأخّروا عنهما «فتهلكوا» وفي رواية «فتزلّوا» (انظر الأمالي للشيخ المفيدقدس سره: ص٦٠)، وفي رواية أخرى «فتضلّوا» (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٩٥). وقولهﷺ: «ولا تعلّموهم» أي العترة الطاهرة من أهل البيتعليهم السلام، فإنّهم أعلم منكم حيث أنّهم أعلم الناس بكتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ، وكان لهم من الله عنايات اختصّ بهم، ولذلك قالﷺ: «فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثمّ إنّ معنى قولهﷺ: «لا تقدموهما»، أي اجعلوا الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيتعليهم السلام أئمّتكم لتقتدوا بهما، وإنّكم إن لم تفعلوا ذلك ولم تجعلوهما في المقدّمة، فإن مصيركم ينتهي إلى الهلاك والضلال. وكذلك دلالة قولهﷺ: «لا تتأخّروا عنهما». أي: لا تنحوهما جانباً أو تتركوا اتّباعهما والاقتداء بهديهما الرباني، إذ بالتالي تزلّوا وتضلّوا وتهلكوا. ولا تعلّموهم: أي لا تعلّموهم من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالّة، وتأويلاتكم الخاطئة والفاسدة، وأقوالكم الموضوعة، ولاتتركوا التعلّم منهم والأخذ منهم واتّباعهم، وتعلموا منهم، لأن ما جاءكم من الكتاب والعترة الطاهرةعليهم السلام فهو من عند الله الخالق المدبّر هو العالم بحقائق الأمور وما يصلح الإنسان ويرفعه إلى أعلى المراتب السامية، ويجنّبه كلّ ما يضلّه ويضره

→

ومثل خبر القضاة وغيره لقضائهما بغير ما علما وبغير ما نـزل مـن عنـد الله في مقامات عديدة[(١)].

←

وما ليس له فيه منفعة أو مصلحة. فمن القضايا الأساسيّة والبديهيّـة التـي بيّنتهـا هـذه العبارات من الحديث بشكل عامّ قضايا محوريّـة ومركزيّـة فـي العقيـدة والأحكـام وغيرها التي سنوضّحها إن شاء الله تعالى في محلّه. فالحديث يـدلّ بالـصراحة علـى أنّ أهل البيت عليهم السلام أصلح للإمامة فلاحظ.

(١) هذه العبـارة إشـارة إلـى الحـديث المعـروف فـي بـاب القـضاء الـذي رواه علمـاء الإسلام بأسناد صحيحة، فرواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الـصحيحين بسنده عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن ابـن بريـدة عـن أبيـه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «قاضيان في النار وقاض قضى بالحقّ فهو في الجنّـة وقـاض قـضى بجـور فهو في النار وقاض قضى بجهله فهو في النار»، قالوا: فما ذنب هـذا الـذي يجهـل؟ قال: «ذنبه أن لا يكون قاضياً حتّى يعلم» (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٩٠)، ورواه البيهقي في سننه الكبـرى ج١٠: ص١١٧، والهيثمـي فـي مجمـع الزوائـد ج٤: ص١٩٢، والطبراني في معجمـه الكبيـر ج٢: ص٢٠ وغيـرهم. والحـديث فيـه دلالـة واضحة على أهميّة القـضاء فـي الإسـلام وأثرهـا فـي المجتمـع، والمـستفاد منـه أنّ القضاة على شفير جهنم؛ إذ القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنّة، قـاض قضى بالحقّ وهو يعلم فهو في الجنّة، وقاض قضى بـالهوى فهـو فـي النـار، وقـاض قضى بغير علم وإن قضى بالحقّ فهو في النار. وذلك لأنّ القضاء ملاذ المظلوم. وبـه يتبيّن ميزان العدل في الإسلام، فبقدر ما يكون القـضاء موجبـاً لإجـراء العدالـة فـي مجتمع، فهو مؤثر في السعادة الناس وعـزّتهم، وبـدون القـضاء العـادل يختـلّ عقـد المجتمع، وينخر فيه الفساد، ويُفتح عليه باب الهلاك، وتختلّ فيه الكثير من المعاني

←

➔

والقيم... ولذلك أنّ إقامة العدل بين الناس من أعظم مقاصد الدين، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (سورة الحديد:٢٥)؛ هذه الآية فيها دلالة واضحة على أنّ الله تعالى أنزل الكتاب والميزان لإجراء القسط والعدل في المجتمع. ومن خلال هذه الآية المباركة نعرف أنّ الأنبياء كانوا مسلّحين بثلاث وسائل، وهي: الدلائل الواضحة، والكتب السماويّة، والميزان والمعيار لمعرفة الحقّ من الباطل، والجيّد من الرديء. ومما تقدم يعرف أنّ الهدف الأساسي من بعث الرسل، وإجراء الأحكام والقوانين الدينيّة هو إقامة القسط والعدل سماوي في المجتمع، أي أنّ الأبعاد الثلاثة تصب في محتوى واحد وهي موجودة في القرآن الكريم، وفي الحقيقة أنّ هذه الآية تشير إلى أحد الأهداف العديدة لإرسال الرسل، والرسالة السماويّة. ولذلك أنّ النبيﷺ كان يؤكّد على منصب القضاء والقاضي لأهميّة إجراء القسط والعدل في المجتمع وقيمة العدل ومنزلته بين الناس، فقالﷺ: «إن المقسطينَ في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص١٥٩). وقالﷺ: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزّ وجلّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وُلّوا» (صحيح مسلم ج٦: ص٧: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل). وممّا يجدر ذكره أن المقصود من التعبير القرآني: ليقوم الناس بالقسط أي أن يتحرّك الناس أنفسهم لتحقيق القسط، وليس المقصود أن يلزمهم الأنبياء على إقامة القسط، ولهذا يمكن القول بأنّه المراد من الآية وهدفها هو أن يعمل الناس بمفاهيم القسط ويتحرّكوا لتطبيقها. والمهمّ أنّ دلالة الرواية والآيات على المقام واضحة، حيث أنّها تدلّ على لزوم تربية الناس على العدل والقسط بحيث يصبحون

🡨

وأمّا إجماعهم فقد نقل العضدي في شرحه للمختصر أنّهم مختلفون فيه من جهات، منها: هل هو ممكن أم غير ممكن، وعلى تقدير إمكانه، فهل وقع أم لم يقع؟ وعلى تقدير وقوعه، هل هو بنفسه حجّة أم حجيّته من جهة مطابقته للسنّة؟ فهذه جهاته المختلف فيها عندهم[1]،

➔

وأعين وداعين إلى العدل. ومنفذين لبرامج الأنبياء والرسالة السماوية. وهذا لا يمكن تحصيله في الخارج إلاّ بوجود المعصوم على رأس الحاكمية والقضاء كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الجمعة:٢). فالتعليم والتربية، وكلّ هذه المقدمات من أجل إجراء العدل في المجتمع، وإذا كان الأمر كذلك يجب أن يكون الأصلح على هرم القدرة، وبعد وضوح أنّ النصوص المتفقة عليها تدّل على أفضلية أئمة أهل البيتعليهم السلام فيثبت باتفاق الفريقين أصلحية أهل البيتعليهم السلاملمقام الإمامة فلاحظ.

(١) قال العضدي: الإجماع في الاصطلاح اتّفاق خاصّ، وهو اتّفاق المجتهدين من أمّة محمّدصلى الله عليه وآله في عصر على أمر... ثمّ إنّه قد اختلف في أنّه هل يشترط في الإجماع وانعقاده حجّة انقراض عصر المجمعين؟ فمن اشترط ذلك لا يكفي عنده الاتّفاق في عصر بل يجب استمراره ما بقي من المجمعين أحد فيزيد في الحدّ إلى انقراض العصر ليخرج اتّفاقهم إذا رجع بعضهم فإنه ليس بالإجماع المقصود وهو ما يكون حجة شرعًا... (انظرشرح العضدي لمختصر ابن حاجب ج٢: ص٣١٢). وقال الغزالي في كتابه المستصفي أنّه اتّفاق أمّة محمّدصلى الله عليه وآله على أمر من الأمور الدينية... (المستصفي: ص١٢٧). وقال الفخر الرازي في كتابه المحصول: إنّه اتّفاق أهل

🡐

➔

الحلّ والعقد من أمّة محمّدﷺ على أمر من الأمور والمراد من أهل الحل والعقد على ما نبّه عليه غير واحد منهم المجتهدون (المحصول ج٤: ص٢٠). وإلى غير ذلك من أقوالهم في تعريف الإجماع. ولكن الإجماع الذي ادّعاه أهل السنّة على خلافة أبي بكر لم يحصل على مبانيهم، لأنّه إن كان المقصود به هو إجماع اتفاق جميع الأمة، فإنّه لم يحصل ذلك لخلافة أبي بكر بتصريح كبار علماء أهل السنّة، ولذلك قال بعضهم المقصود بالإجماع هو إجماع أهل الحلّ والعقد، وقد عقدوا لذلك باباً في الأصول وذكر جلّ منهم في الأصول: أنّ الإجماع عبارة عن اتّفاق جميع أهل الحلّ والعقد في وقت واحد، أي أنّ المجتهدين وعلماء المسلمين لو اتفقوا على أمر من الأمور في وقت واحد، عند ذلك يتحقّق الإجماع عند أهل السنّة. ومعناه إذا كان بين أهل الحل والعقد المخالف فلا يتمّ الإجماع. وهناك أقوال أخرى في باب الإجماع حسبما ذكره العضدي في شرح المختصر وغيره. حيث قد ذكر بعضهم أنّ تحقّق الإجماع أو اتّفاق الكلّ في وقت واحد غير ممكن أو محال. فعلى فرض إمكان تحقّقه وعلى تقدير كونه حجّة ودليلاً عند أهل السنّة، يقع البحث في أنّه هل تحقّق الإجماع على خلافة أبي بكر أم لا؟

فكما ترى أنّه ليس محل وفاق على مبانيهم، أولاً: أنّ النزاع الواقع بين علماء أهل السنّة في تعريف الإجماع يدّل على عدم تحديدهم للإجماع بشكل قطعي. وثانياً: أنّهم اختلفوا في تحقق الإجاع الحقيقي في الخارج، وذهب بعضهم إلى أنّه محال. وثالثاً: يلزم عليهم بيان الدليل على حجيّة الإجماع من الكتاب والسنّة. وعليه لا بدّ لهم من الإجابة عن هذه الإشكال.

ثمّ بعد فرض اقامة الدليل على دعاوهم يجب عليهم اثبات تحقّق الإجماع على خلافة أبي بكر. وعندما نرجع إلى كلماتهم نجد أولاً لا دليل لهم على حجّية الإجماع

🡐

➔

كما ذلك يظهر من اضطراب كلماتهم في هذا المجال. وثانياً: لم يمكنهم تطبيق ما بنوا عليه في الأصول على خلافة أبي بكر كما جاء في كلماتهم، وإليك نماذج من كلماتهم: قال التفتازاني في كتابه شرح المقاصد: بأنّا عندما ندّعي الإجماع، لا ندّعي وقوع الإجماع حقيقة، بل إنّ إمامة أبي بكر قد وقعت في الحقيقة ببيعة عمر فقط في السقيفة (انظر شرح المقاصد ج٥: ص٢٥٤). ثمّ كيف يكون الإجماع وقد تخلّف عن البيعة إمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس وسائر بني هاشم، كما تخلّف أسامة بن زيد والزبير وسلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وخزيمة ابن ثابت وأبو بريدة الأسلمي والبراء بن عازب وأبي بن كعب وسهيل بن حنيف وسعد ابن عبادة وقيس بن سعد وأبو أيّوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وخالد بن سعيد وغير هؤلاء كثيرون.

أقول: والأمر أوضح من أن يخفى على أحد، لأنّ من له أدنى معرفة بالأصول يعرف أوّلاً: أنّه لا بدّ من تعيين موضوع الإجماع. وثانياً: لا بدّ من إثبات حجيّة الإجماع. وثالثاً: لا بدّ من إثبات تحقّق الإجماع في الخارج على خلافة أبي بكر. ورابعاً: لابدّ لهم الجواب لمن أثبت وجود النصّ على خلاف الإجماع. هذا كلّه على مبنى علماء أهل السنّة.

وأمّا على مذهب علماء الشيعة فإنّ الإجماع لا يكون حجّة إلاّ مع وجود المعصوم بين المجمعين، وبعبارة إخرى أنّ سنّة المعصوم تكون حجّة ، لا الإجماع، ومعناه أنّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة لا الإجماع. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ قيام الإجماع في الإمامة معناه الثبوت بالنصّ. ثمّ أنّه لا معنى للاستدلال بالإجماع مع وجود النصّ، إذ لو قام أجماع الأمة على أمر مخالف للنصّ فلا أثر له شرعاً، كما

🡐

فما حال إجماعهم المخالف لما نبّهنا عليه من السنن، فهل يجوز لمن صدق برسول الله صلى الله عليه وآله تجويز حجيّته[(١)]؟

➔

إذا ورد النصّ بأنّ صلاة الصبح ركعتان مثلاً، ثمّ قام الإجماع الأمّة على أنّها أربع ركعات فلا أثر لهذا الإجاع عند المسلمين؛ لأنّ النصّ دليل وحجة شرعية. والإجماع عبارة عن اتفاق آراء المسلمين، ومن الواضح أنّ آراء المسلمين لا تكون حجّة في مقابل النصّ. وبعبارة أخرى أنّ كل قول من أقول المسلمين من الإجماع في حدّ نفسه لا يكون حجّة، وجعل كلّ قول من الأقوال إلى جنب الآخر معناه جعل لا حجّة إلى جنب لا حجّة وهذا لا ينتج إلاّ لا حجّة. فالإجماع مجموعة من الأقوال التي لا تكون حجّة. وعليه كيف يمكن دعوى الإجماع على خلافة أبي بكر مع وجود النصّ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله على خلافة مولانا إمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!!

(١) وتوضيح المقام أنّه على فرض حجّيّة الإجماع عند أهل السنّة لا يصحّ الاستدلال به مع وجود النصّ على خلافه؛ لأنّ حجّيّة الإجماع مشروطة بعدم وجود النصّ. وأمّا مع وجود النصّ فلا معنى للاستناد بالإجماع. وعليه فإنّ ادّعاء الإجماع على خلافة أبي بكر باطل، لوجود النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة على خلافة مولانا إمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل. ونحن نكتفي هنا بذكر بعض الروايات التي رواها أبو بكر نفسه عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته وهي كثيرة، منها: ما رواه ابن حجر في كتابه لسان الميزان بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الرازي عن المغيرة بن سعيد عن أبي ليلى النخعي عن أبي الأسود الدؤلي سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي

➔

➔

خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (لسان الميزان ج٦: ص٧٨). ومنها: ما رواه زيني دحلان بسنده عن أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار» (انظر فتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين بهامش السيرة النبويّة لزيني دحلان ج٢: ص١٦١). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ عليه السلام، فقال عليه السلام له: «مالك تبسّمت؟» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز» (الرياض النضرة ج٣: ص١٣٧)، ورواه في ذخائر العقبى: ص٧١، وأخرجه ابن حجر المكي في الصواعق: ص١٢٦، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٣: ص٢٣٠. ومنها: ما رواه ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عائشة قالت: رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي عليه السلام، فقلت: يا أبه، أراك تكثر النظر إلى وجه علي عليه السلام، فقال: يا بنيّة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (المناقب لابن المغازلي: ص٢١٠). ومنها: مارواه ابن عساكر الدمشقي عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله عدة، فليقم، فقام رجل فقال: إنّه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر، فقال أبو بكر: أرسلوا إلى علي عليه السلام، فجاء، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا يزعم أنّ رسول الله ﷺ وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها، فقال أبو بكر: عدّوها، فوجدوا في كلّ حثية ستّين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله ﷺ، قال لي رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة : «يا أبا بكر، كفّي وكفّ علي في العدل سواء»

🡐

➔

(انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩)، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٥: ص٢٤٠، والخوارزمي في المناقب: ص١٢٩، والمحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٠، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٢: ص٢٣٦ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن عساكر عن الدارقطني بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك الله هل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطّلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، إنّه لم يبعث الله نبيّاً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله، فمن منكم - يقوم و - يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم، ثم لتندمنّ»، فقام علي عليه السلام من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال العبّاس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله خيّم خيمة وهو متّكئ عل قوس عربيّة وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ، طيب الولادة، ولا يبغضهم إلا شقي الجدّ، ردئ الولادة» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٥٤)، ورواه الخوارزمي في المناقب: ص٢٩٦. ومنها: ما رواه السيوطي عن البخاري بسنده عن أبي بكر في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ أنّه قال: ارقبوا محمّداً صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٧)، ورواه في تاريخ الخلفاء: ص٩٨، وابن حجر في الصواعق: ص١٧٦. ومنها:

➔

←

ما رواه الخوارزمي بسنده عن الحارث الأعور صاحب راية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: بلغنا أنّ النبيصلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال: «أيّكم آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟» فلم يكن بأسرع من أن طلع عليعليه السلام، فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل، بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبيصلى الله عليه وآله: «أو لا تعرفه يا أبا بكر؟» قال: الله ورسوله أعلم، قالصلى الله عليه وآله: «هو أبو الحسن علي بن أبي طالب»، قال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن (المناقب للخوارزمي: ص٨٨). ومنها: ما رواه عبيد الله الآمرتسري الحنفي عن ابن مردويه الأصفهاني بإسناده عن سالم مولى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: كنت مع عليعليه السلام في أرض نعمل، إذ جاء أبو بكر وعمر إلى عليعليه السلام وقالا: "السلام عليك يا أمير المؤمنين"، فقيل لهما: أكنتما تسلمان عليه في عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين؟ قال عمر: هكذا أمرنا النبيصلى الله عليه وآله (انظر أرجح المطالب لعبيد الله الآمرتسري: ص١٥). ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد عن الشعبي قال: قال الإمام الحسن ابن عليعليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: «انزل عن منبر أبي»، فقال أبو بكر: صدقت، والله إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٢). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن الشعبي قال: إنّ أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالبعليه السلام فقال: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابة من رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأعظمهم عنه غنى، وأحظّهم عنده منزلة فلينظر - وأشار - إلى علي بن أبي طالب (الرياض النضرة ج٣: ص١١٩). ومنها: ما رواه العلاّمة الأديب ابن دريد البصري في كتابه المجتنى بسنده عن أنس ابن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله حتّى دخل المسجد فقال: أين وصيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله؟

←

➔

فأشار القوم إلى أبى بكر، فوقف عليه فقال: أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، قال أبو بكر: سل عمّا بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله؟ وعمّا ليس عند الله؟ وعمّا لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي. وهمّ أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عبّاس: ما أنصفتم الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلّم به؟ فقال ابن عبّاس: إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى علي عليه السلام يجيبه، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «اللّهم اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال أنس: فقام أبو بكر ومن حضره حتّى أتوا علي بن أبي طالب عليه السلام فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهودي سألني مسائل للزنادقة، فقال علي عليه السلام: «ما تقول يا يهودي؟» قال: أسالك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، فقال عليه السلام له: «قل»، فردّ اليهودي المسائل فقال علي عليه السلام: «أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيزاً ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس لله شريك». فقال اليهودي: أشهد أن لا إله الله، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله، وأنّك وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرّج الكرب (انظر المجتبى لابن دريد: ص٣٥). وجاء في رواية ابن حسنويه الحنفي في كتابه دُر بحر المناقب - بعد ما شهد اليهودي الشهادتين - فضجّ الناس عند ذلك، فقال أبو بكر: يا كاشف الكربات، أنت يا علي فارج الهمّ، قال أنس: فعند ذلك خرج أبو بكر ورقى المنبر وقال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم. قال أنس: فخرج عليه عمر وقال: يا أبا بكر، ما هذا الكلام، فقد ارتضيناك لأنفسنا؟! ثمّ أنزله عن المنبر (انظر درّ بحر المناقب لابن حسنويه: ص٧٦). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة بسندهم عن أبي

🡐

وليعجب المسلم بعد نظره إلى ما نبّهنا عليه من السنن من شدّة بهتانهم على من يدور الحقّ معه حيث يدور[(١)]،

➔

بكر وهي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كان أبو بكر ينقل هذه الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله معناه أنّه بنفسه يبطل الإجماع على خلافته بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة الى الحديث المعروف المشهور، الذي رواه أكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من أهل السنّة في كتبهم، بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة، تفيد مجموعها التواتر، وقد رواه أكثر من عشرين صحابي عن النبي صلى الله عليه وآله، منهم وأبو بكر، وأبو ذر، وعمّار، وعبد الله بن عبّاس، وأبو سعيد الخدري، وسلمان، وأبو أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعائشة، أمّ سلمة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (انظر شرح منهاج الكرامة للسيّد علي الميلاني ج٢: ص٩٥). فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليك بعض تلك الآثار، منها: ما رواه الترمذي بسنده عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم.

ومن تلك الموارد: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودّعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أني أكره أن

➔

➔
أعصي الله ورسوله - فإنّه أمرناﷺ أن نقرّ في بيوتنا - لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني...؛ قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

وما رواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبيﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى. قال: «خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحب الخفي التقي» قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

وما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً. وقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

وما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس، فالتفت إلى عبد الله بن عبّاس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتّى انكشفت، قال:
➔

➔
فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ، قال: فقال سعد: أمّا إذا أبيت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار» قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنه قال: يعني لعلي «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار» فقالت أمّ سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

وما رواه ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحقّ لن يزال مع عليّ، وعلي مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا؟» قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥.

وما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال: ... استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ والقرآن والحقّ، والقرآن مع علي ولن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري
➔

➔

ج٢: ص١٧٢).

وما رواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطّاب، وابن عبّاس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أنّ علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي ابن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). والى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جدّاً، لا يمكن استقصائها.

وتقريب الاستدلال بالحديث على امامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضح؛ حيث أنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ من دُونه هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج:٦٢)، فالآية تؤكّد على أنّ الحقّ هو الله، وكلّ ما يرجع إلى ما سوى الله فهو باطل، وعلى قول الشاعر: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل * وكلّ نعيم لا محالة زائل. فإنّ جميع المخلوقات يستمدّون وجودهم من الوجود الحقّ الدائم، وبهذا فإنّه كلّما قوي ارتباط الموجودات الأخرى بوجود الله تعالى فإنّها تكتسب بتلك النسبة حقّاً أكبر. فقوله ﷺ: «علي مع الحقّ»، معناه أنّه هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجل؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب إنّ الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ

➔

➔

الله؟ فقال: يا هذا إنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً، وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي فإنّه لن يدلّيك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره. فالحديث صريح في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، لأنّ المستفاد من الحديث أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجلّ وهذا معناه أنّه عليه السلام ركن الإيمان بالله، وقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي! أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ومنجز عداتي، وحبيب قلبي، ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء، وأنت أمين الله في أرضه، وأنت حجّة الله على بريّته، وأنت ركن الإيمان، وأنت مصباح الهدى، وأنت منار الدجى...» (المحتضر لحسن بن سليمان الحلي: ص١٤١). ومن الواضح أنّ من هو ركن الإيمان فهو الإمام فلاحظ.

والمتقدّم عليه هالك(١)،

---

(١) هذه العبارة اشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين، وهي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» ومعناه أنّ من تقدّم على العترة الطاهرة عليهم السلام بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فهو هالك وضالّ. فقد روى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنّي لكم فرط وإنّكم واردون علي الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين» فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربيّ، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج٣: ص٦٦). ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة وفيه: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم» (انظرالصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٤٨). ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»: أي لا تتقدّموا على الكتاب والعترة «فتهلكوا» وفي روايات «لتهلكوا»، ولا تتأخّروا عنهما «فتهلكوا» وفي رواية «فتزلّوا» وفي رواية أخرى «فتضلّوا»، «ولا تعلّموهم» أي العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، «فإنّهم أعلم منكم» حيث أن الكتاب هو القرآن الصامت وأهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق، أي أنّ العترة الطاهرة عندهم العلوم اللدنية ما ليس عند غيرهم، وكانوا أعلم الناس بالكتاب والسنّة، وكان لهم من الله عنايات اختصّ بهم، ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثم إنّ معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا تقدّموهما»، أي اجعلوا الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام دائماً في المقدمة فلا تتقدّموا عليهما ولا ←

ومن خرج عنه بشبر مات ميتة جاهلية[(١)]

تتكبّروا عليهما ولا تترفّعوا عن الاقتداء بهما والاهتداء بهديهما، واجعلوهما أئمتكم حتّى يكونا وفدكم إلى الله تعالى حتّى يترافعا لكم بين يدي الله تعالى. وتنالوا الشفاعة بهما، وإنّكم إن لم تفعلوا ذلك ولم تجعلوهما في المقدّمة، فإنّ مصيركم ينتهي إلى الهلاك. وكذلك لا تتأخّروا عنهما أي لا تنحوهما جانباً أو تتركوا اتّباعهما والاقتداء بهديهما الرباني المعصوم، فبالتالي تزلّوا وتضلّوا وتهلكوا. «ولا تعلّموهم»: أي لا تعلّموهم من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالّة، وتأويلاتكم الخاطئة والفاسدة، وأقوالكم الموضوعة، ولا تتركوا التعلّم منهم والأخذ منهم واتّباعهم، وتعلّموا منهم، لأن تعاليمهم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فما جاء من عند الله الخالق المدبّر هو العلم الحقيقي بما يصلح الإنسان ويرفعه إلى أعلى المراتب السامية، ويجنبه عن كلّ ما يضلّه ويضرّه وما ليس له فيه منفعة أو مصلحة فهو من تعاليمهم. فالحديث بشكل عامّ قضايا الأساسية والمحوريّة والمركزيّة في عقيدة كل مسلم وسنوضح هذه الحقيقة في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه كبار علماء أهل السنّة كالبخاري ومسلم وغيرهما في أصحّ كتبهم، بل وأنّه من الروايات المتواترة عند علماء أهل السنّة. وإليك بعض متون الحديث فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي رجاء عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله سترون بعدي أموراً تنكرونها). ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات إلاّ مات ميتة جاهلية» (انظر

➔
صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عبّاس عن رسول اللهﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنّه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن نافع قال: جاء عبد الله ابن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إنّي لم آتك لأجلس أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول اللهﷺ يقوله: سمعت رسول اللهﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون في كتبهم. وقد أفتى علماء أهل السنّة بمقتضى هذا الحديث بوجوب قتل من خرج على إمام زمانه وإن كان الإمام والحاكم فاسقاً، قال عبد الله ابن قدامة: لو خرج رجل على الإمام، فقهره وغلب الناس بسيفه، حتّى أقرّوا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه، صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه؛ فإنّ عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتّى بايعوه طوعاً وكرهاً فصار إماماً يحرم الخروج عليه؛ وذلك لما في الخروج عليه من شقّ عصى المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم، ويدخل الخارج عليه في عموم قولهﷺ: من خرج على أمّتي وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان، فمن خرج على من ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه باغياً وجب قتاله (المغني لابن قدامة ج١٠: ص٥٢). وقال عبد الرحمن بن قدامة:
➔

بأنّه قال: خير الناس بعد نبيّهم ابن أبي قحافة[(١)].

➔

الخارجون عن قبضة الإمام أصناف أربعة، أحدها: قوم امتنعوا من طاعته وخرجوا عن قبضته بغير تأويل، فهؤلاء قطّاع الطريق ساعون في الأرض بالفساد...، الثاني: قوم لهم تأويل إلاّ أنّهم نفر يسير لا منعة لهم كالعشيرة ونحوهم، فهؤلاء حكمهم حكم الصنف الذي قبلهم في قول أكثر الأصحاب ومذهب الشافعي...، الثالث: الخوارج الذين يكفّرون بالذنب ويكفّرون علياً وعثمان وطلحة والزبير وكثيراً من الصحابة، ويستحلّون دماء المسلمين وأموالهم إلاّ من خرج معهم، فظاهر قول الفقهاء المتأخّرين من أصحابنا أنهم بغاة لهم حكمهم، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث، وأمّا مالك فيرى استتابتهم فإن تابوا وإلاّ قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنّهم كفّار مرتدّون حكمهم حكم المرتدّين تباح دماؤهم وأموالهم...، الرابع: قوم من أهل الحقّ يخرجون عن قبضة الإمام ويرومون خلعه لتأويل سائغ... (انظر الشرح الكبيرعلى المقنع لعبد الرحمن بن قدامة ج١٠: ص٤٢). وإلى غير ذلك من أقوالهم وفتاويهم في المقام. وعليه بناءً على هذه الرواية والأقوال من علماء أهل السنّة يظهر بطلان ما زعمه ابن تيمية وما نسبه إلى أهل السنّة من جواز التقديم على الأصلح، لأنّ هذه الرواية الصحيحة عندهم تدلّ على لزوم تقدم الأصلح، وكذلك أقوال علمائهم المبتنية على دلالة هذه الرواية فإنّها تبطل دعوى ابن تيمية كما لا يخفى ذلك على الخبير فلاحظ.

(١) هذه العبارة المزعومة متوقفة على دعوى ابن تيمية وادّعائه عدم وجوب تقديم الأصلح، كما نسبه إلى علماء أهل السنّة. ولكن هذا الزعم باطل ومردود لعدّة الجهات، الجهة الأولى: ما رواه علماء أهل السنّة في حقّ أبي بكر من أنّه أفضل

➔

➔

الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٢٧). وإن كانت هذه الرواية غير صحيحة على مبانيهم، أوّلاً: لأنّ أبا بكر نفسه اعترف بأنّه لم يكن خير الناس، حيث أنّه قال: وليتكم ولست بخيركم، فقد أخرجه الطبراني بسنده عن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع فخطب الناس، فقال: يا أيّها الناس إني قد أقلتكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم (المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص٢٦٧). ولكن من باب الاحتجاج على الخصم وإلزامه بقبول قول علماء أهل السنّة لا يصحّ لابن تيمية الادّعاء بعدم تقدّم الأصلح.

وثانياً: قد ذكر بعض علماء أهل السنّة من أنّهم ذكروا أسماء عدة من الصحابة كانوا يقولون بأفضلية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منهم أبو ذر، وسلمان، والمقداد، وعمّار، قال ابن عبد البر: وروي عن سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبي سعيد الخدريّ، وزيد بن الأرقم: أنّ علي بن أبي طالب أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٠٩٠).

وقال ابن حزم: قال أبو محمد: اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام فذهب بعض أهل السنّة وبعض أهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وقد روينا هذا القول نصّاً عن بعض الصحابة وعن جماعة من التابعين والفقهاء (انظر الفصل في الملل والنحل ج٤: ص١٨١).

وقال القاضي عبد الجبار: وأما تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام فمروي عن الزبير وحذيفة ابن اليمان وجابر بن عبد الله وعمّار وسلمان وأبي ذر والمقداد وعن طبقة من التابعين ومن بعدهم كمجاهد وعطاء وسلمة بن كهيل والحكم (المغني في التوحيد: ص٢٠).

🡐

ثامنها: ما زعمه من فرض وجود ما تدّعيه الشيعة من النصّ وصحّته، فالناس قد تركت من وجبت توليته وقام بالمقصود غيره(١)، فإنّك قد عرفت

→

وقال ابن أبي الحديد: والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمّار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبو أيّوب، وسهل بن حنيف، وعثمان ابن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعبّاس بن عبدالمطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطّلب كافّة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٢١). وإلى غير ذلك من الروايات وأقوال علمائهم.

وثالثاً: لو كانت الرواية صحيحة، لاحتجّ بها أبو بكر في السقيفة على الأنصار.

ورابعاً: لو كانت الرواية صحيحة لماذا اجتمعت الصحابة في السقيفة لانتخاب الخليفة؟!! فإنّهم اجتمعوا فيها بدعو أنّ النبيصلى الله عليه وآله لم ينصّ على خلافة أحد، فلو كان أبو بكر أفضل الناس معناه أنّه خليفة فكيف غفلوا عن ذلك؟

الجهة الثانية: بطلان تقديم المفضول على الفاضل عقلاً وشرعاً، كما تقدم بيانه مفصلاً.

الجهة الثالثة: النصوص الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله بلا فصل كما سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

الجهة الرابعة: الروايات التي وردت في تفضيل خلفائهم بعضهم على بعض، والباحث لو درسها يجد أنّها مبنية على تقدّم الفاضل على المفضول كما سيأتي توضيح ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ دعوى ابن تيمية في المقام من أنّ الناس تركوا النصوص الدالة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وتركهم لها يدّل

←

➔
على عدم حجيتها عندهم. فإنّ هذا الزعم باطل، لأنّه لو كان رفض الناس موجباً لعدم حجّية النصوص فإنّ هذا الأمر جار بالنسبة إلى خلافة أبي بكر وادّعائهم في مشروعيّته، لأنّ كثيراً من الناس قد رفضوا خلافة أبي بكر واعترضوا عليه واجتمعوا في بيت السيدة الزهراءعليها السلام. فلماذا هجموا على بيت السيدة الزهراءعليها السلام؟!! كما أنّ مانعي الزكاة قد رفضوا خلافته لماذا قتلهم أبي بكر؟!! فإن كان رفض الناس النصوص يوجب عدم المشروعيّة فإنّ الأمر بالنسبة إلى خلافة أبي بكر يكون كذلك، لأنّه كما أنّ التزام الناس بعمل على خلاف النصّ لا يوجب مشروعية العمل كذلك رفضهم بالنسبة إلى النصّ؛ لأنّ مخالفة النصّ مخالفة للشريعة المقدّسة، وبالمخالفة للشرعيّة المقدّسة لا يمكن تصحيح العمل شرعاً، بل لنا أن نسأل ابن تيمية وأتباعه هل يمكن تغيير الشرع الإسلامي؟!! وهل يمكن تغيير كتاب العزيز، أو السنّة النبوية الشريفة؟!! كلاّ ثمّ كلاّ. فإنّ الدين الإسلام متقوم بالكتاب والسنّة النبويّة، ومن الواضح أنّ النصوص الدينيّة لا تتغيّر أبداً إلى يوم القيامة (لأنّ حلال محمدصلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرامهصلى الله عليه وآله حرام إلى يوم القيامة) من دون فرق بين العقائد والعبادات والمعاملات، والأخلاق، والحدود. فكلّ ما شرّعه الله فهو دين يجب الإيمان به، ولزوم تطبيقه وإقامته، كما قال سبحانه: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ (سورة الشورى:١٣)، وقد مَنّ الله على عباده أن أكمل الدين، ورضي لهم الإسلام ديناً، حيث قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣). فبطلان دعوى ابن تيمية أوضح من أن يخفى على أحد. كما انّ ما زعمه أهل السنّة من أنّه تعالى ترك الخلق سدى من
➔

➔
جهة الإمام بعد النبيﷺ بطلانه أوضح من أن يخفى على أحد، بل إنّه افتراء على الله ورسولهﷺ حيث أنّ الإمامة في الإسلام هي الولاية والخلافة الإلهيّة، والمرجعيّة العليا للرسالة السماويّة، لتحقيق الأهداف الربانية، وحفظ الدين من البدع والتحريف. فالإمامة استمرار للنبوّة، ويدّل عليها نفس الدليل الدّال على إرسال الرسل وبعث الأنبياء. فإنّ نصب الإمام بعد الرسولﷺ من قبل الله عزّوجلّ، بالولاية التي جعلها الله تعالى لنفسه ولرسولهﷺ. وهذا المعنى يتّضح من خلال القرآن الكريم وآياته النورانيّة، كما هو مستفاد من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥). هذه آية مباركة نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام والروايات الواردة في تفسيرها ونزولها في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالغة عن حدّ التواتر، وقد نقل العلامة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير ستّة وستّون مصدراً من مصادر أهل السنّة، ذكرت أنّها نزلت في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام (لاحظ الغدير ج٢: ص٥٢). فالشيعة يستدلّون بالآية الكريمة ويعتقدون: بأنّ الإمامة كالنبوة لا بدّ أن تكون بولاية الله عزّ وجلّ. وعليه لا بدّ أن تكون الإمامة بالنصّ من الله تعالى على لسان النبيﷺ. وبعد ثبوت الإمامة بالنصّ من الكتاب والسنّة النبويّة لا يحقّ لأحد أن يخالف ما فرضه الله أو يغير ما شرّعه الله، قال الله تعالى: ﴿**قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ**﴾ (سورة يونس:٥٩)، وقال الله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ**﴾ (سورة القصص:٥٨). فبطلان ما زعمه ابن تيمية أوضح من أن يخفى على أحد. فما زعمه ابن تيمية من أنّ ترك الناس للنصوص موجب للمشروعيّة باطل ليس تحته شيء.

بهتان ما زعمه لوجود النصوص العديدة الصحيحة من طرق أهل مذهبه والحسنة على إمامة علي وولده عليهم السلام[1]،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما زعمه ابن تيميّة من عدم وجود الدليل على إمامة الأصلح بهتان على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ النصوص الدالّة على امامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام من الكتاب والسنّة كثيرة جدّاً بحيث لا تبقى مجال للشكّ، حيث أنّه قد وردت كثيراً منها عن طريق الصحابة الذين بايعوا خلفاء الجور. ونحن نذكر هنا الروايات التي رواها عمر ابن الخطّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقط ليكون اعترافاً منه على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فمنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الله تعالى خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله، ويقدّسون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده» (المناقب للخوارزمي: ص٣٢٩). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك علياً حتّى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال عليه السلام: «آخيت بين الناس وتركتني؟» قال صلى الله عليه وآله: «ولم تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك – ناقشك – أحد فقل: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يدعيها بعدي إلاّ كذّاب» (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦١٧)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر ابن الخطّاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء، سقفها عرش الرحمن عزّ وجلّ» (المناقب للخوارزمي: ص٣٠٢)، ورواه الحمويني في فرائد السمطين ج١: ص٤٩، وابن ←

➔

عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٢: ص٣٣٩ وغيرهم. ومنها: مارواه المتّقي الهندي بسنده عن الخليفة العبّاسي المأمون عن الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي، حدّثني عبد الله بن عبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد رأيت من رسول اللهصلى الله عليه وآله فيه خصالاً لإن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعلي قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقالعليه السلام: «يخرج إليكم»، فخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله فسرنا إليه فاتّكأ على علي بن أبي طالبعليه السلام، ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (كنز العمّال ج١٣: ص١١٧)، ورواه الإسكافي في نقض العثمانيّة: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠ وغيرهم. ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطّاب: إنّه رأى رجلاً يسبّ علياًعليه السلام فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٥٣). ومنها: ما رواه بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال عمر بن الخطّاب: كنت أجفو علياًعليه السلام، فلقيني النبيصلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر»، فقلت: بأيش؟ قالصلى الله عليه وآله: «تجفو عليّاً! من آذى عليّاً فقد

🡐

←

آذاني»، فقلت: والله لا أجفو عليّاً أبداً (الأنباء المستطابة: ص٦٤). ومنها: ما رواه ابن شيرويه الديلمي الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حبّ علي عليه السلام براءة من النار» (انظر فردوس الأخبار ج٢: ص١٤٢)، ورواه المناوي في كنز الحقائق: ص٦٧ وغيره. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره». فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلمّا أصبح قال صلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: «آتوني به»، فلم أتاه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادن منّي»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (المناقب للخوارزمي: ص١٧٠)، ورواه المتّقي الهندي في كنز العمّال ج١٣: ص١٢٣ وغيره. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لمّا خلق الله النار» (انظر ينابيع المودّة ج٢: ص٢٩٠). ومنها: مارواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن عمر بن الخطّاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمّة - كم عدة للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أومأ إليك!! فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: «لو أنّ

←

➔
السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّه ميزان ووضع إيمان علي في كفّة ميزان لرجح إيمان عليعليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٤٠)، ورواه الخارزمي في مناقبه: ص١٣٠، وابن المغازلي في مناقبه: ص٢٨٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنس كتّاباً، والجنّ حُساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٥). ومنها: ما رواه محبّ الدين الطبري بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى» (ينابيع المودّة ج٢: ص١٤٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عبّاس، قال: مشيت وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عبّاس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم!! فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالبعليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً» (الكوكب الدرّي: ص١٢٥). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي حديث الغدير بعدّة طرق وإضافات عن عمر بن الخطّاب قال: نصب رسول اللهصلى الله عليه وآله عليّاًعليه السلام علماً فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللّهم أنت شهيدي
➔

➔

عليهم»، قال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شابّ حسن الوجه طيب الريح، قال لي: «يا عمر، لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحلّه إلاّ منافق»، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «يا عمر، إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرائيل يؤكّد عليكم ما قلته في علي» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٤). لا يخفى أنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة، بل في أعلى درجات التواتر، وقطعيّ الصدور، وواضح الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالرغم من محاولات التعتيم عليه، وطمس معالمه، وكتم الكاتمين!! فقد قاله النبيّ الأكرم ﷺ عند منصرفه من حجّة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابيّ. وعندما انتهى رسول الله ﷺ من مراسم الغدير والخطبة الغرّاء، ونصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسائر فقرات الخطبة ودعائه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساءً أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافتون على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبايعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي ﷺ حتّى النساء بايعنه حيث وضع لهن طست فيه ماء – كما أمر بذلك النبي ﷺ فكنّ يدخلن أيديهنّ فيه وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة – احترازاً من ملامسة الأجنبيّات والتسليم عليهنّ مصافحة، وهكذا تمّت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأذعن الجميع بأنّه عليه السلام مولاهم، وأقرّوا له بالاتّباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرّخاً بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنّهما قالا للإمام

➔

➔
أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد خطبة النبيصلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: "بخ بخ..." أو "هنيئا لك..." وأمثال هذه العبارات الدالّة على التهنئة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وإليك - أيّها القارئ العزيز - بعض النماذج من تلكم العبارات التهنويّة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما ممّا روي في مصادر أهل السنّة المعتمد عليها عندهم: أمّا ما اشترك فيه أبو بكر وعمر، وقولهما: "أصبحت وأمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة..." وقد أخرجه العلاّمة الأمينيرحمه الله عن ستّين مصدراً من مصادر أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٢-٢٨٣). وأمّا المصادر والمراجع التي أخرجت فيها حديث الغدير على لسان عمر بن الخطّاب واعترافه بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مولاه ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فهي كما يلي، أحدها: ما رواه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وثانيها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عن البراء، قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي الصلاة
➔

➔

جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٥٠٣). وثالثها: ما رواه المحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة في باب خاصّ بعنوان: ذكر ما رواه عمر في علي، وروى عنه مختصراً وقد تقدّم جميع ذلك مفرّقاً في أبوابه، فمنه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه قال: في علي ثلاث خلال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ، وحديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلاّ يومئذ لمّا قال لعلي: لأبعثنّه إلى كذا كذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي صلى الله عليه وآله مولاه، وقوله في علي: إنّه مولاي، وإحالته في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا علي، ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة؛ كلّ ذلك في الخصائص والفضائل مفرّقاً في بابه (الرياض النضرة ج٣: ص٢٣٣). رابعها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب الله له صيام ستّين شهراً وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست مولى المؤمنين؟» قالوا: نعم يا رسول الله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر ابن الخطّاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم (تاريخ مدينة

🡐

➔

دمشق ج٤٢: ص٢٣٤). خامسها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (تفسير الفخر الرازي ج١٢: ص٤٩). سادسها: ما قاله الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل: ويدلّ على ذلك أيضاً ويؤكّده ما يروونه من قول عمر: أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن، فأخبر أنّه قد ثبت كونه مولى له ولكم مؤمن، فلم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وآله، فدلّ أنّه قد أثبت له الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له (تمهيد الأوائل: ص٤٠٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون. وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧: ص٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثمّ تطرّق إلى سرد مصادر واسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصّه ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثمّ قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقّاص عنهما قالا: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج٦: ص٢١٧).

أقول : ألا يتعجّب الإنسان من هذه العصبيّة والعناد، فإنّه مع تصديقه بأنّ ابن حجر روى حديث الغدير وصححه ، بل ووقد ثبت تواتر الحديث عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله... أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبيّة العمياء؟!! ولا شكّ أنّ العصبيّة الجاهليّة قد تنجرّ إلى

🡐

➔

الكفر. والسؤال الهامّ هنا: أنّه لو لم تكن كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خمّ «من كنت مولاه فعلي مولاه» مع كلّ ما احتوته من الميزات الظرفيّة والوقائع مثل الظروف المحلّيّة والتاريخيّة واجتماع الحجّاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالّة على أهميّة مسألة الإمامة والخلافة المتّصلة بالنبوّة المحمديّة وأهميّتها في مصير الأمّة الاسلاميّة، وقلنا أنّها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينيّة، فكيف يفسّر الرجل تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟

وهذا هو السؤال المطروح الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللفّ والنشر والتزوير والتهرّب والتخرّص، بأنّ الاجتماع الكبير في غدير خمّ، وما صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الجمع الغفير من الصحابة، وقد بيّن صلى الله عليه وآله بأبلغ البيان خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكرها كبار الصحابة حتّى عمر ابن الخطّاب و قد نقلها كبار علمائهم، فرواه ابن حجر العسقلاني عن ابن الجوزي فقال: أنّه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغيّر وجه أبي بكر وعمر، فنزلت ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج١: ص٣٨٧). وعندئذ يختلج السؤال في الذهن: أنّه لو كانت الغاية من قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه...» هي مجرّد إبلاغ الناس وأمرهم بالمودّة والمحبّة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقطّ ولم تكن تتعلّق بما هو أهمّ من ذلك مسألة الخلافة والإمامة فلماذا تغيّر وجه أبي بكر وعمر بمجرّد سماعهما ذلك من النبي صلى الله عليه وآله؟

ومنها: ما رواه ابن كثير في تاريخه بسنده عن أبي بكر وعمر وعثمان بن عفّان وعبدالله

➔

➔

ابن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذرّ وجابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة» (البداية والنهاية ج٧: ص١٩٤). ومنها: مارواه أحمد بن حنبل بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاءوا: «والله لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي»، أو قال: «مثل نفسي فليضربنّ أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم»، قال عمر: فوالله ما اشتهيت – تمنّيت – الإمارة إلاّ يومئذ جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت ﷺ إلى علي عليه السلام فأخذ بيده ثمّ قال: «هو هذا، هو هذا» – مرّتين – يعني أنّ الذي يقاتلكم ويسبي ذراريكم هو علي عليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ج٢: ص٥٩٣). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطّاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله ﷺ في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «آدم عليه السلام وكان وصيّه شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوح عليه السلام سام، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ عيسى عليه السلام شمعون بن نرخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وإنّي أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي» (انظر الكوكب الدرّي على جامع الترمذي: ص١٣٣). ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال رسول الله ﷺ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر

➔

➔

المناقب المرتضويّة: ص١٢٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون قال: حدّثني المأمون العبّاسي قال: حدّثني الرشيد العبّاسي قال: حدّثني المهديّ العبّاسي قال: حدّثني المنصور الدوانيقي عن أبيه عن جدّه عبد الله بن العبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢: ص١٦٧). وزاد ابن الصباغ المالكي بعد أن نقل الحديث عن الخصائص العلويّة على سائر البرية لأبي الفتح محمّد النطنزي إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك، يا علي من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر الفصول المهمّة: ص١٢٦). ومنها: ما رواه محمد ابن محمّد الدركزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى. يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحقّ ج١٧: ص٧٩، نقلاً عن كتاب درر المناقب). ومنها: ما رواه العيني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال

➔

➔

النبيﷺ لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (مناقب سيّدنا علي للعيني: ص٢٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخه ج٤٢: ص٣٢٨، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٢، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢٧ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وذكر قصّة حوار دار بين ابن عبّاس وبين عمر بن الخطّاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبيﷺ... وملخّص الحوار أنّه قال ابن عبّاس: دخلت على عمر في أوّل خلافته... فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت ابن عمّك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول اللهﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة علي عليه السلام لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبيﷺ يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقّب الفرصة لذلك – ولقد أراد أن يصرّح باسمه علي عليه السلام– فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام – وذلك بقوله: إنّ الرجل ليهجر – لا وربّ هذه البنية – أي خلافة علي – لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها – علي – لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فامسك، وأبي الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠). وأضاف ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني في كتابه تاريخ بغداد مسنداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩). وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ – وهو قول عمر –: إنّ

🡐

وعدم قيام من غصب حقّهم بالمقصود، بل ثبت قيامهم بضدّ المقصود من تشييد المبتدعات والمناكير والمجانبة لفعل ما فرضه الله على وجهه الذي

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يذكره للأمر – الخلافة – في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩).

أقول: مع غضّ النظر عن الدلائل والبراهين الحديثيّة والتاريخيّة التي فيها الدلالة الواضحة على أن النبي صلى الله عليه وآله نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً الإماماً والخليفةً لما بعده كما مرّ علينا نماذج منها في موضوع حديث غدير خمّ، فإنّنا لو تمسّكنا فقطّ بما اعترف به عمر بن الخطّاب هنا لكفى في إثبات خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنّه اعترف بأنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد التصريح باسمه، وهذا يدلّ على علمه بأولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة، ومع ذلك أنّه خالف رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه أنّه قدم رأيه على إرادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا أمر واضح من كلامه. والعجيب من علماء أهل السنّة الذين رووا هذا الحديث مع ما فيه من الدلالة على اعتراف عمر بمخالفته الصريحة لرسول الله صلى الله عليه وآله كيف اقتنعوا أنفسهم بخلافة عمر للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؟! ثمّ التابعين والرواة والمحدثين من علماء أهل السنّة جيلاً بعد جيل، وسلفاً عن خلف إلى يومنا هذا بعد نقلهم لهذه الأحاديث والروايات عن عمر بن الخطّاب في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كيف يعتقدون بخلافة الرجل؟!! وهناك روايات كثيرة رواه عمر بن الخطّاب في إمامة أئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام وسنذكرها إن شاء الله في محلّه فلاحظ.

فرضه[١]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على المتتبّع في التاريخ والأخبار والآثار، أنّ مصيبة الأمّة الإسلامية انجرت عليها من غصب الخلافة وما لحقه من البدع التي ارتكبها خلفاء الجور في الدين وسائر المخالفات والتحريفات التي أحدثوها في الإسلام. فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقوا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة الواردة في الكتاب والسنة، بالرغم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بلغ رسالته بأحسن الوجه وأجود الطريق ، بإقامة الحجّة على العالمين كما قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ (سورة النساء:١٦٥). وليسدّ باب العذر على جميع الخلق، بتعيين الإمام والخليفة لما بعده. ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة غيّرت مصير الأمّة عمّا رسمه الله رسوله صلى الله عليه وآله لهم، فما تتوقّع من مصير الحجّة بعده صلى الله عليه وآله على أرض الواقع؟

فلا شكّ أنّ أحداث السقيفة وغصب الخلافة غيّرت مصير الأمّة، وجعلت الأمّة في مهاوي السقوط والتسافل نحو الدركات والردى ، والابتلاء بمزالق الأهواء والضلال، والأجواء الخطرة بسبب البدع التي أحدثها خلفاء الجور في الإسلام. فغصب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام لم يحقق إلاّ الرجوع إلى الوراء والغور في المناكير والبدع في الدين والافتراءً على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. فإنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث عند دراسته تاريخ صدر الإسلام هو مخالفة خلفاء الجور لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً؛ بعد أن أكّدت النصوص من القرآن الكريم والسنّة النبويّة بالصراحة على أنّ فدكاً كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال لمّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع ←

➔
الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم. وقد جعلت الزهراءعليها السلام الفدك بيد إمام زمانها الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام ليعطي ثمرتها للفقراء والمساكين، ولذلك قال مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام في رسالته إلى عثمان ابن حنيف: «بلى، وكانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لأميرالمؤمنينعليه السلام تصريح بأنّ فدك كانت ملكاً لهم، وذلك بقرينة تسلّط اليد عليها حيث أنّ قاعدة اليد من القواعد الشرعيّة وعقلائيّة، فأكدّ الإمامعليه السلام بأنّ الفدك كانت في أيدينا أي تحت تسلّطنا شرعاً، والقانون الشرعي والعقلائيّ يحكم بمليكة من كان المال في يده. فقبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، وخلفاء الجور كانت الفدك في يد أهل البيتعليهم السلام، وذلك ممّا يعني أنّها كانت نحلة، لا ميراثاً. وعليه فإنّ ادّعاء أبي بكر من أنّ فدكاً كانت أرثاً للزهراءعليها السلام باطل شرعاً بالنصوص من كتاب الله وسنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله التي أخرجها الفريقين.

وعلى فرض التسليم وكون الفدك إرثاً، فأيضاً أنّ أخذها من فاطمة الزهراءعليها السلام من مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة، لأنّ القرآن الكريم أبطل دعوى أبو بكر وما تفرد به من النسبة الكاذبة إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله من أنّهصلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾ (سورة النمل:١٦). فمن الواضح أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله لا يقول قولاً مخالفاً لقول رب العالمين. فمنع فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً باستناد هذا الحديث المكذوب يعتبر عند
➔

➔

أهل الإيمان محاربة لله ورسولهﷺ من الجهات العديدة، أوّلاً: لأنّه تكذيب على الله ورسولهﷺ، وثانياً: بدعة في الدين، حيث أنّ وراثة الأنبياءعليهم السلام أمر مشروع في القرآن الكريم، وما نسبه أبو بكر إلى رسول اللهﷺ على خلاف ما ثبت في القرآن الكريم والشريعة المقدسة. وثالثاً: مخالفة صريحة لما أنزل الله تعالى في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام وأهل البيتعليهم السلام، لأنّ الله تبارك وتعالى أنزل في حقّها آيات عديدة منها آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة وغيرها من الآيات. ثمّ إنّ السيدة الزهراءعليها السلام قد ردّت على أبي بكر فيما نسبه إلى رسول اللهﷺ محتجةً عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ**﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى ابن زكريّا، إذ قال: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾»، ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّدﷺ والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). هذا ومن ناحية أخرى أنّ غصب الفدك من الزهراءعليها السلام بالقوّة والجبر كان سبباً لغضبت الزهراءعليها السلام على أبي بكر وقد قال رسول اللهﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فهذا أيضاً عداء صريح لله ورسولهﷺ ولأهل البيتعليهم السلام، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا**

🡐

فهم بقهرهم وتضييعهم إمامهم مضيعون لدين الله حسبما نبّهنا على ذلك(١)،

وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). فشمله هذه الآية... وإلى غير ذلك من المخالفات التي ارتكبها خلفاء الجور وكلّها متفرّعة على غصب الخلافة في السقيفة. وعليه ما زعمه ابن تيميّة من من حصول المقصود والغرض بخلافة خلفاء الجور باطل بالنصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة، إذ قد ثبت أنّ خلافتهم كانت سبباً لإشاعة للمناكير والبدع في الدين من جانب الخلفاء الغاصبين. وسنذكر تفصيل الكلام في مخالفاتهم للشريعة المقدّسة في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ الإمامة والولاية الإلهيّة لطف ونعمة عظيمة من الله عزّ وجلّ للبشريّة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (سورة لقمان:٢٠)، فإنّ النعمة الظاهرة هي ما تكون ملموسةً كالخلق الإنسان وجميع ما يتمتع به الإنسان من النباتات والحيوانات وغير ذلك من أنواع الأرزاق. وأمّا النعم الباطنة فهي إشارة إلى معرفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فقد أخرج علي بن ابراهيم القمي رحمه الله في تفسيره بسنده عن جابر قال: قرأ رجل عند أبي جعفر عليه السلام ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: «أمّا النعمة الظاهرة فهو النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله عزّوجلّ وتوحيده، وأما النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا، فاعتقد والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة، واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوا باطنة، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾. ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله عند نزولها إذ لم

➔

يتقبّل الله تعالى إيمانهم إلاّ بعقد ولايتنا ومحبّتنا» (تفسير القمي ج٢: ص١٦٦). ولذلك عندما نصب النبيﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يوم غدير خم إماماً وعلماً للإسلام، قد أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلامَ دِيناً**﴾ (سورة المائدة:٣). وبذلك غشى الكفّار في ذلك اليوم سيل من اليأس، إذ كانوا يتوهّمون أن دين الإسلام سينتهي بوفاة النبيﷺ وأنّ الأوضاع ستعود إلى سابق عهد الجاهليّة، لكنّهم حين ما شاهدوا أن النبيﷺ أوصى بصورة رسميّة وعلنيّة بالخلافة لما بعده لرجل كان فريداً بين المسلمين في علمه وتقواه وقوّته وعدالته، وهو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، فأخذ النبيﷺ بيد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يوم غدير خم ورفعه للناس وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، ثمّ أخذ البيعة للإمامعليه السلام. وعند ذلك أحاط بهم اليأس من كلّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقّعوه من شرّ لمستقبل الإسلام، وأدركوا أن هذا الدين باق راسخ. نعم في يوم غدير خم أكمل الله دينه وأتمّ نعمته بتعيين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقد مَنّ الله على البشريّة المتعاقبة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، لأنّ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قد أكمل الدين، وأتّم النعمة على البشريّة. إلاّ أنّ غصب الخلافة من خلفاء الجور صار سبباً لتضييع هذه النعمة العظيمة الإلهيّة. ولذلك قالت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام في بيان حال الأمّة لو وليّها الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فقد نالت الأمّة إلى الفوز العظيم والسعادة الدائمة، حيث قالت: «وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم إليها وحملهم عليه ولسار بهم سيراً سجح، لا يكلّم حشاشه، ولا يكِلّ سائره، ولا يمُلّ راكبه. ولأوردهم منهلاً

➔

ومن هنا تعرف غشّ السنّي للغفلة بالمثالين الذين مثّل بهما من المؤدّبين والولد والمرأة والرجلين من حيث خروجه بهما عن مقام البحث[1] لما عرفته من عدم سياسة من جعلوه إماماً للناس بالشريعة،

➔

نميراً صافياً روي، تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه. ولأصدرهم بطان، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً» (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج١: ص١٤٨). وقال سلمان الفارسي: لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (انظر انساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٥٩١). وقال أبو ذر: أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أرجلكم (انظر الكافي ج٧: ص٧٨). ومن الواضح لدى الخبير أنّ هذه العبارة لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ (سورة المائدة:٦٦). فلا شكّ أن أهل الكتاب لو كانوا يؤمنون بالتوراة والإنجيل حقّ الإيمان بمعنى الالتزام بجميع مبادئ الدينيّة والتعاليم السماويّة التي جاء بها الأنبياء فإنّ الله تبارك وتعالى قد ضمن لهم الحياة السعيدة الطيبة في الدنيا والآخرة. وعليه فإنّ خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من أهلها ، قد ضيعوا على الناس نعمة الإمامة والولاية الإلهية وتلك الحياة السعيدة الطيبة التي جعلها الله لمن كان يؤمن بالتعاليم السماويّة. وهنا يتضح أنّ ما ادعاه ابن تيمية من أنّه حصل المقصود بغصب الخلافة كذب محض فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ هذا المثال الذي مَثّل به ابن تيمية يكون ناشئاً عن جهله، وعدم دركه المسائل العلميّة، لأنّ الكلام في الإمامة المشروعة، لا في دعوى الإمامة بغير الحقّ، فإنّ قوله في المثال: لو فرض وجود الشخصين عند الخليفة

⬅

فأحد المؤدّبين مفسد لدين الولد، فإنّه ولو رغب الولد بالتأدّب عنده. فيجب على وليّه منعه عن ذلك حفظاً لدينه، فإنّ المقصود لوليّه تأديبه بالدين[1]

➔

أحدهما يوليه وهو حارب الكفرة وغلبهم والثاني لم يصدر من ذلك... فإنّ هذا الاستدلال إنّما يكون صحيحاً إذا كان البحث في الإمامة الحقّة والولاية الشرعيّة نيابة عن اللّه ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لا في فرض غصب الخلافة. فإنّ من لم يعتقد بإمامة شرعية لمن ادعى الإمامة غصباً فإنّه لا معنى لجريان المثال بالنسبة إليه. نعم إذا كان الشخصين يعتقدان بإمامة شرعية لشخص، ورضيا بأفعاله فإنّه إمامهما شرعاً سواء كان من القسم الأوّل في المثال أو في القسم الثاني يجب عليهما إمتثال الأمر، لأنّ امتثال أمر الإمام واجب في كلا الحالتين حسب الأدلّة الشرعية؛ إذ لا بدّ للمكلّف طاعة من الإمام المفترض الطاعة على كلّ حال. وذلك لدلالة قولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (انظر شرح المقاصد التفتازاني ج٢: ص٢٧٥). هذا وأنّ مقام الإمامة لا تزول بإعراض الناس عن أمره وعدم امتثال أوامره، كما أنّ النبوة لا تزول بإعراض الناس عنه وعدم امتثال أوامره. ومن هنا يتّضح أنّ الإمامة الشرعية لا تكون مشروطة بالقدرة والسطة والشوكة، بل أنّها تكون مشروعة بأمر الله عزّ وجلّ، فإنّ القدرة والسلطة لا توجبان مشروعية الإمامة كما لا توجبان مشروعية النبوة. ولا تكون القدرة والسلطة سبباً لوجوب الطاعة وحرمة المعصية كما لا يخفى ذلك على الخبير. وعليه ما ذكر ابن تيمية في المثال باطل ويكشف عن جهله بالمسائل الدينية، فبطلان ما مثّل به أوضح من أن يخفى على أحد فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ هذا التمثيل الذي مثّل به ابن تيمية في المقام خارج عن محل البحث، إذ أوّلاً: أنّ الإمامة الحقّة والولاية الشرعيّة نيابة عن الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ،

➔

وحال المرأة حاله، فإنّ الرجل الذي هوت تزوّجها به مفسد لدينها فعلى وليّها منعها منه، فإن المقصود لولي المرأة والولد من تزويجها وتأديبه المحافظة على دينهما، وقد عرفت فساد دينهما في جعلهما عند من رغبا فيه وصحّته في جعلهما عند من رغبا عنه(١)، فإن قال: لمّا تولّى المنصوص عليه

➔

فليس لأحد فيه الاختيار؛ وحتّى على مسلك أهل السنّة لا تكون باختيار أحد. إذ لو كان الأمر باختيار الناس بحسب رغبتهم فهناك من الصحابة من تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا في بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتبار أنّهم لم يروا حقّ لأبي بكر في ذلك، وكانوا يوالون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا مجتمعين في بيت الإمام عليه السلام اعتراضاً على أبي بكر، فإذا كان لهم الاختيار فلماذا هجموا على بيت الإمام عليه السلام وأحرقوا باب داره وضغطوا سيّدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام بين الحائط والباب، وأخرجوا الإمام عليه السلام ومن في البيت لأخذ البيعة منهم إجباراً؟!!

إذن هذا المثال الذي مَثّل به ابن تيمية في المقام لاينطبق على المقام، حيث لو كان مقصوده اختيار الناس في امتثال أمر الإمام فلم يقل به أحد، ولم يتحقّق في التاريخ.

(١) هذا التمثيل أيضاً خارج عن محل البحث، أوّلاً: لأنّ الإمامة الحقّة والولاية الشرعيّة نيابة عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فليس لأحد فيه الاختيار. ولنا أن نسأل أهل السنّة، أنّه إذا كانت الإمامة باختيار الناس فلماذا قتل أبو بكر المخالفين لخلافته كمالك بن نويرة وأصحابه وعشيرته وسمّوهم أهل الردّة؟!!! فيعرف من ذلك أنّ هذا المثال كسابقه لا يرتبط بالمقام لعدم مطابقته مع اعتقادهم في باب الإمامة فهذا مثال لا ينطبق على الإمامة حتى على مسلك أهل السنّة، فلاحظ.

حصل الفساد بين الرعية بالقتل، وغيره حصل الوفاق بينهم، وفتحت جملة من ديار الكفرة ودخلت في الدين جماعات منهم، قيل له: يجب النظر في سياسة كلّ منهما ثم النظر إلى سبب الفساد وما الباعث له، ثمّ ينظر إلى مطابقته للشريعة وعدمها فعند ذلك يتبيّن الحقّ من الباطل والمحقّ من المبطل[(١)].

---

(١) لا يخفى أنّ المفاهيم الدينيّة والمعارف الإسلاميّة والامور الاعتقادية تكون بدورها حقائق ثابتة غير متغيّرة، وعلى سبيل المثال أنّ مفهوم العدالة لا يختلف كثيراً بين الشيعة وأهل السنّة، لأنّ مفهوم العدالة أمر ثابت في الواقع، كما أنّ مفهوم الظلم أيضاً يكون كذلك. فكلّ عاقل يعرف الفرق بين العادل والظالم وما يترتّب عليهما من الآثار وذلك لأنّ حقيقتهما ثابتة في الدين والشريعة المقدّسة. كما أنّ كلّ عاقل يعرف الفرق بين العالم والجاهل، لذلك أنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ (سورة الزمر:٩). فذكر سبحانه الفرق بين العالم والجاهل بصورة الاستفهام الاستنكاري، لأنّ كلّ عاقل يعرف الفرق بين العالم والجاهل وهذه حقيقة ثابتة كأصل أصيل، فلا يمكن تبديلها.

نعم إذا لم يكن للإنسان المعرفة بالنسبة إلى حقيقة الأمر أو بالنسبة إلى مصاديق ذلك المفهوم، قد يقع في الاشتباه بالنسبة إلى واقع الأمر، كما قد يتفق لبعض الأشخاص السطحيّين عندما نطرح إليهم موضوع الجهاد على سبيل المثال نجدهم لا يرون فيه سوى الضرب والجرح والمصائب، ولهذا قد يكون الجهاد عندهم مكروهاً. وأمّا بالنسبة إلى الأفراد الّذين ينظرون إلى أبعد من هذا المدى المحدود فإنّهم يعلمون أنّ شرف الإنسان وعظمته وافتخاره وحريّته تكمن في الإيثار والجهاد، ولذلك ←

➔
يرحّبون بالجهاد ويستقبلوه بفرح وشوق، كما هو الحال في الأشخاص الّذين لا يعرفون آثار الأدوية المرّة والمتنفرّة، فهم في أوّل الأمر يظهرون عدم رغبتهم فيها، إلاّ أنّهم بعد أن يروا تأثيرها الإيجابى في سلامتهم ونجاتهم من المرض، فحين ذلك يتقبّلون الدّواء برحابة صدر.

وبعد وضوح هذه المقدمة فإنّ الباحث لو درس في المعارف الدينيّة الإسلامية دراسةً علمية يعرف عظمة أهل البيتعليهم السلام ومقامهم عند الله تبارك وتعالى ورسولهصلى الله عليه وآله لأنّ القآن الكريم والسنّة النبويّة المتواترة لدى جميع المسلمين تدّل على عظمة أهل البيتعليهم السلام. وعندما يراجع الباحث إلى القرآن الكريم يجد أنّ الله تبارك وتعالى جعل مودة أهل البيتعليهم السلام أجر تبليغ رسالة النبيصلى الله عليه وآله، حيث قال تعالى: ﴿**قُل لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى:٢٣). فيجد الباحث أنّ الله تعالى قد جعل رسالة نبي الإسلامصلى الله عليه وآله، في كفّة، ومودّة القربى في كفّة معادلة لها، ومعناه أنّ مودة أهل البيتعليهم السلام تعادل الرسالة النبويّة. فيُعرف بذلك عظمة أهل البيتعليهم السلام ومنزلتهم عند الله عزّ وجلّ. وقد روى صاحب الكشّاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقالصلى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وابناهما» فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبيصلى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدلّ عليه وجوه: الأول: قوله تعالى: ﴿**إِلاّ ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَى**﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق الثاني: لا شكّ أن النبيصلى الله عليه وآله كان يحبّ فاطمةعليها السلام، وقالصلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله لقوله ﴿**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (سورة الأعراف:١٥٨). ولقوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ**
➔

وقد عرفت حال سياسة غير من وردت النصوص عليهم حتّى ظهر الظلم على العباد[(١)]

→

عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ (سورة النور:٦٣). ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (سورة آل عمران:٣١)، ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب:٢١). الثالث: أنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: "اللّهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّداً وآل محمّد"، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعي: يا راكباً قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض. سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضاً كما نظم الفرات الفائض. إن كان رفضاً حبّ آل محمّد * فليشهد الثقلان أنّي رافضي (الكشّاف ج٣: ص٤٦٧). وقريب من هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات:٥٦)، أي ليعرفون ، فمفاد الآية الكريمة أنّ العبادة تكون بواسطة هداية الرسول صلى الله عليه وآله واقامة الدين الحنيف ببواسطة الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وعليه كيف يمكن لابن تيمية بأن يقول: قد حصل المقصود بإمامة الغاصبين لخلافة أهل البيت عليهم السلام ومن ليس لديه إلاّ الفساد. من الواضح أنّ المقصود إنّما يحصل بالإمام الشرعي الذي قد نصّ عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله لا الحاكم بالجور فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ السياسة الدينيّة الصحيحة هي السياسة التي تكون مبنيّة على الولاية الإلهية، والولاية الإلهية هي ما كانت بالنص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، كولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية أهل البيت عليهم السلام على الأمّة، وهي في الحقيقة تؤل إلى ولاية الله

←

➔

عزّ وجلّ. ومعنى ذلك أنّ الله تبارك وتعالى قد أوجب طاعة من له الولاية على العباد. فقال تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...**﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥).

وأمّا سياسة الغاصبين لحقوق أهل البيتعليهم السلام ليست سياسة دينية، بل أنّها متقوّمة بالظلم والفساد، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ...**﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). وهناك نصوص كثيرة في الروايات أو الأخبار والسيرة والتاريخ وهي تدّل على أنّ غصب الخلافة لم ينتج إلاّ البلاء والضلال. وقد جرت ذلك على الأمّة حتّى أسقطهم إلى حضيض التعاسة، ومهاوي الدمار الذي يوحش منه الديار. ولو تأمّل الباحث فيها يجد بوضوح أنّ أصحاب السقيفة قد أسّسوا حكومتهم على الظلم والجور والجهالة والضلالة والإهانة على الأمّة الإسلاميّة، والخروج عن حدود الله ورسولهصلى الله عليه وآله، بسحق الحقّ وإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى، وتلاعبهم بالنفوس والأموال، وما خلّفوا جميعاً من النكب والرزايا في جسم الأمّة، وماخلقوا من البدع في الشريعة. وتسليط الطلقاء وأعداء الإسلام أمثال عمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد ، وأضرابهم على رقاب الناس في أعظم الولايات الإسلاميّة، وكتسليطهم معاوية على الأمّة ، الذي بدأ بالتمهيد لأخذ البيعة ليزيد بن معاوية شارب الخمور والمعلن بالفسوق، وقاتل سيّد شباب أهل الجنّةعليه السلام، والهاتك لحرمة أهل البيتعليهم السلام، ومستبيح المدينة المنوّرة، وحارق الكعبة، وقاتل الصحابة والقرّاء وهاتك أعراض المسلمين. وكان يزيد دون العشرين من عمره، معروفاً بالتهتّك وعدم الكفاءة، لكن معاوية كان مصرّاً على استخلافه

➔

من عمال ثالثهم على ما مرّ التنبيه على ذلك وعلم حمايته لهم على ظلمهم وفسادهم فقتلوه لذلك(١)،

مهما كان الثمن! وكذلك تسليط اللعين بن اللعين آل الحَكَم على رقاب الناس، بالتالي وإرهاق المهاجرين والأنصار من البدريين والأحديين وغيرهم ومن التابعين. وكلّ ذلك بمد الخلفاء الثلاثة ومنذ بدء غصب الخلافة وقهر الأمّة الإسلامية تحت قوّة استبدادهم. فبدأها أبو بكر ومن تابعه سار على نهج السقيفة، من بطون قريش وآل أميّة وأنصارهم وخلق من الطلقاء، فأسّسوا أساس الظلم والتحريف وقلب الحقائق إلى يومنا هذا. فهذا حال سياسة الذين غصبوا الخلافة من ذوي القربى من أهل البيتعليهم السلام، ودبّروها بالقضاء على آل البيتعليهم السلام حتّى قتلوا الإمام الحسينعليه السلام وأولاده وإخوته وسبوا نساءه، وسمّوا الحسنعليه السلام وما عمله معاوية ويزيد من الفتك والقتل بصحابة رسول اللهصلى الله عليه وآله وخلق البدع وسبّ أوّل رجل في الإسلام بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله على المنابر في كلّ صلاة وعيد، وبعدهم بنو العبّاس الذين ما كانت أن تستقيم لهم أن اعترفوا بحقّ غيرهم حتى قال الشاعر: تالله ما فعلت علوج أمية * معشار ما فعلت بنو العبّاس. فالباحث إذا درس التاريخ والسيرة يصل إلى هذه الحقيقة لا محالة. وستتضّح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في التاريخ والأخبار أنّ قتل عثمان كان بسبب ظلمه وفساده وانحرافه وبدعه في الدين كما تدّل على ذلك الوثائق التاريخية، فإنّها ثابتة عند الفريقين. ومن تلك الوثائق ما عابوا بها على عثمان توليته الوليد بن عقبة على الكوفة، وإقطاعه آل الحَكَم دُوراً بناها وشراها لهم، وأعطى مروان بن الحكم خُمس إفريقية، وخصّ ناساً من أهله ومن بني أمَيّة، فقال له الناس: قد وليَ هذا

➔
الأمر قبلك خليفتان، فمنعا هذا المال أنفسهما وأهليهما. فقال: إنّما صنعا ذلك احتساباً، ووصلتُ به احتساباً (انظر الإصابة لابن حجر ج٤: ص٩). وقد صرّح بعض المؤرّخين أنّ قتله كان من جهة أنّه غيّر أحكام الإسلام بصورة علانية، وأبدى مخالفته للقرآن والسنّة النبوية في الملأ العام. فالذين شاركوا في قتل عثمان لم يكونوا مجهولين، وليسوا من أهل زنادقة، حتّى يقال عنهم مجوسيّون أو خارجيّون، بل كانوا من الصحابة وكثير منهم كانوا إلى درجة يستحيل تجاهلهم. وممّا يدلّ على أن المحرضين على قتل عثمان كانوا من الصحابة ما نقله الترمذي من أنّ عثمان كان يناشد من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فضائله، فلا بدّ أن يكون من يخاطبهم عثمان ويناشدهم بقوله: هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:...؟ وخطابه بعد ذلك تمنعوني... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠). فالمناشدة إنّما تصحّ فيما إذا كان المحرضين من الصحابة، كما قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان أنّه لمّا حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة لمّا أرسله إلى مكّة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج٣: ص٢٢٣). وقد روى أحمد بن حنبل أنّ طلحة كان ضمن المحرضين والمحاصرين له، فقد أخرج أحمد بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنّا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثمّ لا
➔

➔

تجيني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع كذا وكذا...؟ (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٧٤). فيتّضح ممّا سبق الردّ على من يحاول إنكار أن طلحة ومحمد بن أبي بكر كانوا ممّن حاصروا عثمان ومنعوه من شرب الماء ليجبروه على الاستقالة، ففي رواية الترمذي المتقدّم ذكرها والتي فيها مناشدة عثمان وقوله: من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فضائله، فيفترض أن يكونوا من الصحابة، ثمّ من سياق الرواية يتّضح أن هناك محرضين أساسيّين، قال عثمان: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي، قال: فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠).

وقال المالقي في مقتل عثمان: أشرف على الناس وهو محصور فقال: من يعذرني في هذين الرجلين اللذين ألبا علي الناس، يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير، فإنهما كانا في جملة الذين تكلّموا في شأن عثمان، ثمّ بان لهما الحقّ فانصرفا عنه وندما على ذلك، ولهذا قال طلحة لمّا طعن: اللّهم خذ لعثمان منّي حتّى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج٢: ص١٦٧).

وكان عمرو بن العاص، رائد الاتجاه الانتهازي، الذي يتحدّد ولاءه بالمصلحة. وعمرو ابن العاص ليس من الذين أسلموا طوعاً، وقد كان حريصاً على محو أثر الإسلام، غير أنه لم يوّفق. وهو واحد من الذين ساروا إلى النجاشي بالحبشة لتأليبه على المهاجرين بقيادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وظلّ عمرو حليفاً لبني أميّة، بينهما مصالح قوضوا في سبيلها روح الإسلام وفي زمن عثمان، كان عمرو يمارس دهاءه بشكل دقيق. كان في نهاية الأمر يدرك أن عثمان مهزوز السلطان وأن الثورة ستنشب لا محالة، فكان في كلّ مرّة، يظهر للناس مواقفه الخادعة، ليموه عليهم، ثمّ يبرّر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرّة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنّك

➔

➔

قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنّك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). ولمّا تفرّق القوم قال لـه: لا والله، لأنت أعزّ علي من ذلك، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنك جمعتنا لتستشيرنا، وسيبلغهم قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلّغهم قولي فيثقوا بي لأقود إليك خيراً وأدفع عنك شرّاً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتّى قتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوّار، فنهروه واتّهموه، فولّ خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعد المصلحة لعمرو ابن العاص في أن يتمسّك بشرعيّة عثمان. خرج إلى منزله بفلسطين، وكان يقول: والله إنّي كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان.. ولمّا مرّ به راكب من المدينة وهو مع ابنيه محمّد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي، فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور، قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضرط العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٦٣).

وعلى كلّ تقدير فقد استطاع الصحابة أن يتّصلوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة من الظلم والفساد، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال الوفود تحت غطاء الحجّ. وكانت الوفود تتألّف من ثلاث أمصار الوفد المصري يتألّف من خمسمائة إلى – ألف يتزعمهم محمد ابن أبي بكر – وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لما ذهب عنها عبد الله

➔

➔

بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). والوفد الكوفي، يتألّف من عدد أهل مصر، على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج٥: ص١١١). والوفد البصري، ويتألّف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبله العبدي، وذريع ابن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير، أنّ أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشوّال جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالّة على أنّ قتل عثمان كان على يد الصحابة الثائرين عليه من مختلف البلاد رافعين أصواتهم ضدّ الفساد والطغيان. فهؤلاء المهاجمين عليه حتّى قتلوه في داره وألقوا بجسده إلى البقيع ودفنوه في مقابر اليهود. وقد تبعه ما تبعه من الحوادث الهامّة. والمهم أنّ العموم كانوا راضياً وموافقاً لقتله، وسخط بعض الخواصّ لم يؤثّر شيئاً، لأنّ الفرد والأفراد القليلين لم يقدرون على المقاومة لتلك المظاهرة العظيمة ولم يمكنهم المساعدة له. فكلّ الناس يعلم أنّ قتل عثمان كان من أجل الفساد والظلم والجرائم التي ارتكبه. قال ابن أبي الحديد في حديث طويل أنّه قال بعد ما حوصر عثمان التمس إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عنّي، فإنّي أعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري، فقال علي: «إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنّهم لا يرضون إلاّ بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرّة، فإنّي معطيهم عنك الحقّ»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٥١)، ورواه الطبري في تاريخه ج٣: ص٤٠٣، وابن الأثير في

←

ونهض من نهض باسم المطالبة بدمه وورثة المقتول موجودون وإمام المسلمين حاضر، فهو وهم أهل المطالبة بدمه على تقدير ثبوت قود له كيف وقد قتله من قتله لفساده بنصّ الفرقان العظيم والسنّة[1]،

➔

الكامل في التاريخ ج٣: ص١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج١: ص٤٥٠ وغيرهم. وملخّص الكلام انّ الظلم والفساد في حكومة الخلفاء الثلاثة كان هو السبب الرئيس لثورة الناس ضد عثمان وقتله، وهل يصحّ بعد ذلك أن يدّعي أحد بأنّ المقصود حصل من خلافة خلفاء الجور؟!!

(١) لا يخفى على الخبير أنّه بعد قتل عثمان نهض مجموعة من أوباش قريش ضدّ الحكومة الإسلامية التي كانت تباهي بقيادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت تلك الشرذمة الطاغية تهتف بالمطالبة دم عثمان، مع أنّ كلّ مسلم يعلم بأنّ أولياء الدم هم وورثة المقتول، وورثة عثمان كانوا موجودين آن ذاك، وهم كانوا يعلمون أنّه لا يوجد أعدل في القضاء من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فكان من المفروض أن يراجع أولياء الدم إلى الإمام عليه السلام ويطلبوا منه اقامة الحقّ. وذلك بأن يقدموا الشكوى إلى الإمام عليه السلام، ليحكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بينهم بالحقّ. لا أن يثير القلائل من الأوباش وسفلة قريش ضد الحكومة مع علمهم بأنّ من ثار على عثمان، كانوا من المؤمنين من الصحابة الذين تحمّلون الظلم والاستبداد وفساد من حكومة عثمان جلاوزته. فكان يجب عليهم أوّلاً أن يثبتوا لزوم القود والدية على مثل ذلك القتل. ثمّ كان أولياء الدم الرجوع إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقدمون الشكوى إليه ، لأنّه الحاكم عليهم. ولكن حيث أنّ الناس كانوا يعلمون بأنّ من ثار على عثمان هم المؤمنين والأوتاد من الصحابة. وأيضاً كانوا يعلمون بأنّ ما فعله

➔

➔

عثمان من الظلم والفساد حين توليته غير قابل للإنكار، فكانت النتيجة واضحة. ولذلك قامت سفلة قريش وأوباشهم بالتهريج والتمريج والإثارة ضد الحكومة والخلافة الشرعية. وعليه لو تأمّل الباحث في التاريخ والروايات يجد أنّ ما فعله عثمان وعمّاله من الجرائم كان سبباً لقتله. وإذا كان الأمر كذلك معناه أنّ عثمان هو الذي بدأ بالإجرام ضد عموم الناس كما نصّ على ذلك المؤرّخون والمحدّثون. وإليك نماذج ممّا ورد في هذا المجال، قال المسعودي: أنّ أبا ذر حضر مجلس عثمان ذات يوم فقال عثمان: أرأيتم من زكّى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له: كذبت يا ابن اليهودي، ثمّ تلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلَٰئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة:١٧٧). فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا ابن اليهودي، ما أجرأك على القول في ديننا؟ فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني. فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان: يحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتّى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنّك تموت من

➔

➔

ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتّى أنفى، وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولّى دفنه، فأحسن إليه في داره أيّاماً، ثمّ دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلّم بأشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص: إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خولاً. ومرّ في الخبر بطوله وتكلّم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد أتي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال، فنضت البدر حتّى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنه كان يتصدّق ويقري الضيف وترك ما ترون. فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين! فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وترك هذا المال إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسولﷺ يقول: «ما يسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً». فقال له عثمان: وارعني وجهك، فقال: أسير إلى مكّة. قال: لا والله. قال: فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتّى أموت؟ قال: إي والله. قال: فإلى الشام. قال: لا والله. قال: البصرة. قال: لا والله فاختر غير هذه البلدان، قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلاد. قال: فإني مسيرك إلى الربذة، قال: الله أكبر صدق رسول اللهﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاق، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أمنع عن مكّة والمدينة وأموت بالربذة ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته، وأمر عثمان أن لا يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة، فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها إذ طلع عليه علي بن أبي طالبعليه السلام ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي، إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره

➔

➔

ويشيّعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط بين أذني راحلته وقال: «تنح نحاك الله إلى النار»، ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف، فلمّا أرادا الانصراف بكى أبو ذر وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن! وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان: يا معشر المسلمين! من يعذرني من علي، ردّ رسولي عمار وجهته له وفعل كذا، والله لنعطينّه حقّه؛ فلمّا رجع علي استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال علي: «غضب الخيل على اللجم». ثمّ جاء، فلمّا كان بالعشي جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمر؟ قال: «أمّا مروان فإنه استقبلني يردّني فرددته عن ردّي؟ وأمّا أمرك فلم أرده»، قال عثمان: أولم يبلغك إني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال علي: «أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة لله والحقّ في خلافه اتبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل». قال عثمان: أقد مروان، قال: «وما أقيّده؟» قال: ضربت بين أذني راحلته قال علي: «أمّا راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقّاً». قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب علي ابن أبي طالب وقال: «إلي تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمّي أفضل من أمّك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم، فأقبل بنبلك». فغضب عثمان واحمرّ وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي، فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار، فلمّا كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكا إليهم علياً وقال: إنّه يعيبني ويظاهر من يعيبني، يريد بذل أبا ذر وعمّار

➔

➔

بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما وقال له علي: «والله ما أردت تشييع أبي ذر إلاّ لله». وفي رواية الواقدي من طريق صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت ما فعلت؟ فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. فقال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتّبع سنّة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك، قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذّاب إما أن اضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الاسلام. فتكلّم علي عليه السلام وكان حاضراً وقال: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿**وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْه كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾. قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره وأجابه علي بمثله. قال: ثمّ إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه، فمكث كذلك أياماً ثمّ أمر أن يؤتى به فأتي به، فلمّا وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبطش بي بطش الجبّار فقال: أخرج عنّا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدّم على قوم أهل شبه وطعن في الأمّة؟ قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال أبو ذر: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة، أخرج إلى نجد؛ فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فالأقصى، امض على وجهك هذا ولا

➔

➔

تعدون الربذة، فسر إليها فخرج إليها (انظر الغدير ج٨: ص٢٩ نقلاً عن المسعودي).
فكما ترى أنّ ما حصل من الاعتراضات ضدّ عثمان كان باستناد القرآن والسنّة النبويّة.

وقال اليعقوبي: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع إليه الناس فيحدّث بما فيه الطعن عليه وأنّه وقف بباب المسجد فقال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾. محمّد الصفوة من نوح فالأول من إبراهيم والسلالة من إسماعيل والعترة الهادية من محمّد، إنّه شرف شريفهم واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها وبورك زيدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فضّلت به النبيّون، إلى أن قال: وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير، وبدّل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسنن أبي بكر وعمر، فسيّره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس حتّى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلّى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له. فقال: وكتب معاوية إلى عثمان: إنّك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر؛ فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة قال: بلغني أنك تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتّخذوا بلاد الله

🡐

➔

دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً؟» فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه فقال: يا أبا الحسن! أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقصّ عليه الخبر، فقال علي: «نعم». قال: فكيف تشهد؟ قال: لقول رسول الله: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر». فلم يقم بالمدينة إلا أيّاماً حتّى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجنّ عنها، قال: أتخرجني من حرم رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا، ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتّى تموت فيها، يا مروان! أخرجه ولا تدع أحداً يكلّمه حتّى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبّل يده ثمّ بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله ﷺ فلم أصبر حتّى أبكي. فذهب علي يكلّمه، فقال مروان: إنّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: «تنح نحاك الله إلى النار». ثم شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه، وتكلّم كلّ رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٧١).

وأخرج ابن سعد من طريق الأحنف بن قيس قال: أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا خر أهلها يصلي ويخف صلاته. قال: فجلست إليه فقلت له: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا أبو ذر، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال: قلت أنا الأحنف بن قيس، قال: قم عنّي لا أعدك بشر، فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إن هذا (يعني معاوية) نادى مناديه ألا يجالسني أحد (انظر الطبقات لابن

➔

فما ذنب المنصوص عليه بعد علم من حاربه من السنن المعلومة حرمة

➔

سعد ج٤: ص٢٢٩).

وأخرج ابن حجر من طريق ابن عباس قال: استأذن أبو ذر عثمان فقال: إنه يؤذينا فلمّا دخل قال له عثمان: أنت الّذي تزعم إنك خير من أبي بكر وعمر؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «إن أحبّكم إليّ وأقربكم منّي من بقي على العهد الذي عاهدته عليه وأنا باق على عهده» قال: فأمره أن يلحق بالشام وكان يحدّثهم ويقول: لا يبيتنّ عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم، فكتب معاوية إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر. فكتب إليه عثمان أن أقدم علي فقدم (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٣: ص٢١٧). وإلى غير ذلك من النصوص الروايات التي تدلّ بالصراحة على أنّ سياسة عثمان كانت مبتنية على مخالفة النصوص القرآنيّة والسنن النبويّة. ولذلك اعترض عليه الصحابة المؤمنين. ولمّا كان عثمان لا يهتّم لاعتراض المعترضين عليه كاعتراض أبي ذر الصحابي الجليل الذي كان له منزلة عظيمة عند رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأمثاله، فلم يعتني بذلك، بل أصرّ على فساده وظلمه حتى ضاعفت مخالفات عثمان للكتاب والسنة النبويّة، فثاروا عليه وقتلوه (انظر انظرالإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٤٤، تاريخ الطبري ج٣: ص٣٩٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٠، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٤٣ وغيرهم). وعليه فما زعمه ابن تيمية من أنّ المقصود حصل بفعل الخلفاء باطل بالضرورة، لأنّه هل يعقل حصول المقصود بخلافة الرسول الأعظم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالظلم والفساد والطغيان؟!! كلاّ ثم كلاّ.

محاربته[1]،

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ الدالّة على أنّ حرب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ حرب رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وإليك بعض النماذج من الروايات: فقد روى الخوارزمي بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ عن رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «يا علي، حربك حربي وسلمك سلمي» (المناقب للخوارزمي: ص١٢٩)، ورواه الآلوسي في تفسيره ج٢٦: ص١٥١، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢: ص٢٩٧، وج١٨: ص٢٤، وج٢٠: ص٢٢١، وابن المغازلي في المناقب: ص١٥٨وغيرهم. وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي هريرة قال: نظر النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٤٢). وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن صبيح مولى أمّ سلمة عن زيد ابن أرقم: أنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال لفاطمة وحسن وحسين: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٥١٢). وأخرج الطبراني بسنده عن صبيح مولى أمّ سلمة عن زيد بن أرقم أنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال لعلي وفاطمة وحسن وحسينعَلَيْهِمُالسَّلَامُ: «أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم» (المعجم الصغير للطبراني ج٢: ص٣). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتب أهل السنّة. ولا شكّ في كفر من حارب النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لأنّ محاربة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ صدّ عن سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَـهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَـكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ (سورة الحجّ:٢٥). وعليه فإنّ من حارب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ حكمه حكم من صدّ عن سبيل الله، لأنّ رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «يا علي حربك حربي...» ومعناه أنّ من حارب الإمام ←

وثبوت موت الجاهلية لمن فارقه ولم يبايعه(١)

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الجمل وصفّين ونهروان فقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد شمله آية الصدّ عن سبيل الله. وعليه لماذا سكت علماء أهل السنّة عن فعل اصحاب الجمل وصفين ونهروان بعد ثبوت إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندهم بالأدلّة المعتبرة عندهم؟!! وما ذنب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حاربه جماعة من الأوباش؟ أليس الدفاع من وظيفة الإمام عليه السلام؟ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي رواه علماء الإسلام في كتبهم، فقد روى كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم، ما يدّل على أنّ من فارق إمام زمانه ولم يبايعه مات ميتة جاهلية. فأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عبّاس روى عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات إلاّ مات ميتة جاهلية» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله سترون بعدي أموراً تنكرونها). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند الفتنة). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم، وحيث أنّ صحيح البخاري عندهم من أصح الكتب فتكتفي بذكر هذا الحديث، وهو صريح في ثبوت موت الجاهلية لمن فارق إمام زمانه ولم يبايعه. وإذا كان الحديث صحيحاً عند أهل السنّة ويدلّ على كفر من فارق إمام زمانه، فيجب عليهم العمل بحسب مقتضاه. والعمل بحسب مقتضاه يلزمهم الحكم بكفر من لم يبايع الإمام الحاكم

➔

ونفاق مبغضه[(١)]، وهلاكة من لم يتابعه[(٢)]

➔

الذي كان هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. فكلّ حرب شنّها الأيادي الفاسدة أيّام خلافته الظاهرية في الحروب الثلاثة ويشمله هذا الحكم المذكور الذي يدّل عليه الحديث الصحيح عند جميع أهل السنّة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبيصلى الله عليه وآله الدالّة على أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة النفاق، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّيصلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان وعلاماته). وقال النووي في شرح الحديث: أنّ من عرف علي بن أبي طالبعليه السلام وقربه من رسول اللهصلى الله عليه وآله وحبّ النبيصلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثمّ أحبّ علياً لهذا كان ذلك من دلائل صحّة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسولهصلى الله عليه وآله، ومن أبغضه كان بضدّ ذلك، واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٦٤). وعليه فإنّ من اعتقد بصحة الحديث ودلالته على كفر من يبغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، معناه أنّ كل من خرج ضد مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أيّام خلافته الظاهرية في الحروب الثلاثة يشمله هذا الحديث وهو حجّة على جميع أهل السنّة فلاحظ.

(٢) لا يخفى أنّ المقصود بالهلاك هوالضلال، كما جاء بهذا المعنى في القرآن الكريم والروايات، قال الله تعالى: ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن**

➔

➔
بَيِّنَةٍ﴾ (سورة الأنفال:٤٢)، أي ليعرف الحقّ من الباطل، فالمراد من الحياة والهلكة هنا الهداية والضلالة. فإنّ السنّة الإلهيّة جارية في هداية الناس بإرائة الطريق الموصل إلى السعادة الأبديّة، كما أنّ سنّة الربوبيّة جارية على هداية الأشياء إلى كمالاتها بمعنى إنهائها وإيصالها وسوقها نحوالكمال. كما أنّ الهلاكة في الروايات أيضاً بمعنى الضلالة، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن الأعمش عن أبي إسحاق عن حنش بن المعتمر قال: رأيت أبا ذر أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك ومثل باب حطة في بني إسرائيل» (المعجم الكبير ج٣: ص٤٦). ومعناه أنّ من تخلّف عن أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ فقد ضلّ. كما أنّ معنى الحياة في بعض الروايات الهداية مثل ما ورد عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقد روى ابن أبي الحديد عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً؛ فويل للمكذّبين من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (شرح نهج البلاغة ج١٩: ص١٧٠). هذا الحديث صريح لا يقبل التأويل ولا يترك للمسلم أي اختيار بل يقطع عليه كلّ حجّة، فلو لم يوال الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ ولم يقتد به عَلَيْهِالسَّلَامُ وبأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ فهو محروم من الحياة الطيّبة في الدنيا والآخرة ولم تناله الشفاعة. وتجدر الإشارة هنا بأنّ الحديث فيه إشارة إلى التهديد والوعيد لمن لم يتّبع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ وأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، إذ يقول بالصراحة أنّ الحياة الخالدة إنّما هي بولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي
➔

حسبما مضى نقل السنن التي دلّت على ذلك فيها قد ميّز النبيﷺ بين من يحبّه ويتبعه، وبين من يبغضه ويخالفه(١)،

➔

طالب‌عليه السلام وأهل البيت‌عليهم السلام ومعناه أنّ من لم يوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه السلام وأهل البيت‌عليهم السلام فهو في الضلالة والهلاكة. وهناك روايات كثيرة فيها لفظ الهلاك، وهي تدّل على الضلالة من لم يتّبع أهل البيت‌عليهم السلام وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. وعليه كيف جاز لأهل السنّة أن يعرضوا عن متابعة من يكون الإعراض عن متابعتهم الضلالة والهلاكة؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى النصوص والروايات التي فصلت بين من يحبّ الله ورسولهﷺ وبين من يبغض الله و رسولهﷺ، ومن تلك الروايات ما رواه الهيثمي بسنده عن البراء بن عزب عن النبيّ الأعظمﷺ أنّه قال: أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله (مجمع الزوائد ج١: ص٨٩). وعن الإمام أبي عبد الله الصادق‌عليه السلام أنّه قال: قال رسول اللهﷺ ذات يوم لأصحابه: أخبروني بأوثق عرى الإسلام، فبعضهم قال: الصلاة، وبعضهم قال الزكاة، وبعضهم قال الجهاد.. فقالوا: يا رسول الله، فأخبرن، قالﷺ: «الحبّ في الله والبغض في الله» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٢٢١). وقال أمير المؤمنين‌عليه السلام: «غاية الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والتباذل في الله» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٢٢٨). وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة المجادلة:٢٢). ولا شكّ أنّ

➔

➔

محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم والولاء لهم عنصر أساسي من عناصر العقيدة ومقوّمات الإيمان ومرتكزات الرسالة المحمّديّة الغراء، ولقد جاءت النصوص القرآنيّة والحديثيّة واضحة وصريحة في تأصيل هذا المبدأ الولائي وتعميق دلالاته ومعطياته. وسنتناول هنا بعض الأمثلة من النصوص القرآنيّة والروائيّة التي وردت في أهل البيت عليهم السلام لتوكيد محبّتهم وفرض مودّتهم لتعميق هذا المبدأ العقائدي القويم، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى:٢٣). هذه هي آية المودّة التي أكّدت أغلب كتب التفسير وكثير من مصادر الحديث والسيرة والتاريخ نزولها في قربى النبي صلى الله عليه وآله: "علي والزهراء والحسن والحسين وذرّيّتهم الطاهرين عليهم السلام". روى السيوطي وغيره في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ قالوا: يارسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجّبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وولداهما» (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٧)، ورواه أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة ج٢: ص٦٦٩، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٧٢، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج٢: ص١٣٠، والفخر الرازي في تفسيره ج٢٧: ص١٦٦، والزمخشري في الكشّاف ج٤: ص٢١٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨ وغيرهم.

فهذه الآية تدلّ على وجوب المودّة أهل البيت عليهم السلام الّذين نصّ الحديث على تحديدهم، وقد استدلّ الفخر الرازي على ذلك بثلاثة وجوه، فبعد أن روى الحديث عن الزمخشري قال: فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيدٍ من التعظيم، ويدلّ عليه وجوه، الأول:

➔

➔

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، الثاني: لا شكّ أنّ النبيﷺ يحبّ فاطمةعليها السلام، قالﷺ: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول اللهﷺ أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٥٨)، ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ (سورة النور:٦٣)، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾ (سورة آل عمران:٣١)، ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب:٢١). الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة وهو قوله "اللّهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّداً وآل محمّد"، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعي: يا راكباً قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض. سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضاً كما نظم الفرات الفائض. إن كان رفضاً حبّ آل محمّد * فليشهد الثقلان أنّي رافضي (انظر تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦). فجعل الله تبارك وتعالى الرسالة في كفّة ومودّة القربى في كفّة معادلة لها، ومعناه أنّ مودة أهل البيتعليهم السلام تعادل الرسالة النبويّة.

وأمّا الروايات الواردة في المقام فمنها: ما رواه أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة بسنده عن سعيد بن جبير عن عامر: لمّا نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله! ومن قرابتك؟ من هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهماعليهم السلام»، وقالها ثلاثاً (كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦٦٩). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في

➔

➔
المستدرك على الصحيحين بسنده عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: أنّه بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقف الإمام الحسن بن علي عليه السلام يخطب في الناس، وكان ممّا قال عليه السلام في خطبته: «إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيّه: ﴿**قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٧٢). وإلى غير ذلك من الروايات، الدالة على أنّ وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام من الكتاب والسنّة. ولا يخفى على الخبير أنّ الفارق بين المودّة والمحبّة هو أنّ المودة يلزم فيها إبراز الحبّ القلبي، بخلاف المحبّة التي هي ثابتة في القلب. وبعبارة أخرى أنّ الأدلّة الشرعيّة تدّل على عدم كفاية المحبّة القلبيّة بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام، بل يجب ابرازها لتصدق عليها عنوان المودّة. ثم إنّ من آثار الحبّ الطبيعية انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له. ولا يمكن أن يحبّ الإنسان مخلوقاً ليس فيه شيء من قوّة الجذب، فإنّ حبّ الإنسان لله تبارك وتعالى ناشئ من كونه منبع جميع الكمالات. فالحبّ الحقيقي له آثارعمليّة تربط المحبّ بالحبيب وتدفعه للسعي في تحقيق طلباته، فحبّ أهل البيت عليهم السلام يكون كذلك. وعليه عندما يأمر الله تعالى بمودة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم معناه لزوم إبراز الحبّ لأهل البيت عليهم السلام في الخارج. والمستفاد من الأدلّة أنّ هذا المعنى يكون عنصراً أساسياً في ايمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله. ولذلك ورد في الحديث المتّفق عليه بين الفريقين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي أن لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب نقص الإيمان بنقص الطاعات). فالمؤمن الحقيقي يلزم أن يكون محباً
➔

ولذلك دعا بأن ينصر الله من نصره ويخذل من خذله ويعادي عدوّه ويتولّى وليّه[(١)]

➔ لأهل البيت عليهم السلام ومن آثار حبّه متابعته لهم عليهم السلام، لأنّ حبّهم من مقوّمات الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، وقد أوجب الله مودّتهم عليهم السلام في الكتاب العزيز، فيلزم على كلّ مؤمن حبّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم، أي يلزم عليهم إبراز محبتهم القلبي لهم عليهم السلام. والإيمان بأنّ بغضهم موجب للهلاك والضلال فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حديث الغدير، بعد ما نصب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين، فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه»، رواه الطبراني ورجاله وثقوا وبهذا الطريق نقلاً عن الطبراني ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص١١٤، وروى البدخشي في نزل الأبرار ص٢٠، وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم إلاّ قام قال؟» فقال: من قبل سعيد ستّة ومن قبل زيد ستّة، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى، قال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٨). وروى أيضاً بسنده عن سمّاك بن عبيد بن الوليد العبسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدّثني أنه شهد علياً عليه السلام في الرحبة قال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم إلاّ من قد رآه» فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر ➔

➔

من نصره واخذل من خذله» فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١١٩). وروى أيضاً بسنده عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وروى الهيثمي بسنده عن عمرو ذي مر وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه» قلت لزيد بن أرقم عند الترمذي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط، رواه الطبراني وأحمد عن زيد وحده باختصار إلاّ أنّه قال في أوّله "نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلّل على رسول الله صلى الله عليه وآله على شجرة من الشمس فقال: «ألستم تعلمون» أو «ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فذكر نحوه"، والبزار وفيه ميمون أبو عبد الله البصري وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وعن أبي الطفيل قال: جمع على الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال لمّا قام؟» فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت

➔

➔
مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت علياً يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة. وعن سعيد بن وهب قال: نشد علي عليه السلام الناس فقام خمسة أو ستّة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وعن عمرو بن ذي مر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا علياً يقول: «نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لمّا قام» فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله». رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٠٥). وروى النسائي في سننه الكبرى بسنده عن علي بن محمّد ابن علي قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا إسرائيل قال: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر قال: شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد صلى الله عليه وآله: «أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال؟» فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وانصر من نصره» (انظر سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٦). وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن بشر بن حرب عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حجة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له "غدير خم" فنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام
➔

فعلم عدم سببيّته للفرقة بين الرعية[1]،

←

رسول الله صلى الله عليه وآله وسطنا فقال: «أيّها الناس بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، قال: «ثم مه» قالوا: وأن محمّداً عبده ورسوله، قال: «فمن وليّكم؟» قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: «من وليّكم؟» ثم ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فأقامه، فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: «من يكن الله ورسوله مولياه فإن هذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللّهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللّهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى» قال بشر: قلت: من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٣٥٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وعليه فإنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله مستجاب وحديث الغدير نصّ في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكيف لأهل السنّة أن تركوا دعاء نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل اتبعوا من قد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالخذلان؟!!

(١) وبعبارة أوضح أنّه لمّا كان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخصوصيات والميزة الواردة في النصوص وهي ممّا تدلّ على إمامته ووجوب متابعته ، وأنّ من تبعه يفوز بالسعادة الأبدية. معناه أنّ بالإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام يجمع شمل المسلمين ويتّحد كلمتهم كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء:٩٢). فالمسلمون تجمعهم عقيدة واحدة بسبب النصّ ويصبحون أمّة واحدة، وتربطهم مصالح مشتركة ومصير مشترك. ومع الأسف الشديد نرى المسلمين اليوم قد افترقوا إلى مذاهب شتى وفرق متناحرة ومتنافرة لا تنسجم إلاّ بالوحدة تحت لواء ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ودليله واضح، لأنّ الأمّة

←

➔
لو كانت تدخل في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله لاجتمعت تحت عقيدة واحدة، ولكن أعرضت عن النصوص الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و أهل البيت عليهم السلام وأخذت مصير أحداث السقيفة الغابرة، وما زالت آثارها السلبية باقية إلى يومنا هذا. رغم من التأكيد الذي جاء في القرآن الكريم والروايات على وحدة المسلمين والأمّة الإسلامية، وبيّنت بأنّ تحقيق هذه الوحدة إنّما تكون بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وتحت راية ولاية مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام. ولكن الأمّة الإسلامية خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وتمرّدوا على أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله فأصبحوا متشتّتين متفرّقين.

وقد بيّن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أسباب الاختلاف والفرقة ونتائجها، ووضع الحلول النظريّة والعمليّة لها. ويمكن تحديد بعض هذه الأسباب من وجهة نظر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتقسيمها إلى أقسام:

الأوّل الجهل، فإنّ الجاهل لا يميّز بين المصلحة والمفسدة، ولا يراعي ما تواجهه الأمّة الإسلامية من مخاطر وتحدّيات، فنراه يتّخذ مواقف وقرارات غير مدروسة ويتصرّف على هواه، وإذا نطق زاد المشكلة تعقيداً واختلافاً، لذا قال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس» (انظر بحار الأنوار ج٧٥: ص٨١).

الثاني: الاختلاف، فإنّ الاختلاف في فهم الآراء وفي التخطيط، وفي اتّخاذ القرار، وفي الولاء للأشخاص والجماعات، وفي المواقف العامّة والخاصة، وفي الأساليب المتّبعة قد يكون من مقدّمات الاختلاف، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «سبب الفرقة الاختلاف» (انظر ميزان الحكمة ج١: ص٧٦٦).

الثالث: البدع، فإنّ الإسلام واضح في مفاهيمه ومناهجه وأسسه وقواعده، أنزلت
←

بل به عرف المنافق وتميّز عن غيره الصادق بإيمانه[1]، وهل الذي دعا له

➔

أحكامه كاملة شاملة وقد حدّدها القرآن الكريم والرسول الأكرمﷺ وأوكل علومها إلى أهل البيتعليهم السلام وقالﷺ: «من تمسّك بهم نجى من الضلالة ومن لم يتمسّك بهم وقع في الضلالة»، والبدعة هي الضلالة، وهي أحد أسباب التي تؤدّي إلى الفرقة بين المسلمين، لأنّ البدعة مخالفة لله ولرسوله، فأهل البدعة دانوا بغير دين الله، وخالفوا كتاب الله وسنن رسوله، وتولّوا غير المنصوص عليه.

الرابع: الشبهات، فإنّ العمل بالشبهات وتبني المواقف على أساسها والابتعاد عن الأمور المقطوع بصحّتها يؤدي إلى تعدّد المواقف وتعدّد الولاءات، وبالتالي إلى الفرقة والاختلاف. قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «واحذروا الشبهة فإنّها وضعت للفتنة» (بحار الأنوار ج٧٤: ص٤٠٨).

الخامس: الأهواء، فإنّها تتمزّق الأمّة حينما يكون الهوى المطاع هو الذي يسيطر على آراء صاحبه وافكاره وقراراته ومواقفه، فيضلّه ويدفعه إلى العجب بنفسه، وإلى البعد عن الله والبعد عن الحقّ، بل إلى تزيين ذلك في عقول الآخرين ولو أدّى ذلك إلى الفتنة، ومن هنا قول مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «الهوى مطية الفتن» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص١١٢). وقالعليه السلام: «إيّاكم وتمكّن الهوى منكم، فإنّ أوّله فتنة وآخره محنة» (ميزان الحكمة ج٤: ص٣٤٧٨). فالاختلاف والفرقة من أخطر الأمراض التي مزّقت الأمّة الإسلاميّة، ودفعتها إلى الزوال، وأعطت الأعداء الفرصة لتوسيع الاختلاف في صفوف الأمّة الإسلامية وتمزيقهم وغزوها فكريّاً واقتصاديّاً وجغرافيّاً. وكلّ ذلك قد تتحقّقت بسبب عدم طاعة المسلمين لله ورسوله بطاعة الله ورسولهﷺ، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات التي تميز الإيمان الصادق عن الزائف، حيث أنّها

➔

خير البشرصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بهذه، وبأن يدير الله الحقّ معه حيث يدور[(١)]

➔

تدّل على أنّ الإيمان الصادق مشروطة بولاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام وحبّه، منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي ابن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمّيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب "الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام من الإيمان وعلاماته"). وقال النووي في شرح الحديث: أنّ من عرف علي بن أبي طالبعليه‌السلام وقربه من رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وحبّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثمّ أحب علياً لهذا كان ذلك من دلائل صحّة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ومن أبغضه كان بضدّ ذلك، واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٦٤). فالحديث في غاية الوضوح من الدلالة من أنّ حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام علامة الإيمان الصادق بالله، وإنّ بغضه علامة النفاق والكفر. إذن مخالفة النصوص الواردة في أمامته علامة نفاق المخالفين، كما أنّ محاربته وغصب حقّه موجب لنفاقهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة الى الحديث المعروف المشهور، الذي رواه أكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من أهل السنّة في كتبهم بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة تفيد مجموعها التواتر؛ وقد رواه أكثر من عشرين صحابي، منهم أبو بكر، وأبو ذر، وعمّار، وعبد الله بن عبّاس، وأبو سعيد الخدري، وسلمان، وأبو أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعائشة، وأمّ سلمة عن النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ،

➔

➔

(انظر شرح منهاج الكرامة للسيّد الميلاني ج٢: ص٩٥). فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليك بعض تلك الآثار: منها: ما رواه الترمذي بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودّعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنّك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنّه أمرنا صلى الله عليه وآله أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني... قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

ومنها: ما رواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى. قال: خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحبّ الخفيّ التقيّ، قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال

⬅

➔

ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية ابن أبي سفيان فمرّ بالمدينة، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عبّاس، فالتفت إلى عبد الله بن عبّاس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إنّي رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ، فأنختها حتّى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ؟ قال: فقال سعد: أمّا إذا أبيت فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار» قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول اللهﷺ؛ فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول اللهﷺ وهذا سعد يذكر عن النبيﷺ ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار» فقالت أمّ سلمة: "في بيتي هذا قال رسول اللهﷺ لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول اللهﷺ وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول اللهﷺ لكنت خادماً لعلي حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع

🡐

➔

الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحقّ لن يزال مع عليّ، وعليّ مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا»؟ قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥ وغيره.

ومنها: ما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال:... استأذن أبو ثابت مولى علي ابن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتّى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢).

ومنها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جداً، لا يمكن استقصائها.

وتقريب الاستدلال بالحديث واضح؛ لأنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**

⬅

➔
﴿ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سورة الحج:٦٢). فالآية تبيّن بأنّ الله تبارك وتعالى هو المعيار للحق. ولابدّ لطالب الحق أن يعرف حقانية مذهب وطريقة كل شخص ومؤمن بارتباطه بالله تبارك وتعالى. من أنّه هل يكون عمله وطريقته مطابقاً لما أراد الله تبارك وتعالى أو كان على خلاف ما إراد به الله عزّ وجلّ.

فقولهﷺ: «علي مع الحقّ»، معناه أنّ طريقة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مطابق لما أراد الله عزّ وجلّ، وهذا هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجلّ؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان ابن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفّين، فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمدﷺ وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا إنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول اللهﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمراً - وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لابدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول اللهﷺ يقول لعمّار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله
➔

ينسب إلى شيء عظيم من الشرّ والفساد؟!!! بل هو قطعاً منزّه عن صيرورته سبباً في شيء قليل من الفساد[١].

➔

(انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره. فهذا النصّ الصريح من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله على حقانية أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومعناه أنّ إرادة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا تتخلف عن إرادة الله عزوجل. وهذا هو المعيار لمعرفة الحقّ، لذلك أنّ النبيصلى الله عليه وآله بدعا للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قائلاً: اللّهم أدر الحقّ حيث ما دار، أي يكون إرادته دائماً مطابقاً لإرادة الله عزّ وجلّ. وعليه إذا كان الأمر كذلك فإنّ طريقة الغاصبين للخلافة وأتباعهم يكون على الباطل، لأنّ طريقتهم على خلاف ما أراد الله عزّ وجلّ؛ لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «علي مع الحقّ»، أي أنّ ارادة علي مطابق مع إرادة الله، لأنّ الله هو الحقّ وهو المعيار لطريقة الحقّ، وأنّ من خالف علياً يكون على طريق الباطل؛ لأنّ ارادته مخالف لارادة الله فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ من كان فيه الشرّ أو الفساد ولو شيئاً قليلاً لا يصلح أن يطلق في حقّه كلمة الحقّ على الإطلاق، حيث أنّ إطلاق كلمة الحقّ على الإطلاق إنّما يصحّ إذا كان خيراً من جميع الجهات، ولذلك أنّ الله تعالى الذي يكون منزهاً عن جميع النقائص والقبائح والعيوب أطلق على نفسه كلمة الحقّ كما في قوله تعالى: ﴿**أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾ (سورة النور:٢٥). وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ (سورة الحجّ:٦٢). ومعناه أنّ من سمّاه رسول اللهصلى الله عليه وآله مع الحقّ لا بدّ أن يكون منزّهاً من جميع العيوب والرذائل، أي يكون معصوماً. وعليه فمن خالف قول رسول اللهصلى الله عليه وآله معناه تكذيب رسول

🡐

➔

اللهﷺ، إذ معنى تقديم الغير على من هو مع الحقّ على الإطلاق معناه أنّه ليس فيه التنقيص، ومن ليس فيه التنقيص فهو معصوم. ولا شكّ أنّ نسبة الباطل أو الفساد إلى خليفة الله أو الانتقاص منه افتراء على الله ورسولهﷺ، لأنّ مقام الخلافة والولاية الإلهيّة إنّما يكون بنصّ من الله ورسولهﷺ، فالافتراء على الإمام المنصوص عليه من قبل الله ورسولهﷺ افتراء على الله ورسولهﷺ، والافتراء على الله من أكبر الذنوب وأقبحها؛ وهي من الصفات والسمات البارزة للمشركين والكفّار، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ**﴾ (سورة العنكبوت:٦٨)؛ ويستفاد من الآية الكريمة أنّ الافتراء على الله معناه رفض العقائد الحقّة، قال ابن كثير: لا أحد أشدُّ عقوبة ممّن كذب على الله، فقال: إنّ الله أوحى إليه شيئاً، ولم يوحَ إليه شيء، ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشدّ عقوبة ممّن كذّب بالحقّ لما جاءه، فالأوّل مفترٍ، والثاني مكذّب؛ ولهذا قال: أليس في جهنم مثوى للكافرين (تفسير ابن كثير ج٣: ص٤٣٢). وقد جاء نفس هذا المعنى في الروايات التي أخرجها علماء أهل السنّة منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: ومن زعم أن رسول اللهﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّهُ**﴾ (انظر صحيح مسلم ج١: ص١١٠ كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾). فالكذب على رسول اللهﷺ أحد الأسباب الفساد وكفر وإلحاد، وعليه من أنكر النصوص القرآنيّة والروائية الواردة في إمامة مولانا

➔

ولو ينصف السنّي خير الرسلﷺ لما هتكه إلى هذه الدرجة، حيث نسب صدور الشرّ والفساد إلى من قال في حقّه هذه المعاني الشريفة التي دلّت على عصمته، فإنّ المتّقي غير المعصوم قد ينسي، وقد يذهل، وقد يجهل، فيبني على الباطل حقّاً فيروّجه ويشيّده، فيستحيل في حقّ من حصر سبحانه نطقه بالوحي(١) المسألة من الله بأن ينصر من نصره ويخذل من خذله؛ ففي

➔

أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد افترى على الله ورسولهﷺ، وبذلك يكون سبب الشرّ والفساد، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ الافتراء على الله ورسولهﷺ موجب للكفر كما أكّد على ذلك علماء الإسلام. قال ابن حجر: من كذّب رسول اللهﷺ فقد كذّب الله، ومن كذّب الله فهو مشرك (انظر فتح الباري ج١: ص٢٠١). وهناك أقوال كثيرة لعلماء أهل السنّة قد تبرّأ من ابن تيمية وأقواله، وقد فتح صاحب كتاب السلفيّة بين أهل السنّة والإماميّة باباً بعنوان: "آراء علماء أهل السنّة في ابن تيمية" وذكر فيه من كفّره (انظر السلفيّة بين أهل السنّة والإماميّة: ص٢٣٥). فإذا كان علماء أهل السنّة يصرّحون بتكفير من كذّب على رسول اللهﷺ فينطبق هذا الحكم على ابن تيمية بنفس الاستدلال، إذ من الواضح أنّ من كذّب على رسول اللهﷺ فقد كذّب على الله سبحانه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول في شأن النبيﷺ: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (سورة النجم: ٣ و٤). فأراد سبحانه بهذه العبارة الموجزة أن ينفي كلّ نوع من أنواع الانحراف والجهل والضلال والخطأ عن نبيّهﷺ وأن يحبط ما وجّهه أعداؤه إليه من التهم في هذا الصدد. ومن أجل التأكيد على هذا الموضوع أنّ القرآن يضيف قائلاً: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾. فقد

➔

الحقيقة قد ازرى السنّي بما زعمه هنا بخير الرسل صلى الله عليه وآله، حيث جعل قوله في حقّ علي عليه السلام هذياناً، لزعمه أن المنصوص عليه لمّا تولّى حصل الفساد في أمّته، ولمّا تولّى غيره حصل الوفاق والرشاد، وظهر الدين فلزم هذيانه في حقّ علي عليه السلام وظلمه في حقّ الثلاثة لعدم نصّه عليهم، ودينه قد ظهر بهم بعد حصول الوفاق بسياستهم في الأمّة[1].

➔

روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور بسنده عن حبّة العرني: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً أن توصد جميع الأبواب المشرفة على المسجد - من بيوت الصحابة - سوى باب علي عليه السلام، فكان هذا الأمر عزيزاً على المسلمين حتّى أن حمزة عمّ النبي صلى الله عليه وآله عتب عليه وقال: كيف أوصدت أبواب عمّك وأبي بكر وعمر والعباس، وتركت باب علي عليه السلام مفتوحاً، وفضّلته على الآخرين؟! فلمّا علم النبي صلى الله عليه وآله أن هذا الأمر صعب عليهم دعا الناس إلى المسجد وخطب خطبة عصماء، وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها الناس، ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم وأسكنته» ثمّ قرأ: ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ (انظر الدر المنثور ج٦: ص١٢٢). وهذا الحديث يدل بالصراحة عن عظمة مقام مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله فتنقيصه تكذيب وافتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فما نسب ابن تيمية إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو أنكر حقيقة ممّا أكّد الله ورسوله صلى الله عليه وآله فهو داخل حكم من افترى على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ دفاع ابن تيمية المستميت عن الخلفاء الثلاثة وصل به إلى حدّ

➔

➔

أنّه يرمي الرسول الأعظمﷺ بالهجر والهذيان – والعياذ بالله – ومعنى ذلك أنّه يعترف بعدم اعتقاده برسالة رسول اللهﷺ إلاّ على حسب زعمه واعتقاده بخلافة الخلفاء الثلاثة. وبعبارة أخرى أنّ ابن تيمية يعتقد بأنّ رسالة رسول اللهﷺ مشروطة بخلافة الخلفاء الثلاثة – ولو على خلاف أمر الله — عند ذلك يكون رسول الله خاتم النبيينﷺ – والعياذ بالله –. ولا يخفى على الخبير أنّ هذا النوع من الاعتقاد مرجعه إلى عدم الجزم في الاعتقاد، أي أنّ اعتقاده برسالة رسول اللهﷺ يكون معلّقاً على توهّمه، حيث لو كانت الرسالة مشروطة بخلافة الخلفاء الثلاثة فإنّ رسالة الرسولﷺ تكون مشروطة بها. مع أنّ أمر الرسالة بيد الله، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد نزّه النبي الأكرمﷺ في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (سورة النجم: ٣-٤)، أي لم يتكلّم بهوى نفسه وإنّما يتكلّم بالوحي والقرآن، فمعنى الآية أن كلّ كلام ينطق به النبيﷺ يكون وحياً من عند الله. فما قاله النبيﷺ في إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام يكون بأمر الله عزّ وجلّ. وعليه كيف يدّعي ابن تيمية بأنّ الله سبحانه إذا نصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة فهو وإلاّ فلا – والعياذ بالله –.

والنتيجة أنّ ما ذكره ابن تيميّة في المقام يدلّ على عدم اعتقاده بالله تعالى حقيقةً، إذ أنّه كان يعلم بأنّ الله تعالى لم ينص على خلافة الخلفاء الثلاثة!! إذ من البديهي لدى الخبير أنّ لله تبارك وتعالى سنة من بدء خلق آدمعليه السلام إلى خاتم الأوصياءعليهم السلام أنّه لم يجعل الأرض خالياً من الحجّة ومن الخليفة في الأرض لئلاّ يكون للناس على الله حجّة، بل وحتّى قبل خلق الإنسان كما ورد في الحديث عن مولانا الإمام الصادقعليه السلام حيث قال: «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق» (الكافي ج١: ص١٧٧). فلم يخلق الإنسان إلا بعد أن عيّن له الخليفة، فكان أبونا

←

➔
آدم عليه السلام صفوة الله ونبي الله. وقد بعث الله سبحانه وتعالى مائةً وأربعةً وعشرين ألف نبيّ، ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (سورة النساء:١٦٥). هذه الآية تشير إلى موضوع دقيق، وهو أنّ طريق الحقّ واضح وبيّن... وكلّ عقل حاكم ببطلان الشرك وعبادة الأصنام.. وقبّح كثير من الأعمال التي تقع من دون الاعتقاد بالله وبرسله، فإنّ العقل يحكم مستقلاً بقبحقها. وبعبارة أخرى كلّ إنسان يدرك بعقله حسن الاعتقاد بالمبدأ المتعال وحكمته ولطفه بعباده وإرسال الأنبياء الأصفياء و تعيين الأوصياء والاعتقاد بالمعاد. وأيضاً يدرك بأنّه سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب، وجهّزهم بالمعاجز الساطعة، إتماماً للحجّة ونفياً للعذر، لئلاّ يقول أحد: إنّما كان شقاؤنا بسبب عدم وجود الدليل، إذ لو كان فينا قائد إلهي لكنّا من أهل الهداية ومن الناجين. وعلى كلّ حال فإنّ هذه الآية من الآيات التي فيها دلالة واضحة على لزوم اللطف من الله تعالى عن طريق إرسال الأنبياء وفقاً لهذه السنّة الإلهيّة. وتدلّ الآية أيضاً على أن هذه السنّة الإلهيّة مستمرّة إلى يوم القيامة، ومعناه أنّ بعد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لا بدّ أن يكون للناس حجّة بالغة، فالحكمة الإلهيّة اقتضت على أن يكون خلق الإنسان مع وجود الخليفة في الأرض كما قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق» (الكافي ج١: ص١٧٧). ولو خلق الله عزّ وجلّ الناس ولم يخلق الخليفة لكان نقضاً لغرضه، إذ معناه أنّه قد عرضهم للتلف، والحكمة البالغة الإلهيّة مانعة عن ذلك، حيث أنّ الحكمة تقتضي أن يجعل للناس خليفة في الأرض ليبيّن للناس طرق النجاة، ويعلمهم طريق السعادة و... وهذه الحكمة تعمّ كلّ زمان، فمن زعم أنّ الدنيا تخلو من حجّة ولو بمقدار لحظة واحدة فزعمه مردود بما جاء في القرآن الكريم، ➔

➔

والآيات المحكمات التي فيها دلالة واضحة على أنّ الله تبارك وتعالى يتمّ حجّته على جميع خلقه. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة:٣٠)، ومعناه أنّ الخلافة في الأرض وعد إلهي جرت به العادة الإلهية، وأنّ خلافة الله باقية مستمرّة إلى يوم القيامة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (سورة النور:٥٥). هذه الآية الكريمة تؤكّد على أنّ الله تعالى وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم من بعد خوفهم أمناً. وذلك بسبب هداية خليفة الله فيعبدون الله ولا يشركون به شيئاً. فإجراء الأحكام الإلهيّة، واستقرار الأمن واقتلاع جذور الشرك، بعد أن استخلف خليفة الله على الأرض. ومن الواضح أنّ الخلافة في الأرض لا تنحصر في النبوّة ، لأنّ الله عزّ وجلّ وعد أن يستخلف خلفائه يستمرّون على الخطّ الهداية السماوية ومناهج الربانية مادامت الدنيا باقية، حتّى بعد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فالآية تبشّر إلى أنّ الخلافة الإلهيّة لا تنتهي بنبوّة خاتم النبيّين ﷺ، بل إنّها باقية إلى يوم القيامة. ومن هنا لا بدّ للباحث أن يتأمّل في النصوص الدينيّة الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فإنّها واضحة لا لبس فيها وثابتة الحجّيّة لدى جميع المسلمين، وما قاله النبي ﷺ أمر ثابت لا يمكن إنكاره، فما زعمه ابن تيمية من أنّ بعض الناس تركت النصوص وأنكروا ما جاء به الله ورسوله ﷺ، واضح البطلان. كما أنّ زعمه في حقّ النبي الإسلام ﷺ إنكار لما جاء به رسوله ﷺ من قبل الله عزّوجلّ.

🡐

وتاسعها: ما قاله من أنّ الشيعة قائلون باللطف(١)

➔

ومن الواضح أنّ هذا الإنكار يرجع إلى إنكار ضرورة من ضروريات الدين؛ والإنكار الضرورة الدينية يرجع إلى إنكار النبوّة أو إلى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله، فيلزم منه الكفر، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ قاعدة اللطف من القواعد الهامّة التى يتوقّف عليها الكثير من المسائل العقائديّة الهامّة من قبيل: وجوب التكليف، ووجوب بعث الأنبياء ونصب الخلفاء، ووجوب عصمة الأنبياء، ولزوم الوعد والوعيد، وما إلى ذلك من المسائل الأخرى. وهي بمعنى أنّ العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنّه يستحيل على العليم الحكيم القدير عزّ وجلّ، أن يترك مخلوقاته بدون هدايتهم نحو السعادة والنجاة، بل أنّ من أفعال الله الثابتة بمقتضى صفاته، أنّه يلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء ليهدي بهم الناس إلى الحقّ والصراط المستقيم. وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وذلك بمعنى ما يدركه العقل من قوانين فعل الله تعالى، لأنّ الله تبارك وتعالى حكيم والحكيم لا يصدر منه إلاّ الحسن والحسن هو ما كان فيه الحكمة. فبمقتضى الحكمة البالغة الإلهية أن يلطف على عباده بالرحمة الشاملة لجميع خلقه. وهذا يلازم بيان المصالح والمفاسد عن طريق إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمة المعصومين عليهم السلام. وبعبارة أخرى بمقتضى مطلق الإحسان والإكرام والإنعام، يلزم على الباري تعالى بيان ما يقرّب العبد إليه وإنذاره عمّا يبعّده عنه، فإنّ العقل يحكم أي يدرك بأنّ الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى، فلا بدّ أن يلطف بهم ويبعث فيهم الأنبياء ويجعل لهم أوصياء، ليكون له على الأرض حجّة ولا تخلو الأرض في أي عصر وزمان من الحجّة. ثمّ أنّ مقتضى هذه القاعدة لزوم وجود الحجة الإلهية في كل عصر وزمان، لئلاّ ينقض

➔

وهو مناقض لما هم عليه لعدم حصوله لهم(١)، فإنّه قد مضى بيان معنى

➔

غرضه سبحانه وتعالى من إرسال الرسل ونصب الأوصياء، وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً في النصوص العديدة من الكتاب والسنّة، منها قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (سورة القيامة:٣٦)، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون:١١٥). كما ورد في السنّة أيضاً ما يدّل على ذلك، فقد وصف الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام عمل الأنبياء عليهم السلام بأنّه مطالبة الناس بالانسجام مع ميثاق الفطرة، فقال عليه السلام في خطبة طويلة في نهج البلاغة: «فأهبطه إلى دار البليّة، وتناسل الذريّة. اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه واتّخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدّرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١)، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٠٢. فالقرآن الكريم والسنّة يدلاّن على أنّ الله تعالى لطيف بعباده، فلا يتركهم بدون الهداية السماوية، وسيتبيّن توضيح ذلك وتفاصيل البحث من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير كذب ما ادّعاه ابن تيمية على الشيعة، لأنّ من قرأ كتب الشيعة يجد فيها بيان واضح لمعنى قاعدة اللطف وبيان حدودها وتفاصيلها، فإنّ قاعدة اللطف عندهم من القواعد المستندة إلى العقل، أي أنّ العقل البشري يدرك بأنّ الله تبارك وتعالى حكيم، وأنّ الحكيم لا يصدر منه القبيح، فلا يترك

➔

➔

عباده سدى، بل بمقتضى حكمته البالغة ورحمته الواسعة ان يرسل إليهم الرسل، وينزل عليهم الكتب، وينصب لهم الأوصياء، لتحقيق هدفه السامي من خلقة الخلق. ومن الواضح أنّ معنى الوجوب هنا ليس هو الإلزام على الله، بل معناه إدراك العقل، وإدراك العقل معناه التحسين والتقبيح العقليين، وثانيا معناه عدم لزوم الجهل في فعله تعالى. إذ كلا الأمرين محال على الله سبحانه. فمعنى الوجوب على الله أي أنّ الله تعالى لايفعل المحال عقلاً. وعليه لو كان مراد ابن تيمية من عدم حصول هذا المعنى للشيعة، من جهة غصب خلفاء الجور الخلافة من أهل البيتعليهم السلام، كي تكون نتيجته عدم تتحقّق الفائدة على قاعدة اللطف، فهو زعم باطل، لأنّ قاعدة اللطف قاعدة عقليّة ولا تنافي رفض الناس اللطف والرحمة الإلهية. وعليه أنّ ما بنى عليه الشيعة من القاعدة هو حكم عقلي ومعناه بمقتضى اللطف والرحمة الإلهية، حيث أنّ الله تبارك وتعالى حكيم، وأنّ الحكيم لايصدر منه القبيح، وبمقتضى ذلك أنّ الله تعالى لا يترك عباده سدى. فالرحمة الإلهيّة وحكمته البالغة تقتضي إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمةعليهم السلام، سواء آمن الناس بهم أم لم يؤمن بهم أحد. فإنّ عدم إيمان الناس بالأنبياء وأوصيائهمعليهم السلام لا ينفي هذا الحكم العقلي. وهذا يشبه تماماً بأنّ الطبيب الحكيم يؤسّس مستشفى مجهزة لعلاج كلّ الأمراض، وفيها الأطباء المهرة، وأنواع الأدوية، ويفتح أبوابها بوجه كلّ الناس بدون تمييز، أليست هذه المستشفى رحمة لكلّ أفراد المجتمع؟ فإذا امتنع بعض المرضى العنودين من قبول هذا الفيض العام، فإنّ امتناعه عن العلاج فيها أو رفضها لا يؤثر في كون تلك المستشفى نافعة. وبتعبير آخر فإنّ صفة الرحمة لله تبارك وتعالى صفة بمقتضى فاعلية الفاعل، ومن المسلم أن فعليّة هذه الصفة لها علاقة بقابليّة القابل. كذلك الأمر بالنسبة إلى نصب الأئمة الهداةعليهم السلام، فإنّ من رفض

🡐

اللطف وبيان حصوله من الله سبحانه بالنسبة إلى الخلق جميعهم[1]، وبه قد

➔

إمامتهم معناه منع أنفسهم من هذه النعمة العظيمة الإلهية، ومنع الناس أنفسهم من النعمة لا يسمّى عدم الفائدة، بل معناه إعراض الناس عن تلك الفائدة وسلب النعمة من أنفسهم. وبعد ورود الأدلّة الواضحة من الكتاب والسنّة النبويّة، والنصوص القطعيّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنّ رفض أهل السنّة تلك النصوص وعدم الإيمان بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام لا ينفي هذه القاعدة المسلّمة، وذلك نظير أنّ الله تبارك وتعالى خلق الشمس المضيئة وجعلها سراجاً وهّاجاً للناس، فمن منع نفسه من هذه النعمة الإلهية وجعل بينه وبين النور حاجباً ومانعاً لعدم الاستفادة منه، فإنّه لا ينفي إضائة الشمس ولا ينفي كونها نعمة إلهيّة، وإنّما حرّم نفسه منها باختياره، فلاحظ.

(١) لقد تقدّم بيان أنّ اللطف الإلهي وحكمته الربانية، تقتضي عدم ترك عباده سدى بلا حجّة بالغة، بل أنّها تقتضي لزوم أرسل إليهم الرسل وأنزل معهم الكتب ونصب الأوصياء المعصومين ليرشد عباده إلى ما فيه سعادتهم ويحذروهم عما فيه هلاكهم وضلالتهم من باب اللطف. وبعبارة أخرى أنّ اللطف الإلهي يقتضي تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية، لأنّ اللطف الإلهي يقتضي أن لا يقع الناس في المفسدة، بل يحثّهم إلى ما فيه سعادتهم، ومعناه أنّه تعالى قد ألزمهم الحجّة البالغة ولم يتركهم بلا حجّة.

ثمّ أنّه تعالى قد أعطى الإنسان العقل والشعور والإدراك، وأنعم عليه أنواع الطاقات الجسديّة، وملأ صفحة الأرض بمختلف أنواع النعم والبركات، وعلّمه طريقة الاستفادة من الإمكانات، ليختار طريق الحق والصواب. ومع هذه الألطاف والنعم

🡐

هدي من هدى، وبه قامت الحجّة على من لم يهتد[1]، ومختصر ذلك هنا أن

→
هل يجوز لأحد أن يقول أنّ الله تعالى ترك عباده سدى ولم يجعل لهم ما يهديهم إلى السعادة الأبدية؟!! كلاّ ثمّ كلاّ، لأنّ مقتضى الحكمة الربانيّة ومنتهى اللطف الإلهي إرائة الطريق للهداية نحو السعادة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (سورة الإنسان:٣). فبعث الله الأنبياء عليهم السلام مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب، ونصب الأوصياء، ولإتمام الحجّة عليهم في كلّ عصر وزمان، حسب ما يقتضيه العقل والحكمة وما توجبه المصلحة للدعوة نحو السعادة والكمال، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الهداية الإلهيّة تتحقّق بالهداة الحقيقيين، الذين يرفعون الإنسان من حضيض الجهل إلى أعلى مراتب التكامل المادّيّة والمعنويّة، وأيضاً تتحقّق بالتعاليم الربانية الهادفة إلى تحقيق المصالح الدنيويّة والأخرويّة، وبإرشاد الناس وإيصالهم إلى السعادة بالأدوات التي تمكّنه من الإرتقاء إلى أعلى درجات الأخلاق والأعمال الصالحة، فإنّ الله تبارك وتعالى أعطى الإنسان العقل والإرادة والمشاعر، ووفّر له طرق الهداية، وجعله أهلاً للخطاب الرباني... وأكرمه لتحمّل المسؤولية والتكليف، وكلّفه بما يوجب سعادته... وجعل له كياناً علمياً وفكرياً؛ ليستكمل بهذه المنظومة إقامة الحجّة عليهم بالأسلوب الذي تقتضيه الحكمة والموعظة الحسنة، بإبلاغ الرسالة وتنفيذها عن طريق المعصومين عليهم السلام. ومن هنا تبرز فكرة الإمامة وأهميّتها وضرورتها لإجراء أهداف الرسالة السماويّة، وأنّ دور الإمام هو مكمّل لدور الرسول ومتمّم له، ووسيلة لدخول الناس في دين الله وإقامة الحجّة عليهم. ولعلّ هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ (سورة الإسراء:٧١). حيث أنّ يوم القيامة تجسّم عظيم عن هذا العالم
←

نقول: معنى اللطف هو فعل ما ، العباد معه أقرب إلى معرفة الله وطاعته، وذلك يتحقّق بإرسال رسول من قبله بآيات تدلّ على صدقه، يبيّن للناس ما ينفعهم فيأمرهم به، وما يضرّهم فينهاهم عنه[1]،

الصغير فأولئك الذين ارتبطوا بإمام معيّن واقتفوا أثره، فهم سائرون خلفه هناك. ولذلك جاء في حديث، أنّ بشر بن غالب سأل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عن تفسير الآية ﴿**يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ فقال الإمام عليه السلام: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة، وهؤلاء في النار... وهو قوله عزّوجلّ: ﴿**فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ**﴾» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٣١٣). وفي مقابل أئمة الهدى أئمة الضلال فإنّهم يقدمون قومهم يوم القيامة أيضاً. ومن الطريف أنّ فرعون الذي تقدّم قومه في هذه الدنيا وأغرقهم بمعيّته في أمواج النيل، يقدّم قومه يوم القيامة - أيضاً - ويخزيهم بمعيّته في نار جهنّم، إذ يقول القرآن في شأنه: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ**﴾ (سورة هود:٩٨). وكذلك أئمة الجور الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام.

(١) وبعبارة أوضح أنّ قاعدة اللطف تقتضي إيصال العباد إلى مصالحهم بالبعث نحو ما فيه المصلحة وحفظهم عن الوقوع في المفاسد بزجرهم عما فيه المفسدة. وفي الحقيقة أنّ نتيجتها إيصال العباد إلى يوجب سعادتهم، وإبعادهم عمّا يكون موجباً لشقاوتهم. وكذلك تقتضي ترتب الثواب على الامتثال والطاعة. والعقاب على ترك الواجب، تحقيقاً للباعثية والزاجرية نحو ما هو الصلاح والفساد.

وبعبارة أخرى أنّ من مظاهر اللطف الإلهي بعث الأنبياء ونصب الأولياء لتقرّب العباد

وهذه سنّته في عباده من يوم خلقهم وجعل بعد رسله من يقوم مقامهم في هذه المنزلة حفظاً لدينه من التغيير ولعباده من الجهالة والشقاوة[1]،

←

إلى الله بطاعتهم، وتحذيرهما عما يوجب ابتعادهم من الله، فوزهم بالسعادة الأبديّة. وبعبارة ثالثة: كلّ ما له دخل في تحقّق سعادة الإنسان لا بدّ من بيانه من قبل الشارع الأقدس على وجه يوجب الرغبة إلى الطاعة والابتعاد عن التمرّد والمعصية في نفوس البشر من باب الرحمة قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ (سورة الأعراف:٩٤). فإنّ تعليل ابتلاء الناس بالسرّاء والضرّاء لرجاء رجوع الناس إلى طاعة الله دليل على أنّ كلّ ما يكون سبباً للجوء الناس طاعة الله كان عليه سبحانه أن يقوم به، وذلك بمقتضى حكمته في التكليف، حيث أنّ العقل مستقل في درك هذا المعنى، إذ العقل يحكم بحسن ما يكون فيه المصلحة، وبمقتضى هذا الحكم العقلي أنّ الحكيم الذي لا يصدر العبث يلزم أن يبعث العباد نحو مافيه المصلحة، أي يأمرهم بما فيه الثواب، ويحذّرهم عمّا فيه العقاب. فقاعدة اللطف مبنيّة على التحسين والتقبيح العقليين، ولولا القول بهما لما قام عمود ولا أخضرّ عود. ويتّضح دوره من خلال بيان الثمرة لها في بيان تكاليف الإنسان، وإعطائه القدرة على امتثالها، ليسير من أقصر الطرق إلى السعادة، إذ بالمعارف الحقّة والتعاليم السماويّة يهتدي الإنسان نحو الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة. فوجوب اللطف بمقتضى الحكمة الإلهيّة كرامةً ولطفاً بعباده وتكليفه كما تقدّم توضيحه، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ من الرحمة الإلهية تتجلى في عدم ترك الإنسان مهملاً على حاله غارقاً في أهوائه وشهواته، بل أنّ لطفه تعالى بعباده يقتضي إرسال الرسل

→

➔

وأنزل الكتب، ونصب الأئمة المعصومين عليهم السلام ليبين لهم طريق الرشد من الغي، وطريق الهدى من الضلالة، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، ليسعدوا ويفلحوا في دنياهم وأخراهم. ولذلك قال تعالى في وصف خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٧). فقد بشّر سبحانه وتعالى الناس بوجود النبي صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين. والتعبير بالعالمين له إطار واسع يشمل كلّ البشر على امتداد الأعصار والقرون، ولهذا يعتبرون هذه الآية المباركة إشارة إلى خاتميّة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، لأنّ وجوده رحمة وقدوة لكلّ الناس إلى نهاية الدنيا. ولقد وردت في هذا المجال آيات وروايات كثيرة بيّنت هذه الحقيقة بصورة واضحة، ومجموعها تدلّ على أن الرسالة قد ختمت بسيّد الكائنات، المنعوت بأجلى الآيات والصفات، نبي الرحمة، الرسول المؤيّد، والنبي المسدّد، تلك الرسالة العظيمة، وذلك الرسول المبعوث رحمة للعالمين والناسخ بشريعته السمحاء شرائع الأولّين وهاد الناس من حضيض الذلّ والمهانة إلى أوج العظمة، والعزّة والكرامة. حتى غيّر جميع العادات الجاهليّة، بل وكلّ أسباب الشقاء والحرمان والانحراف والضلال ببركة نصب الإمام المعصوم من بعده، مع بقاء التكاليف الشرعيّة، لأنّ الوقائع غير محصورة والحوادث غير مضبوطة فلا يكفي الكتاب والسنّة بلا قائد إلهي وبلا معلّم رباني، فلا بدّ من إمام منصوب من قبل الله سبحانه وتعالى معصوم يعصم الناس عن الضلال، ويسعى إلى إرشادهم نحو الحقّ ودعوتهم إلى الصراط المستقيم والطريق الذي يحصل به الوصول إلى مدارج قرب رب العالمين، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٧)، فأهل الذكر هم الذين عندهم علم الكتاب وهم الأئمة الهداة عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله. فإنّ الإمامة كالنبوّة في هذه الحقيقة ولا تختلف عنها،

🡐

فمن اهتدى بهم فلنفسه ومن ضلّ عنهم ولم يتابعهم فعليها[1]،

➔

إلاّ أنّ هنالك فوارق دقيقة، وفق هذا المفهوم لا بدّ من تفصيله كما سيأتي البحث فيه مفصّلاً إن شاء الله تعالى. وعليه فلا يحقّ للبشر أن ينتخب ويعيّن الإمام، لأنّ مقام الإمام كمقام النبي في الرسالة السماوية نشر المعارف الدينية، فكما لا يحقّ لهم أن انتخاب النبيّ كذلك لا يحقّ لهم انتخاب الإمام. فالشيعة تعتقد أنّ الإمامة منصب إلهي، وليس من شأن البشر يقيدها، وفي السنّة الشريفة أحاديث متواترة ومستفيضة في هذا الشأن، فقد روى المسلمون جميعاً أحاديث صحيحة تؤكّد على حصر الإمامة بأشخاص محدودة عددهم بالاثني عشر، وقد عيّن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله خليفته من خلال روايات متواترة لدى الفريقين، فأخرج أحمد في مسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلّى الظهر وأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). فمن اهتدى بهم وبقي على إيمانه، ووفى ببيعته، فأولئك هم المفلحون، لاشتمالهم على الحقّ وتمسّكهم به، ومن لم يهتد بهداهم وشقي فهو في قعر الهلاكة والضلالة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ (سورة يونس:١٠٨). لقد أكّدت الآية على أنّ كلّ ما يترتّب على

🡐

←

الهداية من التعاليم والكتب السماوية والأدلّة الحقّة قد جاءت من قبل الله تبارك تعالى لسعادة الناس، وبملاحظة هذه الحقيقة: فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل، أي إنّي لست مأموراً بإجباركم على قبول الحقّ، لأنّ الإجبار على قبول الإيمان لا معنى له، لأنّ إيمان المكره ليس بإيمان حقيقةً. ولا أستطيع إذا لم تقبلوا الحقّ ولم تؤمنوا أن أدفع عنكم العذاب الإلهي، بل إن واجبي ومسؤوليتي هي الدعوة والإبلاغ والإرشاد والهداية والقيادة، أمّا الباقي فيتعلّق بكم، فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه وينتفع من هداية نفسه، ومن ضلّ فإنّما يضلّ على نفسه ويتضرّر به نفسه. فإنّ توجيهات القادة الإلهيّين والكتب السماويّة ما هي في الواقع إلاّ إبلاغ للرسالة السماوية قال الله تعالى: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ (سورة المائدة:٩٩). وهذا هو خطّ جميع الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله، فهم لا يداهنون في دعوتهم أبداً ولا يجاملون الباطل وأهله، متحمّلين كلّ عواقب هذه الصراحة والقاطعية. ومن ناحية أخرى فإن اهتدى الناس بالأنبياء والأولياء، فإنّ هدايتهم لا يزيد بها شيئاً على عظمة الله، ولا تنقص مخالفتهم شيئاً من جلاله الله، إذ ربّما يخيّل بعض أتباع الضلال أنّهم إذا ضلّوا، فإنّ وبال ضلالهم على أئمّتهم الذين أضلّوهم، وكما يتوهّم المقلّدون لآبائهم وأسلافهم أنّ آثامهم وأوزارهم لآبائهم وأسلافهم لا لهم. نعم لأئمّة الضلال مثل أوزار متّبعيهم، ولمن سنّ سنّة سيئة أوزار من عمل بها ولمن قال: اتّبعونا لنحمل خطاياكم آثام خطاياهم، لكن ذلك كلّه وزر الإمامة وجعل السنّة. وتحمّل الخطايا لا عين ما للعامل من الوزر، بحيث يفارق العمل عامله ويلحق المتبوع، بل إن كان عينه فمعناه أن يعذّب بعمل واحد اثنان، كما قال تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّلِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ**

→

حسبما دلّ على ذلك خبر الثقلين[1]

سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ (سورة الكهف:٢٩).

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث الثابتة الصحيحة عند علماء المسلمين ومحدّثيهم، وقد رواه كبار علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد عديدة صحيحة عندهم؛ قال ابن حجر: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (الصواعق المحرقة: ص ٢٣٠). وذكر المناوي نقلاً عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة، وكلّهم قد رووا هذا الحديث – أي حديث الثقلين – (فيض القدير ج٣: ص١٤). وقال السيّد الفيروزآبادي: إنّ سند الحديث قويّ جدّاً، فإنّ حديث الثقلين صحيح متواتر قد رواه أجلاّء الصحابة ومشاهيرهم عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كعليّعَلَيْهِالسَّلَامُ وأبي ذر وجابر وزيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وحذيفة بن أسيد وعبد الله بن حنطب وأبي هريرة وغيرهم كثير... (فضائل الخمسة ج٢: ص ٦١). وقد أفرد السيّد ناصر حسين في تتميم موسوعته العظيمة الموسومة بعبقات الأنوار لوالده السيّد حامد حسين اللكهنويقُدِّسَسِرُّهُ مجلّداً كاملاً، وضمّ إليه حديث السقيفة، وكان حصيلة بحثة أنّ حديث الثقلين رواه أربعة وعشرون صحابياً عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وروى عنهم تسعة عشر تابعياً، ثمّ ذكر الطبقات من بعدهم العلماء والمحدّثين والرواة قرناً بعد قرن، وأثبت في كلّ طبقة تواتر الحديث. وسنتعرّض – في محلّه – لأسناد الحديث وطرق أهل السنّة إن شاء الله تعالى. وإليك بعض متون الحديث مما رواه علماء أهل السنّة، فمنها: ما رواه الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «أيّها

➔
الناس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثمّ قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة ابن أسيد (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٣٢٧ ح٣٨٧٤).

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ قال: «إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا بم تخلفون» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٧).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول اللهﷺ بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات ثمّ راح رسول اللهﷺ عشيّة فصلّى، ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول، ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»، ثمّ قال: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرّات، قالوا: نعم، فقال رسول اللهﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٠).

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل النبيﷺ يوم الجحفة ثمّ أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنّي لا أجد لنبي إلاّ نصف عمر الذي قبله وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نصحت، قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ وأنّ البعث بعد الموت حقّ؟» قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره ثم قال: «وأنا أشهد معكم»، ثم قال: «ألا تسمعون؟» قالوا: نعم، قال: «فإني
➔

➔
فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا، والآخر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كنت أولى به من نفسي فعليّ وليه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (المعجم الكبير ج٥: ص ١٦٦).

ومنها: ما رواه مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب ثم قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي...» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام). وغيرهم .

وأمّا الحديث من حيث الدلالة فهو واضح أيضاً، إذ فيه نقاط دقيقة مبيّنة لبيانات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها ومن تلك النقاط: دلالة جملة إنّي قد تركت فيكم... على أنّ الكتاب والعترة تركة وميراث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أمّته؛ لأنّ نسبة النبي صلى الله عليه وآله إلى أمّته نسبة الأب إلى ولده، فإنّه صلى الله عليه وآله أخبر أمّته عن رحيله، وأنّ ربّه تعالى سيدعوه إلى جواره فيجيبه ويفارقهم كأنّي قد دعيت فأجبت، وأكّد عليهم أنّي تركت فيكم حصيلة عمري وثمرة وجودي شيئين
➔

←
كتاب الله وعترتي، فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبيﷺ، والانقطاع عن النبيﷺ انقطاع عن الله سبحانه أيضاً. وكان يكفي لبيان عظمة القرآن والعترة مجرّد إضافتها إلى الله تعالى ورسولهﷺ؛ لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، ولكن مع ذلك وصفهماﷺ بالثقلين ليدلّ على جوهرهما الغالي ووزنهما الثقيل. ونفاسة القرآن الكريم، وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول؛ لأنّ القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي الذي هو تبيان لكلّ شيء، وهو النور الذي أنزله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو النور والضياء الذي يبدّد للبشريّة ظلمات الكفر والحيرة، ويحدّد لهم المنهج الصحيح في بيداء الضلالة ليرشدوا ويسعدوا. ثمّ وصف العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامهﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن – في كلام النبيﷺ – إلاّ إذا كانت العترة فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿**تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النحل:٨٩)، شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿**لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة الفصّلت:٤٢) شريكاً في عصمته.

ويدلّ قولهﷺ: «لن يفترقا» أو «لن يتفرّقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة الطاهرة بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وذلك أنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله لكافّة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام وإشاراته للعلماء ولطائفة للأولياء وحقائقه للأنبياءعليهم السلام، فيلزم من جملة لن يفترقا أن تكون العترة كذلك وفي بعض صيغ حديث الثقلين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما واهتداء الانسان لا يتيسّر إلاّ بالتعليم والتربية بالوحي الإلهي. وبقانون التناسب
←

وغيره[١]. فثبت ممّا بيّناه مطابقة ما قالته الشيعة لما جائت به الشريعة، فقولهم حقّ وصدق وحكمة[٢].

➔

والسنخيّة، لا بدّ أن يكون لكتاب الوحي الإلهي الذي يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدّونة من معلّم يعلم معالمه وحدوده.

وفي تفسير قوله صلى الله عليه وآله «لا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر في وصف أهل البيت عليهم السلام: وتميّزوا عن بقية الصلحاء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً... (إلى أن قال): ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم علي ابن أبي طالب عليه السلام، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبوبكر: عليٌّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدير خمّ (الصواعق المحرقة: ص١٥٩). وإلى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنّة في شرح الحديث، فالحديث يدلّ بالصراحة على أنّ وجوب طاعة العترة الطاهرة عليهم السلام، كوجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله فطاعة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله واجبة، لأنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من العترة الطاهرة فلاحظ.

(١) وذلك كحديث السفينة، وحديث المنزلة، وحديث الكساء، وحديث الغدير، وغير ذلك من الأحاديث.

(٢) وملخّص الكلام أنّ الاهتداء لا يكون إلاّ عن طريق الوحي والحجّة الإلهية؛ لأنّ الاهتداء فرع الاقتداء، فإذا وجب الاقتداء بالهداة الإلهية يحصل الاهتداء كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (سورة البقرة:١٣٧). فالاهتداء يحصل بالاقتداء كما أنّ أحد معاني الاهتداء في اللغة هو الاقتداء، قال الراغب: ويقال

➔

➔
للمهتدي لمن يقتدي بعالم نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة المائدة:١٠٤)، تنبيهاً أنّهم لا يعلمون بأنفسهم... (انظر مفردات القرآن للراغب: ص٤٥١، مادّة الهاء). ومن هنا اتّضح أنّ الاهتداء الحقيقي يعرف من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (سورة الإسراء:٩٧). فإنّ المستفاد من الآية أنّ الهداية الحقيقيّة هي الاهتداء الربانيّة، وهي التي تكون مؤثّرة، ويكمل بها الإيمان وتتحتّم معها السعادة. وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٧٨). فالاهتداء لا بدّ أن يكون بسبب الحجّة الإلهية، بأنّ يقيم الهادي المنصوب من قبل الله عزّ وجلّ الحجّة على الخلق. فالشيعة الإماميّة تقول: أنّ الهداية تتحقّق بإرشاد بالهداة الإلهية الذين أوجب الله تعالى متابعتهم والاقتداء بهم. وعليه لا بدّ أن يكون الهادي المنصوب من قبل الله معصوماً، لأنّ الاهتداء الحقيقي إنّما يحصل بالاقتداء على نحو الإطلاق والإقتداء على نحو الإطلاق يستلزم العصمة وإلاّ سوف يقع في الضلال. وعليه فمن جعله الله تعالى هادياً ومبلّغاً لدينه لا بدّ أن يكون معصوماً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ (سورة يونس:٣٥). فجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين تصدّوا مقام الهداية الربانيّة من قبل الله عزّ وجلّ لا بدّ أن يكونوا معصومين. ويعرف هذا المعنى من قاعدة اللطف والحكمة الإلهيّة. وكذلك الأمر في أوصياء الأنبياء عليهم السلام، فإنّ الاهتداء بهم موقوف على الأخذ بعلومهم ومعارفهم، كما أنّ الاهتداء بالكتاب موقوف على الأخذ بمعارفه وأسراره. وبعبارة أوضح حيث أنّ معرفة حقائق الكتاب يحتاج إلى معلّم خبير لا
➔

وعاشرها: ما زعمه من وجوب العدول عن المنصوص عليه لحصول الشرّ من سفك الدم بين أهل القبلة في إمارته وعدم حصول ذلك، بل وقد حصل المقصود في إمارة غيره[1]،

➔

يخطأ في فهم حقائقه وتبيين معارفه، فلا يحصل ذلك إلاّ بمعلم معصوم كالنبي صلى الله عليه وآله أو من يقوم مقامه الذي له صفات النبي صلى الله عليه وآله كالعلم والعصمة وغير ذلك، هم الأئمة الهداة من العترة الطاهرة عليهم السلام الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله عدلاً للكتاب العزيز إلى يوم القيامة، وقد شبّههم صلى الله عليه وآله في حديث آخر بسفينة نوح عليه السلام في أنّ من لجأ إليهم في الدين وأخذ أصوله وفروعه عنهم نجا من عذاب النار، ومن تخلّف عنهم كمن تخلّف يوم الطوفان عن سفينة نوح عليه السلام قد أدركه الغرق. فالاهتداء إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام كالاهتداء برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، فكما يجب على كلّ مسلم الاقتداء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في جميع الأحوال، كذلك يلزمه الاقداء بالأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام إلى يوم القيامة... فهذه الحكمة هي الحكمة الإلهية في هداية الناس فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد زعم ابن تيمية بأنّ كلّ إنسان إذا أدرك بعقله القاصر ورأيه الفاسد المصلحة في العدول عن الإمام المنصوص عليه من قِبل الله عزّ وجلّ فمن حقّه العدول...

ولكن لا يخفى على الخبير بطلان ما زعمه على جميع المباني عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم، لأنّ الإيمان الحقيقي لا يصحّ العدول عنه، إذ العدول عن الإيمان الحقيقي معناه الكفر، لأنّ الإيمان الحقيقي مقرون بالعلم والاعتقاد والعمل الصالح الذي يُحقّق به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مهما كان عند صاحبه فهو طريق الحق عنده، والعدول عنه عدول وإعراض عن الحقّ عنده. وبعبارة أخرى أنّ

➔

➔

الإيمان إمّا مستقرّ وإمّا غير مستقرّ، فالإيمان المستقرّ في النفس، هو الإيمان الذي حصل اليقين القلبي به، وبعد حصول اليقين لا معنى للقول بالعدول عنه. وبعبارة أخرى أنّ المسلم عندما ملأ قلبه حبّ الله عزّ وجلّ فلا يتغيّر أبداً. فيُسمّى ذلك الإيمان القلبي أو الإيمان المستقر، ومقرّه القلب. وإذا دقّقنا أكثر سنجد أنّ الإيمان والكفر إنّما يتبعان صفات موجودة في القلب، فلا يُمكن تحقّق الإيمان إلاّ بعد التزكية، كما أنّ الكفر والنفاق من آثار رذائل الصفات، ولا يُمكن إزالة النفاق والكفر إلاّ بعد إزالة مبدئهما من حبّ الدنيا والنفس. فالإيمان الحقيقي إنّما يستقرّ في القلب وتظهر آثاره في اللسان والجوارح والأركان بعد ثبوته وتحقق مقدّماته، في القلب بالبرهان اليقيني والدليل القطعي. ولذلك قال تعالى: ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ (سورة الحجرات:١٤). وطبقاً لمنطوق الآية فإنّ الفرق بين الإسلام والإيمان أنّ: الإسلام له شكل ظاهري قانوني، إذ يتحقّق بذكر الشهادتين باللسان، فيجعل من تشهد بالشهادين في زمرة المسلمين وتجري عليه أحكام الإسلام. أمّا الإيمان الحقيقي فهو أمر واقعي وباطني، ومكانه قلب الإنسان. فإنّ الإسلام ربما يكون عن دوافع متعدّدة ومختلفة بما فيها الدوافع الماديّة والمنافع الشخصيّة، إلاّ أنّ الإيمان ينطلق من دافع معنوي، ويسترفد من منبع العلم والاعتقاد، وإلى هذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في تعبيره البليغ الرائع: «الإسلام علانية والإيمان في القلب» (انظر بحار الأنوار ج٦٥: ص٢٣٩، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٣٤). وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «الإسلام يحقن الدم، وتؤدّى به الأمانة، وتستحلّ به الفروج، والثواب على الإيمان» (الكافي ج٢: ص٢٤). وحيث أن الحصول على هذا الأمر الباطني أي الإيمان ليس سهلاً، فالآية التالية تتحدّث عن

➔

➔

علائمه التي تميز المؤمن حقّاً عن المسلم والصادق عن الكاذب، فتقول الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (سورة الحجرات:١٥). فأوّل علامة للإيمان هي عدم التردّد في مسير الإسلام، والعلامة الثانية: الجهاد بالأموال، والعلامة الثالثة: التي هي أهمّ من الجميع الجهاد بالنفس. وهكذا فإنّ الإسلام يستهدف في الإنسان أجلى العلائم ثبات القدم وعدم الشكّ والتردّد من جهة، والإيثار بالمال والنفس من جهة أخرى. فكيف لا يرسخ الإيمان في القلب والإنسان لا يقصر عن بذل المال والروح في سبيل المحبوب؟! ولذلك فإنّ الآية تختتم مؤكّدة بهذا القول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. وهذا هو المعيار الذي حدّده القرآن والروايات لمعرفة المؤمنين الواقعيين وتمييزهم عن الكاذبين المدّعين بالإسلام تظاهراً، وهذا المعيار يصلح لكلّ عصر وزمان للفصل بين المؤمنين الحقيقيين عن المتظاهرين بالإسلام. ولبيان قيمة أولئك الذين يمنّون بأن أسلموا على يد النبيصلى الله عليه وآله وذلك بحسب الظاهر، وعند التطبيق والعمل لا يوجد فيهم أقلّ علامة من الإيمان أو الإسلام. وفي قبال أولئك رجال لا يدّعون شيئاً ولا يمنّون، بل يرون أنفسهم مقصّرين دائماً، وفي الوقت ذاته هم في طليعة المضحين والمؤثّرين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. ولو أنّا اتّخذنا معيار القرآن لمعرفة المؤمنين الواقعيّين وتمييزهم عن سواهم لما كان معلوماً من خلال هذا العدد الهائل من آلاف الآلاف والملايين ممّن يدّعون الإسلام كم هم المؤمنون حقّاً؟! وكم هم المسلمون في الظاهر فحسب؟

إن قلت: إن كان الأمر كذلك فما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾

➔

➔

(سورة النساء:١٣٧)؟

قلت: ما جاء في هذه الآية فهو من باب التماشي لما جاء في الآية السابقة وهو قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءامنُواْ بِٱللَّه وَرَسُوله وَٱلْكتَاب ٱلَّذى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُوله وَٱلْكتَاب ٱلَّذى أَنزَلَ من قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه وَرُسُله وَٱلْيَوْمِ ٱلآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾ (سورة النساء:١٣٦). فإنّ الخطاب في الآية يكون موجّهاً لعامّة المؤمنين، أولئك الذين اعتنقوا الإسلام إلاّ أنّه لم يتغلغل بعد في أعماق قلوبهم، ولهذا السبب يطلب منهم أن يكونوا مؤمنين من أعماق قلبهم. كما يوجد احتمال آخر، وهو أنّ الكلام في هذه الآية موجه لجميع المؤمنين الذين آمنوا بصورة إجمالية بالله والأنبياء، إلاّ أنهم ما زالوا لم يتعرفوا على جزئيات وتفاصيل العقائد الإسلامية. ومن هذا المنطلق يبين القرآن أنّ المؤمنين الحقيقيين يجب أن يعتقدوا بجميع الأنبياء والكتب السماوية السابقة وملائكة الله، لأنّ عدم الإيمان بالمذكورين يعطي مفهوم إنكار حكمة الله، فهل يمكن أن يترك الله الحكيم الملل السابقة بدون قائد أو زعيم وبدون مرشد رباني في حياتهم؟ والمهم أنّ الآية تشير إلى وضع الكفّار وضلالهم البعيد، فتقول: أنّ من الكفّار الذين يَتَلوَنونَ في كلّ يوم تلون الحرباء، فهم في يوم إلى جانب المؤمنين، وفي يوم آخر إلى جانب الكفّار، ثمّ إلى جانب المؤمنين، وفي النهاية إلى جانب الكفّار المعاندين، حتّى يموتوا على هذه الحالة. فالآية تتحدّث عن مصير أفراد كهؤلاء، وتؤكّد بأنّ الله تبارك لن يغفر لهم أبداً، ولن يرشدهم إلى طريق الصواب: يغفر ذنوب المؤمنين، ولكن حيث هؤلاء لم يؤمنوا بالله حقّاً فلن يغفر الله لهم أبداً. فمعنى قوله تعالى آمنوا أي تظاهروا بالإيمان ولم يؤمنوا حقيقةً، ولذلك نجد أنّ الله تبارك تعالى مثل للإيمان الحقيقي مثالاً واضحاً فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً

➔

➔
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾ (سورة التحريم:١٠). قال القرطبي في تفسير الآية: ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على أنّه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين. أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما – لما عصتا – شيئاً من عذاب الله، تنبيهاً بذلك على أنّ العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة. ويقال: إن كفّار مكّة استهزءوا وقالوا: إن محمّداًصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه يشفع لنا، فبيّن الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفّار مكّة وإن كانوا أقرباء، كما لا تنفع شفاعة نوحعَلَيهِالسَّلَام لامرأته وشفاعة لوطعَلَيهِالسَّلَام لامرأته، مع قربهما لهما لكفرهما. وقيل لهما: ادخلا النار مع الداخلين في الآخرة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ (سورة التحريم:١١)، واسمها آسية بنت مزاحم. قال يحيى بن سلام: قوله ضرب الله مثلاً للذين كفروا، مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، ثمّ ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران، ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين (انظر تفسير القرطبي ج١٨: ص٢٠١). وقال ابن أبي الحديد: الايمان الحقيقي، وهو الثابت المستقرّ في القلوب بالبرهان اليقيني... وإمّا أن يستند إلى تقليد وحسن ظنّ بالأسلاف، وقد جعلهعَلَيهِالسَّلَام عواري بين القلوب والصدور، لأنّه دون الثاني فلم يجعله حالاً في القلب، ورد قولهعَلَيهِالسَّلَام إلى أجل معلوم إلى القسمين الأخيرين، لأنّ من لم يبلغ درجة البرهان ربما ينحط إلى درجة المقلّد، فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم، لكونه في معرض الزوال... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي
➔

فإنّه من أعظم الجرأة وأقبحها على من عصمه سبحانه بالوحي حتّى من الخطأ[(١)]،

➔

الحديد ج١٣: ص١٠٢). فتبيّن للقارئ الكريم أنّ ما زعمه ابن تيمية من وجوب العدول عن المنصوص... زعم باطل، إذ الكتاب والسنّة يدلاّن على أنّ الإيمان الحقيقي لايمكن العدول منه، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ ما زعمه ابن تيمية من أدّل الدليل على نصبه وجرأته وعدائه للنبي الأكرمﷺ وبغضه لآل البيتعليهم السلام، ومخالفته الصريحة للنصوص النبويّة، بل أنّه فتح باباً واسعاً لأتباعه للمخالفة مع النبي الأكرمﷺ وعدم احترامه له، وتجرّأه على جميع المقدّسات الإسلامية ومحو الآثار الإسلامية وبالتالي الدفاع المستميت عن بني أمية واتّباعهم ، وذلك لإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. فمن جرأته على الله ورسولهﷺ وآل البيتعليهم السلام أنّه أفتى بعدم جواز التوسّل والتشفّع برسول اللهﷺ قائلاً: لا فائدة لهﷺ بعد وفاتهﷺ -والعياذ بالله- وقال: لا يجوز التوسّل به أو التشفّع لديه أو الدعاء بحقّه أو التوجّه بجاهه العظيم، لأنّه يفضي إلى الشرك (انظر السلفية: ص٦٥، نقلاً عن الدرر الكامنة ج١: ص١٥٥). هذا من جهة، ومن جهة أخرى عندما أراد أنّ يبرز بغضه لأهل بيت النبيﷺ جعل يتناقض، ويقول: التوسّل بدعائه -رسول اللهﷺ- وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأمّا بدون الإيمان به فالكفّار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة، ولهذا نهي عن الاستغفار لعمّه أبو طالب وأبيه عبد الله وغيرهما من الكفّار (انظر التوسل والوسيلة لابن تيمية: ص٣٣-٣٤). ثمّ يتجرّأ على رسول اللهﷺ ويقول: وقد يدعو الرسولﷺ لبعض الكفّار بأنْ يهديه الله أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة حتّى هداها الله!!! وكما دعا لدوس قبيلة أبي هريرة فقال: اللّهم اهد دوساً وائت بهم

➔

➔

فهداهم الله (انظر التوسّل والوسيلة لابن تيمية: ص٦). بينما نلاحظه ينقل في مكان آخر من نفس هذا الكتاب ويقول: لا يجوز للنبي الدعاء لوالديه، واستدلّ على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: أنّ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله قال: استأذنت ربّي أنْ أستغفر لأمي فلم يأذن لي (انظر التوسل والوسيلة لابن تيمية: ص٦). ولا ندري ما هو مكانة النبي صلى الله عليه وآله وأبائه صلى الله عليه وآله لدى هؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون حديثاً، هل كان آباء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّه وأبيه، وعمّه، وجدّه كلّهم كفار ومشركين -والعياذ بالله- ولا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يستغفر لهم، ولكن مع ذلك كلّه يجوز له صلى الله عليه وآله عند هؤلاء الجهلة أن يستغفر النبي صلى الله عليه وآله لأمّ أبي هريرة الدوسي وأمثاله كائناً من كان!!!

فكأنّما الاستغفار والشفاعة والانتشال من عذاب النار لا يجوز فقط لأمّ رسول الله صلى الله عليه وآله أو لأبيه صلى الله عليه وآله أو لجدّه صلى الله عليه وآله أولئك العظام الذين هم في الذروة والسنام من الفضائل والمكارم، فكيف يتجرّأ عليهم الرجل في مثل هذه المقالة السخيفة؟! حاشا وكلاّ، هذه ليست إرادة الله ولا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن هذا قول ابن تيميّة وحكم السلفية بآباء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، عليهم ما يستحقّون من الله يوم الحساب.

وأمّا موقفه من أهل البيت الأطهار عليهم السلام، فإنّنا نقلنا لُمعاً منها لا سيّما ما جاء به بحقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وخصومته مع الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام ونهضة سيد الشهداء عليه السلام المباركة... لكلّ ذلك له آراء واضحة وصريحة وأقوال قبيحة نبيّن بعضها للقارئ الكريم إن شاء الله تعالى من خلال المباحث الآتية ليعرف الباحث ما ينطوي عليه الرجل من البغض والنصب لأهل البيت عليهم السلام.

ولو تأمّل الباحث في كلماته يجد أنّه كان مؤيّداً لكلّ أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل

➔

➔

بيته عليهم السلام، ومبرّراً لأعمالهم بحجج واهية وأقوال داهية، ليس فيها إلاّ الباطل، بل وكان يقول أنّ معاوية ويزيد وأولئك الذين حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام كانوا مجتهدين لا شيء عليهم، وإن كانوا مخطئين فخطأهم مغفور عنده، بل يدعي أنّهم مثابون على ما فعلوا من الإجرام ضد أهل البيت عليهم السلام، لأنّ قصدهم واجتهادهم كانت في طلب الحقّ... (انظر كتاب رأس الحسين عليه السلام لابن تيمية: ص٢٠٤). فاعتقد أنّ معاوية لم يخرج على إمام زمانه، وإن حاربه. ولكن بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّه خرج على إمام زمانه، وهو أوّل من خرج في الإسلام على ولاة الأمر (انظر منهاج السنّة ج٤: ص٥٣٥). انظر إلى شدّة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام لا سيّما عدائه للإمام الحسين عليه السلام. وإن كان محاولته في تبرئة معاوية ويزيد لا قيمة لها بعد وضوح حالهما وعدائهما الشديد، وحقدهما الوطيد على سيّدنا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنّ الأدلة المتفق عليها بين الفريقين تدلّ على ذلك ، فقد روى مسلم في صحيحه أن معاوية أمر سعداً بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام فامتنع سعد عن ذلك، واعتذر بذكر فضائل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام منها حديث المنزلة (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب من فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام). فإنّ معاوية الذي كان يسبّ أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يأمر الناس بهذا العمل الشنيع بنصّ الرواية التي رواها مسلم في صحيحه. فلا عجب من ابن تيمية ودفاعه عن معاوية؛ لأنّ معاوية امامه، كما أنّ محاولته لتبرئة يزيد أيضاً لا عجب منه؛ لأنّ يزيد بن معاوية شارب الخمور والمعلن بالفسوق، وناكح الأمّهات والأخوات، وقاتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، والهاتك لحرمة أهل البيت عليهم السلام، ومستبيح المدينة المنوّرة، وحارق الكعبة، وقاتل

➔

فإنّ السنّي قد جعل شريعة من عند نفسه لمن خصّ نطقه بالوحي، فأوجب عليه وعلى من صدّق به العدول عن خليفته الذي جعله حجّة على الناس من بعده من حيث محاربته لمن صال عليه ممّن أسلم بلسانه ولم يسلم بجنانه(١)،

➔

الصحابة والقرّاء، وهاتك أعراض المسلمين إمام ابن تيمية. والحديث عن يزيد وسوء سيرته وقبح سريرته طويل، وإذا أردنا أن نعرف كوارث تولّي يزيد على الأمّة الإسلامية وموقفه من الضغائن والأحقاد البدرية والأحدية لطال بنا المقام.

ثمّ أعجب منه أولئك، الذين يشاهدون هذه التصرّفات الفاضحة منه والأخطاء والنصب والعداء الشديد لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك يدافعون عنه دفاع المستميت ويعتبرونه شيخ الإسلام، ويبرّرون جميع ما صدر منه وإن كان مخالفاً لله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهل يمكن لإنسان أن يدعي الإسلام والإيمان ويجعل يزيد بن معاوية إمامه؟!!!!

(١) وتوضيح المقام أنّ الدليل الذي أقامه ابن تيمية حسب زعمه على وجوب العدول عن الخليفة المنصوص عليه من قِبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله هو أنّ الخليفة المنصوص عليه قد حارب من تنافس عليه، وإن كانت إرادة من حاربه غصب الخلافة، بل وكان الغاصب للخلافة لم يؤمن بالله قلباً ولو بمقدار طرفة العين فهذا يكون دليله على مدّعاه، ولكن لا يخفى على الباحث ما يرد عليه، لوضوح أنّ الاعتقاد بالشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله يستلزم الاتّباع منه في جميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا معنى للاعتقاد ببعض الإمور الدينيّة وبحسب المشتهات النفسيّة. فإذا كان ابن تيمية يشترط في الامتثال النبي صلى الله عليه وآله بما تشتهيه نفسه فمعناه أنّه لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله حقّاً، بل ايمانه مشروط بقبول ما تقتضيه هواه النفسية. ولذلك أنّه بذل جهده في إنكار سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وأقواله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا والإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فحاول أن يحرّف حديث الغدير عن دلالته كما حاول إنكار

➔

➔

جميع النصوص النبويّة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وأيضاً بذل جهده الجهيد على أن ينكر جميع ما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وآله في مقام أهل البيت عليهم السلام، تلك الحقائق الجليّة التي هي من ضروريات الإسلام، التي أكّد عليها القرآن والروايات النبويّة صلى الله عليه وآله في هذا المجال، ووصل الأمر به إلى حدّ أنّه إذا وجد نصوصاً جليّةً في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، فكأنّما يرى ذلك معاداةً لنفسه، فيغضب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله حينما يرى أنّ الله تعالى جعل مودّة أهل البيت عليهم السلام أجراً لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، وعندما يجد الخليفة المنصوص عليه حارب الغاصبين للخلافة يشتعل عنده غضب العداء لأهل البيت عليهم السلام ويقول يجب العدول عن الخليفة المنصوص عليه من قِبل الله عزّ وجلّ.

وقد أكدّ كبار علماء أهل السنّة على هذه الحقيقة لابن تيمية، منهم: السبكي حيث قال في خطبة كتابه " الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية " ما هذا لفظه : أمّا بعد فإنّه لما أحدث ابن تيمية في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان متستراً بتبعية الكتاب والسنّة، مظهراً أنّه داع إلى الحقّ، هاد إلى الجنّة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بخلافة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدّسة، وإنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأنّ القرآن محدث تكلّم الله به بعد أن لم يكن، وأنّه يتكلّم ويسكت، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزم بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات، فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل، ولا

➔

➔

نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأمّة، ولا وقفت به مع أمّة من الأمم همة وكلّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً، لكنّه تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع (بحوث في الملل والنحل ج٤: ص٤٢ نقلاً عن كتاب السبكي). وقال اليافعي في مرآة الجنان في حوادث سنة ٧٢٨ من الهجرة: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه. وله مسائل غريبة أنكر عليها وحبس بسببها... ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبيﷺ (انظر مرآة الجنان ج٤: ص٢٧٧). وقال أبو بكر الحصيني الدمشقي: فاعلم أنّي نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ، المتتبّع ما تشابه من الكتاب والسنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممّن أراد الله عزّ وجلّ إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب ربّ العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين (انظر بحوث في الملل والنحل ج٤: ص٤٥ نقلاً دفع شبه من شبه لأبي بكر الحصيني). وقال ابن حجر في ترجمته: ومنهم من ينسبه إلى الزندقة ، لقوله: إنّ النبيﷺ لا يستغاث به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبيﷺ، ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدّم، ولقوله أنّه كان مخذولاً حيثما توجّه، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، إنّما قاتل للرئاسة لا للديانة، ولقوله أنّه كان يحبّ الرئاسة... وعلي أسلم صبياً والصبي لا يصحّ إسلامه على قول (انظر بحوث في الملل والنحل ج٤: ص٤٧ نقلاً عن كتاب الدرر الكامنة في أعيان المأئة الثامنة لابن حجر العسقلاني). وعليه فإنّ من بغضه على رسول اللهﷺ أوجب العدول عمّا ذكره في شأن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والأئمة الطاهرينعليهم السلام.

ولا يخفى على الخبير أنّ مغاضبة الله تعالى ورسولهﷺ والمعاداة لهما كفر صريح،

➔

أما رويتم صحيحاً ما دلّ على ميتة من فارق السلطان بشبر ميتة جاهلية[1]،

➔

إذ من الواضح أنّ الإيمان يقتضي الطاعة والتسليم لأوامر الله ورسولهﷺ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (سورة النساء:٥٩)؛ كما أنّ الولاء والبراء شرط في الإيمان، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٨٣-٨٤). فالعدول عن الإمام أو الخليفة الذي عيّنه رسولهﷺ عدول عمّا جاء به الإسلام، لأنّ العدول معناه إنكار ما جاء به رسول اللهﷺ، ومن الواضح لدى الخبير أنّ إنكار ما جاء به رسول اللهﷺ إنكار لنبوّته وإنكار نبوّة رسول اللهﷺ كفر كما هو واضح لدى الخبير، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة التي رواها علماء الإسلام بمضامين مختلفة والمعنى واحد. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس عن النبيﷺ قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنّه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٣١٠ وغيرهم. ومعناه أنّ من خرج عن طاعة من تكون طاعته واجبة ومات فميتته ميتة جاهلية، أي أنّه مات على غير الإسلام. وإذا كان الأمر بالنسبة إلى ولاتهم إلى هذا

➔

ومن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فقد مات ميتة جاهلية[(١)]، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية[(٢)]، ومن مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية[(٣)]؛ إلى غيرها من السنن التي اعترفت أنت بصحّتها، وقد دلّت

➔

الحدّ فالخروج عن طاعة النبيﷺ بطريق أولى يكون كذلك، فلاحظ.

(١) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثمّ مات مات ميتة جاهلية (مسلم في صحيحه ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). هذا الحديث أيضاً معناه أنّ من خرج عن طاعة من تكون طاعته واجبة ومات فميتته ميتة جاهلية، أي أنّه مات على غير الإسلام. وإذا كان الأمر كذلك فالخروج عن طاعة النبيﷺ بطريق أولى يكون كذلك، فلاحظ

(٢) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن نافع، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبدالله ابن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول اللهﷺ يقوله سمعت رسول اللهﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو جماعة). هذا الحديث أيضاً معناه أنّ من خرج عن طاعة من تكون طاعته واجبة ومات فميتته ميتة جاهلية، أي أنّه مات على غير الإسلام. وإذا كان الأمر بالنسبة إلى ولاتهم إلى هذا الحدّ فالخروج عن طاعة النبيﷺ بطريق أولى يكون كذلك، فلاحظ.

(٣) لقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال

➔

على عدم ايمان من فارق السلطان[1]،

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية» (مجمع الزوائد ج٥: ص٢٢٥). هذا الحديث أيضاً معناه أنّ من خرج عن طاعة من تكون طاعته واجبة ومات فميتته ميتة جاهلية، أي أنّه مات على غير الإسلام. وإذا كان الأمر بالنسبة إلى ولاتهم إلى هذا الحدّ فالخروج عن طاعة النبي صلى الله عليه وآله بطريق أولى يكون كذلك، فلاحظ

(١) روى ابن تيمية: مثل ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية. فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: أنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله عزّ وجلّ ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، هذا حديث حدّث به عبد الله بن عمر لعبد الله بن مطيع لمّا خلعوا طاعة أمير وقتهم يزيد، مع أنّه كان فيه من الظلم ما كان... (انظر منهاج السنّة ج١: ص٣٨). فاستدلّ بالحديث في المقام وطبّقه على يزيد، وقال: أنّ يزيد بن معاوية كان أميراً وإماماً، فكان عبد الله بن عمر يرى أنّ بيعته كانت واجبة عليه، لأنّ يزيد كات إمامه الذي يجب عليه بيعته، وحيث لم يبايعه مباشرة، فكان يرى وجوب البيعة في ذمّته، وذلك لما نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله من أنّ من ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

وقال ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى: وأمّا أهل العلم فلا يرخّصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشّهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنّة قديماً وحديثاً. وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر لمّا قدم من أهل المدينة يخرجون عن طاعة ولي أمرهم، ينقضون بيعته، وفي صحيح

➔

فما معنى وجوب العدول عن إمام منصوب حارب المنافقين[(١)]؟

➔

مسلم عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان أمر الحرّة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً لقي الله يوم القيامة ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. وفي الصحيحين عن ابن عبّاس قال: رسول الله صلى الله عليه وآله من رأى أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه ليس لأحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه مات ميتة جاهلية. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات ملّت ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية (انظرمجموع الفتاوى لابن تيمية ج٢٥: ص١٢).

(١) وبعبارة أوضح لا بدّ لابن تيمية من الأخذ والالتزام بأحد طرفي النقيض في كلامه، فإمّا أن يلتزم بوجوب العدول عن الإمام المنصوب الذي يحارب أهل القبلة في إمارته، وإمّا يلتزم بالروايات الصحيحة الدالة على وجوب طاعة الخلفية والسلطان والأمير. في بعضها: أنّ من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن)، وفي بعضها: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وفي بعضها: من رأى أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه ليس لأحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه مات ميتة جاهلية (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وآله: سترون بعدي أموراً تنكرونها). وفي بعضها: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات

➔

فهل حارب أهل التقوى حتّى يلزم جهل أو ظلم من نصبه[(١)]؟

➔

ملّت ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢١ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). وإلى غير ذلك من الروايات التي هي حجّة عنده. فالقول بكلا الطرفين التزام بالمتناقضين، وهو باطل بالضرورة، ولا ندري كيف لأتباع ابن تيمية قبول المتناقضين منه بعد ضرورة عدم الاجتماع المتناقضين ولزوم الترجيح فيهما؟!!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما التزم به ابن تيمية تمسكاً لدلالة حديث من خرج على سلطان زمانه مات ميتة جاهلية وان كان هو من أهل التقوى. وتوضيحه: أنّه لو خرج أهل التقوى على سلطان زمانه الذي يدّعي التولّي على الناس، وإن كان السلطان من الطواغيت زمانه كيزيد بن معاوية، فيجب على الناس طاعته ومحاربة خرج عليه وإن كان من خرج عليه هو من أهل التقوى، وإن كان السلطان أهل الفسق والفجور. فهذا عقيدة ابن تيمية في المقام فإنّه يصرّح ويقول: نعم يجب محاربة أهل التقوى، وذلك لأنّ الإمام عنده من كان له القدرة والسلطة. وبعبارة أخرى: قد زعم ابن تيمية أنّ السلطان الظالم الجائر والفاسق إذا حارب أهل التقوى يجب على الناس أن يحاربوا أهل التقوى دفاعاً السلطان الظالم والفاسق. واستدلّ على ذلك بما رواه علماء أهل السنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّه من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه ليس لأحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه مات ميتة جاهلية. ومن خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، وإلى غير ذلك من الروايات. فيدعي أنّ العمل بهذه الرواية وأمثالها يقتضي عدم الخروج على مثل هذا الإمام وإن كان طاغوتاً كيزيد بن معاوية. وإذا خرج عليه أهل التقوى وحاربه فيجب على الناس مساعدة الحاكم ومحاربة أهل التقوى، وإن كان الحاكم

➔

وكيف يتصوّر وجود ديانة فيهم وهم محاربون من حبّه إيمان وبغضه نفاق(١)،

→
أهل الفسق والفجور والخمور كيزيد بن معاوية.

من الواضح لدى الخبير أنّ الحديث ليس مدلوله كما زعم ابن تيمية، وسنوضّحه إن شاء الله في محلّه، وعلى فرض دلالة الحديث على ما ادعاه فإنّه مخالف للكتاب العزيز بالضرورة كما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الصحيحة عند كبار علماء أهل السنّة ومشاهيرهم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. فقد روى مسلم في صحيحه، بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار والإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الايمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٩٥، وابن ماجه في سننه ج١: ص٤٢، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٦، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣ وغيرهم. ولا يخفى على الخبير أنّ هذا المعيار أوضح من أن يحتاج إلى بيان، إذ الحديث صريح في أنّ علامة المؤمن حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا شكّ أنّ المقصود بالمؤمن هو المؤمن الخالص الذي يعرف بالتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله كما أنّ الحديث يدلّ على أنّ أهل الجنّة علامتهم حبّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، لأنّ الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين في كتابه العزيز بالجنّة وذلك
←

ومن خذل الله خذله[1]؟

➔

مثل قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة التوبة:٧٢). فإذا كان حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان معناه أنّ حبّه عليه السلام علامة أهل الجنّة أيضاً، كما يدلّ الحديث على أنّ أهل النار علامتهم بغض الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، لأنّ الله تعالى وعدهم نار جهنّم كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:٦٨). إذ لو كان بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق فأهل النار علامتهم بغض الإمام عليه السلام. ولذلك أنّ هذه العلامة كانت شائعاً بين الصحابة حيث ورد في الحديث عن أبي ذر أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٩). وقد أكّد جابر بن عبد الله الأنصاري استعمال لفظ المؤمنين لهذا المعيار بقوله: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي بن أبي طالب (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص٤٦٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٣). وهذا هو المعيار والميزان الذي الحديث وقول الله عزّ وجلّ. وعليه فإنّ ما زعمه ابن تيمية من وجوب العدول يكشف عن بغضه الشديد للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والحديث صريح في أنّ من يعتقد بوجوب العدول عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو من المنافقين والكفّار، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى مدلول بعض فقرات حديث الغدير وهو قول النبي صلى الله عليه وآله:

➔

➔
«اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله...»، فقد صاحب كتاب مودّة القربى عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: «معاشر الناس، أليس الله أولى بي من نفسي يأمرني وينهاني مالي على الله أمر ولا نهي؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كان الله وأنا مولاه فهذا علي مولاه، يأمركم وينهاكم مالكم عليه من أمر ولا نهي، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، اللّهم أنت شهيد عليهم إنّي قد بلّغت ونصحت» (انظر كتاب الغدير ج١: ص٣٨٧). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأنّي دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن»، ثمّ أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه». يقول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩). وصحّحه الذهبي في تلخيصه في الهامش. وأخرج الحاكم أيضاً بسنده عن رفاعة بن أياس الضبي عن أبيه عن جدّه قال: كنّا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيد الله أن ألقني، فأتاه طلحة فقال: نشدتك الله هل سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: نعم، قال: «فلم تقاتلني؟» قال: لم أذكر! قال: فانصرف طلحة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧١). وإلى غير ذلك من الأحاديث فالحديث يدلّ على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دعا على من خذل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعليه فما زعمه ابن تيمية من وجوب
➔

وهل في من خذله الله يتصوّر خير فيجب من جهة قتل من خذله الله المعلوم نفاقهم عزل إمام الحقّ الذي يدور معه الحقّ حيث يدور[1]؟

العدول عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو من أهمّ مصاديق خذلان الإمام عليه السلام ومشمول لدعاء النبي صلى الله عليه وآله «اللّهم اخذل من خذله»، ومن الواضح أنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله مستجاب، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف المشهور، الذي رواه أكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من علماء أهل السنّة في كتبهم، بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة تفيد مجموعها التواتر، فرواه أكثر من عشرين صحابي، منهم أمير المؤمنين، أبو بكر، أبو ذر، عمّار، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، سلمان، أبو أيّوب الأنصاري، جابر بن عبد الله، سعد بن أبي وقّاص، عائشة، أمّ سلمة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (انظر شرح منهاج الكرامة للسيّد الميلاني ج٢: ص٩٥). فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليك بعض نماذج ممّا رواه كبار علماء أهل السنّة:

فمنها: ما رواه الترمذي بسنده عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة، دخل على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودّعها فقالت: سر في

➔

حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنّك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أنّي أكره أن أعصي الله ورسوله -فإنّه أمرناﷺ أن نقرّ في بيوتنا- لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني... قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

ومنها: ما رواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبيﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحبّ الخفي التقي»، قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً. وقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية ابن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقّاص وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عبّاس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا. قال:

➔

➔

فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتّى انكشفت. قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ! قال: فقال سعد: أما إذا أبيت فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»؛ قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة. قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنّه قال يعني لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، فقالت أمّ سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي. قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

ومنها: ما رواه ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحق لن يزال مع عليّ، وعلي مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا؟» قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥.

ومنها ما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال: ... استأذن أبو ثابت مولى علي ابن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ والقرآن، والحقّ

➔

➔

والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتّى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢).

ومنها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أن علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي ابن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وهي كثيرة جدّاً، لا يمكن استقصائها.

وتقريب الاستدلال بها على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضح؛ حيث أنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج:٦٢)، فالآية تؤكّد بأنّ المؤمنين ينسجمون مع قوانين التي ترتبط بشكل ما بالله تعالى، وأمّا غيره فباطل.

فقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ»، معناه أنّه هو المعيار للإيمان بالله عزّ وجلّ؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنزول محمّد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا إنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

➔

فمالكم كيف تحكمون[1]؟

➔

فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً، وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار»، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيرهم ممّن رووا هذا الحديث. فإذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المعيار للحقّ بحيث يدور الحقّ حيث ما دار، فإنّ ما زعمه ابن تيمية من وجوب العدول عنه، معناه وجوب العدول عن الحقّ ليس إلاّ؛ وهل يتصوّر وجود خير في من خذله الله، ومن فيه علامة النفاق، ومن هو من أبرز مصاديق الباطل؟!! حتّى يقال: بالعزل والعدول عن إمام الحقّ الذي قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حقه: يدور معه الحقّ حيث ما دار، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن المشركين فأجاب الله تعالى قائلاً لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (سورة يونس:٣٥). فالآية أمرت

➔

←

النبيﷺ بأن قول لهم: هل من شركائكم من يهدي إلى الحقّ، لأنّ المعبود الحقيقي هو من يرشد العباد إلى الهادي الذي يهدي إلى الحقّ. فيجب أن يكون هناك هادياً ومرشداً للعبادة، وأنّه يهدي إلى الحقّ. في حين أنّ آلهة المشركين، أعم من الجمادات أو الأحياء غير قادرة أن تهدي أحداً إلى الحقّ، ولذلك تضيف الآية مباشرة: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ**﴾. وإذا كان الحال كذلك ﴿**لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ**﴾، فالعبارة إشارة إلى أنّه لا فرق في مخالفة الرسولﷺ ومعاندته بين المشركين وابن تيميّة وأتباعه، حيث أنّهم ليس لديهم من يهديهم إلى والإمامة التى أكّد الله ورسولهﷺ عليها فهو وأتباعه أهل الضلال. وهذا السؤال يتوجّه إليهم: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾؟!!!

قال السنّي:

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ، فأتانا الله بالخير، فهل بعده من شرّ؟ قال: نعم، قلت: فهل بعده من خير؟ قال: نعم، صلح على دخن وجماعة على قذى، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سنّتي تعرف منهم وتنكر، قلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على باب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يارسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها. ومن طريق غيره وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان البشر، قلت: يارسول الله، كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للولي، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فكان أوّل خير النبوّة وإمامة الثلاثة لعدم الفتنة فيها، والشرّ ما حصل من الفتنة بقتل عثمان وتفرّق الناس حتّى صار حالهم حال الجاهليّة، يقتل بعضهم بعضاً. ولذلك قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله متكاثرون، فاتّفقت كلمتهم على إباحة كلّ دم ومال أصيب بالتأويل.

قال السنّي: فإنّ الضمان إنّما يكون مع العلم بالتحريم ومع الجهل به فالضمان منتف، ولذلك لم يضمن النبي صلى الله عليه وآله أسامة دم المقتول بالتأويل بعد قوله له: أقتلته بعد أن وحد الله ثلاثاً وما تقام الحدود على غير من علم

التحريم، والخير الثاني لما اصطلح الحسن ومعاوية لكنّه صلح على دخن وجماعة على قذى، أخبر بذلك حذيفة في إمارة عمر وعثمان قبل الفتنة، فإنّه لمّا بلغه مقتل عثمان علم أن الفتنة قد وقعت، فمات بعد ذلك بأربعين يوماً قبل المحاربة. ثمّ نقل عدّة أخبار دلّت على وجوب الطاعة للسلطان البرّ والفاجر ما لم يأمر بمعصيته نقلناه ملخّصاً[1].

---

(١) منهاج السنّة ج١: ص٥٥٧-٥٦٥

قلت: في هذه النبذة وجوه من الفساد(١):

(١) لقد يحتار العقل البشري في فهم مذهب ابن تيميه وأكاذيبه وافتراءاته ، حيث انّه قد اتّخذ في كتبه منهجاً فاسداً واتبعه السلفية وأخذوا بضلاله وزيف ثقافته فهو يلجأ بكلّ ما يمكنه من الاتّهام وتزوير والكذب والافتراء ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، حتّى أصبح الكذب عنده من أركان دينه، إذ الباحث عندما يراجع إلى كتبه يجدها مشحونة بأكاذيب والافتراءات والاتّهامات إلى طرفه المقابل بمختلف العناوين من الكفر والفسق والبدعة والزندقة والشرك وغير ذلك... ومع الأسف الشديد أنّ هذا النهج الفاسد قد اتّبعه السلفيّة وأخذوا منه سياسة العنف وثقافة الكراهية امتداداً من السقيفة لإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. ولا ندري كيف يمثل ابن تيميّة أهل السنّة مع وجود المغالطات الكثيرة في كلامه، بحيث يتعجّب الباحث من شدّة عناده للحقّ، حتّى أهل السنّة وأصحاب المدارس يتعجّبون من هذا النهج الباطل، حيث أنّهم يجدون في نهج ابن تيمية التلاعب بآيات القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة بأهوائه وميوله والمعاندة الشديدة للدين ، وسياسته المعادية لآل البيت النبوي عليهم السلام. ولا شكّ أنّ هذه الثقافة التي مارسها ابن تيميّة بحقد وهبوط الأخلاق إلى الحضيض يأباه أصحاب العقل السليم؛ إذ فضلاً عن أنّ يتحلّى بأخلاقيّة المتحاورين، فقد وصل الأمر به إلى إسقاط ثقافة الإسلام في مشروعه الفكري ووصوله إلى طريق مسدود، فلم يترك لمفتر أن ينافسه في كثرة افتراءاته ومغالطات.

في حين أنّ الإسلام أكّد على ضرورة الاستفادة من الدلائل والبيّنات والكتب ←

أحدها: ما نقله من خبر حذيفة[(١)]

السماوية، وضوابط القيم، وبيان الأحكام والقوانين... وذلك لأنّ القادة الإلهيين يحملون في أيدهم الكتب السماوية وهي مشعل الحقّ، ويدّعون الناس بالعقل والمنطق إلى العدل والحقّ.

ومن الواضح أنّ نهج الأنبياءعليهم السلام هو السير على طريق الحقّ والعدل، ولتأكيد هذا المعنى أنّ النصرة الإلهيّة إنّما تتحقّق بنصرة الدين والحاملين للوحي الإلهي لا للتعصّبات والمغالطات والمغابنات التي تجلب بها نفوس العوام للعداء والحقد على محمّد وآل محمّدعليهم السلام من سار على نهج أهل البيتعليهم السلام من شيعتهم ومواليهم من أجل تضليل الناس وترويج الفتن والوصول إلى الجاه والمال وحبّ الرئاسة، فلاحظ.

(١) وهو أبو عبد الله، حُذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، كان من أصحاب النبيصلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وشهد مع النبيصلى الله عليه وآله معركة أحد وكان مع أبيه حسيل بن جابر بن اليمان، فقُتل أبوه يومئذ. وكان من أصحاب سرّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، وقد صحّ عند الفريقين: أنّه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم، عرفهم ليلة العقبة حين أرادوا أن ينفروا بناقة رسول اللهصلى الله عليه وآله في منصرفه من تبوك، وكان حذيفة فيتلك الليلة آخذاً بزمام ناقة رسول اللهصلى الله عليه وآله يقودها، وكان عمّار من خلف الناقة يسوقها. وكان عدد المنافقين الذين همّوا باغتيال النبيصلى الله عليه وآله اثني عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر نفراً فتأمروا على قتل رسول اللهصلى الله عليه وآله وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول اللهصلى الله عليه وآله؛ فلمّا جنّ الليل تقدّم رسول اللهصلى الله عليه وآله في تلك الليلة العسكر، فأقبل ينعس على ناقته، فلمّا دنا من العقبة

➔

ناداه جبرئيل: «يا رسول الله، إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك»، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «من هذا خلفي؟» فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة ابن اليمان، قال: «سمعت ما سمعت؟» قال: بلى، قال: «فاكتم»، ثمّ دنا رسول الله صلى الله عليه وآله منهم فناداهم بأسمائهم، فلمّا سمعوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله فرّوا ودخلوا في غمار الناس، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وطلبوهم وانتهى رسول الله صلى الله عليه وآله بهم، فحلفوا أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يكتموا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ (سورة التوبة:٧٤). فأسرّ النبي صلى الله عليه وآله بأسمائهم إلى حذيفة، وكان حذيفة وعمّار ابن ياسر مع النبي صلى الله عليه وآله عند محاولة هذه المجموعة من المنافقين الذين كانوا يضمرون عداوة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. وروي أنّ حذيفة قال: يا رسول الله، ألا تبعث إلى كلّ رجل منهم فنقتلهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أكره أن يتحدّث الناس أن محمّداً يقتل أصحابه» (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص١٠٢). وأخرج بسنده عن صلة ابن زفر قال: قلنا لحذيفة كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ولا عمر؟ قال: إنّي كنت أسير خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، فنام على راحلته فسمعت ناساً منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلته فاندقّت عنقه الصيمرة منه، فسرت بينهم وبينه وجعلت أقرأ وأرفع صوتي، فانتبه النبي صلى الله عليه وآله فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة، قال: «من هؤلاء؟» قلت: فلان وفلان حتّى عدّدتهم، قال: «أو سمعت ما قالوا؟» قلت: نعم ولذلك سرت بينك وبينهم، قال: «فإنّ هؤلاء فلاناً

➔

➔

وفلاناً حتّى عدّ أسماءهم منافقون، لا تخبرن أحداً تسمية أصحاب العقبة» (المعجم الكبير للطبراني ج٣: ص١٦٥). ويستنتج من الأخبار أنّ تلك المجموعة التي كتم رسول الله ﷺ سرّهم ولم يفضحهم، وأمر ﷺ حذيفة ألاّ يفشي أسمائهم، لم تكن من رعاع القوم، وإنّما هم من من المعروفين في الصحابة، وهم أشدّ الناس فتكاً، بحيث أنّ قتلهم كان يؤدي إلى طرح ثقافة يتناقلها الناس بأنّ محمّداً ﷺ في آخر أيّامه بدأ يقتل أصحابه. وقد أخرج المتقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن حذيفة قال: مرّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا حذيفة، إنّ فلاناً قد مات فاشهده، ثمّ مضى... فرجع إليّ فقال: يا حذيفة، أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللّهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك، فرأيت عيني عمر جاءتا (كنز العمّال ج١: ص٣٦٩ ح١٦٢٢). وحيث أنّ عمر كان يعلم عدم رغبة حذيفة بالصلاة على جثمان أبي بكر. ولو كان يصرّح حذيفة باسم عمر في مجموعة المنافقين لقتله، واستمرّ عمر وأصحابه في التجسّس على الشاهدين والعارفين بأسماء منافقي العقبة لتصفيتهم جسدياً وهذه عادة معروفة لسلاطين الجور في حوادث التأريخ. فروى ابن عساكر: أنّه دخل عبد الرحمن على أمّ سلمة، فقالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً»، فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتّى دخل على عمر، فقال له: اسمع ما تقول أمّك، فقام عمر حتّى دخل عليها، فسألها، ثمّ قال: أنشدك الله أمنهم أنا؟ قالت: لا ولن أُبرئ بعدك أحداً. وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة، لذلك ذعرا من قول أُم سلمة وتركا شغلهما وجاءا إليها يسألانها. والظاهر أنّ عمر كان خائفاً جدّاً من هذا الموضوع، بحيث كان يسأل حذيفة وأمّ سلمة وغيرهما عن تلك المجموعة الملقبة بمنافقي العقبة! ولقد وقع حذيفة وأمّ سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وأنّ هذا

➔

➔
الحرج يتّضح من قولهما له: لن أبرئ بعدك أحداً، أي ولن أخبر أحداً بعدك، وقال نافع بن جبير بن مطعم بن نوفل القرشي وأبوه كان من أعداء النبيﷺ: لم يخبر رسول اللهﷺ بأسماء المنافقين الذين بخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً (تاريخ مدينة دمشق ج١٢: ص٢٧٧). وروى الغزالي في كتابه إحياء العلوم: بأنّ عمر بن الخطّاب كان يسأل حذيفة ابن اليمان بأنّ هل كان رسول اللهﷺ سمّاه في جملة المنافقين الذين أعلمه بأسمائهم؟ (انظر إحياء العلوم ج١: ص١١٤). وقد أخرج الهيثمي بسنده عن النعمان ابن بشير قال: خرج علينا رسول اللهﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء، فرفع طرفه إلى السماء ثم خفض حتّى ظننّا أنّه قد حدث في السماء شيء فقال: «ألا إنّه سيكون بعدي أمراء يظلمون ويكذبون، فمن صدّقهم بكذبهم ومالا هم على ظلمهم فليس منّي ولا أنا منهم، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه» (مجمع الزوائد ج٥: ص٢٤٧). وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة أنّه قال: أشهد الله أنّ اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول اللهﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حرة فمشى فقال: «إنّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ» (صحيح مسلم ج٨: ص١٢٣ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم).

والمهم أنّ جلالة شأن حذيفة وشجاعته وعلمه وتمسّكه بأمير المؤمنينعليه السلام ظاهرة بيّنة، وهو من كبار الصحابة، فاهتمام ابن تيمية بنقل الحديث المكذوب عن حذيفة الذي كان معروفاً بالتشيّع من خديعته ومكره لغشّ العوام من أهل السنّة، وتضليلهم بالأكاذيب والأباطيل. للتأكيد على كذبه أنّه نقل الخبر عن صحيح مسلم وقد ورد فيه عن حذيفة بن اليمان أنّه قال: كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير
➔

وغيره على فرض مدخليّته في المقام[١]، فإنّه ليس بحجّة على الخصم؛ لعدم صحّته عنده[٢]،

➔

وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ونحن نكشف القناع عن زيف ادّعائه في المباحث الآتية بتوفيق الله تعالى.

(١) انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن. فإنّ الباحث لو أمعن النظر في الحديث يتوجه أنّ الحديث لا يرتبط بالمقام. وعلى فرض دلالته فإنّه يدلّ على خلاف ما ادّعاه ابن تيمية، كما سيتّضح ذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) وذلك لأنّ من الواضح الضروري أنّ احتجاج كلّ فريق مع طرفه الآخر لا بدّ أن يكون أساس حجّة عند خصمه، لأنّ من شرائط الاحتجاج أو المناظرة أن يحتجّ كلّ من الطرفين على الآخر بما هو الحجّة عند الطرف الآخر. وقد أجمع المسلمون كافّة على حجيّة كتاب الله والسنّة النبويّة الشريفة، كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

🡐

لأنّه ممّا تفرّد بنقله من تسمّى بأهل السنّة[1]،

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء:٥٩). أمّا الرجوع إلى القرآن الكريم فهو واضح لا لبس فيه، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين. فإن أمكن استظهار اللفظ منه ولو بالمراجعة إلى كتب اللغة فهو، وإلاّ وجب الرجوع إلى السنّة النبويّة باعتبار أنّها المصدر الثاني للتشريع ولكونها المرجع لفهم ما أغلق من ألفاظ القرآن الكريم ومعرفة مقيداته ومخصّصاته و...

وبعبارة أخرى: أنّ السنّة النبويّة بيان للقرآن الكريم، بتفصيل مجمله، وتفسير ما أغلق من معانيه، وتخصيص عامّه، وتقييد مطلقه، وردّ متشابهه إلى محكمه، وشرح أحكامه، وبيان ما سكت عنه. وقد أجمع المسلمون كافة على حجيّة أصل السنّة النبويّة الشريفة ووجوب تصديقها والعمل على ضوئها والاحتجاج بها في كلّ باب من الأبواب، بل وفي كلّ مسالة من المسائل الدينيّة والدنيويّة والأخرويّة الحكميّة والموضوعيّة، وغيرذلك. ولكن اختلفوا في طريق ثبوتها صحيحة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فإنّ كلّ طائفة منهم ترى صحّة الأخبار التي وصلت إليهم بطرق موثوق حسب مبناهم ومختارهم في هذا المجال. وعليه أنّ احتجاج المسلمين بعضهم مع بعض بالسنّة النبويّة إمّا يدور مدار السنّة التي اتّفقوا على حجيّتها، أو يكون الاحتجاج بالسنّة التي هي حجّة عند الخصم في مقام الاحتجاج. وهذا أمر من الضروريّات عند كلّ من له أدنى معرفة بمبادئ الأمور الدينيّة والشريعة المقدّسة؛ ولكن ابن تيمية لم يراعي هذه الجهة في كثير من الموارد كما أنّه لم يراعي هذه الجهة في المقام فاستدلّ على الشيعة برواية لم تكن حجّة عندهم وهذا من علائم دجله وقبح سريرته، فلاحظ.

(١) فإنّ حديث حذيفة الذي احتجّ به ابن تيمية على الشيعة من الأخبار والروايات التي

➔
رواها أهل السنّة بالطريق الذي وصل اليهم عن رجالهم، ومن الواضح أنّ طرق أهل السنة ليست موثوقة عند الشيعة الإمامية، لأنّ أهل السنّة يعتقدون بعدالة جميع الصحابة من دون فرق بين العادل والفاسق منهم، ومن دون فرق بين المؤمن والمنافق منهم، كما أنّ كثيراً من الصحابة قد خالفوا النصوص النبويّة، بل وبعضهم خالفوا أوامر النبيﷺ في حياته وبعد وفاته، كالخلفاء الثلاثة الغاصبين لحقوق أهل البيتعليهم السلام ومن تبعهم على طريقة خلافة السقيفة، فإنّهم خالفوا السنن النبويّة صراحةً في موارد كثيرة، فكيف يمكن تصديق خالف السنن النبويّة بالصراحة؟!!! ثمّ إنّ المحدّثين والرواة التابعين لخلافة السقيفة لا يمكن الاعتماد بهم؛ لأنّهم يأخذون دينهم من الفسّاق والمنافقين والمخالفين للنصوص النبويّة، لأنّ كثيراً من الصحابة منعوا حديث رسول اللهﷺ، والأخبار التي نقلها المحدّثين منهم في العصور المتأخرة ، وذلك لأنّهم يأخذون الحديث ممن يعتقد بعدالة جميع الصحابة بلا استثناء بين المؤمن والمنافق، فيلزمهم القول بعدالة الفاسق والمنافق، والأخذ بما نقله عن رسول اللهﷺ باعتبار حجّية قولهم. وعليه فإنّ الأخبار التي رواها علماء أهل السنّة في كتبهم غير موثوقة عند الشيعة الإماميّة. مضافاً إلى أنّ المبيّن لسنّة رسول اللهﷺ لا بدّ أن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٤)، فلا بدّ أن يكون المبين للآيات كالرسول الأعظمﷺ، وكما قال الله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾ (سورة يس:١٢). فإنّ المبيّن لسنّة رسول اللهﷺ لا بدّ أن يتّصف بهذه الصفة القرآنية، ولذلك ورد في الحديث عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام قال: «لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللهﷺ ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما
➔

فهو من باب الشهادة للنفس[(١)]، وهي حتّى بتصديق من السنّي ليست حجّة

➔

وقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء» (الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٣٥). وقد جاء في حديث الغدير أنّه صلى الله عليه وآله قال: «معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علّمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علّمته علياً، وهو الإمام المبين...» (الاحتجاج ج١: ص٧٤). ومن هنا ظهرت بأجلى صورها لدى الشيعة الإمامية، وسيأتي البحث فيها مفصلاً بحول الله. وقد ثبت أنّ الشيعة لايمكنهم الاعتماد على أهل السنّة في نقل الأخبار. وعليه فما استدلّ به ابن تيمية من حديث حذيفة للاحتجاج على الشيعة باطل، لأنّه ليس حجّة عندهم كما لايخفى على الخبير فلاحظ.

(١) فإنّ الشهادة للنفس وتزكيتها قبيحة عند الشرع والعقل، وقبحها إلى درجة أنّها يضرب بها المثل فيقال تزكية المرء نفسه والثناء عليها قبيحة، قال الله تعالى: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى**﴾ (سورة النجم:٣٢) أي: لا تشهدوا لأنفسكم بأنّها زكية بريئة من الأمور القبيحة؛ وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن سفيان قال: سمعت زيد بن أسلم يقول: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾، يقول: فلا تبرئوها. وقوله: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى**﴾ يقول جل ثناؤه: ربك يا محمّد أعلم بمن خاف عقوبة الله، فاجتنب معاصيه من عباده (تفسير الطبري ج٢٧: ص٩٢). فأساس هذا العمل قبيح عند العقل والشرع، وحيث أن تزكية النفس تكشف عن اعتقاد الإنسان بكماله فهي مدعاة إلى تخلفه! لأنّ رمز التكامل الاعتراف بالتقصير وقبول وجود النواقص والضعف. ويقول مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى

←

على الخصم[(١)].

➔ رسائله إلى معاوية مشيراً إلى هذا المضمون في ما يقول: «ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة، تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين» (نهج البلاغة: كتاب رقم٢٩) فكما ترى أنّ الإمام عليه السلام مع كونه صادقاً في قوله لم يذكر شيئاً ممّا تحلى به لئلاّ يتصوّر أحد أنّ الإمام عليه السلام زكّى نفسه، لأنّ تزكية النفس قبيحة، مع كونها صادقة. ولكن ابن تيمية الذي هو من أعداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام احتجّ برواية يعلم أنّها ليست بحجّة عند الشيعة، فلا يصحّ الاحتجاج به على الشيعة، وحينئذ فالاستدلال والاحتجاج بالحديث على الشيعة معناه أنّه يريد تزكية نفسه وأهل السنّة، التي هي أقبح موقف من عند العلماء، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أنّ عدم حجّيّة حديث حذيفة ليس فقط من باب السند، بل أنّه من حيث الدلالة مخالف لكتاب الله عزّ وجلّ، فلا يصحّ الاستناد إليه، إذ فيه: ما لا يصحّ نسبته إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إذ فيه: أنّه صلى الله عليه وآله قال: الاعتزال عن المسلمين... قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها... والحال أنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الحجرات:٩)؛ فقد أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بقتال الباغي، والحديث يأمر بالاعتزال عن الطائفتين، فالحديث مخالف لكتاب الله وما خالف القرآن يضرب به عرض الجدار حتّى عند أهل السنّة. وفي الدرّ المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ (سورة النور:٢١)، ➔

وقد جرى ديدنه على مثلها في جميع منازعاته لخصمه[(١)].

➔

قال: وأخرج ابن أبي حاتم عنه أنه قال: ما خالف القرآن فهو من خطوات الشيطان (الدر المنثور ج١: ص١٦٨). فلا يصلح الحديث للاستدلال والاحتجاج به حتّى على أهل السنّة، لأنّه مخالف لكتاب الله عزّ وجلّ. فكيف بالاحتجاج به على الشيعة فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الذي راجع كتب ابن تيميّة أسلوبه في مطارحاته فإنّه يجده غير علميّ، بل يكون أسلوبه مبنّياً على الحقد والكراهيّة والتعصّب والعناد واللعب بالدين والدس و...، فالباحث لو راجع كتب الرجل لوجدها مشحونة بثقافة الكذب والمغالطة والافتراء والتزوير والمراء والمجادلة للغبة على خصمه بأي طريق حصل دون التزام بمنطق صواب ولا خضوع لميزان الحقّ، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (سورة الحج:٨) وقال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجَدَل» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢٥٢). فاحتجاجه على الشيعة بما ليس حجّة عندهم من أبسط الأمور التي استعملها في كتبه.

وخلاصة الكلام أنّ من له أدنى معرفة بكتاب الله والروايات لو راجع كتب ابن تيمية لعرف شخصيته من خلال أساليبه المزيفة في حواراته، ولوجد أنّه لا يلتزم بمنهج العلماء في المباحثات العلمية والمطارحات في الأساليب القرآنية والروايات. وقد تقدّم ذكر بعض هذه الموارد في هذا الكتاب، وسيتبيّن للقارئ الكريم أساليبه السخيفة في الأبحاث الآتية إن شاء الله تعالى. مع أنّ الإسلام يحثّ العلماء بالمناظرة الهادفة والناجحة مع رعاية جميع آدابها وشرائطها؛ وقد أشارت إليها

➔

➔
الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**ادعُ إلىٰ سَبيلِ ربِّكَ بالحكمَة وَالمَوعظَة الحَسَنَة وَجادلهُم بالَّتي هيَ أَحسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بمَن ضَلَّ عَن سَبيله وَهُوَ أَعلَمُ بالمُهتَدينَ * وَإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقبُوا بمثْلِ مَا عُوقبْتُمْ به وَلَئنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابرينَ**﴾ (سورة النحل:١٢٥-١٢٦). ويتلخّص هذا البرنامج الرباني بعدة أصول، تمّ ترتيبها وفقاً لتسلسل الآية في مورد البحث: الأوّل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة، فإنّ الحكمة: بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، وهي في الأصل بمعنى المنع، وقد أطلقت على العلم والمنطق والاستدلال لقدرتها على منع الإنسان من الفساد والانحراف. فأوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة تحريك وإيقاظ عقولهم، كخطوة أولى في هذا الطريق. الثاني، الموعظة الحسنة: وهي الدعوة إلى الله بالاستفادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني، وذلك لما في الموعظة الحسنة من أثر دقيق وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ، وفي الحقيقة فإنّ الحكمة تستثمر البُعد العقلي للإنسان، والموعظة الحسنة تتعامل مع البعد العاطفي له. وإنّ تقييد الموعظة بقيد الحسنة لعلّه إشارة إلى أنّ النصيحة والموعظة إنّما تؤدّي فعلها على الطرف المقابل إذا خليت من أيّة خشونة أو استعلاء وتحقير التي تثير فيه حسّ العناد واللجاجة وما شابه ذلك. فكم من موعظة أعطت عكس ما كان يؤمّل بها بسبب أسلوب طرحها الذي يشعر الطرف المقابل بالحقارة والإهانة كأن تكون الموعظة أمام الآخرين ومقرونة بالتحقير، أو يستشمّ منها رائحة الاستعلاء في الواعظ، فتأخذ الطرف المقابل العزّة بالإثم ولا يتجاوب مع تلك الموعظة. وهكذا يترتّب الأثر الإيجابي العميق للموعظة إذا كانت حسنة. الثالث: وجادلهم بالتي هي أحسن: الخطوة الثالثة هي
➔

➔

الاستدلال بالتي هي أحسن، بمعنى إقامة الحجّة للطرف المقابل، وتختصّ هذه المرحلة بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة ليكون مستعدّاً لتلقي الحقّ عند المناظرة. ومن البديهي أن تكون المجادلة والمناظرة ذات جدوى إذا كانت بالتي هي أحسن، أي أن يحكمها الحقّ والعدل والصحّة والأمانة والصدق، وأن تكون خالية من أية إهانة أو تحقير أو تكبّر أو مغالطة. وبعبارة شاملة: أن تحافظ على كلّ الأبعاد الإنسانية السليمة عند المناظرة. وفي ذيل الآية الأولى، يقول القرآن: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ**﴾، فتشير هذه الفقرة إلى أن وظيفتكم هي الدعوة إلى طريق الحقّ بالأساليب الثلاثة المتقدّمة. وأمّا مسألة بالنسبة إلى من سيهتدي ومن سيبقى على ضلاله، فعلمه عند الله، أي بعد بيان الدليل والتوجيهات الثلاثة المتقدّمة،: إنّما أمر التأثير بيد الله عزّ وجلّ. فإنّه بعد هذه الأصول الثلاثة يأتي الأصل الرابع وهو: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾، والصبر إنّما يكون مؤثراً وفاعلاً إذا قصد به رضوانه تعالى ولا يلحظ فيه أي شيء دون ذلك. فلو كان الصبر في سبيل رضوان الله يهون للإنسان كلّ شيء، وما التوفيق إلاّ منه عزّ وجلّ. وإذا لم ينفع الصبر في التبليغ والدعوة إلى الله، ولا العفو والتسامح، فلا ينبغي أن يحلّ اليأس في قلب المؤمن أو يجزع، بل عليه الاستمرار في التبليغ بسعة صدر وهدوء أعصاب أكثر، ولهذا يقول القرآن الكريم في الأصل الخامس: ولا تحزن عليهم، لأنّ الحزن والتأسّف على عدم إيمان المعاندين يترك أحد أثرين على الإنسان، فإمّا أن يصيبه اليأس الدائم، أو يدفعه إلى الجزع والغضب وضعف التحمل، فالنهي عن الحزن عليهم يحمل في واقعه نهيا للأمرين معاً، فينبغي للعاملين في طريق الدعوة إلى الله، عدم الجزع وعدم اليأس. والأصل

➔

➔
السادس: ولا تك في ضيق ممّا يمكرون؛ فمهما كانت دسائس العدوّ العنيد واسعة ودقيقة وخطرة فلا ينبغي لك ترك الميدان لظنّك أن قد وقعت في زاوية ضيقة وحصار محكم، بل لا بدّ من التوكّل على الله، وسوف تفشل كلّ الدسائس وتبطل مفعولها بقوّة الإيمان والثبات والمثابرة والعقل والحكمة. وآخر آية من سورة النحل تعرض الأمرين، حيث تقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ (سورة النحل: ١٢٨). فالمقصود هي التقوى في جميع أبعادها وبمفهومها الواسع، ومنها: التقوى في مواجهة المخالفين بمراعاة أصول الأخلاق الإسلاميّة عند المواجهة، فمع الأسير لابدّ من مراعاة أصول المعاملة الإسلاميّة، ومع المنحرف ينبغي مراعاة الإنصاف والأدب والتورّع عن الكذب والاتّهام، وفي ميدان القتال لا بدّ من التعامل على ضوء التعليمات العسكريّة وفق الموازين والضوابط الإسلاميّة، فمثلاً: ينبغي عدم الهجوم على العزل من الأعداء، وعدم التعرّض للأطفال والنساء والعجزة، ولا التعرّض للمواشي والمزارع لأجل إتلافها، ولا يقطع الماء على العدوّ...

وخلاصة القول: تجب مراعاة أصول العدل مع العدوّ والصديق، ومن الطبيعي أن تخرج بعض الموارد عن هذا الحكم استثناءً وليس قاعدةً. كما قالت الآية: والذين هم محسنون، فأكّد القرآن الكريم في كثير من آياته البيّنات بأن يقابل المؤمن إساءة الجاهل بالإحسان، عسى أن يخجل الطرف المقابل أو يستحي من موقفه المتشنّج، وبهذه السلوكية الرائعة قد ينتقل ذلك الجاهل من ألد الخصام إلى أحسن الأصدقاء، وذلك كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (سورة الفصلت:٣٤). فإذا عمل الإنسان بالإحسان في محلّه المناسب، فإنّه أفضل أسلوب
🡐

وثانيها: ما لو فرضنا صحّة خبر حذيفة، فزعمه أنّ أوّل خير قد حصل

➔ للمواجهة، والتأريخ الإسلامي يرفدنا بعينات رائعة في هذا المجال.. ومنها: موقف معاملة النبيصلى الله عليه وآله مع مشركي مكّه بعد الفتح، معاملة النبي الكريمصلى الله عليه وآله لوحشي قاتل حمزة، ومعاملتهصلى الله عليه وآله لأسرى معركة بدر الكبرى، ومعاملتهصلى الله عليه وآله مع من كان يؤذيه، بمختلف السبل من يهود زمانه.. ونجد شبيه معاملة النبيصلى الله عليه وآله مع الآخرين قد تجسّدت عمليّاً في حياة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وسائر الأئمةعليهم السلام، وكلّ ذلك يكشف لنا بوضوح أهمية الإحسان في حياة الإنسان من وجهة نظر الإسلام. ومن دقيق العبارة في هذا المجال ما نجده في نهج البلاغة ضمن الخطبة المعروفة بخطبة همام، ذلك الرجل الزاهد العابد الذي طلب من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أن يصف له المتّقين، حيث اكتفى الإمام عليه السلام بذكر الآية المباركة من مجموع القرآن وقال: «اتّق الله وأحسن، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون». ولكن السائل العاشق للحقّ لم يرو عطشه بهذا البيان المختصر، ممّا اضطرّ الإمامعليه السلام أن يعرض له بياناً أكثر تفصيلاً حتّى استخرجت من فمه الشريف أكمل خطبة في وصف المتّقين حوت على أكثر من مائة صفة لهم، إلاّ أنّ جوابه المختصر يبيّن أن الآية المباركة مختصر جامع لكلّ صفات المتّقين. وبنظرة تأمّلية ممعنة إلى الأصول المذكورة، تتبيّن لنا جميع الخطوط الأصليّة والفرعيّة لاسلوب مواجهة المخالفين، وأن هذه الأصول إنّما احتوت كلّ الأسس المنطقيّة والعاطفيّة والنفسيّة والتكتيكيّة، وكلّ ما يؤدي للنفوذ إلى أعماق نفوس المخالفين للتأثير الايجابي فيها. وهذا الأسلوب القرآني والروائي الذي علمنا الإسلام. ولكن ابن تيميّة خالفه مخالفة قطعية عملية، بل ولم يراعي أقلّ مراتب البحث العلمي الميداني فضلاً عن رعاية الأخلاق الإسلامية، فلاحظ.

في مدّة النبوّة وإمامة الثلاثة من عظيم البهتان على سيّد بني عدنانﷺ[(١)]،

---

(١) توضيح المقام أنّ الباحث لو أمعن النظر في دلالة حديث حذيفة، لوجد دلالته غير ما استظهره ابن تيمية منه، حيث أنّه استدلّ بالحديث على الشيعة بما يكون مخالفاً لصريح القرآن الكريم، وبطلان هذا الاستظهار أوضح من أن يخفى على أحد. ومن أجل توضيح المقام نذكر أولاً حديث حذيفة ليتّضح للقارئ الكريم مدلوله، ثمّ نبيّن أنّ ظاهر الحديث غير ما استظهره ابن تيمية، بل وأنّه يدلّ على خلاف ما استظهره من الحديث افتراءً وتزويراً. وإليك نصّ الحديث: فعن حذيفة ابن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). فعلى فرض صحّة الحديث سنداً ترى أنّه قال فيه حذيفة : أنّ الصحابة كانوا يتحدّثون عمّا وقع من الخير من بعثة النبيﷺ، وذلك بقرينة قوله: فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ فسأل حذيفة بعد ذلك عمّا سيحدث بعد بعثة النبيﷺ هل يكون فيه الشرّ أم لا؟ وهذا المعنى يتّضح بقرينة قوله: فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ فالسؤال عن الشرّ بعد وفاة النبيﷺ. وقد أجاب ←

لما عرفته من خبر الحوض[(١)]

➔

النبيﷺ نعم، أي: أنّه سيقع الشرّ بعد وفاة رسول اللهﷺ. ومعناه أنّ الغاصبين للخلافة سيتخذون الحكومة غصباً وهذا هو الشرّ الذي يقصد به رسول اللهﷺ في الحديث. فإذا كان ظاهر الكلام يدلّ على أنّ بعد النبيﷺ يكون شرّاً، من أين يقول ابن تيمية أنّ حذيفة سأل النبيﷺ عن الخيريّة في حياة النبيﷺ والخيريّة في زمن الخلفاء الثلاثة؟!!! أليس هذا الكلام افتراء على رسول اللهﷺ؟!!! ومن الواضح أنّ منطق القرآن هو بيان الحقّ وعدم السكوت في مقابل من يفتري ويكذب بآيات الله لتضليل الناس كما في قوله تعالى: ﴿**فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**﴾ (سورة الأنعام:١٥٧). فافتراء ابن تيميّة على رسول اللهﷺ في الاستظهار من هذا الحديث أمر واضح إذ أنّ افترى على آيات الله عزّ وجل. وبعد هذه الأدلّة الواضحة يتبيّن بطلان ما استدلّ به ابن تيمية حتّى عند أهل السنّة، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة التي أخرجها جميع المحدّثين من أهل السنّة بطرق صحيحة عندهم بحيث لا يتطرّق إليه الشكّ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس عن النبيﷺ قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: واتخذ الله ابراهيم خليلاً....، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها..).

➔

➔

ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أن النبيﷺ قال: «ليردنّ علي الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالن لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيناﷺ). وروى البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (إلى آخر الآية) ثمّ قال: ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلمّا توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنت عليهم شهيداً). وروى البخاري بسنده عن سعيد ابن المسيّب، عن أبي هريرة أنه كان يحدّث أن رسول اللهﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب: وفي الحوض قول الله إنّا أعطيناك الكوثر). وإلى غير ذلك مما ورد في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، فالبحديث يدل بوضوح على ارتداد الصحابة بعد النبيﷺ وبذلك استحقّوا نار جهنّم. وعليه فإنّ حديث الحوض يدلّ على أنّ وقوع الشرّ بعد النبيﷺ إنّما كان عن طريق صحابته الذين وصفهم النبيﷺ بأنّهم أهل النار. وإذا كان الأمر كذلك لماذا

➔

الثابت في صحاحهم السنّة المروي عن جماعة من الصحابة الذي دلّ على ردّة غالب الصحابة عن الدين منذ فارقهم سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله[1]، كما في

➔
يكذب ابن تيمية ويفتري على رسول الله صلى الله عليه وآله وينسب افتراءً على النبي صلى الله عليه وآله بأنّه قال: الخير بعدي؟!! فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ حديث الحوض من الأحاديث الصحيحة عند أهل السنّة، وقد أخرجه أصحاب الصحاح الستّة، فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا فرطكم على الحوض وليرفعنّ رجال منكم ثمّ ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٦ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: إنّا أعطيناك الكوثر). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله، بمثله قتيبة ابن سعيد حدّثنا يعقوب (يعني ابن عبد الرحمن القاري) عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب فضائل الصحابة، باب إثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله وصفاته). وأخرج ابن ماجه في سننه بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو على ناقته المخضرمة بعرفات، فقال: «أتدرون أي يوم هذا، وأي شهر هذا، وأي بلد هذا؟» قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرم، ويوم حرام، قال: «ألا وإنّ أموالكم
➔

خبر البخاري[(١)] وأحمد في مسنده[(٢)]، ويبيّن ذلك بياناً جليّاً حديث الثقلين[(٣)]

➔

ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا في يومكم هذا، ألا وإنّي فرطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم، فلا تسوّدوا وجهي؛ ألا وإنّي مستنقذ أناساً ومستنقذ منّي أناس، فأقول: يا رب! أصيحابي؟ فيقول: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر سنن ابن ماجة ج٢: ص١٠١٢). ووأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثمّ إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: إنّا أعطيناك الكوثر). وإلى غير ذلك ممّن رواه من أصحاب الصحاح الستّة، والمتمعّن في دلالة الحديث يجد أنّه واضح الدلالة في أن أكثر الصحابة قد بدّلوا وغيّروا بل ارتدّوا على أدبارهم بعد رسول اللهﷺ واستحقّوا بذلك نار جهنّم. وهل يدلّ شيئاً أوضح من نار جهنّم على عنوان الشرّ وحديث الحوض صريح في استحقاق أكثر الصحابة النار لما فعلوا من البدع والمخالفات للشريعة المقدّسة، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٦ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: إنّا أعطيناك الكوثر.

(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٨٤

(٣) وبعبارة أوضح أنّ حديث الثقلين الذي هو من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين ➔

➔

يدلّ على أنّ المقصود بالشرّ في حديث حذيفة وقوع الشرّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ الناس لم يعملوا بوصية النبي صلى الله عليه وآله فوقعوا في الضلال. وتوضيح المقام أنّ حديث الثقلين قد رواه كبار علماء السنّة في كتبهم بأسانيد وطرق عديدة. قال ابن حجر عند ذكره لحديث الثقلين في الآية الرابعة من الآيات الواردة في أهل البيت عليهم السلام وهي قوله تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ (سورة الصافّات:٢٤): الحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب والسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة، ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (الصواعق المحرقة: ص٢٣٠).

وذكر المناوي نقلاً عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة، وكلّهم قد رووا هذا الحديث - أي حديث الثقلين - (فيض القدير ج٣: ص١٤).

وقال السيّد الفيروزآبادي: إنّ سند الحديث قويّ جدّاً فإنّ حديث الثقلين صحيح متواتر قد رواه أجلاّء الصحابة ومشاهيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله كعليّ عليه السلام، وأبي ذر، وجابر، وزيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن أسيد، وعبدالله بن حنطب، وأبي هريرة وغيرهم كثير... (فضائل الخمسة ج٢: ص٦١). وقد أفرد السيّد ناصر حسين في تتميم موسوعته العظيمة الموسومة بعبقات الأنوار لوالده السيد حامد حسين اللكهنوي مجلّداً كاملاً وضمّ إليه حديث السقيفة، وكان حصيلة بحثه أنّ حديث الثقلين رواه أربعة وعشرون صحابياً عن النبي صلى الله عليه وآله وروى عنهم تسعة عشر تابعياً، ثمّ ذكر الطبقات من بعدهم العلماء والمحدّثين والرواة قرناً بعد قرن، وأثبت في كلّ طبقة تواتر الحديث. وسنتعرّض - في محلّه - لأسناد

➔

➔

الحديث من طرق أهل السنّة إن شاء الله تعالى. وإليك بعض متون الحديث من كتب أهل السنّة والجماعة:

فمنها: ما رواه الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثمّ قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة ابن أسيد (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٣٢٧ ح٣٨٧٤). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إنّي أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا بم تخلفون» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص١٧).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلّى ثمّ قام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه، وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثمّ قال: «أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»، ثمّ قال: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرّات، قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٠).

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل النبي ﷺ يوم الجحفة ثمّ أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنّي لا أجد لنبي إلاّ نصف عمر الذي قبله وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نصحت، قال:

➔

➔

«أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ وأنّ البعث بعد الموت حقّ؟» قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره ثم قال: «وأنا أشهد معكم»، ثمّ قال: «ألا تسمعون؟» قالوا: نعم، قال: «فإنّي فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا، والآخر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كنت أولى به من نفسي فعليّ وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (المعجم الكبير ج٥: ص١٦٦).

ومنها: ما رواه مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب ثم قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي...» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام). وإلى غير ذلك ممّن روى هذا الحديث من علمائهم. والحديث واضح الدلالة على أنّ نجاة الأمّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله منحصرة في التمسّك بالكتاب والعترة والطاهرة وذلك بمعنى حجّية الكتاب وحجّية سنّة العترة الطاهرة وإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وفي الحديث نقاط

➔

➔
دقيقة، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها. منها: دلالة جملة إنّي فيكم كتاب الله وعترتي، وهذه التركة من النبي الأكرمﷺ ميراث عظيم إلى أمّته؛ فأكّدﷺ عليهم بأنّه قد ترك فيهم حصيلة عمره وثمرة وجوده في شيئين كتاب الله وعترته، فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبيﷺ، والانقطاع عن النبيﷺ انقطاع عن الله سبحانه أيضاً.

وكان يكفي لبيان عظمة القرآن والعترة مجرّد إضافتها إلى الله تعالى ورسولهﷺ؛ لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، ولكن مع ذلك وصفهماﷺ بالثقلين ليدلّ على جوهرهما الغالي ووزنهما الثقيل. فنفاسة القرآن الكريم، وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول؛ لأنّ القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي الذي هو تبيان لكلّ شيء، وهو النور الذي أنزله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو النور والضياء الذي يبدّد للبشرية ظلمات الكفر والحيرة، ويحدّد لهم المنهج الصحيح في بيداء الضلالة ويرشدهم نحو السعادة. ثمّ إنّ وصفه العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامهﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن -في كلام النبيﷺ- إلاّ إذا كانت العترة فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النحل:٨٩) شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة الفصلت:٤٢) شريكاً في عصمته.

ويدلّ قولهﷺ: لن يفترقا أو لن يتفرّقا على التلازم الدائم بين القرآن والعترة الطاهرة بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وذلك أنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله لكافّة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام وإشاراته
←

➔

للعلماء ولطائفة للأولياء وحقائقه للانبياءعليهم السلام، فيلزم من جملة لن يفترقا أن تكون العترة الطاهرةعليهم السلام يكون فيهم جميع جهات الفضل الموجود في القرآن. وفي بعض صيغ حديث الثقلين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، ومعناه أنّ اهتداء الانسان لا يتيسّر إلا بالتعليم والتربية بالوحي الإلهي. وبقانون التناسب والسنخيّة، لابدّ أن يكون لكتاب الوحي الإلهي الذي يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدّونة من معلّم يعلم معالمه وحدوده.

وفي تفسير قولهصلى الله عليه وآله لا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر في وصف أهل البيتعليهم السلام: وتميّزوا عن بقية الصلحاء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً... (إلى أن قال): ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالبعليه السلام، لما قدّمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبوبكر: عليٌّ عترة رسول اللهصلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدير خمّ (الصواعق المحرقة: ص١٥٩). فالمستفاد من الحديث أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يبيّن لأمته عظمته عترته الطاهرةعليهم السلام فمعنى عدم تفرّق العترة عن القرآن أي أنّهما معاً سبب لنجاة الأمّة من الضلالة. فبدلالة هذا الحديث تتمّ الحجّة على جميع أهل السنّة، لأنّ النجاة من الضلال منحصر فيه بالتمسك بالكتاب والعترة الطاهرةعليهم السلام. وتأكيد رسول اللهصلى الله عليه وآله في الحديث بالتمسّك بعترته الطاهرةعليهم السلام باعتبار أنّهم قدوة وأسوة، وفكما أنّ التمسّك بالقرآن واجب على المسلمين في جميع شؤون حياتهم من معاشهم ومعادهم كذلك التمسّك بالعترة الطاهرةعليهم السلام. فمخالفة الصحابة لإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام مخالفة صريحة لهذا الحديث الصحيح عند أهل السنّة. ومعناه وقوع الشرّ بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله

🡠

من حيث عدم متابعة جمهور الصحابة للعترة وهجرهم لهم[(١)].

➔

بسبب خلافة خلفاء الجور، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ اجتماع الصحابة في السقيفة وبيعتهم لخلفاء الجور مخالفة صريحة لحديث الثقلين، لأنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف معنى حصر وجوب التمسّك بالكتاب والعترة الطاهرةعليهم السلام؛ لأنّ حديث الثقلين فيه دلالة واضحة على وجوب التمسّك بأئمة أهل البيتعليهم السلام على نحو الإطلاق، كما يدلّ على وجوب التمسّك بالقرآن على نحو الإطلاق، ومعناه وجوب الأخذ منهما في جميع الجهات. فالرسول الأعظمصلى الله عليه وآله أوضح لأمّته في الحديث بأنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والانحراف إنّما يكون منحصراً في التمسّك بكتاب الله وعترته الطاهرةعليهم السلام.

والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث رواه أصحاب الصحاح من أهل السنّة، فقد أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن يزيد بن حيّان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمدلله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل

➔

➔
بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام). كما أخرجه المحدّثين والمفسّرين والمؤرّخين من أهل السنّة. فهذا يدلّ بالصراحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ويدلّ أيضاً على عصمتهم؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرن أهل بيته بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرّح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الحديث «بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٤)، ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن ابي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص٧٤، والطبراني في معجمه الكبير ج ٥: ص١٨٢، والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٨، والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم. وإن كان كالبخاري لم يخرج الحديث بألفاظه في صحيحه تعصّباً، ولكن الباحث لو تأمّل في روايات صحيح البخاري يجد من مطاوي الروايات وأبوابها أنّ حديث الثقلين كان من الإحاديث الصحيحه عند البخاري، ولكن لم يخرجه البخاري تعصباً لدلالته على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، لأنّ البخاري فتح باباً في صحيحه بعنوان: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، ولكن لم يذكر فيه حديث يناسب مع هذا العنوان، وهذا يشعر بأنّ البخاري كبقية المحدّثين من أهل السنّة أراد أن يستخرج الحديث، حيث أنّ حديث الثقلين أقرب موضوع إلى هذا العنوان، ولكنّه لم يخرجه تعصّباً وعناداً لأهل البيت عليهم السلام، فيعرف أنّ الحديث كان معتبراً عنده من جهة السند إلاّ أنّه مخالف لمعتقداته في باب الإمامة والخلافة.
➔

➔
ولذلك ترى أنّ مسلماً قد أخرج الحديث في صحيحه رغم أنّه اختصر الحديث وهذبه لئلاّ تنكشف الحقيقة للباحثين حسب تخيله، ولكن ما نقله فيه دلالة واضحة على إمامة أهل البيتعليهم السلام كما سنوضّحه في محلّه. ومن جملة الروايات التي أخرجها البخاري في صحيحه وهي قرينة على صحة حديث الثقلين عنده هو ما أخرجه في في كتاب الوصيّة، باب هل أوصى النبيصلى الله عليه وآله بشيء؟ بسنده عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفي هل كان النبيصلى الله عليه وآله أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال أوصى بكتاب الله (انظر صحيح البخاري ج٦: ص٢٤٠ كتاب الوصية، باب هل أوصى النبيصلى الله عليه وآله). وإذا أمعن الباحث في فقرات هذا الحديث يجد أنّ السؤال فيه عن وصية النبيصلى الله عليه وآله، ومن الواضح أنّ هذا معنى يشترك مع حديث الثقلين، لأنّ حديث الثقلين يدّل على أهم وصايا النبيصلى الله عليه وآله لما بعد وفاته. فعندما يسأل السائل عبد الله ابن أبي أوفى عن وصية النبيصلى الله عليه وآله فأجابه عبد الله بن أبي أوفى بقوله: أوصى النبيصلى الله عليه وآله بكتاب الله. وكلّ العلماء والمحدّثين يعلمون أنّ وصيّة النبيصلى الله عليه وآله كان بكتاب الله وعترته الطاهرةصلى الله عليه وآله حسب دلالة حديث الثقلين. ولذلك قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث، أنّه قال القرطبي: واستبعاد طلحة واضح..... فاعتراضه بأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كتب على المسلمين الوصيّة وأمروا به، فكيف لم يفعلها النبيصلى الله عليه وآله؟ فأجابه عبد الله بن أبي أوفى..... "أوصى بكتاب الله"، أي: بالتمّسك به والعمل بمقتضاه، ولعلّه إشارة لقوله: «تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لم تضلّوا كتاب الله....» (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٥: ص٢٥٨). ويعرف من هذا الكلام أنّ القرطبي وبعده ابن حجر فهما بأنّ مقصود عبدالله بن أبي أوفى حديث الثقلين ويصرّح بما رواه مسلم. ومنه يعرف أنّ البخاري أيضاً كان يعلم بصحّة
➔

وقد عرفت من نفس الخبر هلاكة من تقدّم عليهم وهلاكة من تأخّر عنهم[1]،

➔

حديث الثقلين الذي يشترك في الدلالة مع حديث عبد الله بن أبي أوفى، فلم يمكنه انكار ذلك. وحديث الثقلين دلالته واضحة على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام. فعدم أخراج البخاري الحديث لا يغير الحقيقة. وأمّا أهل السنّة، التابعين لخلافة السقيفة، فإنّهم وإن لم ينكروا حديث الثقلين لصحة سنده بل لتواتره وشهرته عندهم، ولكنّهم خالفوا مدلوله ومقتضاه في العمل تعصّباً وعناداً، وفي الحقيقة أنّهم خالفوا أمر الله تعالى حيث يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ (سورة الحشر:٧)، وقوله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (سورة النساء:٨٠)، وقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (سورة المائدة:٩٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة النور:٥٦)؛ هذه الآيات صريحة في وجوب طاعة النبيصلى الله عليه وآله وأنّ طاعته كطاعة الله واجبة، وأمرهصلى الله عليه وآله أمر الله، وقولهصلى الله عليه وآله قول الله، فلا يتمّ الأمان لمسلم إلاّ بطاعة الله وطاعة رسولهصلى الله عليه وآله، وبطاعة أهل البيتعليهم السلام. وعليه فإنّ حديث الثقلين يدلّ على أنّ المقصود بالشرّ في حديث حذيفة هو ما ارتكبه الصحابة من غصب الخلافة، حيث أنّ الصحابة بارتكابهم غصب حقوق أهل البيتعليهم السلام قد وقعوا في الشرّ والضلال فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين، وهي تدلّ على أنّ التقدّم على العترة الطاهرةعليهم السلام سبب لوقوع الأمة في الضلال وبمقتضى حديث حذيفة أنّ الضلال هو الشرّ، حيث فيه: قال حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول

➔

➔
اللهﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، فالتقدّم على أهل البيت عليهم السلام هو سبب وقوعهم في الشرّ. ومن أجل توضيح المقام نذكر هنا حديث الثقلين الذي جاء فيه هذه العبارة من كتب أهل السنّة، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللهﷺ: «إني لكم فرط وإنكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول اللهﷺ: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج٣: ص٦٦). ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة، وفيه: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٤٨). فمعنى قولهﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»: أي دائمًا كونوا ورائهما، دائمًا كونوا في خطهما، دائمًا كونوا باتباعهما، "لا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا"، دائمًا أنتم معهما لا تتقدموا عليهما ولا تتأخروا عنهما، "ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم"، فهل يستطيع غير المعصوم أن يعلم المعصوم؟! فإنّ القرآن معصوم كذلك أهل بيت عليهم السلام بنصّ هذا الحديث. إذن، مدلول هذا الحديث يدلنا على أن أهل البيت عليهم السلام والقرآن يتّحدان في التقدّم ولا يجوز لأحد أن يتقدّم عليهما لأنّه موجب لضلالته، حيث قالﷺ: «فتهلكوا» وفي رواية «لتهلكوا»، ولا
➔

ومثله خبر السفينة(١)،

➔

تتأخّروا عنهما «فتهلكوا» وفي رواية «فتزلّوا» وفي رواية أخرى «فتضلّوا»، «ولا تعلّموهم» أي العترة الطاهرة من أهل البيتعليهم السلام، «فإنّهم أعلم منكم» حيث أن الكتاب هو القرآن الصامت وأهل البيتعليهم السلام هم القرآن الناطق؛ أي أنّ العترة الطاهرة عندهم العلوم اللدنية ما ليس عند غيرهم، وكانوا أعلم الناس بالكتاب والسنّة، وكان لهم من الله عنايات اختصّ بهم، ولذلك قالصلى الله عليه وآله: «فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». ثم إنّ معنى قولهصلى الله عليه وآله: «لا تقدّموهما»، أي اجعلوا الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيتعليهم السلام دائماً في المقدّمة، فلا تتقدّموا عليهما ولا تتكبّروا عليهما ولا ترفّعوا عن الاقتداء بهما والاهتداء بهديهما، واجعلوهما أئمتكم حتّى يكونا وفدكم إلى الله تعالى حتّى يترافعا لكم بين يدي الله تعالى. وتنالوا الشفاعة بهما، وإنكم إن لم تفعلوا ذلك ولم تجعلوهما في المقدّمة، فإن مصيركم ينتهي إلى الهلاك. وكذلك «لا تتأخّروا عنهما» أي لا تنحوهما جانباً أو تتركوا اتباعهما والإقتداء بهديهما الربّاني إذ لو تأخرتم عنهم فتزلوا أوتضلوا أوتهلكوا. ولاتعلموهم : أي لا تعلموهم من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالّة، وتأويلاتكم الخاطئة والفاسدة، وأقوالكم الموضوعة، ولا تتركوا التعلّم منهم والأخذ منهم واتّباعهم، وتعلّموا منهم، لأنّ ما جاء من العترة الطاهرةعليهم السلام فمن عند الله. فمن القضايا الأساسيّة والبديهيّة التي بيّنتها هذه العبارات من الحديث بشكل عامّ تكون قضايا محوريّة ومركزيّة في العقيدة، فالحديث يدل على وجوب التمسّك بالعترة الطاهرة، وحديث حذيفة يدلّ على أنّ الصحابة خالفوا مدلول هذا الحديث، فلاحظ.

(١) إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد رواه علماء أهل

🡐

➔

السنّة بطرق متعدّدة وألفاظ مختلفة عن النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فرواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق». ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٤٥، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٥٣٣ وغيرهم. وجاء في رواية الطبراني عن حنش ابن المعتمر... مثله وفيه: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطة بني إسرائيل» (انظر المعجم الأوسط ج٤: ص١٠). وأخرج أيضاً بسنده عن مسلم بن إبراهيم عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق» (المعجم الكبير ج٣: ص٤٦).

ورواه أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زُجّ في النار». قال: أخرجه ابن السري (ذخائر العقبى: ص٢٠)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص١١٨ وغيره. وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٢١٨).

➔

➔

ورواه الهيثمي بسنده عن عبد الله بن الزبير: أنّ النبيﷺ قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها سلم ومن تركها غرق»؛ رواه البزار (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨). قال ابن حجر: وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا»، وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (الصواعق المحرقة: ص١٥٠). وجاء في النهاية لابن الأثير بهذا اللفظ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من تخلّف عنها زخّ به في النار» قال: أي دفع ورمي (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢: ص٢٩٨). وإلى غير ذلك ممّن روى هذا الحديث.

وقال ابن عربي في تفسيره: وأمّا التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبيﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق». والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبيّ وتزكية نفس كما جاء في كلام إدريس النبيعليه السلام ومخاطباته لنفسه ما معناه: «إنّ هذه الدنيا بحر مملوء ماء، فإن اتّخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلا غرقت فيها وهلكت»؛ فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتّخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم... (انظر تفسير ابن عربي ج١: ص٣٢٣). فالحديث يدلّ على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام وحيث أنّ وحيث أنّ أكثر الصحابة بايعوا خلفاء السقيفة ولم يتمسّكوا بإمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام فقد وقعوا في الضلالة وبمقتضى حديث حذيفة وقعوا في الشرّ بعد وفاة رسول اللهﷺ حيث أنّ أكثر الصحابة خالفوا مقتضى حديث السفينة كان ذلك سبباً لوقوعهم في الشرّ، لأنّ حديث السفينة يدلّ على نجاة الإمامة إن هم ركبوا السفينة. وحيث لم يركبوا

➔

فإنّه دلّ على هلاكة من تأخّر عنهم[1].

➔

سفينة النجاة وقعوا في الشرّ وهذا معنى حديث حذيفة فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حديث السفينة يدلّ بالصراحة على إمامة أهل البيتعليهم السلام من وجوه:

الأوّل: أنّ حديث السفينة يدلّ على وجوب اتّباع أئمة أهل البيتعليهم السلام على الإطلاق، ومن يجب اتّباعه على الإطلاق فهو إمام وخليفة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، لأنّه لا يجب اتّباع أحد على الإطلاق إلاّ النبيصلى الله عليه وآله أو المعصومين الذين يقوموا مقامه، ويشهد لدلالته على وجوب اتّباعهم مطلقاً كلمات علماء أهل السنّة التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

الثاني: أنّ حديث السفينة يدّل على عصمة أئمة أهل البيتعليهم السلام، لأنّ التمسّك بهم على الإطلاق أو ركوب سفينهم للنجاة والخلاص على الإطلاق، معناه أنّ أهل البيتعليهم السلام معصومون. والعصمة تستلزم الإمامة والخلافة. وأيضاً قد نصّ على ذلك جماعة من علماء أهل السنّة وصرّحوا بأنّ وجه تشبيه بالسفينة دالّ على ذلك، قال الواحدي: انظر كيف دعا الخلق إلى النسب إلى ولائهم والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينة نوحعليه السلام، جعل ما في الآخرة من مخاوف الأخطار وأهوال النار كالبحر الذي لج براكبه، فيورده مشارع المنية ويفيض عليه سجال البليّة، وجعل أهل بيته (عليه وعليهم السلام) مسبّب الخلاص من مخاوفه والنجاة من متألفه، وكما لا يعبّر البحر الهياج عند تلاطم الأمواج إلا بالسفينة، كذلك لا يأمن نفخ الجحيم ولا يفوز بدار النعيم إلا من تولى أهل بيت الرسول (صلوات الله عليه وعليهم)، وتخلى لهم ودّه ونصيحته وأكد من موالاتهم عقيدته، فإن الذين تخلّفوا عن تلك السفينة آلوا شرّ مآل وخرجوا من الدنيا إلى أنكال وجحيم ذات أغلال، وكما ضرب مثلهم بسفينة نوح قرنهم بكتاب الله تعالى فجعلهم ثاني الكتاب وشفع

➔

➔

التنزيل (انظر تفسير الواحدي: ص١٠٥).

وقال السمهودي في تنبيهات الذكر الخامس: ثانيها قولهﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث، ووجهه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوحعليه السلام، وقد سبق في الذكر قبله في حثّهﷺ على التمسّك بالثقلين كتاب الله وعترته قولهﷺ: «فإنهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»، وقوله في بعض الطرق: «نبّأني اللطيف الخبير»، فأثبت لهم بذلك النجاة وجعلهم وصلة إليها، فتمّ التمسّك المذكور، ومحصله الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهمﷺ، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران (انظر جواهر العقدين مخطوط).

وقال ابن حجر: ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ: إن من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهمﷺ وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان (الصواعق المحرقة: ص١٥٣).

الثالث: دلالة الحديث على أفضلية أهل البيتعليهم السلام من سائر الناس مطلقاً، إذ لو كان أحد الناس أفضل منهم - أو في مرتبتهم من الفضل - لأمر الرسولﷺ بالاقتداء به دونهم، وإلا لزم أن يكون قد غشّ أمّتهﷺ، وحاشا رسول اللهﷺ من ذلك... وقد صرّح بدلالة الحديث على أفضلية أهل البيتعليهم السلام جماعة من أعيان علماء السنّة كما تقدّم.

الرابع: أنّ الحديث يدلّ على أن محبّة أهل البيتعليهم السلام توجب النجاة وهذا المعنى يستلزم عصمتهم، إذ لو كان منهم ما يوجب سخط الباري تعالى لما جازت محبّتهم

➔

وثالثها: ما زعمه من حدوث الشرّ بقتل عثمان فإنّه من عظيم البهتان على الله ورسوله صلى الله عليه وآله[1]،

➔

ومتابعتهم فضلاً عن وجوبها وكونها سبباً للنجاة؛ وهذا واضح وإذا ثبت عصمتهم عليهم السلام لم يبق ريب في إمامتهم..

الخامس: أنّ الحديث يدلّ على وجوب محبّة أهل البيت عليهم السلام على الإطلاق، ووجوبها كذلك دليل على وجوب عصمتهم وأفضليّتهم والانقياد لهم، كما أنّ آية المودّة تدلّ على ذلك، وكلّ ذلك يستلزم الإمامة والخلافة.

السادس: أنّ الحديث يدلّ على هلاك المتخلّفين عن أهل البيت عليهم السلام وضلالتهم. ومن الواضح أنّه لو كان التخلّف عنهم الهلاك والضلال اتباع الغاصبين للخلافة موجب للسقوط في الهلاكة والضلال، فحديث سفينة يدلّ على أنّ المقصود بالشرّ في حديث حذيفة هو اتّباع خلافة السقيفة والغاصبين للخلافة موجب للشرّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث أنّ حديث السفينة يدلّ على أنّ المتخلف عن أئمة أهل البيت عليهم السلام مصيره الغرق والهلاكة والضلالة وهذا هو المقصود بالشرّ في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث حذيفة. وعليه ما بال ابن تيمية يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى خلاف ظاهر حديث حذيفة يقول: أنّ المقصود بالشرّ بعد عصر الخلفاء الثلاثة.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ وقوع الشرّ حصل بقتل عثمان مخالف لصريح حديث حذيفة، أوّلاً: لأنّ حديث حذيفة فيه دلالة واضحة على أنّ الشرّ وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً وأنّ قتل عثمان تحقق بعد ثلاثين سنة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وإليك نص حديث حذيفة: "فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، قلت:

➔

➔

وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم..." فإنّ ظاهر الحديث وقوع الشرّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فابن تيمية كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: إنّ الشرّ تحقّق بعد قتل عثمان.

وثانياً: لا يخفى على الخبير الباحث في التاريخ والسيرة والحديث أنّ قتل عثمان كان بسبب الفساد والانحرافات التى صدرت منه ومن الخلفاء السابق عليه، لا سيمّا ما صدر منه أيّام خلافته، وحيث اشتدّ الظلم في عهده ووصل إلى قمّة هرمه، حتّى انجرّ إلى انقلاب الناس عليه وانتهى إلى قتله في ثورة شعبية عارمة. والذين شاركوا في قتله هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وكثيراً منهم كان إلى درجة يستحيل تجاهلهم. فممّا يدلّ على أنّ المحرضين على قتل عثمان كانوا من الصحابة ما نقله الترمذي في سننه، وفيه: أنّ عثمان كان يناشد من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فضائله، من الواضح أن يكون مخاطبه الصحابة، فكان يناشدهم بقوله: هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ...؟ وكذلك خطابه بعد ذلك: تمنعوني... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠). ولذلك قال ابن حجر في الإصابة: وجاء من طرق شهيرة صحيحة عن عثمان لمّا أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيزه جيش العسرة، ومنها مبايعة النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة لمّا أرسله إلى مكّة، ومنها شراؤه بئر رومة وغير ذلك (انظر الإصابة لابن حجر ج٣: ص٢٢٣). وقد روى أحمد بن حنبل أنّ طلحة كان ضمن المحاصرين له، فقد أخرج بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز ولو ألقي حجر لم يقع إلاّ على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة ابن

➔

➔

عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك ها هنا؟ ما كنّا أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثم لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في موضع كذا وكذا... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٧٤). ويتّضح ممّا سبق أنّ قتل عثمان كان بسبب ظلمه وإجحافه على الناس، بل وانحرافه عن الدين حيث أجبروه على الاستقالة، ولكنه لم يستقل فقتلوه، وفي رواية الترمذي التي تقدّم ذكرها أنّ عثمان كان يناشد الصحابة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله...، ثمّ من سياق الرواية يتّضح أن بين المحرضين من الصحابة كان أشخاص معروفين وأساسيين في الثورة ضدّ عثمان بحيث قال عثمان: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألبّاكم علي، قال: فجيء بهما فكأنّهما جملان أو كأنهما حماران... (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٠). وهذا معناه أنّ قتله كان فتح باب الخير على المسلمين، وهو عكس ما زعمه ابن تيمية. حيث أنّ ابن تيمية زعم بأنّ المقصود بالشرّ قتل عثمان ولكن المستفاد من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة أنّ قتل عثمان كان فيه الخير للأمّة، حيث كان سبباً لخلاصهم من الظلم والإستبداد. قال المالقي في مقتل عثمان أشرف على الناس وهو محصور فقال: من يعذرني في هذين الرجلين اللذين ألبّا علي الناس، يحتمل أن يريد بالرجلين طلحة والزبير، فإنّهما كانا في جملة الذين تكلّموا في شأن عثمان، ثمّ بان لهما الحقّ فانصرفا عنه وندما على ذلك، ولهذا قال طلحة لمّا طعن: اللّهم خذ لعثمان منّي حتّى ترضى (انظر مقتل عثمان للمالقي ج٢: ص١٦٧). ثمّ كان عمرو بن العاص، رائد الاتجاه الانتهازي الذي يتحدّد ولاءه بالمصلحة، وكان حليفاً لبني أميّة وحريصاً على محو أثر الإسلام، غير أنه كان يرى ما تقتضيه المصالح في سبيل القضاء على الإسلام، فهو وإن كان في أوّل الأمر شجع سلطة عثمان، وكان من أعوانه وأنصاره

➔

➔

في حكومته الجائرة، إلاّ أنّه كان يمارس دهاءه بشكل دقيق؛ فكان في نهاية الأمر يدرك أن عثمان مهزوز السلطان وأنّ الثورة ستنشب لامحالة. فأظهر للناس موافقته الخادعة للثوار ضدّ عثمان ليموه عليهم، ثمّ يبرّر ذلك لعثمان ليحافظ على مكانته عنده، قال مرّة لعثمان: اتّق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب معك، فناداه عثمان: وإنّك هناك يا ابن النابغة قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل. فنودي من ناحية أخرى: أظهر التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك؛ ونودي من ناحية أخرى بمثل ذلك (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). ومع ذلك كلّه أنّ التاريخ والسير تؤكّدان على أنّ عمرو ابن العاص كان حريصاً على علاقته بعثمان. ولمّا تفرّق القوم قال له: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنك جمعتنا لتستشيرنا، وسيبلغهم قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلّغهم قولي فيثقوا بي لأقود إليك خيراً، وأدفع عنك شرّاً (انظر تجارب الأمم لأحمد بن محمّد مسكويه الرازي ج١: ص٤٤٦). وبهذه الحالة بقي حتّى مقتل عثمان، حين جاء يتوسّط لعثمان مع الثوّار، فنهروه واتّهموه، فولّ خائباً. وعندما قتل عثمان، ولم تعدّ المصلحة لعمرو بن العاص في أن يتمسّك بشرعيّة عثمان؛ خرج إلى منزله بفلسطين وكان يقول: والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان.. ولمّا مرّ به راكب من المدينة وهو مع ابنيه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي فسأله عمرو عن عثمان، فقال: هو محصور. قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضرط العير والمكواة في النار (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٦٣).

ثمّ استطاع الصحابة أن يتّصلوا بأهل الأمصار ليخبروهم بما سيجري في المدينة، فاجتمعت كلمة المسلمين في الداخل والخارج، واجتمع رأي الأمصار على إرسال

➔

➔

الوفود تحت غطاء الحجّ. وكانت الوفود تتألّف من ثلاث أمصار: الوفد المصري يتألّف من خمسمائة إلى - ألف يتزعّمهم محمّد بن أبي بكر -، وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني. وكان محمد بن أبي بكر قد خرج وبقي محمد بن أبي حذيفة في مصر وغلب عليها لمّا ذهب عنها عبد الله بن سعد (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). والوفد الكوفي، يتألّف من عدد أهل مصر، على رأسهم مالك الأشتر وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري (تاريخ الطبري ج٥: ص١١١). والوفد البصري، ويتألّف من نفس عدد أهل مصر عليهم حكيم بن جبله العبدي، وذريع ابن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش، ويذكر ابن الأثير: أن أميرهم كان هو حوقوص بن زهير السعدي وكان خروجهم بشوال جميعاً (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص١٥٨). وقال ابن أبي الحديد في حديث طويل: أنّه بعد ما حوصر عثمان التمس إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له: قد ترى ما كان من الناس، ولست آمنهم على دمي، فارددهم عنّي، فإني أعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري، فقال علي: «إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنّهم لا يرضون إلاّ بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به، فلا تغرر في هذه المرّة، فإنّي معطيهم عنك الحقّ»، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٥١). ورواه الطبري في تاريخه ج٣: ص٤٠٣، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٣: ص١٧٠، وابن مسكويه في تجارب الأمم ج١: ص٤٥٠ وغيرهم.

وإلى غير ذلك من النصوص والوثائق التاريخية الدالّة على أنّ قتل عثمان كان على يد

➔

فإنّ قتل المفسد خير محض لن يشوبه شرّ[(١)]، ولذلك أمر سبحانه فـي فرقانـه

➔

الـصحابة والثـائرين عليـه مـن مختلّـف الـبلاد وهـم رافعـين أصـواتهم ضـدّ الفـساد والطغيان، فهجموا عليه حتّى قتلوه في داره وألقوا بجسده إلـى البقيـع، ودفنـوه فـي مقابر اليهود. وقد تبعه ما تبعه من الحوادث الهامّـة. فعمـوم الـصحابة كـانوا راضـين وموافقين لقتله، من أجل الفساد والظلم والجرائم التي ارتكبهـا عثمـان وجلاوزتـه، فعندما شاهد الصحابة المخالفات العديدة من الخلفاء الثلاثة للكتاب والسنن النبويّة لاسيمّا في عهد عثمان وتسليطه الطلقاء وبني أميّة علـى المناصـب الحكوميّـة وهـم كانوا يفسدون في الأرض ويظلمـون النـاس بـإجرائهم الـسنن الجاهليّـة بـدل سـنن رسول اللهﷺ فثاروا عليه وعلى حكومته وقتلوه. وذلك كما قال الله تعـالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُـصْلِحُونَ * أَلَـا إِنَّهُـمْ هُـمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (سورة البقرة: ١١-١٢). وعليه فما زعمه ابن تيمية من أنّ الشرّ تحقق بقتل عثمان كذب محض وادّعائه دلالة حديث حذيفة على هذا الزعم باطل افتراء على رسول اللهﷺ، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لا شكّ في أنّ قتل المفسد موجب لدفع شرّه، ومن الواضـح أنّ دفع الشرّ فيه الخير والمصلحة، ولذلك أنّ دفع شرّ الشيطان مـن أعظـم الأمـور التـي فيها الخير والصلاح كمـا أكـدّ علـى ذلـم البـاري تعـالى وحـذّر شـديداً عـن اتّبـاع خطوات الشيطان، لأنّها موجبة لوقوع الإنسان في الشرّ والفساد، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩). فالتحذير والنهـي عن اتّباع خطوات الشيطان تنبيه على أنّ ارتكاب كلّ الفـواحش والفـساد لا يكـون إلاّ بمتابعة الشيطان ومطاوعته، فمن صاحبه يكون مـن جنـوده وأتباعـه. فـالخطوات

➔

العظيم بقتله[(١)]، وقد مضى التنبيه على فساد عثمان ويأتي شرحه، فقتله

➔

جمع خطوة وهي المرحلة التي يقطعها الشيطان للوصول إلى هدفه وللتغرير بالناس. وقد حذّر الله تعالى الناس في هذه الآية المباركة من اتّباع خطوات الشيطان حيث أنّه موجب لهلاكهم من ووقوعهم في الفساد والطغيان، بل وحثّ فيها سبحانه وتعالى على الاستفادة من النعم الإلهيّة على طريق العبوديّة والطاعة لا الفساد والطغيان. فإنّ الشيطان يسعى في أن يصرف الإنسان المواهب الإلهيّة والإمكانات والطاقات في الإفساد، مع أنّ هذه المواهب والطاقات تنبغي أن تكون دافعة نحو الطاعة والسعادة لا وسيلة لارتكاب الذنوب والشقاوة، ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّـهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾، وفي الآية التالية تؤكّد على عداء الشيطان للإنسان تمثّل في شقاء الإنسان، وتقول: ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾. فالآية تدلّ على أنّ منهج الشيطان يتلخّص في ثلاثة أبعاد وهي: السوء والفحشاء، وأن التقول على الله ما لا تعلمون. فالمستفاد من الآية دفع الشيطان من جهة أنّه مفسد. وفي المقام أنّ الأمر كذلك فإنّ بقتل المفسد قد حصل الخير، لأنّ دفع الشرّ سبب لتحقّق الخير، ومن هنا يتبين بطلان ما زعمه ابن تيمية في المقام فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الآية الشريفة التي فيها الأمر بقتل المفسد في الأرض قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة المائدة:٣٣). وهذه الآية الكريمة تبيّن جزاء وعقاب المفسدين في الأرض، فتقول: إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو

➔

خير[1]،

➔

يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. ومعنى قطع الأيدي والأرجل من خلاف هو أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. وقال الفخر الرازي في تفسيره: وفي الآية مسائل، المسألة الأولى: في أوّل الآية سؤال، وهو أنّ المحاربة مع الله تعالى غير ممكنة فيجب حمله على المحاربة مع أولياء الله... وفي الخبر أن الله تعالى قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة.. (تفسير الفخر الرازي ج١١: ص٢١٥). فالآية الكريمة تدلّ على أنّ قتل المفسد في الأرض فيه الخير لجميع الناس، إذ الناس يرتاحون من وجود من يفسد في الأرض، وحيث أنّ مفسد في الأرض يكون محارباً لله ورسوله ولأولياء الله فإنّ قتله فوق كلّ خير، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المفاسد والانحرافات التي صدرت من عثمان وجلاوزته ايّام خلافته كثيرة جداً لايمكننا استقصائها في هذه العجالة، وإن كانت كل هذه الانحرافات نتيجة غصب الخلافة في السقيفة إلاّ أنّها اشتدّت في عهد عثمان إلى أعلى مراتبها، حيث لمّا دُفن عمر بن الخطاب وتمّت قصّة الشورى، وزفّ عثمان الخلافة، وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله غصباً، فتعهّد بالتزام إلى سيرة الشيخين أبي بكر وعمر، ولكن تجاوز حتّى حدود سيرة أبي بكر وعمر، فعطّل بعض الواجبات حتّى أصبح الناس موقنين بأنّ الحكومة والخلافة التي أسّسها السقيفة الفاسدة من أصلها.. ومن أهمّ الأمور التي انتهجها عثمان في سياسته وحكومته هي مايلي من الأمور:

١- أحاط نفسه بأزلام بني أميّة، وتربّع على العرش يهب أموال المسلمين لرجالات وبني عمومته من بني أميّة، فكانوا هم المقرَّبين منه، بحيث ترك مشورة كبار

🡐

➔

الصحابة، ولم يستعمل أحدهم على أمر من أمور المسلمين واستغنى برأيه ورأي مروان، والأنكر من كلّ ذلك أنّه ألحق الضرر والضرب - وحتّى الموت - بكبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسجن آخرين. فضرب عمّاراً وفتق بطنه، وسيّر أبا ذرّ إلى الربذة، وسيّر عامر بن قيس من البصرة إلى الشام! وغير ذلك من الأمور الشنيعة، حتّى غلب على عهده تسلّط بني أميّة على جمع الأموال، واكتفى في ذلك برأي أصحاب الحيلة والدهاء، من ذوي قرباه.

٢- استبدال الولاة الذين عيّنهم عمر بولاة جدّد من بني أميّة من أصحاب المطامع، وليس لأحدهم دين وازع أو سلطان رادع، ولم يكن همّ أحدهم سوى جمع الأموال والتربّع على عرش الملك!

فجمع الشام كلّه لابن عمّه معاوية، وعبد الله بن أبي سرح - المرتدّ، الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة! - على مصر، وهو أخوه من الرضاع، وفي الكوفة - أخوه لأمّه - الوليد بن عقبة، وفي البصرة ابن عمّه سعيد بن العاص، وولّى ابن خاله عبد الله بن عامر على خراسان، وفي المدينة المنوّرة مقرّ الخلافة كان مروان بن الحكم - طريد رسول الله ولعينه - وزير الخليفة ومستشاره، فهو ابن عمّه وكاتبه؛ وكلّهم من طغمة بني أميّة خاصّة من مسلمة الفتح الطلقاء، والمؤلّفة قلوبهم حتّى أصبحت أموال الدولة والمسلمين متاعاً خاصّاً لهم، وظنّوا أنّ الخلافة وراثةً لهم، كما قال أبو سفيان: يا بني أميّة تلقّفوها تلقّف الكرّة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثةً، فهؤلاء هم عمّال عثمان الذين لا يريد أحدهم سوى أن يصبح جبّاراً في الأرض أو ملكاً يُطاع أو يسجد له!!

وقد كانت هذه المفارقات وغيرها هي السبب الرئيس لثورة الناس ضدّه. فسعى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإصلاح وإخماد الفتنة، وكم ذكّره بالله

🡐

➔

والدين، وبحقوق المسلمين، وكان ممّا قال له مرةً: «والله لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه شركاً بينه وبينك» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص١٥). فنبّهه الإمامعليه السلام على أنّك مهّدت إلى ظهور الفتن والأزمات، وكم سعى الإمامعليه السلام ومن معه من الصحابة في إصلاحه فلم يستجب عثمان ومن حوله لدعوته، حتّى فلت الأمر من يده، لا سيّما وأنّ بعض أكابر الصحابة كانوا يساندون الثائرين على عثمان والمعترضين بشدّة ويؤلّبون الجماهير ضدّه منهم عائشة التي كانت تقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وطلحة الذي كان يكاتب أهل البصرة يحرّضهم على النهوض لقتل عثمان (انظر الكامل للتاريخ ج٣: ص١٠٩). وعبد الرحمن بن عوف الذي قال لعثمان: لِمَ فررتَ يوم أُحد، وتخلّفت عن بدر، وخالفت سنّة عمر؟ (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص٤٣٢). ولمّا طالبت الجماهير المنتفضة عثمان بعزل الولاة الفاسدين واستبدالهم بولاة صالحين أبىٰ ذلك، فعزل أهل الكوفة سعيد بن العاص الأموي ورشّحوا أبا موسى الأشعري، لكن عثمان أقرّ سعيداً ولم يعزله، وهكذا كان الأمر في بعض الولايات الإسلاميّة الأخرى بسبب ما لاقاه الناس من الولاة من جور وفساد، وحينئذ عادوا وطلبوا من عثمان أن يعزل نفسه، حينها قال عثمان: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٧١). فجعل أمر الخلافة هبةً من الله تعالى له، ولا يمكن له أن ينزعها، وليس من حقّ الأمّة أيضاً أن تثور عليه وتنزع الخلافة منه!

فلمّا رأى عثمان أنّ الأمّة كلّها ضدّه وسوف لا تتركه حتّى يستجيب لارادتها، ولم ير ناصحاً في هذه الأيّام الشديدة من حياته غير الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، حينها اجتمع الناس إلى الإمامعليه السلام وبيّنوا له فساد الأمر بيد عثمان، فنهض الإمامعليه السلام ليكلّم الخليفة وينصحه، فقال له: «إنّ الناس ورائي، وقد

🡐

➔

استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلُّك على أمر لا تعرفه، إنّك تعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنُخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما صحبنا... وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى بعمل الحقّ منك... فالله الله في نفسك، فإنّك والله ما تُبصّر من عمى، ولا تعلّم من جهل، وإنّ الطرق لواضحة، وإنّ أعلام الدين لقائمة... فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادل، هُدي وهدى، فأقام سنّةً معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيِّرة لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام. وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر، ضلّ وضُلّ به، فأمات سنّةً مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يرتبط في قعرها... وإنّي أنشدك الله ألاّ تكون إمام هذه الأمّة المقتول! فإنّه كان يُقال: يُقتل في هذه الأُمّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرن الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضّي العمر!» فقال له عُثمان: كلِّم الناس فيّ أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٦٤). فكلّمهم الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرجع المصريّون إلى مصر، ولكنّ تأخّر عثمان عن تنفيذ ما وعدهم به، وكان الذي صرفه عن ذلك مروان بن الحكم، إذ قال لعثمان: تكلّم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم، ويأتيك ما لا تستطيع دفعه!

←

➔

ففعل عثمان ذلك (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٤، وتاريخ الطبري ج٤: ص٣٦٠). فثارت الجموع، فتشبّث عثمان مرّةً أُخرى بالإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بعد أن رجع المصريّون وحاصروه، فقال له: يا ابن عمّ، إنّ قرابتي قريبة، ولي عليك حقّ عظيم، وقد جاء ما ترىٰ من هؤلاء القوم، وهم مُصبّحيّ، ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك، وأُحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنّي. فقال له الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «على أيّ شيءٍ أردّهم عنك؟» قال: على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي. فقال الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: «إنّي قد كلّمتك مرّة بعد أخرى، فكلّ ذلك نخرج ونقول، ثمّ ترجع عنه، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد، فإنّك أطعتهم وعصيتني». قال عثمان: فأنا أعصيهم وأطيعك. فأمر الناس، فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً، فأتى المصريّين فكلّمهم، فذكر لهم ما وعد به عثمان من العمل بالحقّ وإرضائهم (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٣-٥٤). ولمّا عاد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من مهمّته في تبليغ الوعود، قال لعثمان: «تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك، ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن أن يجيء ركب آخرين من الكوفة، فتقول: يا عليّ اركب إليهم، ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب من البصرة، فتقول: يا عليُّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقّك». فخرج عثمان فخطب الناس، فقال بعد الحمد والثناء: أمّا بعد أيّها الناس، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلاّ وأنا أعرفه، ولكنّي فتنتني نفسي وكذّبتني وضلّ عنّي رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من زلّ فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادّ في

←

➔

الهلكة، إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أوّل من اتّعظ، وأستغفر الله ممّا فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستنّ بسنّة العبد، ولأذلّنّ ذلّ العبد، ولأكوننّ كالمرقوق، إن مُلكَ صبر، وإن عُتقَ شكر، وما عن الله مذهب إلاّ إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٦٠-٣٦١). فوالله لأعطينّكم الرضا، ولأنحينّ مروان وذويه ولا أحتجب عنكم (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٥). ولمّا نزل عثمان وعاد إلى بيته عاب عليه مروان إقراره بالخطأ، وما أعطاهم من الوعد بالإصلاح والصلاح، ولم يكن من عثمان إلاّ أن يركن إلى كلامه ويقول: أخرج إلى الناس فكلّمهم، فإنّي أستحي أن أكلّمهم! وخرج مروان إلى الناس فقال لهم: ما شأنكم؟ قد اجتمعتم كأنّكم جئتم لنهب! شاهت الوجوه! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنّا.. ارجعوا إلى منازلكم، فإنّا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٦، والبدية والنهاية ج٧: ص١٩٣). ولمّا بلغ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذا الكلام، بأنّ عثمان أصرّ على سياسته التي اخطتّها مروان وغيره، ولم يستطع أن يغيّر من موقفهم، قال: «أي عباد الله، يا للمسلمين! إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان..»، وقام مغضباً حتّى دخل على عثمان فقال له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك، إلاّ بتحريفك عن دينك وعن عقلك.. والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله إنّي لأراه يوردك ولا يُصدرك! وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على رأيك» (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٣٦٣). وندم عثمان على فعله، فبعث إلى الإمام أميرالمؤمنين

➔

وسار باعثاً لجلوس إمام الحقّ في مقامه[1]،

علـيّ بـن أبـي طالـب عليه السلام يستـصلحه، فقـال الإمـام أميـر المـؤمنين علـيّ بـن أبـي طالب عليه السلام: «أخبرته إنّي غير عائد...» أمّا الناس فقد حاصروا عثمان في بيته ومنعـوا عنه الماء.. فاشتدّ عليه الأمر، وضلّ حائراً لا يلوي فعل شيء، إلاّ أن يغلق عليـه بابـه وينتظر ما سيحدث! لكنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بـن أبـي طالـب عليه السلام أمـر ولديـه الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام بحمل سيفيهما والذود عـن عثمـان يمنعـان الناس عنه... وذهب عليه السلام إلى طلحة – وكان هو الذي قد منع المـاء عـن عثمـان مـع جماعة حوله – متناسياً كلّ ما حدث من عثمان، فقال له: «يا طلحـة، مـا هـذا الأمـر منك الذي وقعت فيه؟!» قال: يا أبا الحسن، بعد ما مسّ الحزام الطُّبْيَين (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٦). وقوله: "مسّ الحزام الطُّبْيَين" كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشرّ والأذى، لأنّ الحزام إذا بلغ الطبيين فقـد انتهـى إلـى أبعـد غاياتـه. فـالطُّبي حلمة الضرع (انظر لسان العرب مادة طبي)، وملخّص الكـلام أنّ قتـل عثمـان كـان بسبب الفساد والانحراف الذي أحاط به من جميع الجهات، ولا شـك أنّ دفـع هـذا الفساد يعدّ أحسن خيراً كما أنّ العقلاء يقولون: دفع الشرّ أولى من جلب المصلحة.

(١) وبعبارة أوضح أنّ فساد حكومة عثمان وانحرافاته صار سـبباً لإعـراض النـاس عـن حكومة التي أسّسها الـسقيفة، وإتجـاههم نحـو الإمـام أميرالمـؤمنين علـي بـن أبـي طالب عليه السلام لإقامة الحق بين النـاس. إذعنـدما وجـد النـاس الفـساد والانحـراف مـن حكومة عثمان وعرفوا أنّ هذا الفساد كان نتيجة تسلّط الـسقيفة علـى النـاس، حتّـى وصل بهم الأمر إلى سياسة الدمار مـن عثمـان وحكومتـه، فثـاروا عليـه وقتلـوه، ثـم التجأوا إلى الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورجعوا إلـى مـا أمـرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فاجتمعوا حول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام وكـانوا

➔

يطلبون منه البيعة للخلافة والإمامة. فقالوا: إنّ هذا الرجل (عثمان) قد قُتل، ولا بدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٤٥٠). وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً؛ فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: «لا حاجة لي في أمركم أنا معك فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا،» فقالوا: والله ما نختار غيرك؛ قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان مراراً ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلاّ بإمرة وقد طال الأمر، فقال لهم: «إنّكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلاّ فلا حاجة لي فيه»؛ قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاءه فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: «إنّي قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح ما لكم معي، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟» قالوا: نعم؛ قال: «اللّهم اشهد عليهم». ثم بايعهم على ذلك (تاريخ الطبري ج٣: ص٤٥٠). وروى البلاذري وقال: وخرج علي فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى علي، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: إن أمير المؤمنين علي حتّى دخلوا داره فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير، فقال علي: «ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة»، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحق بهذا الأمر منك... فلمّا رأى علي ذلك صعد المنبر وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطيّر منها علي وقال: «ما أخلقه أن ينكث» (انظر أنساب الأشراف ج٥: ص٧٠)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٤. وإلى غير ذلك من الروايات فإنّها صريحة في أنّ الناس بعد قتل

🡐

فأخذ يشيد الدين بقدر استطاعته فلم يرض بذلك جماعات بعد علمهم بأنّ الحقّ يدور معه حيث يدور[1]،

عثمان، وخلاصهم من شرّه توجهوا إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وطلبوا منه أن يكون إماماً وخليفة لهم. ليبايعوه بأجمعهم، بعد ما تبيّن لهم أنّ الوحيد الذي يليق بهذا المقام العظيم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف المشهور، الذي رواه أكثر من مائة حافظ ومحدّث وعالم من أهل السنّة بأسانيد عديدة تفيد مجموعها التواتر، وقد رواه أكثر من عشرين صحابي، منهم أبو بكر، أبو ذر، عمّار، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، سلمان، أبو أيّوب الأنصاري، جابر بن عبد الله، سعد بن أبي وقاص، عائشة، أمّ سلمة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر شرح منهاج الكرامة للسيّد الميلاني ج٢: ص٩٥). وإليك بعض تلك الآثار: منها: ما رواه الترمذي بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد جاء فيه: «رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم. ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار علي عليه السلام إلى البصرة دخل على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودّعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنّك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أني

➔

أكره أن أعصي الله ورسوله – فإنّه أمرنا صلى الله عليه وآله أن نقرّ في بيوتنا – لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني ...؛ قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩).

ورواه أبو يعلى الموصلي، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟»، قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحبّ الخفيّ التقيّ» قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحق مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم.

ورواه الخطيب البغدادي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره.

ورواه ابن عساكر بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عباس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتّى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ! قال:

➔

➔

فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنه قال: (يعني لعلي) «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، فقالت أمّ سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي، لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره.

ورواه ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحقّ لن يزال مع عليّ، وعلي مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا؟» قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥.

ورواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال:... استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع عليّ ولن يتفرقا حتّى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢).

←

➔

ورواه الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أنّ علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللّهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). والى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين في كتبهم، وهي كثيرة جدّاً، لا يمكننا استقصائها.

وتقريب الاستدلال بالحديث على المقام واضح، لأنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحج:٦٢)، فالآية تؤكّد على أنّ الإيمان الحقيقي هو الإيمان لا ينفصل عن الله سبحانه، إذ كلّما يكون الإيمان والتصديق بالله أعلى يكون التقرب إلى الله عزّ وجلّ أكثر فكأنّما يوجد ارتباط وثيق بين الحقّ والإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ. وفي مقابله الباطل، فبمقدار ابتعاد الشخص عن الحقّ، يتقرب إلى الباطل. فقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ»، معناه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ؛ والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان ابن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب إنّ الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا إنّ الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال

➔

➔

الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً، وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم؟! ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ، فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفا أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفا أعان به عدوّ عليّ عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره. فتوجّه الناس إلى الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بعد قتل عثمان دليل على أنّ الناس قد عرفوا الحقّ، وفهموا إلى أنّ يتمسكوا بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويعرضوا عن خلافة السقيفة وهذا هو أكبر عامل لتقربهم إلى الحقّ وابتعادهم عن الباطل، حيث أنّهم أحسّوا بالضرر الذي كان يعود إليهم من الباطل، لأنّ خلافة السقيفة كانت مبتنيةً على الظلم والجور والعنف، وفي عهد عثمان وصل الأمر إلى أعلى درجته. فأراد الناس أن يستنقذوا أنفسهم من هذه البلية العظيمة، التي وقعوا فيها بسبب انقلابهم على الأعقاب. فرجعوا إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتمسّكوا به، ليُعلنوا بذلك اعلانا عاماً لموقفهم وإعراضهم عن السقيفة معلنين بأعلى أصواتهم بأنّ خلافة السقيفة هي الخلافة الباطلة، ولأنّ الروايات والنصوص الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كحديث علي مع الحقّ...

🡐

فحاربوه[(١)]

➔

أصحبت ظاهرة واضحة على الأرض الواقع. فرجعوا إلى الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ليتمسّكوا بالحق، ويعرضوا عن الباطل، ومعنى ذلك أنّ خلافة الخلفاء الثلاثة كانت شرّاً كما هو المستفاد من حديث حذيفة فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث أنّ أتباع السقيفة والخلافة الغاصبة قد حاربوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منذ عرفوا أنّ استمرار الرسالة المحمّديّة إنّما يكون بوجود ولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم. فإمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كان إحياءً لمعالم الدين والشريعة السماوية. فاجتمع أتباع السقيفة قدرتها لمحاربة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من كلّ حدب وصوب، وابتدوا بالحرب من أوّل لحظة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسرعوا واجتمعوا في المسجد وخارجه، وابتداءً قاموا ببثّ الأخبار المزيفة لتحريف أذهان الناس وابتعادهم الحق والحقيقة، وإذا بموقف غريب يصدر عن عمر بن الخطّاب إذ خرج بعد أن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله والسيف في يده يهزه ويقول: إنّ رجالاً يزعمون أنّ رسول الله قد مات، إنّه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران (انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٢٣). وذلك في نفس الوقت الذي قام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله والصلاة عليه ودفنه. ثمّ اجتمعت جماعة من الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الرئاسة والحكومة بزعامة سعد بن عبادة زعيم الخزرج (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٢٣٣). وخرج إليهم أبو بكر وعمر ومعهما أبو عبيدة ومن لحقهم من المهاجرين، وكانوا يستهدفون الحكومة التي يتحكّمها جذور الجاهلية، فتشاجرت القبائل بينهم لتحقّق النظام القبلي الجاهلي، رغم أنّ الصحابة بايعوا

➔

➔

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للخلافة والإمامة يوم غدير خمّ. وقد روى ذلك كبار علماء أهل السنّة، فروى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي الطفيل عن زيد ابن أرقم قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن فقال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا علي الحوض»، ثمّ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن» ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» وذكر الحديث بطوله (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩). وروى الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خم، لمّا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست ولي المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر ابن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (المائدة:٣). ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب، كتب له صيام ستّين شهراً، وهو أوّل يوم نزل جبريل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله بالرسالة اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون. وكان يقال إنه تفرّد به، وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله ابن النيري فرواه عن علي بن سعيد (انظر تاريخ بغداد ج٨: ص٢٨٤). وقال الغزالي في كتابه سرّ العالمين: أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلى الله عليه وآله في يوم، غدير خمّ باتّفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن (انظر سرّ العالمين وكشف

➔

➔

ما في الدارين: ص١٠-١١ المقالة الرابعة). ومعنى ذلك أنّهم سمعوا من النبي الأكرمﷺ: بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أحقّ بالإمامة الزعامة، ومع ذلك كلّه حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهناك روايات كثيرة سمعها الصحابة من النبي الأكرمﷺ قائلاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي». فقد أخرج أحمد ابن حنبل بسنده عن أبي هريره قال: نظر النبيﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (مسند أحمد ابن حنبل ج٢: ص٤٤٢). ورواه الترمذي بسنده عن زيد بن أرقم مثله (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٣٦٠). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أمّ سلمة قال كان النبيﷺ عندنا منكساً رأسه، فعملت له فاطمة حريرة فجاءت ومعها حسن وحسين فقال لها النبيﷺ: «أين زوجك؟ اذهبي فادعيه» فجاءت به فأكلوا فأخذ النبيﷺ كساء فأداره عليهم فأمسك طرفه بيده اليسرى، ثمّ رفع يده اليمنى إلى السماء وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم، عدوّ لمن عاداكم» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص١٤٤). وأيضاً سمعوا رسول اللهﷺ يقول: حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حبّهﷺ، وبغض الإمام عليه السلام بغضهﷺ، كما في رواية سعيد بن جبير قال: كنّا مع ابن عبّاس بعرفة، فقال لي: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون من معاوية، قال: فخرج ابن عبّاس من فسطاطه، فقال: لبّيك اللّهم لبّيك، فإنّهم قد تركوا السنّة من بغض علي عليه السلام، ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٤٥٦). وروى البيهقي في سننه، بسنده عن سعيد بن جبير -

🡐

➔

بلفظ آخر – قال: كنّا عند ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبّيك اللّهم لبّيك، وإن رغم أنف معاوية، اللّهم ألعنهم، فقد تركوا السنّة من بغض علي (السنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص١١٣). وروى ابن عبد البر في الاستيعاب، قال رسول اللهﷺ: «من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠١). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو ابن شاس الأسلمي قال: وكان من أصحاب الحديبية.... أنّ رسول اللهﷺ قال لعمرو: «يا عمرو، والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد آذاني» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). وروى الهيثمي بسنده عن بريدة، قال: بعث رسول اللهﷺ علياً أميراً على اليمن وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعليعليه السلام على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ عليعليه السلام جارية من الخمس، فدعا خالد ابن الوليد بريدة، فقال: اغتنمها، فأخبر النبيﷺ ما صنع، قال بريدة: فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول اللهﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً، فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك، قلت: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبيﷺ فقالوا: فأخبر النبيﷺ؛ فإنه يسقط من عين النبيﷺ ورسول اللهﷺ يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً، من تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً منّي وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، يا بريدة: أما علمت

➔

ولعنوه على المنابر[(١)]،

➔

أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليّكم بعدي»، فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلاّ بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً، قال: فما فارقته حتّى بايعته على الإسلام (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٨). وبعد هذه الأدلّة والنصوص لابدّ للباحث من أهل السنّة أن يعتقد بأنّ محاربة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كاشفة عن العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن مع ذلك كلّه فإنّ الصحابة قد أظهروا ما هو المكنون في صدورهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، من البغض والمعاداة والمحاربة للإمام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وكلّ حرب ناشئ عن البغض، وكلّ بغض ناشئ عن العداء، فالحرب والعداء والبغض للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان السبب الرئيس لغصب الخلافة منه بالرغم أنّهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي»، وقد رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام غير مرّة: «حربك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧)، ورواه الآلوسي في نفسيره ج٢٦: ص١٥١، والخوارزمي في مناقبه: ص١٢٩، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص١٧٢ وغيرهم. فمع علمهم بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله و مع علمهم محاربة الإمام عليه السلام محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله حاربوه، فكيف يمكن وجود الخير فيهم مع أنّهم صاروا في زمرة المحاربين لرسول الله صلى الله عليه وآله؟!! فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث النصوص الواردة في كتب الفريقين الصريحة في أنّ أتباع السقيفة كانوا يتديّنون ببغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد

➔

➔

وصل الأمر إلى أنّهم كانوا معلنين في سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولعنه؛ وهذا النهج بدأ بشكل واضح وصريح على يد معاوية بن أبي سفيان، وإن كانت هناك إرهاصات قبل ذلك، إلاّ أنّ أوّل من أسّس هذا النهج السخيف، بشكل رسمي هو معاوية بن أبي سفيان، وهذا ما هو صريح النصوص الواردة في كتب أهل السنّة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول له، خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي»؛ وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتى به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه؛ ولمّا نزلت هذه الآية ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢١ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام). ومنها: ما رواه ابن حجر في كتابه فتح الباري يقول: ووقع في شرح الوجيز للرافعي عند ذكر الخوارج قال: هم فرقة من المبتدعة خرجوا على علي... وليس الوصف الأول في كلامه وصف الخوارج المبتدعة وإنما هو وصف النواصب أتباع معاوية بصفين (انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٣:ص٤٤٨). وفيه التأكيد على أنّ الخوارج والنواصب كانوا يقتدون بمعاوية في نصبهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وفي

➔

➔
الحقيقة أنّ المستفاد من الحديث ، أنّ معاوية كان يأمر الآخرين بسبّ ولعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ومعنى ذلك أنّه أراد إجراء هذه السنّة السيّئة بالقهر والإضطرار ، ليأخذعليها الناس ويتبعونه فيها العنف والإرهاب لتبقى سنة سيئة جارية تجمع فيها جميع الرذائل. وقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من سنّ سنّة ضلال فاتّبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٥٠٥).

ومنها: ما أخرجه ابن كثير بسنده عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه قال: لمّا حجّ معاوية وأخذ بيد سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أبا إسحاق إنّا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحجّ حتّى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزّ تبوكاً: «ألا ترضي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟» أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار»، أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم، ثم نفض رداءه ثم خرج (البداية والنهاية ج٧: ص٣٧٧).

ومنها ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي
➔

➔

قال: دخلت على أمّ سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٣٣).

ومنها: أخرجه أبويعلى الموصلي بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت أم سلمة: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله على المنابر؟ قلت: وأنّى ذلك؟ قالت: أليس يسبّ علي ومن يحبّه؟ فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبّه (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٤٤٤).

ومنها ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن بكير ابن عثمان البجلي قال: سمعت أبا إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتّبعتهم، فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي فأجابها، رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم، قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). ثمّ قال الحاكم: هذا الحديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي على أنّ الحديث صحيح.

ومنها: ما أخرجه المحب الطبري بسنده عن ابن عباس أنّه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون علياً، فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال سبّوا علياً: قال فردّني إليهم، فردّه؛ قال: أيّكم السابّ الله؟ قالوا: سبحان الله، من سبّ الله فقد أشرك، قال: أيّكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، قال فأيّكم السابّ لعلي؟ قالوا: أما هذا فقد كان.

➔

فـالخير الثـاني هـو مـا حـصل مـن تـشييد الـدين فـي زمـن إمامـة أميـر المؤمنين عليه السلام(١)،

➔

قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبّه الله على منخره»، ثمّ تولّى عنهم (الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢). وإلى غير ذلك من النصوص والروايات الواردة في المقام. فأتباع السقيفة مع علمهم بأنّ من سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو لعنه فقد سبّ ولعن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولعنه فقد سبّ الله، ومع ذلك كلّه كانوا يتّبعون هذه السنّة السيّئة التي أسّسها معاوية، رغم تلك الأحاديث الكثيرة والنصوص التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله أو سمعوها ممّن سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهل يوجد في هؤلاء خير بعد ذلك؟ فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح على فرض تمامية حديث حذيفة من جهة السند ودلالته، فإنّ المقصود بالخير الثاني في عبارة الحديث هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحكومته الظاهرية، حيث أنّ الخير الأول في حديث حذيفة يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والشر بعد الخير يرجع إلى الخلفاء الثلاثة الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام والخير الثاني هو خلافة الظاهريه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واليك نص الحديث : فعن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير

←

➔

من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). فحديث حذيفة يدلّ على أنّ الخلافة الظاهرية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان فيها تمام الخير. هذا بحسب ظاهر الحديث كذلك بحسب الواقع الأمر فإنّ إمامة من جعله الله ورسوله صلى الله عليه وآله إماماً على العالمين يكون خيراً، إذ أنّ الشريعة الخاتمة التي بناها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بوضع أُسسها ومقوّماتها الأساسيّة، استمرّ عليها تلميذه ووصيّه وأخيه وابن عمّه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده. عندما نطالع سيرة الإمام عليه السلام أيّام خلافته الظاهرية تلوح أمام أعيننا وتتبلور معالم دولته فاضلة طالما سعى لها رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام حياته، وهي دولة قائمة على العدل والاعتدال، وجمعت بين خيري الدنيا والآخرة. فهي دولة يأمن فيها الضعيف والقوي، ويتساوى فيها الغني والفقير، ويهنّأ في ظلّها المسلم وغير المسلم، وربطت الإنسان بالله ربّه ربطاً متيناً لا مجال فيه للالتواء والتعثّر، ولا للانحراف والضياع؛ ولذلك تجد أنّ الناس لم يعرفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً جمعت فيه جهات الفضل بأجمعها، كما جمعت فيه جميع مواريث الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصدّيقين، فإنّه قد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، وفضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تتناهى، وإمامته ومرجعيّته بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ضمان لعدم الانحراف عن الدين، لأنّ إمامته منصب إلهي كنبوّة الأنبياء يخضع لمقتضيات قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ**

🡐

➔
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة الأنعام:١٢٤). فالإمام إمام، قام أو قعد عن السلطة السياسيّة، والإمامته لا تدور مدار القيام بالأمر. ولقد وردت روايات كثيرة بطرق صحيحة عن النبيﷺ أنّه أكّد على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام خير من أترك بعدي، ففي حديث رواه حسام الدين الجوبنّوري، عن النبيﷺ قال: «إنّ وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي ينجز عدّتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب» (انظر منتخب كنز العمّال في الهامش من مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٢). وفي حديث آخر رواه الطبراني بإسناده عن النبيﷺ قال: «وصيي علي ابن أبي طالب وهو خير من أترك بعدي» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٦: ص١٢٢). وعن عايشة أنّها قالت: والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ، ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من فاطمة (الغدير ج٣: ص٢٣ نقلاً عن الحاكم في المستدرك، وابن عبد ربّه في العقد الفريد). وروى الخوارزمي بإسناده عن معاوية بن ثعلبة قال: جاء رجل إلى أبي ذر وهو جالس في المسجد وعليعليه السلام يصلّي أمامه فقال: يا أبا ذر ألا تحدّثني بأحبّ الناس إليك؟ فوالله لقد علمت أنّ أحبّهم إلى رسول الله أحبّهم إليك، قال: أجل، والذي نفسي بيده ان أحبّهم إلى رسول الله وهو ذلك الشيخ وأشار إلى عليعليه السلام (انظر المناقب للخوارزمي: ص٤٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام بهذا المضمون. وعليه فإنّ الخير الثاني في الحديث هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، بل الإنصاف أنّ هذا النوع من الكلام في التفاضل يكون من باب ضيق التعبير والبيان؛ لأن الأفضليّة إنّما يسوغ عقلاً وذوقاً عندما يكون التفاوت خفيّا أو يسيراً، أمّا حينما يكون التفاوت بيّناً فالحديث عن التفاضل يكون مستهجناً كاستهجان البحث عن التفاضل بين الذهب والنحاس. فالبحث عن أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي ابن
➔

←

أبي طالبعليه السلام على الخلفاء والصحابة، ومن باب الاحتجاج على الخصم، وإلا فالحقّ في البحث ينبغي أن يكون حول أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على أنبياء الله ورسله وملائكته المقرّبين إذا استثنينا نبي الإسلامصلى الله عليه وآله، إلاّ أنّ الدنيا قد تنكّرت وأدبر معروفها فأصبح البحث عن أفضليّة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على سائر الصحابة أمراً غير محسوم. وهكذا فقد أرسى الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله قواعد وأُسس تلك الدولة من خلال كلماته وتوجيهاته وأفعاله، بحيث أصبحت تلك الأعمال والأقوال والأفعال منهاجاً يسير عليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في إدارة الدولة في زمن خلافته الظاهريّة وشؤون السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة والماليّة. فكان الإمامعليه السلام هوالمكمّل لما بدأ به الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله، وهو الذي أخذ على عاتقه بناء الدولة الإسلاميّة العادلة التي أرادها الله سبحانه لعباده، فإنهعليه السلام لم يحتجّ في يومٍ من الأيام إلى سلطة أو حكم، بل كانت السلطة دائماً في حاجة إليهعليه السلام، وكمّ من مرّة يقول قائلهم: لولا علي لهلك عمر (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٣). وما تستبطن هذه الكلمة من أعلميّة وأسبقيّة وأفضليّة وأرجحيّتهعليه السلام في شتى نواحي الحياة: الدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة وغيرها. فكان الإمامعليه السلام يشير عليهم في الجانب القضائيّ فيأخذون برأيه، ويشير عليهم في الجانب العسكريّ فيأخذون برأيه، وكذا في بقية الجوانب كالجانب الاقتصاديّ والاجتماعيّ و... لأنّه رجل الدولة الأوّل بلا منازع، وهو بحقّ: قد زيّن الخلافة ولم تزيّنه أبداً. وبما أنّ الدولة لا تقوم إلا بعناصر ومقوّمات أساسيّة، فإنّما دولته صفحة من صفحات ذلك النظام الرائع الذي يملأ النفوس ثقة واطمئناناً بعدله وأصالته وسلامة أهدافه، فقد تكلّل ذلك النظام بالخير والعدل على الإنسانيّة في سبيل تحقيق آمالها وأحلامها،

→

وهو دون سابقه من حيث تظاهر من حاربه بالنفاق(١)

➔

تلك السياسة العادلة التي عملت على إحياء سنن الإسلام وإماتة الباطل، فلا شكّ أنّ الخير الثاني هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتصريح النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب أهل السنّة فهو منافق، لأنّ من علائم النفاق بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الايمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٩٥، وابن ماجه في سننه ج١: ص٤٢، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٦، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣ وغيرهم. وعليه ولا شكّ بأنّ المقصود بالخير الثاني في حديث حذيفة هو من ظهر وكان حبّه علامة الإيمان عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أنّ من كان فيه علائم المؤمن الحقيقي فيصدق عليه عنوان الخير، وفي مقابله الشرّ. إذ أنّ المؤمن الخالص هو المؤمن الذي يعرف بالتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ومن كان كذلك فقد وعده الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بالجنّة فقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة التوبة:٧٢). ومن وعده الله بالجنّة فهو من مصاديق الخير. وعليه لمّا كان حبّ الإمام

➔

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان معناه أنّ حبّهعليه السلام علامة أهل الجنّة أيضاً. كما يدلّ الحديث على أنّ أهل النار علامتهم بغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لأنّ الله تعالى وعدهم نار جهنّم كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَات وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:٦٨)، فلو كان حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان، فيعرف أنّ من كان أهل الإيمان الخالص لله ورسولهصلى الله عليه وآله يميّز بحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كما يميّز ببغض حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لأنّه علامة النفاق. إذن من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو أهل النار، لأنّه يبغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ولذلك قد شاعت بين الصحابة بأنّهم إذا أرادوا أن يعرفوا المنافقين كانوا يعرفونه من هذه الجهة، حيث ورد في الحديث عن أبي ذر أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسولهصلى الله عليه وآله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٩). وقد أكّد جابر بن عبد الله الأنصاري استعمال لفظ المنافق للمعيار بين المؤمنين والمنافقين؛ لأنّ منهم كان في مقابل المنافق، ولذلك قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي بن أبي طالب (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٢: ص٤٦٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٣). وهذا هو المعيار والميزان الذي الحديث وقول الله عزّوجلّ. وعليه فإنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو منافق بخلاف من حارب الخلفاء الثلاثة وأتباع خلافة السقيفة، فحيث ليس فيهم علامة النفاق فمعناه أنّهم في مقابل أهل النفاق؛ لأنّ من غصب حقّ الإمام أمير المؤمنين

➔

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في زمرة من كان يبغض الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. وقد بنى أصحاب السقيفة من أوّل يوم أساس حكومتهم على البغض والعداء للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل على المعارضة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فدخلوا في عنوان المنافقين الذين كانوا يعيشون في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وكانوا يكيدون للإسلام المكائد، ويدسّون له الدسائس، وكان الإسلام والمسلمون يعانون من وطأة مؤامراتهم. وهم الذين كانوا يشكّلون جبهة عدوانيّة داخليّة، أشبه بما يسمّى بالطابور الخامس، فهؤلاء وإن أسلموا بحسب الظاهر وبألسنتهم دون قلوبهم، فكانوا يتربّصون وينتظرون الفرص لتضعيف الدولة الإسلاميّة بإثارة الفتن الداخليّة، والتحرّكات السياسية والعسكرية لمعارضة الحكومة الإسلامية، وإيجاد الضعف في النشاط الفكري والثقافي للمسلمين. ولقد انبرى القرآن الكريم لفضيحة هؤلاء المنافقين والتشهير بخططهم ضدّ الدين والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في العديد من السور والآيات القرآنيّة، وقد نزلت في حقّهم سورة خاصّة. ففي بعضها أوصفهم القرآن الكريم ببيان واضح وبشكل صريح أنّهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام، كما في قوله الله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (سورة المنافقين:١)، فالآية صريحة بأنّ المنافقين كانوا يكذبون ﴿**وَيَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ (سورة الفتح:١١)، فالآية تقول من علائم المنافقين أنّهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فيقولون: ﴿**نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾. فهؤلاء كانوا من حلفاء الخلفاء ومن أعداء مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام. ومن هنا يظهر دور الحديث المتواتر لدى الفريقين، وهو قول

←

➔

النبيﷺ: «يا علي لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ المنافق»، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال عليعليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأميﷺ إليّ أن لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان). على هذا الأساس يتّضح لنا بشكل واضح وصريح بأنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان من المنافقين، وفي الواقع كان حربهم مع رسول اللهﷺ كما يتّضح ذلك من قول النبيﷺ: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧). وقوله ﷺ: «أنت مع الحقّ والحقّ معك» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢١). وقولهﷺ: «هذا منّي وأنا منه» (انظر المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٥). وقولهﷺ: «هذا أخي» (انظر كنز العمّال ج١١: ص٦٠٩). وقولهﷺ: «يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٢ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب ما قيل في لواء النبيﷺ). وقولهﷺ: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٠). وقولهﷺ: «إنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٤). وقولهﷺ في كلام قالهﷺ: «خاصف النعل» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣). وقولهﷺ: «لا يحبّه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان). وقولهﷺ: «إن الجنّة لتشتاق إلى أربعة»، وجعلهﷺ أوّلهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧: ص٢٩٦).

➔

وعدم قدرته حينئذ على التشييد التامّ للدين[1]؛

➔

وقولهﷺ لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية» (انظر صحيح مسلم ج٨: ص١٨٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل فيتمنّى أن يكون مكان الميّت من البلاء). وقولهﷺ: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٤٠). إلى غير ذلك ممّا يطول تعداده جدّاً، ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له. فمن الواضح أنّ من كان عدوّاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو منافق بنصّ الروايات الواردة في أصحّ كتب القوم، فكيف يجوز لأحد أن يقول: أنّ المنافق ينطبق عليه عنوان الخير؟!! بل المنافق ينطبق هو الشرّ كما اتّضح من النصوص والروايات. فالخير كلّه قد جمع في من كان أفعاله وأقواله مطابقاً لأفعال وأقوال رسول اللهﷺ، وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وفي مقابله الشرّ، وهم أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وكيف يمكن أن يتصوّر من فيه علامة النفاق ببغض الإمام أمير المؤمنينعليه السلام أن يكون فيه الخير؟!!! وكيف يجوز لمسلم قبول إمامة المنافق؟!! وكيف يصح لأهل السنّة الاعتقاد بخلافة من ليس فيه إلاّ الشرّ؟!!! والله تبارك تعالى يقول: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾ (سورة الرعد:١٦). إذن أنّ معنى الخير الثاني هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ عثمان لم يكن لديه القدرة على أبسط الأمور في الحكومة الإسلامية، لعدم معرفته المسائل الدينيّة، والخبير يعلم بأنّ الحكومة الإسلاميّة تتوقّف على معرفة المسائل الدينيّة، فكيف بزعامة المسلمين وإدارة شؤونهم، والجلوس مكان النبيﷺ. فإنّ الباحث لو درس التاريخ والروايات والآثار

➔

←

الإسلاميّة من حياة عثمان وما ارتكبه أيّام خلافته من المخالفات الشريعة المقدّسة والبدع التي أحدثها في الدين سوف يصل إلى هذه النتيجة بأنّ عثمان لم بكن همّه إلاّ تضليل الناس لا الحكومة، لأنّه لم يكن لديه القدرة على الحكومة والزعامة، حيث أنّه لم يكن يعرف شيئاً من ذلك، غاية الأمر كان يجري أهدافه بواسطة حلفائه من بني أميّة وبطون قريش والطلقاء بغرض محو الإسلام، وتسليطه أعداء الإسلام على رقاب المسلمين، وتسليم مفاتيح الحكم وبيت مال المسلمين إلى الشجرة الملعونة في القرآن بني أميّة الذين استخدموا كلّ أنواع الدنائة والذميمة والابتذال في سبيل إضلال الأمّة والغلبة على الثقافة الإسلاميّة التي طالما كانوا يخطّطون للقضاء عليها. فقد ترك عثمان آثاراً سيئةً على المجتمع الإسلامي بحيث لا ينكره المؤالف فضلاً عن المخالفين له. ومن تلك الموارد ما ذكره المؤرّخون: أنّه اجتمع بنو أميّة عند عثمان في داره عقيب بيعته، فقال لهم أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عدي، قالوا: لا، قال يا بني أميّة، تلقفوها تلقف الكرّة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة، فانتهره عثمان.. (انظر مروج الذهب للمسعودي ج١: ص٦٣٣). وفي رواية أخرى قال أبو سفيان: يا بنى أميّة، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص٥٣). فعملوا بكلّ جهودهم على إضلال الأمّة المحمّديّة بأيّ ثمن كان وكيف ما كان، ودخلوا في الإسلام وهم كارهون. وعندما وجد الناس هذه الحوادث والتراكمات المليئة بالمظالم والبدع والضلالات التي حمّلت معها تداعيات واسعة أثرت سلباً على واقع الأمّة ومستقبلها حتّى لمّا وصل الأمر إلى تلك الأجواء والمناخات التي سلبت عنه هيبة الخلافة الغاصبة التي كانت حصيلة

←

➔

المؤامرة في السقيفة، بدعوى الخلافة الدينيّة المترتّبة على البيعة والطاعة من الرعية، ولكن أنكر عليه حتّى من كان تابعاً للخلافة الغاصبة، والمنكرين على عثمان لم يكونوا أقليّة، بل كانوا جلّ أهل المدينة، بل عموم الأقاليم التي وسعتها الدولة الإسلاميّة آنذاك. فكانت الدوافع للثورة على عثمان كثيرة ومتشعّبة يتّصل بعضها بالسقيفة وما أحدثته الأوّل والثاني من البدع والضلالات حتّى وصلت الحاكميّة إلى عثمان بن عفّان، فإنّ تلك المخالفات والانحرافات والضلالات قد أضافت أسباب أخرى من عثمان للثورة عليه، وقد حذّره الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام مراراً وتكراراً لأجل أن يعدل عن سيرته فلم يرتدع، فبلغ الوضع إلى أن زمام الأمور قد أنفلت من يديه، وأنّ الثورة على عثمان كانت لا محيص عنها. فجميع من عاصر عثمان كان مدركاً أنّه مستحقّ للقتل، ولهذا السبب بالذات ظهرت الحملات الإعلاميّة بالتحريض على قتله من قبل الصحابة، ومن جملتهم عائشة التي كانت تقول بصريح العبارة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه إلى جانب من سلوك عثمان بن عفّان الذي ألبّ الناس عليه فأطاحوا به كقوله في الخطبة الشقشقية: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»، فهذه كانت صفة بطانته وولاته، وهم لا يصلحون لقيادة أمور المسلمين ولا يأتمنون عليها، فلم يكن فيهم إلاّ ملعون أو فاسق أو مرتدّ أو لا خبرة له بأمور العباد وسياسة البلاد...

فهكذا كانت حكومة عثمان على ما شهد عليه جميع المؤرّخون والمحدّثون، وعليه كيف يمكن أن تكون هذه الطامة الكبرى خيراً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!!

ومن هذه الجهة قالﷺ في تفسير الدخن: قوم يستنّون بغير سنّتي[1].

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما ورد في حديث حذيفة، وإليك نصّ الحديث قال حذيفة ابن اليمان: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول اللهﷺ، إنّا كنا في جاهليّة شرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض على أصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق). فالحديث فيه دلالة واضحة أوّلاً على وقوع الشرّ بعد وفاة رسول اللهﷺ مباشرةً. ثم يدّ على أنّ بعد هذا الشرّ سيقع الخير وهو إشارة إلى الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام حيث طلب الصحابة منه أن يبايعهم على الخلافة. وهذا معناه أنّ خلافتهعليه السلام الذي عبر عنه بالخير بعد شرّ الخلفاء الثلاثة. ولكن قالﷺ: يوجد في خلافة الخير الدخن والمقصود به فتن الناكثين والقاسطين والمارقين. وفي رواية رواها مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله إنّا كنّا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشرّ خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب ←

ومن المعلوم مخالفة من حارب علياًعليه السلام[(١)]

➔

الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق). فإنّ قول حذيفة ، قلت: يا رسول الله إنّا كنّا بشرّ فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم»؛ صريحة في أنّ عهد الخلفاء الثلاثة الذين غصبوا الخلافة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله كان عهداً شرّاً، وبعد ذلك عهد الخلافة الظاهريّة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وكان ذلك العهد خيراً كما جاء في جواب رسول اللهصلى الله عليه وآله عن سؤال حذيفة من أنّه هل وراء ذلك الشرّ خير؟ فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: نعم...

فمهما أراد ابن تيمية أنّ يقلّب الحقيقة عن مدلول الحديث ويدّلس على جهلة أهل السنّة، فإنّه لم يمكنه ذلك، لأنّ الخبير يعلم بأنّ المقصود بالخير بعد الشرّ هو خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وأنّ تفسير الدخن في الحديث هو الفتنة الحاصلة من أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذين وصفهم رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث أخر: بالناكثين والقاسطين والمارقين. وهذا من المسلمات التي لايمكن إنكارها. فالباحث الخبير يمكنه المعرفة إلى هذه الحقيقة من خلال ظاهر حديث حذيفة ليس إلاّ، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المستفاد لفظ الدخن في حديث حذيفة الفتن التي أحدثها أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهم الجماعة الذين خالفوا أوامر رسول اللهصلى الله عليه وآله وسننه وما جاء بهصلى الله عليه وآله من عند الله. وهم الذين عنونهم حديث حذيفة بالشرّ فهؤلاء وأتباعهم حاربوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالبعليه السلام، فالمقصود بالدخن في الحديث هو من تسبب الفتن في عصر حكومة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومن كان سبباً للحروب التي وقعت في عهد الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومن حارب المولىعليه السلام، لأنّ الخبير يعلم أنّ الناكثين والقاسطين والمارقين هم الذين خالفوا سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهم الذين أخبر رسول اللهصلى الله عليه وآله عن مخالفتهم للدين، وقد سمّهم رسول اللهصلى الله عليه وآله بالناكثين والقاسطين والمارقين. وقد روى ذلك علماء الفريقين. وفيه رسول اللهصلى الله عليه وآله أخبر عن فتنهم، وأمر الناس أن يتحذّروا عن الدخول فيها، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمر رسول اللهصلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٩). وأخرج ابن كثير في تاريخه بسنده عن سعيد ابن عبيد، عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياًعليه السلام على منبركم هذا يقول: «عهد إلي النبيصلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» (البداية والنهاية ج٧: ص٣٣٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام بهذا المضمون. مضافاً إلى الروايات ألتي رواها الفريقين عن رسول اللهصلى الله عليه وآله مخاطباً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «يا علي حربك حربي»؛ فقد أخرج الترمذي في سننه بسنده عن صبيح مولى أمّ سلمة، عن زيد بن أرقم: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٣٦٠). وأخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم» (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص٥٢). وأخرج الطبراني بسنده عن زيد ابن

⬅

وسبّه[1]

➔

أرقم: إن النبيﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٣: ص٤٠). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن زيد بن أرقم، عن النبيﷺ أنّه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٩)، وصحّحه الذهبي في تلخيصه. وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن أبي هريرة قال: نظر رسول اللهﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (أنظر تاريخ بغداد ج٧: ص١٣٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة، فإنّها تدلّ بالصراحة على أنّ من حارب الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب‰ فهو محارب لرسول اللهﷺ. فهذه الروايات تؤكّد أنّ على المقصود بالدخن في حديث حذيفة هم أصحاب الفتنة الذين أثاروا فتنهم وعدائهم ضد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰، وسببوا الحروب الدامية في عصر الخلافة الظاهرية للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب‰، فالمقصود بالدخن الفتن والحروب كما لا يخفى فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المقصود بالدخن في حديث حذيفة هو الفتن التي أحدثها أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰، الذين سنّ بعضهم سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰، وقد عناهم رسول اللهﷺ في حديث حذيفة بالشرّ. والمقصود به هم الذين كانوا يتديّنون ببغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰، ومن شدّة بغضهم للإمام‰ إلتجاؤوا بسبّه ولعنه؛ وهذا النهج بدأ بشكل واضح وصريح على يد معاوية بن أبي سفيان، وإن كانت هناك

➔

➔

إرهاصات قبل ذلك، إلاّ أنّ أوّل من أسّس هذا النهج السخيف، بشكل رسمي هو معاوية بن أبي سفيان، وهذا صريح النصوص الواردة في كتب أهل السنّة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول له، خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي»؛ وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتى به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه؛ ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢١ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ). فإنّ من سنّ هذه السنّة السيّئة فهو المقصود بالشرّ، ويشهد لذلك ماجاء في الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فهذه العبارة تدلّ بوضوح على أنّ من سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ مخالف لسنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما ورد في الحديث التي رواها الفريقين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «من سبّ علياً فقد سبّني»، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمّ سلمة، فقالت لي: أيسبّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣). وأخرج الحاكم

🡐

➔

النيسابوري بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمّ سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فقلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وأخرج بسنده عن عثمان البجلي قال: سمعت أبا إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتّبعتهم، فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم، قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وأخرج بسنده عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله آذيت رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً لآذيته (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). ووافقه الذهبي في الهامش بقوله: صحيح. وروى السيوطي في الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» (الجامع الصغير ج٢: ص٦٠٨). وقد علّق المناوي على الحديث وقال: وفيه إشارة إلى كمال الاتّحاد بين المصطفى والمرتضى بحيث إن محبّة الواحد توجب محبّة الآخر وبغضه يوجب بغضه... (انظر فيض القدير ج٦: ص١٩٠). وقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلي؟ قال

➔

وقتل محبّيه[(١)]،

➔

سلمان: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٠). ووافقه الذهبي في الهامش بقوله: صحيح. فهذه الروايات من السنن التي تؤيّد العبارة التي وردت في حديث مسلم وهي قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي...» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق). فالمقصود بالدخن في حديث حذيفة الفتن التي أحدثها أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلَامُ، ومنها سبّ الإمام عَلَيهِ السَّلَامُ ولعنه على المنابر، وذلك بالأدّلة والروايات الواردة في المقام وهي تدّل على أنّ سبّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عَلَيهِ السَّلَامُ لمساوق لسبّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه ومن سبّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه فقد سبّ اللهّ ومن سنّ ذلك فقد سنّ المحاربة مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه بل وسنّ محاربة الله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المقصود بالدخن في حديث حذيفة هم الذين سنوا العداء لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلَامُ بقتل شيعته ومحبيه، وقد عناهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه في الحديث بالشرّ. والشاهد هذا المعنى قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، في الحديث يدلّ على أنّ من قتل محبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلَامُ فهو ممن يستنّ بغير سنّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، لأنّ سنّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه قائمة على أنّ محبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلَامُ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة؛ حيث قد ورد ذلك في الأحاديث المتفق عليها ، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: «قد أتاكم أخي» ثمّ

➔

➔

التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ثم قال: «إنه أوّلكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزيّة» قال: ونزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾؛ قال: فكان أصحاب محمدﷺ إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البريّة (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧١). في هذه الرواية نقاط لا بدّ من الالتفات إليها، النقطة الأولى: هي أنّ هذه القضية كانت بجوار الكعبة، فتدّل على أنّه إمّا كانت في أيّام فتح مكّة، أو في حجّة الوداع. وهذا معناه أنّ جميع الصحابة بما فيهم من المنافقين سمعوا هذا الحديث من النبي الأكرمﷺ.

النقطة الثانية: أنّ النبيﷺ قال لأصحابه حين أقبل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «قد أتاكم أخي..» مع أنّ الحاضرين قد رأوا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام مقبلاً كما رآه رسول اللهﷺ، ممّا يعني: أنّهﷺ قد اتّخذ من إقبال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ذريعة للحديث عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وإبلاغهم أمراً يرىﷺ أنّ إبلاغه لهم لازم وضروري. وهذا الأمر إما للتأكيد على أمر سبق بيانه، أو هو تأسيس لأمر جديد، أو هما معاً، وهذا هو الظاهر كما بيّنته المضامين التي صدرت عنهﷺ الدالّ على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على جميع الصحابة في ذاته، وشخصيّته الإسلاميّة، فهو أوّلهم في الإيمان، وأوّلهم في العمل والممارسة، فإنّه أوفاهم بعهد الله.

النقطة الثالثة: إنّهﷺ فضّل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على جميع الصحابة بأمور ترتبط بالحكومة والسلطة، وهي: كونه أقومهم بأمر الله، وأعدلهم

➔

➔

في الرعية، وأقسمهم بالسوية، فقد أخرجهمﷺ عن عموم كلامهﷺ بذكر الرعية والقسمة ليدلّ بصورة واضحة على أنهﷺ يريد أن يسدّ أمامهم باب المنافسة في أمر الحكومة والولاية.

النقطة الرابعة: إنّه قد نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام آية مباركة تحسم كلّ جدل، ولا ينالها خطأ ولا خطل، ألا وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ (سورة البينة:٧). وفيها إشارة إلى أن العمل الصالح لا يقبل بلا إيمان، والإيمان المقصود هنا هو الإيمان الحقيقي الواقعي بشرطه وشروطه، فمن لم يؤمن سيشمله قوله تعالى ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ (سورة الفرقان:٢٣).

وقد أخرج السيوطي في تفسيره عن ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيﷺ فأقبل علي فقال النبيﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ونزلت ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ فكان أصحاب النبيﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البريّة. وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «علي خير البرية». وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول اللهﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين». وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول اللهﷺ: «ألم تسمع قول الله ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجلين» (الدر المنثور للسيوطي ج٦: ص٣٧٩). ومن هنا يعرف أنّ الشرط الواقعي للإيمان هو الولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام حيث قال رسول

➔

➔

اللهﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه السلام: «أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين»، وقالﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا (الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب‌عليه السلام) وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». فالإيمان الواقعي هو الإيمان بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه السلام، ولكن خلفاء الجور الذين سماهم رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم : «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فقد قاموا بقتل محبّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب‌عليه السلام ليبيّنوا بذلك أنّهم سنّوا بغير سنّة رسول اللهﷺ، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني: أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤيّ، بعد تحكيم الحكمين، وعليّ بن أبي طالب‌عليه السلام يومئذ حيّ، وبعث معه جيشاً، ووجّه برجل من غامد ضمّ إليه جيشاً آخر، ووجّه الضحاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر، وأمّرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كلّ من وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب‌عليه السلام وأصحابه، وأن يغيّروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان. فمضى بسر لذلك على وجهه حتّى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ‌عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دوراً من دور القوم. ومضى إلى مكّة، فقتل نفراً من آل أبي لهب، ثمّ أتى السّراة، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه، وكانا من أصهار بني العبّاس، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله ابن العباس، عاملاً لعليّ بن أبي طالب‌عليه السلام وكان غائباً، وقيل بل هرب لمّا بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر (لعنه الله) وذبحهما بيده، بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصد الغامديّ إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساء من

➔

➔

الشيعة (انظر الأغاني ج١٦: ص٤٤٤). وفي الاستيعاب لابن عبد البر: غار بسر ابن أرطاة على همدان، وقتل وسبى نساءهم، فكنّ أول مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد (الاستيعاب ج١: ص١٦١). وفي كتاب الغارات: وأتاه وفد مأرب فقتلهم، فلم ينج منهم إلاّ رجل واحد، ورجع إلى قومه، فقال لهم: إنّي أنعى قتلانا شيوخاً وشباناً (الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي ج٢: ص٦١٩). وروى ابن أبي الحديد بسنده عن الكلبي وأبي مخنف، أنّه ندب الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أصحابه لبعث سرية في أثر بسر، فتثاقلوا، وأجابه جارية بن قدامة السعدي، فبعثه في الفين، فشخص إلى البصرة، ثمّ أخذ طريق الحجاز حتّى قدم اليمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ في بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. وبلغ بسراً مسير جارية، فانحدر إلى اليمامة، وأخذ جاريه بن قدامة السير، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء إلاّ أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته، فيأمر أصحابه بأن يعقّبوه حتّى انتهوا إلى أرض اليمن، فهربت شيعة عثمان حتّى لحقوا بالجبال، واتّبعهم شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتداعت عليهم من كلّ جانب وأصابوا منهم، وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يفرّ من جهة إلى جهة أخرى، حتّى أخرجه من أعمال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلّها، فلمّا فعل به ذلك، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتّى استراح وأراح أصحابه، ووثب الناس ببسر في طريقه لمّا انصرف من بين يدي جارية، لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه، وأصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله في بلاده. وصحبه إلى معاوية ليبايعه على الطاعة ابن مجاعة رئيس اليمامة، فلمّا وصل بسر إلى معاوية قال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مجاعة قد أتيتك به فاقتله، فقال معاوية:

🡐

ومن لم يبايعه ولم يتابعه لسنّته صلى الله عليه وآله [1]

تركته لم تقتله، ثم جئتني به فقلت: اقتله! لا لعمري لا أقتله... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٧). وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ من قتل محبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو من سنّ العداء للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو أهل النار. وعليه فإنّ المقصود بالدخن في حديث حذيفة هو من أحدث الفتن وسنّ سنة قتل محبي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المقصود بالدخن في حديث حذيفة هو الفتن التي ينطبق عليها عنوان الشرّ المذكور في الحديث. والمقصود بذلك هم الذين باشروا الفتن في عهد الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم الذين نكثوا بيعته وحاربوه وسنّوا سبّه ولعنه كمعاوية بن أبي سفيان وأضرابه فإنّهم يشملهم الروايات الدالة على أنّ من خرج عن طاعة الإمام مات ميتة الجاهلية. منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله ابن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع). وفيه: دلالة واضحة على أنّ من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يتابعه فهو ممّن شمله قوله صلى الله عليه وآله: مات ميتة جاهلية. كما شمله قوله صلى الله عليه وآله: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بلّغ أمر الإمامة

➔
لجميع الناس لاسيّما لمن حضر غدير خم بعد إتمام حجّة الوداع، والتي كانت على مفترق طرق خارج مكة لإبلاغهم بأمر الله في تنصيب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، إماماً وخليفة وأمر جميع الحجاج ومنهم كبار الصحابة بمبايعته. فجلس رسول اللهصلى الله عليه وآله في خيمته وأمر الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنئوه بالمقام، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك ثم طفق القوم يهنّئون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة: أبو بكر وعمر بن الخطّاب، كلٌ يقول: "بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة"، كلّهم. ثمّ أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممّن معه أن يدخلن عليه، ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن (انظر الغدير ج١: ص٢٧٠-٢٩٠). وقد بايعه جميع المسلمين على رؤوس الأشهاد، وقد روى حديث الغدير علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ونحلهم كما لا يخفى ذلك على من راجع المصادر الإسلاميّة وأسفارهم وجوامعهم الحديثيّة من الشيعة وأهل السنّة والجماعة، بل ويكون تواتره في أعلى درجة عند الباحثين والمحقّقين حيث صرّح بذلك كبار علماء أهل السنّة والجماعة كشمس الدين الذهبي قال في ترجمة المطلب بن زياد: هذا حديث (حديث الغدير) حسن عال جدّاً ومتنه فمتواتر (سير أعلام النبلاء ج٨: ص ٣٣٥) وغيره من أعلامهم وسنذكر أقوالهم في محلّه إن شاء الله تعالى. وقد جمعها العلاّمة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير ثمّ ذكر رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنفين من أهل السنّة والجماعة الذين رووا هذا الحديث الشريف (انظر الغدير ج١: ص١٢-٤١٠).
➔

مثل خبر الثقلين[1]،

➔

فحديث الغدير من هاتيك الحقائق التي لا يمكن إنكارها حتى للناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام. وعليه فإنّ من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يتابعه عليه السلام فقد خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل أنّه سنّ بغير سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في الحديث: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فيشمله قوله صلى الله عليه وآله: «من سنّ سنّة ضلال فاتّبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أو زارهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٥٠٥)، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث التي ثبت صدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند الفريقين، وقد رواه علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحّته ووثاقة رواته، وطرقه إلى الصحابة ، بل أنّه متواتر كما صرّح بذلك بعض علماء أهل السنة كما قال ابن حجر: أنّ طرقها عن بضع وعشرين صحابياً متظافرة (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقد أفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين لكنهوي قدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة وهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً.

ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حدّثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدُم عهدي، ونسيت بعض الذي

🡐

➔

كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبَلوا، وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص١٤). وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢). وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين....»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١). وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيد الله بن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس ابن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال : ذكرتم الحوض؟ فقال عبيد الله: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكره؟ فقال: نعم، يقول: أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكة، أو بين صنعاء ومكّة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم

🡐

➔

السماء (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٣٠). وإلى غير ذلك ممّن روى هذا الحديث من علماء أهل السنّة.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جدّاً كالشمس في رابعة النهار؛ حيث أنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف دلالة الحديث بالصراحة على وجوب الرجوع إلى الثقلين منحصراً إلى يوم القيامة، لأنّ النبي الأكرمﷺ حصر وجوب اتّباع القرآن والعترة الطاهرةعليهم السلام معاً إلى يوم القيامة، فكما يجب الأخذ بالكتاب واتّباعه كذلك يجب اتّباع العترة الطاهرة، ومخالفتهما أو مخالفة واحد منهما موجب للضلالة. فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن وأئمّة الطاهرين من العترة الطاهرةعليهم السلام.

ولا بأس هنا بذكر بعض عبارات علماء من أهل السُنّة في شرح الحديث والاعترافهم بوجوب الاتّباع من العترة الطاهرة: قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥، نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

وقال النووي: قولهﷺ: و«أنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين، لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادة ثقل).

وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل

➔

➔
بروايتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المنّاوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر»، وفي رواية بدل خليفتين: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: «كتاب الله القرآن، حبل»، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض، قيل: أراد به عهده، وقيل السبب الموصل إلى رضاه، «وعترتي» -بمثّناة فوقيّة-: «أهل بيتي». تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث، وسيأتي البحث في شرح الحديث مفصّلاً إن شاء الله تعالى. فالحديث دالّ على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام بنصّ الحديث على جميع مبانيهم. وعليه فمن لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم يتبعه فهو خالف سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله، بل أنّه سنّ بغير سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله كما جاء في الحديث المتقدم ذكره فيشمله قولهصلى الله عليه وآله : «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فهو مشمول له وهو من أبرز مصاديق قولهصلى الله عليه وآله: «من سنّ سنّة ضلال فاتّبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٥٠٥). فحديث الثقلين يدلّ على أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم المقصودون بالخير الثاني في حديث حذيفة وأنّ المقصود بالدخن الفتن التي أحدثها أعدائهم، فما زعمه ابن تيمية من أنّ المقصود بالدخن الفتن في عصر خلافة عثمان كذب وافتراء على رسول اللهصلى الله عليه وآله فلاحظ.

وخبر «اللّهم انصر من نصره»[١]،

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبيﷺ في حديث الغدير، وقد أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع رسول اللهﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأنّي دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن»، ثمّ أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه...». يقول الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩). وصحّحه الذهبي في تلخيصه في الهامش. وأخرج الحاكم أيضاً بسنده عن رفاعة بن إياس الضبي عن أبيه عن جدّه قال: كنّا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيد الله أن ألقني، فأتاه طلحة فقال: «نشدتك الله هل سمعت رسول اللهﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه؟» قال: نعم، قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكر، قال: فانصرف طلحة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧١). والشاهد أنّ دعاء النبيﷺ بالنصرة في حق من بايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام واتّبعه، دعاء مستجاب كما أنّ دعاء النبيﷺ على من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم يتبعه بالخذلان مستجاب أيضاً. فمن لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يكون ممّن خالف سنة رسول اللهﷺ، بل أنّه ممّن سنّ بغير سنّة رسول اللهﷺ كما جاء في الحديث المتقدّم ذكره فيشمله قولهﷺ: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، وهو من أبرز مصاديق قولهﷺ: «من سنّ سنّة ضلال فاتّبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أو

←

وخبر«محبّه مؤمن ومبغضه منافق»[(١)]،

➔

زارهم شيء» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٥٠٥). فما جاء في حديث الغدير من دعاء النبي صلى الله عليه وآله بالنصرة في حقّ من بايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يدلّ على أنّ المقصود بالخير الثاني في حديث حذيفة هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ المقصود بالدخن الفتن التي باشرها أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فما زعمه ابن تيمية من أنّ المقصود بالدخن الفتن في عصر خلافة عثمان كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام كتبهم، ورواه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم، فأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عدي ابن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمّه عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن ابن عبّاس قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). وأخرج ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن ابن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول

➔

➔

اللهﷺ لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق وأوّل من يدخل الجنّة محبّك وأوّل من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وشاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وصاروا يطبّقونها على من أحبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالبعليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١١٠). وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعليّ؟ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٢، والطبراني في المعجم الكبير ج٢٣: ص٣٨٠، وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص١١٠١، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢ وغيرهم. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتبهم بهذا المضمون، وعليه فإنّ من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم يتابعه فهو ممّن خالف سنة رسول اللهﷺ، بل أنّه سنّ بغير سنّة رسول اللهﷺ كما جاء في الحديث المتقدم ذكره من قولهﷺ: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فهو مشمول له، حيث شمله قول النبيﷺ «يا علي لا يبغضك إلاّ منافق» فإنّ من كان مبغضاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فهو في زمرة المنافقين بهذا النص المتواتر لدى علماء أهل السنّة. فالمبغض للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مشمول لقولهﷺ: «قوم

➔

وغير ذلك من السنن التي نبّهنا عليها فيما مضى وغيرها[١]. وقد بقى الخير المشار إليه إلى مصالحة الحسن عليه السلام من حيث سياسته للناس بما جائت به الشريعة بقدر وسعه[٢].

➔

يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، وأنّ المقصود بالدخن الفتن التي كان سبب حدوثها أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما زعمه ابن تيمية من أنّ المقصود بالدخن الفتن في عصر خلافة عثمان كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) فإنّ الأحاديث الدالّة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده كثيرة جداً. وذلك مثل حديث السفينة، وحديث المنزلة، وحديث الكساء، وغيرها من الأحاديث التي تدل على إمامتهم ووجوب اتّباعهم عليهم السلام. ومعناها أنّ المقصود بالخير الثاني هو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في حديث حذيفة. وأنّ من لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ولم يتابعه فهو مشمول لقوله صلى الله عليه وآله : «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي»، فينطبق عليهم أنّهم خالفوا سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، بل أنّهم سنّوا بغير سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث حذيفة المتقدّم ذكره، وهم المقصودون بالدخن فيه، حيث أنّهم أصحاب الفتن فلاحظ.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان خيراً، لأنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام امتداد لإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان الصلح حسب ما أمر به الله تعالى. ومن أجل وضوح الأمر لا بدّ أن ندرس التاريخ دراسة علميّة تحليليّة موضوعيّة، كي نعرف كيف يمكن أن يكون صلح الإمام الحسن عليه السلام مع الطاغية معاوية خيراً. فإنّ الباحث لو تأمل في كتب الحديث

➔

←

والتاريخ في هذا المجال يجد بوضوح أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام من حيث الأهداف والنتائج، يشبه بالصلح الحديبية الّذي أقامه النبيّ صلى الله عليه وآله مع مشركي قريش وقائدهم أبو سفيان – والد معاوية – في مكان يسمى بالحديبيّة. فلا شكّ أنّ هذين الصلحين لم يكن تنازلاً عن القدرة، وإنّما كانا للحفاظ على القدرة بالنمط الآخر، حيث أنّ الباحث يجد أنّ الوثيقة التي أبرمها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية جاءت لحرص الامام على الإسلام من التمزّق وإسالة الدماء، وحفظ الشريعة المحمديّة، وضمان ديمومتها، وتبيانها فيما تبقى من حياته، فأراد الإمام عليه السلام به السمو والشموخ للاسلام. وإن كانت الروايات الّتي دسّها الوضّاعون والكذّابون من الرواة المرتزقة في عهد بني أميّة كثيرة لتقليب الحقائق، ولكن المكر والتزوير الأمويّ في تلك الروايات أوضح من أن من يخفى على أحد. فالباحث عندما يلاحظ تلك الروايات في كتب أهل السنّة يجدها مشحونة بالعداء علناً لأهل البيت عليهم السلام، لأنّ الاستبداد الأموي لم يسمح لنقل الحديث إلاّ عن طريق علماء السوء والعمّال المرتزقة الذين كانوا يتقرّبون إلى الحكّام عن طريق بيع دينهم وضمائرهم لجلب حطام الدنيا، فقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن المدايني أنّه كتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا مَن قَبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرِّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٤٤). وهكذا كثر الوضّاعون، ودخل فيهم كلّ معاند للدين، وكانت نتيجة ذلك كثرة الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام فأشاحوا بوجه الحقائق وقلّبوها وغيّروها رأساً. ومن تلك الأخبار ما وردت حول

→

←

صلح الإمام الحسنعليه السلام فإنّها مطابقة تماماً لسياسة الأمويّين. التي كانت تمهد الوصول إلى الفكرة الجاهلية. ولعلّ معاوية بن أبي سفيان وجد حكومة بني أميّة فرصة ثمينة لوضع الحديث، حيث لمّا منع الخلفاء الثلاثة نقل الحديث، مدّة ربع القرن، حتّى لم يعرف أكثر الناس لا سيمّا الشباب حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله، فاستغلّ هذه الفرصة لجعل وترويج السنن الجاهلية ونسبتها إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله وأهلبيتهعليهم السلام، واستمرّ الأحداث لصالحه بعد ما أعدّ لنفسه سلطاناً بعيداً عن مركز الدولة الإسلاميّة، واستغرق في المناورة السياسية بكلّ الأساليب غير الشرعيّة من أجل تمويه وعي عموم الناس وتقليب الحقائق لهم بطرق مختلفة.

أمّا الإمام الحسنعليه السلام فقد تولّى الإمامة بعد أبيه، وقام بأفضل ما يمكن القيام به في ذلك الجوّ المشحون بالفتن والمؤمرات، فأمر الولاة على أعمالهم وأوصاهم بالعدل والاحسان ومحاربة البغي والعدوان ومضى على نهج أبيه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام الذي كان امتداداً لسيرة جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله وطابعاً مميّزاً لشخصيتهما في شتى الملامح والعناصر والمنطلقات، إذ أنّهعليه السلام تلقّى ألوان التربية الإسلاميّة على يد النبيصلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنينعليه السلام والسيّدة الزهراءعليها السلام. وهكذا عايش الإمام الحسنعليه السلام مرحلة الإعداد الإلهي من أجل تحمّل أعباء الدعوة لرسالة الله، بشكلها ومضمونها. وهنا لا بدّ أن ندرس شخصيّة الإمام الحسن السبطعليه السلام والتعرّف عليها من خلال قراءة بعض الروايات والدراسة الإجمالية في تلك المواقف والمجالات الحياتيّة الشاقّة، والتأمّل فيها. ويمكننا أن نتعرّف على شخصيّته المباركة من تقرّبه إلى الله سبحانه وتعالى التي كانت في أعلى درجاتها وانشداده إليه أمراً يهزّ القلوب، ويخشع له الوجدان. فعن الإمام الصادقعليه السلام قال: «إنّ الحسن ابن عليعليه السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم» (انظر الأمالي للشيخ

→

➔

الصدوق قُدّسَ سرّه: ص٢٤٤). وقال عليه السلام في رواية أخرى: «إن الحسن بن علي عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً، وقاسم الله تعالى ماله مرّتين، وقيل ثلاث مرّات» (انظر المناقب لابن شهر آشوب ج٣: ص١٨٠). وذكر الفتّال النيسابوري في الروضة: إنّ الإمام الحسن عليه السلام كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله وأصفر لونه، فقيل له في ذلك، فقال:حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش، أن يصفر لونه وترتعد مفاصله (انظر بحار الأنوار ج٤٣: ص٣٣٩). وروى البيهقي في سننه بسنده عن ابن عبّاس قال: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن ابن علي عليه السلام خمسة وعشرين حجّة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرّات حتّى أنه يعطى الخف ويمسك النعل (انظر سنن البيهقي ج٤: ص٣٣١)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٣: ص٢٤٢، والذهبي في سير أعلام النبلاء ج٣: ص٢٦٠، والصفدي في الوافي بالوفيات ج١٢: ص٦٨. وكان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد يرفع رأسه، وهو يقول: «إلهي، ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم» (انظر بحار الأنوار ج٤٣: ص٣٣٩). وكان عليه السلام إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر القيامة والعرض على الله يشهق شهقة يغشى عليه منها (انظر الأمالي للشيخ الصدوق قُدّسَ سرّه: ص٢٤٤). فهذه العلاقة التي كانت بين الإمام عليه السلام وربّه، وهي عبادة الأحرار، الذين عبدوا الله عزّ وجلّ لأنهم وجدوه أهلاً للعبادة، فليست عبادة عبيد، ولا عبادة تجّار. وعلى هذا فقد توفّر للإمام الحسن عليه السلام النشاط الفكري في شتى مجالات الحياة ما لم يتوفّر لغيره من الناس ما عدى المعصومين عليهم السلام. والسرّ في ذلك يعود لطبيعة التلقّي الذي يتوافر للأئمة عليهم السلام، فالإمام إمّا أن يتلقّى من الرسول صلّى الله عليه وآله مباشرة، أو يتلقّاه بالوساطة عن طريق الإمام

➔

➔

الذي قبله. ويشهد للسعة المعرفية عند الأئمة عليهم السلام، فالتاريخ لم يحدّثنا أنّه قد توقّف أحدهم عليهم السلام في مسألة عرضت عليه، أو أنّه قد أشكل عليه أمر من الأمور، أو سئل ولم يتمكّن من الإجابة. هذا ولنذكر شيئاً من الجانب العلمي للإمام الحسن عليه السلام، فقد كتب له الحسن البصري يسأله عن القضاء والقدر، فأجابه الإمام عليه السلام: «أمّا بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه، أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إنّ الله لم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك، لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ولا أُلزموها كرهاً، بل من عليهم، بأن بصرهم وعرفهم، لاوحذرهم، وأمرهم ونهاهم، لا جبراً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ولله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين» (بحار الأنوار ج٥: ص٤٠). فلاحظ كيف يوضّح له الإمام عليه السلام بعبارة موجزة قضيّة تعتبر من أكثر القضايا الفكريّة تعقيداً وعمقاً، حتّى أنّها لشدّة عمقها قد ضلّ فيها الكثيرون من رجال الفكر،كما نشأت عنها تيّارات متطرّفة كالأشاعرة والمعتزلة حول التفسير العقائدي السليم. بينما نراه عليه السلام يتحدّث بمنطق يكشف عن عمق مبادئه ومعرفته وتأثير تفكيره في العقائد الإسلاميّة ممّا يعني ارتباطه عليه السلام بمنابع الرسالة الصافية، ونهله من مفاهيمها الأصيلة.

وفي حديث آخر قيل له عليه السلام: ما الزهد؟ قال: «الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا». قيل: فما الحلم؟ قال:«كظم الغيظ وملك النفس»، قيل: ما السداد؟ قال: «دفع المنكر بالمعروف»، قيل: فما الشرف؟ قال: «اصطناع العشيرة وحمل الجريرة»، قيل: فما

➔

➔

النجدة؟ قال: «الذبّ عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام عند الكريهة»، قيل:فما المجد؟ قال: «أن تعطى في الغرم، وأن تعفو عن الجرم»، قيل: فما المروءة؟ قال: «حفظ الدين وإعزاز النفس، ولين الكنف، وتعهّد الصنيعة، وأداء الحقوق، والتحبّب إلى الناس»، قيل:فما الكرم؟ قال: «الابتداء بالعطية قبل المسألة وإطعام الطعام في المحلّ»، قيل: فما الدنيئة؟ قال: «النظر في اليسير ومنع الحقير»، قيل:فما اللؤم؟ قال: «قلّة الندى وأن ينطق بالخنى»، قيل: فما السماح؟ قال: «البذل في السراء والضراء»، قيل:فما الشح؟ قال: «أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً»، قيل: فما الإخاء؟ قال: «الإخاء في الشدّة والرخاء»، قيل: فما الجبن؟ قال: «الجرأة على الصديق والنكول عن العدوّ»، قيل: فما الغنى؟ قال: «رضى النفس بما قسّم لها وإن قلّ، قيل: فما الفقر؟ قال: شره النفس إلى كلّ شيء»، قيل: فما الجود؟ قال: «بذل المجهود»، قيل: فما الكرم؟ قال: «الحفاظ في الشدّة والرخاء»، قيل: فما الجرأة؟ قال:موافقة الأقران، قيل:فما المنعة؟ قال: «شدّة البأس ومنازعة أعزاء الناس»، قيل: فما الذلّ؟ قال: «الفرق عند المصدوقة»، قيل: فما الخرق؟ قال: «مناواتك أميرك ومن يقدر على ضرّك»، قيل: فما السناء؟ قال: «إتيان الجميل وترك القبيح»، قيل: فما الشرف؟ قال: «موافقة الإخوان وحفظ الجيران»، قيل: فما الحرمان؟ قال: «تركك حظّك وقد عرض عليك»، قيل: فما السفه؟ قال: «اتّباع الدناة ومصاحبة الغواة»، قيل: فما العي؟ قال: «العبث باللحية وكثرة التنحنح عند المنطق»، قيل فما الشجاعة؟ قال: «موافقة الأقران والصبر عند الطعان»، قيل: فما الكلفة؟ قال: «كلامك فيما لا يعنيك»، قيل: وما السفاه؟ قال: «الأحمق في ماله المتهاون بعرضه، قيل: فما اللؤم؟ قال: «إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٣: ص٦٩).

➔

➔
وفي حديث آخر سئل عليه السلام عن السياسة، فأجاب «هي أن ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات. فأما حقوق الله فأداء ما طلب، والاجتناب عمّا نهى، وأمّا حقوق الأحياء: فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخّر عن خدمة أمّتك، وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمّته، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوي، وأمّا حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم ربّاً يحاسبهم» (انظر حياة الإمام الحسن عليه السلام للشيخ باقر القرشي ج٢: ص١٤٤). فهذه نماذج من فضائله ومناقبه وسجاياه الشريفة وخصاله الكريمة التي عجزت الألسن عن أداء الحقّ في تعريف شخصيته عليه السلام.

فالباحث عندما يتأمّل في فضائل الإمام عليه السلام ومناقبه وسيرته العطرة، يتبيّن له أنّ ما قام به عليه السلام في قضية الصلح كان عين الصواب ومطابقاً لرضا الله عزّ وجلّ، فإنّ الإمام عليه السلام كان يحتلّ موقعاً قيادياً ينشأ من العصمة والإمامة الإلهيّة، فضلاً عن السيرة والتربية التي نهل بها من الوحي ونبوّة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم ومن إمامة أبيه الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولاية، فإنّ قيادة الإمام الحسن عليه السلام كانت تدرك مصلحة الإسلام من أدقّ تفاصيلها، ولذلك كان الصلح أمراً ضرورياً يحتمه الشرع ويلزم به العقل، لأنّ الدولة الإسلاميّة آنذاك كانت بأمس الحاجة إلى هدوء أوضاعها الداخليّة بعد أن أدّت الاضطرابات التي أصابت المجتمع الكوفي بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم هناك تهديد خارجي، وعدوّ يتحين كلّ فرصة للانقضاض على بلاد المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم، فمن العبث أن يدخل المسلمون في حرب أهليّة، إذ أنّ ذلك يعني التضحية بكلّ مقدّرات ومكاسب وإنجازات المسلمين، حيث أنّ الروم قد استعدّت لغزو بلاد المسلمين عندما وصل إليهم نبأ استعداد جيش الإمام
➔

➔
الحسن عليه السلام وجيش معاوية للقتال ضدّ بعضها البعض. مضافاً إلى أنّ أي جيش يريد الدخول في معارك مع الأعداء بحاجة ماسة إلى التماسك والتلاحم والانسجام الداخلي بين أفراده، كما أنّ من الضروري أن يتحلى قادة الجيش بالإخلاص والسمع والطاعة للقيادة العليا، وأن يكونوا على أتمّ الاستعداد للتضحية والفداء من أجل الدفاع عن الحقّ والقيم والقيادة الشرعيّة. وللأسف فإنّ كلّ ذلك لم يتوافر في جيش الإمام الحسن عليه السلام بصورة عامّة، إذ كان جيشه مفكّكاً، بسبب التعدديّة العقائديّة، والتباين الفكري والثقافي، والتناقض بين مكوّنات المجتمع العراقي ممّا انعكس على تركيبة الجيش، ممّا أفقده الانسجام والانضباط الذي لابدّ منه في أي جيش يستعدّ للقتال. وممّا زاد الطين بلة هو انضمام القائد العام لجيش الإمام الحسن عليه السلام عبيد الله بن العباس إلى معاوية ومعه ثمانية آلاف مقاتل. فكان أمام الإمام الحسن عليه السلام في ظلّ هذه التطوّرات الخطيرة من قبيل: تفكّك الجبهة الداخلية، والتهديد الخارجي، وخيانة بعض قيادات وأفراد الجيش، والتثاقل عن الجهاد، ثلاث خيارات لا رابع لها وهي:

١- المواجهة المسلّحة، ويعني هذا الخيار أن يدخل الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة مسلّحة مع الحزب الأمويّ وجيشه، رغم كل التطوّرات السلبيّة التي كان يواجهها الإمام الحسن عليه السلام، وكلّ عوامل الضعف في جيشه، وهذا يعني الدخول في معركة غير متكافئة من الناحية العسكريّة والنفسيّة، مما سيؤدّي إلى القضاء على البقيّة المتبقية من جيش الإمام الحسن عليه السلام، وأصحابه الخلص، وانتصار الحزب الأموي، وهو ما يعني خسارة ثقيلة ستلحق أكبر الضرر بالإسلام وأهله.

٢- الاستسلام للعدوّ، وهذا الخيار يعني الاستسلام للحزب الأموي من دون أية شروط مسبقة، والانسحاب من الميدان السياسي والاجتماعي وتسليم أمور الحكم لمعاوية
➔

➔

ابـن أبـي سـفيان مـن دون أي مقابـل، وهـذا الخيـار لا يمكـن أن يقبلـه الإمـام الحسن عليه السلام، لأنّه يخالف أخلاقيات وأدبيات الإسلام، كما أنّه لا ينسجم مع السيرة المباركة للأئمة الأطهار عليهم السلام.

٣- الصلح بشروط، ويعني توقيع معاهدة صلح بين الإمام الحسن عليه السلام القيادة الشرعية ومعاوية بن أبي سفيان المتمرّد على الحكم الشرعي، وكان اتّخاذ قرار الصلح المشروط قراراً حكيماً، والخيار الأنسب مع ملاحظة الخيارات الأخرى، إلاّ أنّه لم يكن سهلاً على الإمام الحسن عليه السلام أن يتّخذه أيضاً، لكن عندما نقرأ حقيقة الأوضاع السياسيّة السائدة في ذلك الوقت، وما يمكن أن تؤدي إليه الخيارات الأخرى من خسائر لا يمكن القبول بها، كان خيار الصلح المشروط هو الخيار الأفضل في التعاطي السياسي مع المستجدات على الساحة الإسلاميّة التي كان يواجهها الإمام الحسن عليه السلام؛ بل إنّ قرار الصلح وشرعيّتها على جميع المباني الدينيّة من المذاهب المختلفة يكون مقبولاً، فإنّ الجميع يذكرون أنّ المصلحة الإسلاميّة العليا هي التي فرضت تلك المصالحة، كما صالح رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكّة حينما انصرف من الحديبية، وإلى ذلك أشار الإمام الباقر عليه السلام قال: «والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس، والله لقد نزلت هذه الآية ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾» (الكافي ج٨: ص٣٣٠). لاسيمّا إذا عرفنا أن صاحب هذا الإجراء هو الإمام الحسن عليه السلام وهو إمام قام أو قعد، فلك أن تتصوّر الحكمة التي يتضمّنها قرار بهذا المستوى. فالإمام عليه السلام كان يحتلّ موقعاً قياديّاً ليس من ذلك النوع الذي يتمّ الاستحواذ عليه بالقوّة والقهر كما هو الحال في تمرّد على الشرعيّة الإسلاميّة، وحيث تجد العصمة والإمامة في شخصية الإمام الحسن عليه السلام، فكان الصلح أمراً

➔

➔
ضرورياً يحتمه الشرع ويلزم به العقل. هذا وقد أدرك الإمامعليه السلام أن الأوضاع القائمة لا تساعده في حسم الموقف حتّى إذا افترضنا أنه سيقدم تضحيات على هذا الجانب، ذلك أن الأمّة الإسلاميّة تعرّضت لهزّات عنيفة في الداخل عندما نشط المغرمون في السلطة، وأصبحت ظاهرة نشوء القيادات والأحزاب واقع قائم احتدم فيه الصراع بشكليه المسلح وغير المسلح. ولمّا كان الإمام الحسنعليه السلام إمام بشهادة الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» (انظر علل الشرايع للشيخ الصدوققدس سره ج١: ص٢١١)، وقولهصلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣)، فليس من المعقول أن يبتعد قرار الإمامة السياسي عن المصلحة الإسلامية على جميع المباني الدينيّة، وعليه فالصلح الواقع بين الإمام الحسنعليه السلام ومعاوية كان خيراً من باب اقتضاء الظروف التي كانت سائدة آن ذاك، لا كما زعمه ابن تيمية من أنّ الصلح كان خيراً من جهة أنّ معاوية تسلّط على الحكم. فإنّ معاوية والطغمة الفاسدة من بني أميّة أمسكوا بزمام الحكم، وأكملوا بذلك الانحراف الذي حصل من السّقيفة؛ حيث حوّل معاوية الخلافة إلى ملك عضوض مستبدّ حين صرّح بعدائه للأمّة الإسلاميّة، واعترف بعدم رضى الأمّة به حاكماً بقوله: والله، ما ولّيتها – أي الخلافة – بمحبّة علّمتها منكم، ولا مسرّة بولايتي ولكن جالدتكم بسيفي (انظر جمهرة خطب العرب في عصور العربية لأحمد زكي فتوت ج٢: ص١٨٢). فقد أعلن معاوية منذ أوّل خطوة استلم الحكومة أنّ هدفه الأساس هو استلام زمام الحكم حتّى لو أريقت من أجله دماء المسلمين المحرّمة، بكلمته المعروفة: والله، ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص١٤٠). فمن الواضح لدي كلّ من يؤمن بالله واليوم
➔

فإن قال السنّي: المصالحة وما بعدها هي الخير الثاني[1]،

➔

الآخر أنّه لا خير في حكومة معاوية، بل البصير يعلم ويذعن بأنّ كلّها شرّ فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّه لو سأل سائل عن ابن تيمية، ما هو المقصود بالخير الثاني في حديث حذيفة؟ سوف تجده يقول: بأنّ المقصود بالخير الثاني عندي نتيجة المصالحة لا صلح الإمام الحسن عليه السلام، كما صرح بذلك في قوله: بأنّ المصالحة وما بعدها هي الخير الثاني ، فإنّ الخير حسب زعمه هو تسلّط معاوية على الحكم، لا واقع الصلح. حيث أنّه كان يعلم بأنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية كان فيه جهات عديدة لحقانية الإمام الحسن عليه السلام وعظمته. ومن خلال ذلك تبيّن نقض معاوية بالعهد الذي التزم به في ضمن عقد الصلح، بل وقد نقض كثيراً من المسائل الدينية والأحكام الشرعية. فكلّ باحث إذا تأمّل في التاريخ لا يخفى عليه ذلك. فإنّ المخطّطات الشيطانيّة التي تبنّاها معاوية ومن رافقه في الأحداث تدلّ بوضوح على أنّ معاوية لم يسلم بالله أبداً. فالبحث هنا يكون في عدم إسلام معاوية، وحكومته الطاغية، وهل يمكن لابن تيمية وأتباعه أن يسمّوا الطاغوت خيراً؟!! ونحن نقتصر هنا على ما ورد في حقّ معاوية عن طريق علماء أهل السنّة، كي يعرف الباحث حقيقة معاوية على ما جاء في كتبهم، وإن كان السلفية حاولوا تبرئة معاوية عما ورد في حقّه الذمّ من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله! كما في تعليلهم لحديث «لا أشبع الله بطنه» (انظر صحيح مسلم ج٨: ص٢٧ كتاب البر والصلة والآداب، باب ذمّ ذي الوجهين وتحريم فعله). فهم حكموا بأن معاوية غير مستحقّ للذمّ وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أخطأ – والعياذ بالله – وأنّ معاوية عندهم غير مستحقّ للذمّ حتّى من النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليه ستتحوّل إلى أجر لمعاوية لأنّه غير مستحقّ لذلك الذمّ. وفي قبال هؤلاء السلفية ترى كثيراً من الصحابة، وكثيراً من علماء أهل

➔

➔

السنّة كالنسائي وغيره كانوا يذكرون هذا الحديث في ذمّ معاوية. وإن عارضه المتعصّبين من أهل السنّة حتّى قتلوه من أجل ذكر هذا الحديث، ومع ذلك أنّ السلفيّة تصرّفوا في الحديث وحوّلوا الذمّ إلى فضيلة مضحكة لمعاوية. فالقول بأنّ معاوية غير مستحقّ للذمّ بل أنّه مأجور من الأمور التي لا يقبله العاقل، مثلما حكموا في باب قاتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّه مأجور كذلك من لعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فيقولون له الأجر، يعني أنّه اجتهد فأخطأ، وله أجر وذنبه مغفور، ويقولون: كلّما زادت جرائمه ومظالمه زاد أجره عند الله، لأنّ له بكلّ جريمة أجراً وفي كلّ مظلمة اجتهاداً... وهذا أثر من آثار حبّ الظالمين. إذ أنّ الله تبارك وتعالى يطبع على قلوبهم وأبصار، فلا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً. ومن هنا يعرف ضرورة البراءة من الظالمين ومنابذتهم. ومن تتبع سيرة معاوية يجدها بوضوح أنّه على من الظالمين الخالدين في النار. ولو أردنا التفصيل في ذلك لطال بنا المقام ويخرجنا عن الهدف المحدّد من البحث، ولكن لابدّ لنا من الاستعراض السريع دون كثير لذكر بعض الوثائق التارخية التي تكشف عن حقيقة معاوية والمأساة التي شهد الناس عن حيات معاوية، وما حلت بالمسلمين من تولى أمرهم البيت الأموي... فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. فعند ما يقول ابن تيمية الخير في تسلّط معاوية لا الصلح الواقع بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام، معناه ترجيح معاوية مع جميع سلبياته، فيجب على الباحث أن يعرف حقيقة معاوية وحقيقة إسلامه كي يحصل له العلم على سخافة دعوى ابن تيمية. فنقول: لا يخفى على أحد أنّ معاوية نشأ في بيئة معادية للنبي صلى الله عليه وآله وللرسالة... سواء من ناحية أبيه أبي سفيان قائد الأحزاب أو أمّه هند بنت عتبة آكلة كبد حمزة عليه السلام أو عمّته أمّ جميل حمّالة الحطب أو من يكبّره من أخوته كحنظلة وعمرو كانا أكبر من معاوية

🡐

➔

وماتا على الشرك أو أخواله كالوليد المقتول ببدر أو جدّه من جهة أمّه عتبة ابن ربيعة المقتول ببدر أو أخو جدّه شيبة بن ربيعة المقتول ببدر أيضاً... فإنّك لو أردت أن تعرفه فمن أي جهة اتّجهت نحو معرفته تجد المحيطين بهذا الغلام اليافع هم من أشدّ قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وبني هاشم ومن تبعهم. هذا لا بدّ أن يكون له أثره على نفسيّة هذا الرجل الذي هو محطّ للرذائل ومحلّ لعبث الشيطان، فهذا الجوّ المشحون بالعداء للنبي صلى الله عليه وآله والوحي والرسالة، ثمّ بالعداء لقبيلة هذا النبي صلى الله عليه وآله. فإنّه نشأ في هذه الأجواء، ولا بدّ أن يترك أثره البليغ فيه، فكون معاوية طرفاً في الخصومة الشديدة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام طيلة حياته أمر لايمكن إنكاره، إذ الكتب مليئه بأنّه عاش في جو العداء للنبي صلى الله عليه وآله وللإسلام ولأهل البيت عليهم السلام، وهذا العداء والشراسة معناه أنّه لم يسلم أبداً، إذ كيف يمكن الجمع بين العداء والإيمان، فإنّه كان من المؤلّفة قلوبهم ومن الطلقاء ومن المعتزلين يوم حنين ومن المتأخّرين في إجابة النبي صلى الله عليه وآله عندما طلبه في أمر. ثمّ أنّه كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وخاصّة من عهد عثمان إلى يوم مات دائماً في الحرب مع أهل البيت عليهم السلام، فإمّا كان في حال القتال معهم بالسيف أو في حال لعنهم على المنابر، أو تتبع أنصارهم وأنصار النبي صلى الله عليه وآله فكان يلحقهم السجن والقتل والتعذيب، أو تالشنيع أو السبّ أو الأمر بالبراءة من الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أو قطع الفيء أو نحو ذلك من المظالم... التي سيأتي ذكر جميع هذه الموارد بالتفصيل من مصادر أهل السنّة. فمعاوية لم يسلم أبداً كما هو حال الطلقاء... هذا بإضافة إلى ما ارتكبه من أمور أخرى.

وهناك روايات مروية في كتب أهل السنّة بأسانيد صحيحة تدلّ بالصراحة على أنّ معاوية وحكام بني أميّة قد ارتكبوا أشنع الجرائم والآثام أيام حكومتهم بحيث

➔

قيل له: لم تنصف نفسك وأهل مذهبك، حيث خالفت المتّفق عليه عندهم من حيث صحّته وحجّيّته وهو ما رووه في الصحيحين، فإنّه حجّة معلومة لديهم ولديك، وكم من مقام مضى وكم من مقام يأتي، قد جعلت الحجّة لك على خصمك خبرهما، بل وفي مقامات جعلت الحجّة خبر أحدهما ومنها مقام البحث؛ وقد ثبت فيهما جميعاً وفي غيرهما قولهﷺ: «ويح

➔

يحكم عليهم في الإسلام بالكفر بإجماع المسلمين، ولكن لم يتجرأ أحد أن يعترض على معاوية وحكام بني أمية لتفرعنهم واستبدادهم في حكومتهم. ومن جهة أنّ السلطة لها أثرها على الناس، لأنّ الناس على دين ملوكهم، فاستحسنهم السلفية لأنّ دولتهم كانت مبنية على العنف والإرهاب. فالباحث لو درس سيرة معاوية دراسة علميّة بلا تعصّب يجد أنّ سيرته كانت مطابقة لعصر الجاهلية، إذ كان له نشوة الفتح والغلبة والدمار والتسلط على الآخرين بأي وجه أمكن، بل وكانت سياسته مطابقة لنهج الكفّار والمشركين حتى في عصرنا الحاضر. والظاهر أنّ هذه السيرة هو المقصود من ابن تيمية حيث زعم بأنّ المقصود من الخير الثاني عنده سلطة معاوية. ونحن نسأل لماذا يسعى ابن تيمية أن يسمي سيرة معاوية والنهج الأموي الساقط بالخير مع أنّه كان يعلم سيرة معاوية كانت مبنية على العنف والإرهاب؟!! الظاهر أنّ آثار تربية بني أميّة في الشام قد أخذت آثارها في ابن تيمية، حيث أنّه تربى عليه وهو السبب الرئيس في تعصبه ونصبه بالنسبة إلى أهل البيتعليهم السلام، إذ أنّه قد تربّى في أجواء المنحطّة التي أورثها حكام بني أمية ومن أسلاف ابن تيمية. فإنّ النهج الأموي الذي تربي عليه دفعه إلى القول بأنّ معاوية هو المقصود بالخير الثاني كما لا يخفى ذلك على أحد، فلاحظ.

عمّار، يقتله فئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار[(١)]».

---

(١) وملخص الكلام أنّ النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد أعطى الميزان لمعرفة الخير ، فيلزم على من يريد أن يعرف ما هو المقصود من الخير الثاني في حديث حذيفة أن يراجع إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: كان عمّار ينقل لبنتين لبنتين، فمرّ به النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ومسح عن رأسه الغبار وقال: «ويح عمّار، تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل). فهذا الحديث معجزة النبي الأكرمصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإخباره عن الغيب، إذ كان يعلمصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّ عمّاراً سيكون قطباً من الأقطاب التي يدور عليها اختلاف الناس، فسوف يكون له أعداء يحاربونه بأكثر من سلاح. منها: أنّ جماعة سيتّهمونه في عقيدته ويزعمون أنه قد تأثّر بشياطين الإنس فأغوته ومالت به عن الرشاد، فردّ النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ على هذه التهمة بإبلاغه أصحابه أنّ عمّاراً قد أجاره الله من الشيطان!! فمن اتّهم عمّاراً بشيء من ذلك فكذّبوه واعلموا أنه مفتر (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٩٤ كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده). وعليه فأنّ هذه الأدلّة الصحيحة عند ابن تيمية وجميع أهل السنّة تدلّ بوضوح على أنّ معاوية الذي عماراً هو من أهل البغي. كما يعرف بها حال أصحاب رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ حين اتهموا عمّار بن ياسر. وقد ردّ عليهم رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وجعل علامة للحقّ لئلاّ تقع الناس في الضلال بإثارة الفرقة والفتنة في هذه الأمّة. وأيضاً قد أعطى النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ علامة للباطل ليحذر الناس عنه فردّصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ على التهمة بإبلاغه أصحابه «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحقّ (يعني عمّاراً)» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٠٦). وأخرج ابن أبي الحديد بسنده عن سالم ابن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال: إن الله تعالى قد آمننا أن يظلمنا، ولم يؤمنا أن يفتننا، أرأيت إذا أنزلت فتنة، كيف أصنع؟ فقال: عليك ←

➔
كتاب الله تعالى، قال: أفرأيت إن جاء قوم كلّهم يدعو إلى كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحقّ» يعنى عمّاراً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص٩٨). فمعناه أنّه لو اشتبه الأمر للناس، وكان هناك جماعتين، جماعة مع معاوية وجماعة مع عمّار، فالنبي الأكرم ﷺ أعطى الميزان للنجاة من الضلال، فقال ﷺ: «الحقّ مع عمّار وأنّه يدور مع كتاب الله حيث دار». وبعبارة أخرى معناه: إذا رأيتم فئة تخالف عمّاراً فاعلموا أن تلك الفئة هي الفئة الباطلة والضالّة. ثمّ تعجّب النبي ﷺ من أمر الناس مع عمّار فقال: ما لهم ولعمّار؟! «يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار!» وفي هذا الحديث إشارة جليلة بل فيه نص صريح على أن معاوية وأتباعه أئمة النار كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ**﴾ (سورة القصص:٤١).

ومن تلك العلائم التي أخبر بها النبي ﷺ: أنّ سيقاتلون عمّاراً فيقتلونه، وبذلك أشار بقوله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل). وقال ﷺ: «من يعاد عمّاراً يعاده الله» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٨٩). وقال ﷺ: «من يبغض عمّاراً يبغضه الله» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٩٠). فإنّها شهادتان منه ﷺ، شهادة ببراءة عمّار، وشهادة بجناية التاريخ؛ شهادة لعمّار بأنّ عمّار مع الحقّ، وشهادة على التاريخ بأنه مع الباطل. وهكذا رسمت السنّة مساراً، وسار التاريخ في مسار آخر. والمهم أنّ هذه الروايات رواها كبار علماء أهل السنّة في أصحّ كتبهم، فلا يمكنهم إنكارها، وكيف لم ينصف ابن تيمية وعلماء أهل السنّة في أنّ معنى الخير في حديث حذيفة هو الإمام الحقّ لا الباطل، فيقول: أنّ
➔

فهل في إمامة الدعاة إلى النار[١] وفي متابعيه يتصوّر وجود خير وشعارهم بغض "مَن بغضه نفاق"[٢].

المقصود بالخير المصالحة وحكومة معاوية؛ في حين أنّ معاوية كان ضالاً وباغياً وباطلاً بالنصوص الصحيحة عند جميع المسلمين، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (سورة القصص:٤١) وفي الآية تصريح بأنّ قادة الجور وأئمة الضلال مقدّمون يوم القيامة على جماعة أهل النار، فحين تتحرّك الجماعات من أهل النار، فإنّ هؤلاء يتقدّمونهم إلى النار، كما أنّهم كانوا في هذه الدنيا أئمة أهل الضلال، فهم في الآخرة - أيضاً - أئمة النار، لأنّ ذلك العالم تجسّم كبير لهذا العالم. وفي الحقيقة نتيجة أعمالهم أنفسهم كانت سبباً لهذا الأمر. ولمزيد التأكيد يصوّر القرآن صورتهم وماهيتهم في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (سورة القصص:٤٢). فإنّ سوء أعمالهم في هذه الدنيا ينتج قبح وجوههم في الدار الآخرة، لأنّه يوم البروز ويوم هتك الحجب، فتبين من خلال هذه الآية المباركة حال معاوية وأتباعه يوم القيامة ما عليهم من أثر الضلال. وعليه إذا كان معاوية بن أبي سفيان من أئمة الضلال وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، لماذا يدّعي ابن تيمية وبقول: أنّ المقصود بالخير الثاني في حديث حذيفة معاوية؟!!

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الدالّة على أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ

➔

منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج ابن عبد البر في الاستذكار بسنده عن بريدة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (الاستذكار لابن عبد البر ج٨: ص٤٤٦). وقال في الاستيعاب: وروى طائفة من الصحابة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق»، وكان علي عليه السلام يقول: «والله إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنّه لا يحبني إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٠). وقال ابن عبد البر: أنّه قال جابر بن عبد الله: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي (انظر الاستذكار لابن عبد البر ج٨: ص٤٤٦). وقال في الاستيعاب: وروى عمّار الدهنى، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١١٠). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى في الخبر المشهور بين المحدّثين ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣: ص٢٥١). وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب، ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وأخرج أبويعلى الموصلي بسنده عن أمّ سلمة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (انظر مسند لأبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون. نعم، لقد كانت إحدى العلامات البارزة للمنافقين أنّهم كانوا يعادون أوّل من آمن

➔

➔

بالله ورسوله، وأوّل مضح في سبيل الإسلام ويبغضونه، ولذلك نقرأ في حديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨: ص١٣٧). وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾ (سورة محمّد: ٣٠). هذه الآية المباركة تشير إلى بعض صفات المنافقين وتقول: كانت قلوب هؤلاء مملوءة غيظاً وحقداً شديداً على النبيصلى الله عليه وآله. ثمّ يحذرهم القرآن ويقول لهم: أنّ هؤلاء لا يظنّوا أن لا يعرفهم أحد ويمكنهم أن يخفوا وجههم الحقيقي دائماً، ولو أردنا لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم فنجعل في وجوههم علامات تعرفهم بها إذا رأيتهم، وتراهم رأي العين فتنظر واقعهم عندما تنظر ظاهرهم. ثمّ تضيف الآية: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ...**﴾، أي يمكنك في الحال أن تعرّفهم من خلال نمط كلامهم؛ فيمكن معرفة المنافقين مرضى القلوب من خلال الكناية في كلامهم، وتعبيراتهم المؤذية التي تنطوي على النفاق، وذلك حينما يكون الكلام عن الجهاد، فإنّهم يسعون إلى سلب إرادة الناس وهبوط معنوياتهم، وحينما يكون الكلام عن الحقّ والعدالة، فإنّهم يحرّفونه بنحو من الأنحاء، وإذا ما أتى الحديث عن الصالحين المتّقين السابقين إلى الإسلام، فإنّهم يسعون إلى تشويه سمعتهم، وتقليل أهميّتهم ومكانتهم، فيترشّح شيء منهم إلى الخارج، وهذا أمر طبيعي إذ لو امتلأ الداخل يترشّح إلى الخارج، كما يطفح الكيل فتنفضح السرائر، وتبدو الدخائل. وملخص الكلام أنّ الآيات والروايات تدل بوضوح على نفاق معاوية من الجهات العديدة، ومن تلك الجهات بغضه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. فبطلان ما زعمه ابن تيمية من أنّ الخير في حذيفة هو معاوية أوضح من أن يخفى على أحد،

➔

وسبّ "مَن سبّه سبّ الرسولﷺ[1]"،

←

وهذا دليل على تعصبه الإعمى، ونصبه العداء لله ورسولهﷺ وللإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبيﷺ الدالّة على أن من سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد سبّ رسول اللهﷺ. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون على أنّ معاوية كان يصعد المنبر ويلعن ويسبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، على رؤوس الأشهاد لتقتدي به الناس (انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٤: ص٣٦٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٣٥٦). ولم يكتف معاوية بذلك، بل أصدر الأوامر لرعيته ليسبّوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللهﷺ فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم: سمعت رسول اللهﷺ يقول له خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول اللهﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبوّة بعدي»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ...**﴾ دعا رسول اللهﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل الصحابة، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي

←

➔
بن أبي طالبعليه السلام). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمّ سلمة فقالت لي: أيسب رسول اللهصلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت أبا إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتّبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبيصلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف لبيك يا أمتاه، قالت: يسب رسول اللهصلى الله عليه وآله في ناديكم؟ قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). ومن الواضح أنّه من اعتبر معاوية خليفة لا بدّ أن يطيعه، ومن يطيعه لا بدّ أن يحقّق أوامره فلا بدّ أن يسبّ علياً بالنتيجة، وهو من قال عنه الرسولصلى الله عليه وآله: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله». وأخرج أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن مسعر عن الحجاج مولى بني ثعلبة عن قطبة ابن مالك عم زياد ابن علاقة قال: نال المغيرة بن شعبة من علي فقال زيد بن أرقم: قد علمت أن رسول اللهصلى الله عليه وآله كان ينهى عن سبّ الموتى فلم تسبّ علياً وقد مات (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٩). وأخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عباس أنّه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون علياً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال سبّوا علياً قال: فردّني إليهم، فردّه. قال: أيّكم الساب ّ الله؟ قالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد أشرك، قال: أيّكم السابّ لرسول اللهصلى الله عليه وآله؟
➔

➔

قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، قال: فأيّكم السابّ لعلي؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبّه الله على منخريه في النار»، ثم ولّى عنهم (الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢). وقال المسعودي في مروج الذهب: ثمّ ارتقى بهم الأمر في طاعته – أي معاوية – إلى أن جعلوا لعن علي عليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (مروج الذهب ج٣: ص٤٢). وقال ابن حجر في فتح الباري: ثم اشتدّ الخطب فتنقصّوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقتهم الخوارج على بغضه (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٥٧). وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: إنه كان في أيام بني أميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية في ذلك (انظر الغدير ج٢: ص١٠٢ نقلاً عن الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار). وقال الحموي: لعن علي ابن أبي طالب عليه السلام على منابر الشرق والغرب ، وإنّ أول من ابتدأ وسن سب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر من الخلفاء الأمويين، معاوية. فقد أصدر أمراً بسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر في جميع البلاد الاسلاميّة وتبعه الأمويّون على ذلك حتّى زمن عمر بن عبد العزيز الذي أوقف السب (انظر معجم البدان ج٣: ص١٩١). وروى الجاحظ – فيما نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج – أن قوماً من بني أميّة قالوا لمعاوية: أنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال: لا والله حتّى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص٥٧). علماً أنّهم كانوا يعلمون أنّ لعن وسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مساوقاً لسبّ النبي صلى الله عليه وآله أو لسبّ الله عزّ وجلّ حيث ورد في ذلك

🡐

➔

روايات كثيرة من طرق أهل السنة ومصادرهم التي كانت تدوينها بأمر سلاطينهم، فقد أخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عباس أنه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سبوا علياً!! قال فردّني إليهم، فردّه، قال أيّكم الساب الله؟ قالوا سبحان الله، من سبّ الله فقد أشرك، قال أيّكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، قال: فأيّكم السابّ لعلي؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبّه الله على منخره» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٢٢). وأخرج ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بسنده عن أبي بكر الهذلي، عن الزهري، قال : قال ابن عباس لمعاوية، ألا تكف عن شتم هذا الرجل؟ قال: ما كنت لأفعل حتّى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير، فلمّا ولى عمر بن عبد العزيز كفّ عن شتمه، فقال الناس: ترك السنّة (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣: ص٢٢٢). وإلى غيرذلك من الروايات الدالّة على أنّ لعن وسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مساوق للعن وسبّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ولا يخفى على الخبير حكم من يسبّ الله ورسوله . وعليه فإذا ثبت بالأدلّة القطعيّة لدى جميع أهل السنّة أنّ من سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سبّ رسول صلى الله عليه وآله سبّ الله ومن سبّ الله فقد أكبّه الله على وجهه في النار، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة البقرة:٣٩)، ومعنى أنّه خالد في النار أي أنّه قد كفر. فمعاوية الذي كان يسبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على رؤوس الأشهاد،

➔

وقتل محبّي "مَن حبّه إيمان[1]"؟

➔

فهو بحسب النصوص والروايات الصحيحة عند أهل السنّة حكمه حكم من كان يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سبّ الله ومن سبّ الله فأكبّه الله على وجهه في النار. وإذا كان الأمر كذلك فما بال ابن تيمية يزعم بأنّ من كان أهل النار ففيه الخير؟!!! فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أمرين، الأوّل: أنّ معاوية بن أبي سفيان، ابن آكلة الأكباد كان يسفك دماء محبي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته ويستبيح أموالهم وأعراضهم، وقطع أصولهم بقتل ذراريهم وأطفالهم، من أجل توطيد سلطانه وتوسعة أغراض حكومة خلفاء الجور في أقطار الأرض، وفي جميع مناطق نفوذه، فقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال: أرسل معاوية بن أبي سفيان بعد تحكيم الحكمين، بسر بن أبي أرطاة في جيش فساروا من الشأم حتّى قدموا المدينة، وعامل علي عليه السلام على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففرّ منهم أبو أيوب فأتى بالكوفة ودخل بسر المدينة، قال: فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد فنادى على المنبر: يا دينار ويا نجّار ويا زريق شيخي عهدي به بالأمس فأين هو (يعنى عثمان)؟، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلته، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتّى تأتوني بجابر ابن عبد الله، فانطلق جابر إلى أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ماذا ترين؟ إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة، قالت: أرى أن تبايع فإني قد أمرت ابني عمر ابن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة وكانت ابنتها زينب ابنة أبى سلمة عند عبد الله بن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بسر دوراً بالمدينة ثمّ مضى حتّى

➔

➔

أتى مكّة فخافه أبو موسى أن يقتله، فقال له بسر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فخلّى عنه وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس تقتل من أبى أن يقرّ بالحكومة، ثم مضى أسر إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلي عليه السلام، فلمّا بلغه مسيره فرّ إلى الكوفة حتّى أتى علياً عليه السلام واستخلف عبد الله ابن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقى بسر ثقل عبيد الله ابن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما وقد قال بعض الناس: إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية فلمّا أراد قتلهما قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني، قال: أفعل، فبدأ بالكناني فقتله ثم قتلهما ثم رجع بسر إلى الشأم، وقد قيل إن الكناني قاتل عن الطفلين حتّى قتل وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلهما بسر عبد الرحمن والآخر قثم، وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي عليه السلام باليمن وبلغ علياً عليه السلام خبر بسر فوجّه جارية بن قدامة في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتّى أتى نجران فحرق بها وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم وهرب بسر وأصحابه منه واتّبعهم حتّى بلغ مكّة فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي عليه السلام، فتثاقلوا ثمّ بايعوا ثمّ سار حتّى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم، فهرب منه فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوه وأقام يومه ثمّ خرج منصرفاً إلى الكوفة (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص١٠٦). وقال الصفدي في الوافي بالوفيات: ثمّ أرسل معاوية بسر ابن أرطأة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق، وقال المقداد ابن الأسود: والله لا أشهد لأحد أنّه من أهل الجنّة حتّى أعلم ما يموت عليه، فإنّي

🡐

➔

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لقلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياً»، وقيل: كان أبو أيّوب الأنصاري عامل المدينة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ففرّ أبو أيّوب ولحق بعلي عليه السلام ودخل بسر المدينة فصعد منبرها فقال: أين شيخي الذي عهدته بالأمس (يعني عثمان)؟ ثم قال: يا أهل المدينة والله لولا ما عهده إلي معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته، ثمّ أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال: ما لكم عندي ولا مبايعة حتّى تأتوني بجابر بن عبد الله، فأخبر جابر فانطلق حتّى جاء أمّ سلمة أمّ المؤمنين، فقال لها: ماذا ترين فإني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة؟ فقالت: أرى أن تبايع وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، فأتى جابر بسراً فبايعه لمعاوية ثمّ انطلق حتّى أتى مكّة وبها أبو موسى فخافه أبو موسى على نفسه فهرب فقيل ذلك لبسر، فقال: ما كنت لأقتله وقد خلع علياً ولم يطلبه، ثمّ توجّه إلى اليمن فوجد عبيد الله بن العباس قد مرّ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وولّى مكانه عبيد الله بن المدان الحارثي فقتله وقتل ولدي عبيد الله (انظر الوافي بالوفيات ج١٠: ص٨٢). وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: أبو عمرو الشيباني أغار بسر بن أرطاة على همدان، وقتل وسبى نساءهم، فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بنى سعد (الاستيعاب ج١: ص١٦١). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة، وهي صريحة بأنّ معاوية قتل جمعاً كبيراً من شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقام بانقلاب سياسي على دولة الخلافة الشرعية عند جميع أهل السنّة. وقد تعلم جميع الناس بأنّ معاوية وآل أبي سفيان دخلوا الإسلام مقهورين بالفتح بعد سقوط مكّة، وكان إسلامهم عن مصلحة لا عن إيمان حقيقي. وقد فرض الرجل نفسه بقوّة السلاح وفي أعقاب حرب دامية على رقاب المسلمين، كما اعترف بذلك معاوية نفسه في قوله: والله ما

➔

➔
ولّيتها بمحبّة علّمتها منكم ولا مسرّة بولايتي، ولكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً وأردتها على سنيات عثمان، فأبت علي فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم فإنّي خير لكم ولاية، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له وإن لم يكن منكم إلاّ ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذني وتحت قدمي وإن لم تجدوني أقوم بحقّكم كلّه فاقبلوا منّي بعضه، فإن أتاكم منّي خير فاقبلوه فإن السيل إذا جاد يثري وإذ قلّ أغنى، وإياكم والفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدّر النعمة؛ ثمّ نزل (عقد الفريد ج٢: ص١٣٩). وألقى في النخيلة بعد الصلح، بمجرّد وصوله إلى العراق خطاباً أعلن فيه عن جبروته وطغيانه على الأمّة واستهانته بحقوقها، وأنّه إنّما قاتل المسلمين وسفك دماءهم ليتأمّر عليهم، وأن جميع ما أعطاه للإمام الحسن عليه السلام من شروط فهي تحت قدميه لا يفي بشيء منها، فقال: والله إني ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٢٥١). وروى ابن الأثير في تاريخه وفي حوادث سنة تسع وثلاثين: أنّه قد أشن معاوية الغارة على شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في العراق وفرق جيوشه في أصقاع حكومته واختار أناساً ممّن لا خلاق لهم لقتل أولئك الأبرياء أينما كانوا وحيثما وجدوا، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلا مائة رجل فلمّا سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره ويستمدّه، فخطب علي عليه السلام بالناس وأمرهم بالخروج إليه،
➔

←

فتثاقلوا وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال فوجّه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا فلمّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنّوا أن لهم مدداً، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٢٧٥). وهكذا كانت حكومة معاوية بعد أن أصبحت دمشق عاصمة الدولة، ومن طبائع الاستبداد الأموي متمثّلاً بمعاوية الإرهاب، فخطّ الإرهاب الذي مارسه معاوية ومارسه ولاته بأمر منه لا نظير له إلاّ في العهود الغابرة؛ كان يأخذ الناس على التهمة ويقتلهم على كلمة واحدة إن قالوها عادت لهم حياتهم والا فالقتل، والكلمة هي: البراءة من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن نماذج إرهاب معاوية، أنّ محمد ابن أبي حذيفة أحد أنصار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في الوقت نفسه ابن خال معاوية بن أبي سفيان، لأن أبي حذيفة هو أخ لهند بنت عتبة أمّ معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ألقى معاوية القبض على محمد بن أبي حذيفة وأودعه السجن، ثمّ قال معاوية ذات: يوم ألا نرسل إلى هذا السفيه محمّد ابن أبي حذيفة فنبكته ونخبره بضلاله ونأمره أن يقوم فيسبّ علياً؟ قالوا: نعم، فبعث إليه معاوية، فأخرجه من السجن، فقال له معاوية: يامحمد بن أبي حذيفة، ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب الكذّاب، ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبيرخرجوا يطلبون بدمه، وأن علياً هو الذي دسّ في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه؟ قال محمد بن أبي حذيفة: إنك لتعلم أني أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك، قال: أجل، قال: فوالله الذي لا إله إلاّ غيره ما أعلم أحداً اشترك في دم عثمان وألبّ عليه غيرك لمّا استعملك ومن كان

←

➔

مثلك، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى، ففعلوا به ما بلغك ووالله ما أحد اشترك في قتله بدئياً وأخيراً إلا طلحة والزبير وعايشة، منهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وألبّوا عليه الناس وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً. قال: قد كان ذاك، قال: والله إني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهليّة والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً، وإن علامة ذلك فيك لبيّنة تلومني على حبّي علياً خرج مع كلّ صوّام قوّام مهاجري وأنصاري، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك، والله يامعاوية ما خفي عليك ما صنعت وما خفي عليهم ما صنعوا اذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك، والله لا أزال أحبّ علياً لله وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت؛ قال معاوية: وإني أراك على ضلالك بعد، ردّوه، فردّوه وهو يقرأ ﴿**رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ فمات في السجن (انظر الغارات ج٢: ص٢٧٥). فهذه الحادثة وغيرها تبين لنا الأساليب الارهابيّة التي كان يمارسها معاوية أيّام حكومته ضدّ شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الأمر الثاني: الروايات الدالّة على أنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وأخرج ابن عبد البر في الاستذكار بسنده عن بريدة الأسلمي، قال: سمعت

➔

فمن هذه شعارهم قلوبهم قلوب الشياطين(١)، وصورهم صور البشر من

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» (الاستذكار لابن عبد البر ج٨: ص٤٤٦). وقال في الاستيعاب: وروى طائفة من الصحابة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق وكان علي عليه السلام يقول: «والله إنّه لعهد النبي الأمّي إليّ أنه لا يحبّني إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق» (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في أصحّ كتبهم، وهي صريحة في أنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه علامة الكفر والنفاق. وإذا كان الأمر كذلك لماذا يقول ابن تيمية: أنّ معاوية هو المقصود بالخير في حديث حذيفة معه أنّه يعلم أنّ معاوية كان يقتل من يحبّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وشيعته، وكان يعلم أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الكفر والنفاق، فمعناه أنّه كان يعلم أنّ معاوية بشهادة النبي صلى الله عليه وآله أهل النفاق معاوية حيث أنّه كان يبغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. و كيف يجوز لابن تيميّة أن يقول معاوية فيه الخير؟!! أليس هذا من العصبيّة الجاهليّة؟!! وعليه فما زعمه ابن تيمية من أنّ حكومة معاوية كانت فيه الخير باطل عند كلّ من يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله حسب ما رواه علماء أهل السنّة في أصحّ كتبهم فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن سلام عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله إنا كنّا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم»، قلت: «هل وراء ذلك الشرّ خير؟» قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون

➔

حيث خروجهم عن الدين بما نبّهنا عليه[١].

➔

بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» (صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). و فيه دلالة واضحة على أنّ من يخالف السنن النبوية قلوبهم قلوب الشياطين حيث قال صلى الله عليه وآله : «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». ومثله ما رواه مسلم أيضاً في صحيحه بسنده عن أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم» (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٣-٢٤ كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء). وما رواه بسنده عن مسلم بن قرظة عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة (صحيح مسلم ج٦: ص٢٤ كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم). فإنّ هذه الأحاديث فيها التصرّيح على أنّ بني أميّة وبني العبّاس وغيرهم من حكّام الجور الذين أخذوا بزمام الأمور ممّا حدث في السقيفة. وتسلطوا على رقاب الناس بالقهر والغلبة، لم تكن حكومتهم وسلطنتهم مشروعة، بل أنّهم حسب الروايات والنصوص من شرار الأئمة ومن ولاة الجور الذين كانوا يمارسون وينشرون السنن الجاهلية التي كانت تصطدم بقواعد الإسلام وقواعد الأخلاق والعدل، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما رواه مسلم في صحيحه المتقدّم ذكره يدلّ بالصراحة على

🡐

وخبر يدعونه إلى النار(١)

➔

أنّ معاوية وأمثاله من خلفاء الجور ينطبق عليهم أنّهم غيروا في الدين فهو يكفي للقول بخروجهم من الدين ، إذ لو كان التغيير في الدين عن علم ويقين معناه تكذيب النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وتكذيب النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه موجب للكفر. وذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (سورة النمل:١٤). فهم الذين غصبوا الخلافة من أهل البيتعليهم السلام وكانوا يعلمون أنّ الحقّ معهم . وعلى أثر ذلك كان لديهم قلوب من قلوب الشياطين وإن كانت صورتهم بشكل الإنسان ولكن سيرتهم سيرة الشياطين. فالمقصود بكلمة بالشياطين في الحديث هي الطغاة من البشر الذين يتمثّلون الشيطان في أعمالهم، ولعلّ المقصود بكلمة الشياطين في الحديث الذي رواه مسلم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف:٢٧)، أي إنّ الشياطين لا يسمح لهم قط بأن يتسلّلوا وينفذوا إلى قلوب وأرواح المؤمنين الذين لم يكونوا على استعداد لقبول الشيطان والتعامل معه. وبعبارة أخرى: إنّ الخطوات الأولى نحو الشيطان إنّما يخطوها الإنسان نفسه، وهو الذي يسمح للشيطان بأن يتسلل إلى مملكة جسمه. فالشيطان لا يستطيع اجتياز حدود الروح ويعبرها إلاّ بعد موافقة من الإنسان نفسه، فإذا فتح الانسان نوافذ قلبه في وجه الشياطين والأبالسة، فسوف تتمكّن من النفوذ إلى باطنه وعندما سخّرت الشياطين قلوبهم فبالطبع أنّ جميع أفعاله وأعماله وسيرته تكون في قبضة الشياطين، والشيطان قد أعلن عداءه صراحة للإنسان، وعاهد نفسه على إغوائهم إذ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص:٨٢)، فهو لا يريد من الإنسان إلاّ الطغيان والكفر والشرك فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث «ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار» ➔

➔

الذي هو من الأحاديث المعروفة وصحيحة عند جميع أهل السنّة، حيث رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عكرمة قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد... ثم أنشأ يحدّثنا حتّى أتى ذكره بناء المسجد فقال: كنّا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبيﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار» (صحيح البخاري ج١: ص١١٥ كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد). فالحديث يدلّ بوضوح على أنّ معاوية قاتل عمّار بن ياسر أهل النار، والخلود في جهنّم أحد علائم الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ (سورة النساء: ١٦٨-١٦٩). فعمّار بن ياسر الذي كان يدعو أصحاب صفين إلى الجنّة، وهم كانوا يدعونه إلى النار. وهذا من أكبر العلائم التي أخبر بها رسول اللهﷺ لتمييز الحقّ من الباطل، وهذه الحقيقة قد عرفها الصحابة بأحسن الوجه، لأنّ الأحاديث المتفقة بين جميع المسلمين كانت معروفة ومشهورة وأصبحت علامة ورمزاً بين الحق والباطل. ويكفي هذا الحديث للاحتجاج على ابن تيمية وأتباعه الذين يدافعون عن معاوية وأجرامه، حيث أنّ النبيﷺ قد أتمّ الحجة عليهم. وببيان صريح جعل رسول اللهﷺ عمّاراً ميزاناً للتمييز بين الحقّ من الباطل. فمن حارب عمّار وقتله فهو في النار. ثمّ إنّ عمّاراً خطب الناس يوم صفين، فقال فيما ذكره الطبري: أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله ما قصدهم الأخذ بدمه، ولا الأخذ بثاره، ولكن القوم ذاقوا الدنيا، واستحلّوها واستمرّوا الآخرة فقلوها، وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم، حال بينهم وبين ما

➔

➔

يتمرّغون فيه من دنياهم وشهواتهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الناس لهم، ولا الولاية عليهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان، اللّهم إن تنصرنا فطالما نصرت وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم؛ ثمّ مضى ومضت تلك العصابة التي أجابته حتّى دنا من عمرو فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر تبّاً لك تبّاً، طالما بغيت في الاسلام عوجاً، وقال لعبيد الله بن عمر بن الخطاب: صرعك الله، بعت دينك من عدو الإسلام وابن عدوّه، قال: لا ولكن أطلب بدم عثمان بن عفّان، قال له: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عزّ وجلّ وأنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك (تاريخ الطبري ج٤: ص٢٧). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عمّاراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً آخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتّى يبلّغوا بنا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحقّ وأنّهم على الضلالة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣١٩). وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن شعبة عن أبي مسلمة قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: من سرّه أن تكتنفه الحور العين فليتقدّم بين الصفين محتسباً، فإني لأرى صفّاً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتّى يبلّغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنا على الحقّ وأنهم على الضلالة (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٧٢٢). وإلى غير ذلك من الروايات الوارده في المقام فإنّها تدلّ على أنّ عمّاراً كان ميزاناً للحقّ عند جميع الصحابة

➔

مطابق لما في خبر حذيفة من قوله: وهل بعد ذلك الخير من الشرّ، قال: نعم دعاة على باب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها[١].

والمسلمين، فكان من اللازم على ابن تيمية والتابعين له من أهل السنّة أن يلاحظوا هذه الروايات، ثم بعد ذلك يحكموا بأنّ الخير كان في معاوية بعد الصلح، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي إدريس الخولاني: أنّه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد هذا الشرّ من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «نعم دعاة إلى أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: «هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا امام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (صحيح البخاري ج٤: ص١٨٧ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما

➔
دخنه؟ قال: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض على أصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق). وقال السيوطي في كتابه خصائص الكبرى قال: أخرج الشيخان عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «نعم وبه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» قلت: يا رسول الله فهل بعد ذلك الخير من الشرّ؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: صفهم لي قال: «نعم هم قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا»، قال الأوزاعي الشرّ الأوّل الذي بعده الخير هو الردّة التي كانت بعد وفاته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب - الخصائص الكبرى - ج٢: ص١٥٣). فالرواية صريحة في أنّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حذر المؤمنين عن اتّباع الشرّ والسوء وأمر باتّباع الخير، ومن الواضح أنّ معاوية حسب الأدلة الثابتة حجيتها لدى جميع أهل السنّة من الفئة الباغية، الذي قتل عمّار بن ياسر، وهو نصّ صريح من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فمعنى الشرّ واضح من الروايات كما أنّ معنى الخير واضح بالصراحة وأنّ الروايات الدالّة الشرّ تنطبق على
➔

ورابعها: ما ذكره في الخبر من عدم وجود إمام للمسلمين، وعدم وجود جماعة لهم، فإنّه من البهتان البيّن[1]،

➔

معاوية، فكيف يزعم ابن تيمية ويقول: أنّ الخير في ما بعد المصالحة أي حكومة معاوية؟!!!

(١) وتوضيح المقام أنّ حديث حذيفة المتقدّم ذكره وإن كان عند أهل السنّة صحيحاً من حيث السند، ولكن لا يمكن لأهل السنّة الالتزام بمدلوله؛ لأنّ فيه دلالة واضحة على جواز خلوّ الإنسان في عصر وزمان من الإمام. حيث فيه:... قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل... فإنّ الحديث صريح في جواز عدم وجود الإمام للمسلمين في بعض الأزمنة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فيه دلالة على جواز عدم الإلتزام بأمر الإمام، وهذا أيضاً لايلتزم به أحد من علمائهم. وعلى كلّ تقدير فإنّ الالتزام بجواز خلو في بعض الأزمنة من الإمام مخالف للنصوص والروايات المتواترة لدى الفريقين الدالّة على وجود الإمام في كلّ عصر وزمان، ومدلولها أنّه لو مات الإنسان ولم يكن له إمام مات ميتة جاهلية وكفر. فمنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي صالح عن معاوية، قال: قال رسول اللهﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٦). ومنها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول اللهﷺ يقوله، سمعت رسول اللهﷺ يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة،

➔

لما ثبت في الصحيحين ومسند أحمد وغيرهما ممّا دلّ على كون الخليفة من قريش ولو بقي من الناس اثنان(١)، ولما في الجامع الصغير عن الحاكم

➔

باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ومنها ما رواه ايضا بسنده عن عبد الله بن عامر يعنى ابن ربيعة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٤٦). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه حتّى يراجعه، قال: ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٧٧). وإلى غير ذلك من الروايات والأحاديث الواردة في كتبهم الدالّة على عدم خلوّ عصر من الإمام، كما أنّها تدلّ على وجوب الاتّباع من الإمام في كلّ عصر وزمان، وهذا المعنى لا ينسجم مع ما جاء في حديث حذيفة، حيث فيه أنّ السائل يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن زمان ليس لهم الإمام؟ فيصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول له: فاعتزل... وهذا معناه جواز خلوّ الإنسان في عصر من الإمام فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة ألى حديث الذي رواه كبار علماء أهل السنة الدالّة على أنّه ولو بقي من الناس اثنان لكان أحدهما الإمام ولا يخلو وجه الأرض من الإمام منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان، قال: وحرك

➔

وصححه من الخبر الذي دلّ على قيام طائفة من أمّتهﷺ على الحقّ طبقة بعد طبقة حتّى تقوم الساعة[(١)] . وحسب المنصف في المقام خبر الثقلين[(٢)]،

➔
إصبعيه يلويهما هكذا (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢٩). فإنّ هذه الروايات تدلّ على أنّه لو بقي من الناس اثنان لكان أحدهم خليفة رسول اللهﷺ وهو من قريش، و لا تنسجم مع حديث حذيفة المتقدّم ذكره، الدالّ على جواز خلو الزمان من الإمام، أو فيه الأمر بالانعزال كما تقدّم، فكيف يمكن لأهل السنّة الالتزام بمدلول الحديثين مع أنّهما متناقضين؟!! فلاحظ.

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عمر ابن الخطّاب قال: قال رسول اللهﷺ: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة» (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٤٩)، ورواه السيوطي عن الحاكم في الجامع الصغير ج٢: ص٧٣٤. وهذا الحديث ايضا لا ينسجم مع حديث حذيفة الدال على جواز خلو بعص الأعصار والأزمان من الإمام والخليفة ، وهو أيضاً دالّ على الأمر بالانعزال، فهما متناقضان.

(٢) لا يخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث الصحيحة عند علماء المسلمين ومحدّثيهم، بل من الأحاديث المتواترة بين الفريقين، ومن أشهرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين، وقد تكرّر الحديث من النبي الأكرمﷺ في الأمكنة والأزمنة المختلفة، فرواه العلماء والمحدثين من أهل السنّة في أصحّ كتبهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام). وقد صرّح بعضهم بأنّه من أوثق الأحاديث النبويّة؛ قال المناوي نقلاً عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث...
➔

➔

(انظر فيض القدير ج٣: ص١٤). وقال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيّف عشرين صحابياً... (الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وجابر وحذيفة ابن أسيد الغفاري وخزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وضميرة وعامر بن أبي ليلى وعبد الثرى بن عوف وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعديّ بن حاتم وعقبة ابن عامر وعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر وأبي رافع وأبي تسريح لخزاعي وأبي قدامة الأنصاري وأبي هريرة وأبي الهيثم بن التيهان وأمّ مسلمة وأمّ هاني بنت أبي طالب ورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط).

وقد أفرد العلامة السيّد ميرحامد حسين قدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار. هذا وقد روى السمهودي بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سببه بيده وسببه بأيدكم، وأهل بيتي» (جواهر العقدين: ص١٧٢). وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفوا فيه ثمّ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمدلله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد ألا يا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه

➔

➔

الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٤: ص ١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي ابن أبي طالب عليه السلام) وغيرهم. فهذا الحديث يدلّ بالصراحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ويدلّ أيضاً على عصمتهم؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قرن أهل بيته بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فمن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرّح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعدم افتراقها إلى يوم الدين (انظر مجمع الزوائدج٩: ص١٦٤)، ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص٧٤ في الباب الرابع، والطبراني في معجمه الكبير ج ٣: ص ٦٦ ، والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٨، والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم. فالحديث صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى بالثقلين، كتاب الله وعترته الطاهرة، فجعل صلى الله عليه وآله عترته الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم، وأمر بوجوب اتّباعهما معاً، لئلاّ يقعوا في الضلال والانحراف والحسرة والندامة، فكان من الواجب على جميع الأمّة العمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله الاتّباع بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، فهم ملجأ المسلمين بعد كتاب الله وأمان للأمّة من الاختلاف، فوجوب التمسّك بهم في كلّ عصر وزمان ممّا أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله. وعليه فإنّ حديث الثقلين يدلّ على وجوب أخذ التعاليم الإسلاميّه من أهل البيت عليهم السلام كما يجب على المسلمين الأخذ من معالم القرآن الكريم، وحيث أنّ الحديث يؤكّد على

🡐

فإنّه قد دلّ على وجوب متابعة أهل البيتعليهم السلام إلى غاية عمر الدنيا من حيث مقارنتهم مع كتاب الله المجيد إلى الحوض، وقد تركهما هدىً للناس من بعده[1]،

➔

استمرار هذه الوظيفة إلى يوم القيامة، فمعناه أنّ إمامة أهل البيتعليهم السلام باقية إلى قيام يوم الدين، فيجب على جميع المسلمين التمسّك بهم في كلّ عصر وزمان وهذا مخالف لمدلول حديث حذيفة الدالّ على جواز خلو زمان من الإمام فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الكلام في دلالة حديث الثقلين واسع جدّاً، حيث أنّه فيه دلالة واضحة على المرجعية الدينية والإمامة بعد النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، وضرورتها ، باعتبار أن الإمام بعد النبيصلى الله عليه وآله هو مشعل العلم وراية الحق ومنار الهداية وأعلام الدين وألسنة الصدق، بالإمام يستعطى الهدى ويستجلى العمى وهذا المعنى يستفا من حديث الثقلين. فعلى كلّ مسلم أن يدرس معطيات الحديث بصورة واعية ومدركة لئلا يبتلي بسوء العاقبة. وعليه يجب على كلّ مسلم أن يعرف أوّلاً عظمة القرآن، ليعرف عظمة عِدل القرآن العترة الطاهرةعليهم السلام. ثمّ يعرف معنى المعيّة في قول رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأيضاً يعرف معنى قولهصلى الله عليه وآله: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي»، ثمّ يعرف معنى عدم تفرّق بين الكتاب والعترة الطاهرةعليهم السلام إلى يوم القيامة. فالبحث في المقام يتطلب مجالاً واسعاً. وقبل الورود في البحث نذكر بعض كلمات علماء أهل السنّة في شرح الحديث، قال المناوي: «علي مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، وقال: ولهذا كان أعلم الناس بتفسيره (أي تفسير القرآن). قال المولى خسرو الرومي: عندما قال القاضي: إنّه جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة: أراد بعظمائهم علياً وابن عبّاس والعبادلة وأبي وزيد، قال: وصدرهم عليّ، حتى قال ابن عبّاس: ما أخذت من

➔

➔

تفسيره فعن علي ويتلوه ابن عباس... (فيض القدير ج٤: ص ٣٥٧). وهذا الكلام يدلّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه كان أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله باعترافهم بصحّة الحديث، ودلالته أنّ أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن هم أهل بيته عليهم السلام؛ لأنّهم أعدال القرآن، فالحديث من جهة الدلالة واضحة، فلا يمكن إنكاره.

ومن أجل تبيين الأمر وتوضيحه في المقام نقول: أنّ الحديث فيه نقاط دقيقة، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها، فمن تلك النقاط: دلالة جملة «إنّي قد تركت..» على أنّ الكتاب والعترة تركة وميراث من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أمّته؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر أمّته في الحديث عن رحيله، وأنّ ربّه تعالى سيدعوه إلى جواره فيجيبه، وهو يفارقهم فقال صلى الله عليه وآله: «كأنّي قد دعيت فأجبت» وأكّد عليهم أنّي تركت فيكم حصيلة عمري وثمرة وجودي شيئين وهما: «كتاب الله وعترتي» فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبي صلى الله عليه وآله، والانقطاع عن النبي صلى الله عليه وآله انقطاع عن الله سبحانه أيضاً.

وكان يكفي لبيان عظمة القرآن والعترة مجرّد إضافتها إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، ولكن مع ذلك وصفهما صلى الله عليه وآله بالثقلين ليدلّ على جوهرهما الغالي ووزنهما الثقيل. فنفاسة القرآن الكريم وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول؛ لأنّ القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي الذي هو تبيان لكلّ شيء، وهو النور الذي أنزله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو النور والضياء الذي يبدّد للبشرية ظلمات الكفر والحيرة، ويحدّد لهم المنهج الصحيح في بيداء الضلالة ليرشدوا ويسعدوا. ثمّ إنّ ما أوصف الرسول

➔

➔

الأعظمﷺ عترته الطاهرة بنفس ما أوصف به القرآن وذلك يفيد أنّ العترة في كلامهﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، وهذا معناه أنّ العترة تبيان لكل شيء، كما أنّ القرآن يكون كذلك قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النحل:٨٩)، فالحديث يدلّ على أنّهما في درجة واحدة من العلم، فكما أنّ القرآن الكريم، قد أوصفه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة الفصلت:٤٢)، كذلك العترة الطاهرة بهذا النص من النبي الأكرمﷺ، ومعناه أنّهما في درجة واحدة من العصمة. ويدلّ قولهﷺ: «لن يفترقا»، أو لن «يتفرّقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة الطاهرة بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وذلك لأنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله لكافّة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام وإشاراته للعلماء ولطائفة للأولياء وحقائقه للانبياءعليهم السلام، فكذلك العترة الطاهرة، فيلزم من جملة لن يفترقا أن يكون العترة عالماً بجميع ما قرآن، كما أنّ النبيﷺ كان كذلك. وفي بعض صيغ الحديث: «لن تضلّوا إن اتّبعتموهما»، وهذه العبارة تدلّ على أنّ الاهتداء لا يتيسّر للإنسان إلا بالتعليم والتربية من الثقلين، الوحي الإلهي. وبقانون التناسب والسنخيّة، لا بدّ أن يكون لكتاب الوحي الإلهي معلّماً يعلم الناس معالمه وحدوده. فالعترة الطاهرة هم المعلمين لمعارف وحقائق القرآن. وفي تفسير قولهﷺ «لا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر في وصف أهل البيتعليهم السلام: وتميّزوا عن بقية الصلحاء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً... (إلى أن قال): ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم علي ابن أبي طالبعليه السلام، لما قدّمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبوبكر: عليٌّ عترة رسول اللهﷺ، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما

➔

ويشهد لذلك خبر «ولو بقي من الناس اثنان فإنّه قد علم منه وجود إمام من قريش في كل زمان حتى لو بقي من الناس اثنان[١]»، وخبر الثقلين بيّن كون

➔

قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدير خمّ (الصواعق المحرقة: ص١٥٩). فالأمر أوضح من أن يخفى على أحد، لأنّ الحديث فيه دلالة واضحة أنّ القرآن لا يفترق عن العترة الطاهرة على نحو الإطلاق إلى يوم القيامة، فبنصّ الحديث لا يفترق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن القرآن، ومن أجل ألاّ تبقى أية شبهة لأحد من الأمّة، فأخذصلى الله عليه وآله بيد عليعليه السلام وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه...».

فمع أنّ الحجّة كانت تامّة ببيان واضح، لانطباق المدلول على الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام مطابقة واضحة لعلمه وعصمته - بشهادة الكتاب والسنّة - له فقد أكّدها رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث صحيح لدى جميع المسلمين، بل ومتواتر من حيث السند، وهو في اعلى درجة الوضوح في الدلالة، وذلك لأنّ في حديث الثقلين دلالة واضحة على وجوب اتّباع عترته الطاهرة بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومعناه بطلان حديث حذيفة المتقدّم ذكره، لأنّ حديث الثقلين يدلّ على وجود الإمام بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة وحديث حذيفة يقول: لا حاجة إلى وجود الإمام في بعض الأزمان فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عاصم بن محمد ابن زيد عن أبيه قال: قال عبد الله: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وإذا صحّت هذه الرواية عند أهل السنّة كما رواه مسلم في صحيحه وهو من أصحّ كتبهم، فمعناه أنّه لا ينسجم مع حديث حذيفة

➔

المقصود من قريش عترة رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه لو كان لغيرهم هذه المنزلة لقرنهم معهم، ولم يجعل الهدى في متابعتهم وحدهم[١].

وخامسها: ما ذكره فيما نقله من وجوب الطاعة للوليّ، فإنّه وبال عليه من حيث مناقضة ما قاله[٢]، لنصّ الفرقان العظيم الذي قال سبحانه فيه:

الدالّ على جواز خلو الزمان من الإمام، أو فيه الأمر بالانعزال كما تقدّم، فكيف يمكن لأهل السنّة الالتزام بمدلول الحديثين مع أنّهما متناقضين؟!! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، دالّ على إمامة الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهو منسجم جدّاً مع حديث «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»، فإنّهما يدلاّن على عدم خلو عصر من الإمام، ولو في فترة واحدة من الزمان، ولو اتّفق بقاء اثنان من الناس، أحدهما يكون هو الإمام. أو بمقتضى حديث الثقلين وجود الإمام من العترة الطاهرة عليهم السلام مع القرآن في كلّ عصر وزمان، فإنّه يدلّ على وجود الإمام المعصوم حتى في العصر الحاضر، فيدلّ على وجود الإمام الثاني عشر المهدي من آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّ حديث حذيفة المتقدّم ذكره مناف لمقام الإمامة العظمى والولاية الكبرى في الإسلام، من جهة أنّ الإمام طاعته واجبة. وحديث حذيفة يدّل على عدم لزوم طاعة الإمام مع كونه خيراً... وإليك نصّ الحديث، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم»، فقلت: هل

➔

بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض على أصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق). وعليه فالحديث لا ينسجم مع مقام الإمامة في الإسلام، فإنّ الإمامة العظمى أرفع المناصب الدينية؛ إذ يحلّ القائم بها محل الرسول الأعظمﷺ في صيانة الدِّين. بينما قد جاء في حديث حذيفة، قلت: يارسول الله، كيف أصنع إن أدركت ذلك (أي عندما قام فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان البشر)؟ فيعتقد ابن تيمية وأتباعه بأنّ الإمامة من له الأوصاف المذكورة في حديث حذيفة، وهي: أوّلاً ، قال: تسمع وتطيع للولي وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وهذا معناه عدم التنافي بين الفسق والإمامة. وثانياً: أنّ حديث حذيفة يدّل على أنّ الإمام الذي يعتقد به هؤلاء هو الإمام الذي قال رسول اللهﷺ في حقّه: قوم يستنّون بغير سنّتي تعرف منهم وتنكر، معناه أنّه لايشترط في الإمام أن يعمل بسنة رسول اللهﷺ. وثالثاً: أنّ قلوب أئمتهم قلوب الشياطين، وهذا معناه أنّ أئمتهم يتصفون بصفات الشيطان، أي أنّ أولياهم متصفون بصفات الشيطان. وهو مدلول حديث حذيفة الذي استند به ابن تيمية للإمامة. ومن الواضح أنّ متابعة من له هذه الأوصاف مناقض لما جاء به الإسلام في باب الإمامة، حيث أنّ الإمام يدعو الإلى الإسلام، والدعوة الإسلامية إنّما هي للنجاة من النار ودخول في الجنّة،

➔

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[1]،

←

فإذا كان الإمام أهل المعصية ومخالف للسنّة النبوية، ويتبع الشيطان، كيف يمكن أن يكون متابعته سبباً للنجاة والفوز بالجنة؟!!!

(١) سورة آل عمران:١١٠، هذه الآية المباركة تشير إلى ما يترتّب على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾، فهذه الفقرة من الآية الكريمة تدلّ على أنّ مسألة مكافحة الفساد والدعوة إلى الحقّ، أي وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمّة دليل على كونها خير أمّة. والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم يصف المسلمين – في هذه الآية – بأنّهم خير أمّة، والدليل على ذلك القيام بهذه المهمّة الكبرى، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيمان بالله. وهذا يفيد أنّ إصلاح المجتمع البشري لا يمكن بدون الإيمان بالله والدعوة إلى الحقّ، ومكافحة الفساد. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص١٢٠). وقال الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم وتعمّر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر» (الكافي ج٥: ص٥٥). وقال عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله» (الكافي ج٥: ص٥٩). حيث أنّ هذين الفريضتين متقوّمتان بالإيمان بالله، إذ القيام بهما سبب لانتشار

→

فلم يفرض سبحانه الصبر على تضييع المعروف والصبر على فعل المنكر حتّى تحرم محاربة السلطان المضيع للمعروف والفاعل للمناكير[١]، بل

➔

الإيمان بالله تبارك وتعالى، واتّساع رقعته، وتعميق جذوره في النفوس، وتنفيذ كلّ القوانين الفرديّة والاجتماعيّة. ولا ريب أنّ ما يضمن تنفيذ القانون وتطبيقه مقدّم على نفس القانون، ولذا أنّ تعطيل هذين الواجبين يوجب ضعف العقائد في القلوب وانهيار قواعد الإيمان في النفوس. ولهذا كلّه كان طبيعيّاً أن يقدما على الإيمان. ويتّضح من هذا البيان أنّ المسلمين خير أمّة ما داموا يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإذا نسوا هاتين الفريضتين وأهملوهما لم يعودوا خير أمّة، كما لم يعودوا في خدمة المجتمع البشري أبداً. على أن المخاطب في هذه الآية هم عموم المسلمين في جميع العصور كما هو الحال في كل الخطابات القرآنيّة.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الآية المباركة ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**...﴾ تنفي صحّة دلالة حديث حذيفة، لأنّ الآية تأمر بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجراء العدل في المجتمع. ومدلول حديث حذيفة ينفي هذين الفريضتين، ويأمر الناس بالسمع والطاعة للحاكم الظالم والذي لا يستنّ بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. بل وفي الحديث: إن ضرب ظهرك وأخذ مالك، ثمّ يترقّى في ذلك ويقول: إن كان المعروف عنده منكراً والمنكر عنده معروفاً، ثمّ فيه التصريح بأن الحاكم قد يكون كالرجال الذي قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان البشر، فدلالة هذه الأوصاف لا تنسجم مع الآية المباركة. وبعبارة أخرى أنّ الحديث يكون مخالفاً للقرآن الكريم، ومن الواضح لدى الخبير أن الحديث المخالف للقرآن يضرب به عرض الجدار، ولا يلتفت إليه فلاحظ.

بمقتضى آية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾ تجب المعاونة من جميعهم على تأديب السلطان ولو بالعزل عن منصبه[١]، فإنّه متى ما تعاون الناس على هجره وعدم طاعته يسير بينهم بالعدل من دون حاجة إلى محاربته[٢]

(١) وتوضيح المقام أنّ مقتضى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾(سورة آل عمران:١١٠) مشروطة بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل في المجتمع. فمتى قامت الأمّة بهذين الفريضتين قياماً حقيقيّاً بحيث لم تترك مورداً منهما، كانت لائقة بهذه الصفة القرآنية وهي: خير أمّة أخرجت للناس... وأمّا إذا توقّفت الأمّة عن القيام بهما ولو في بعض الموارد، فإنّ عنوان خير أمّة يسقط عنها، حيث أنّ الخيريّة في الآية مقرونة ومشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا فقدت الأمّة عن هاتين الصفتين فقدت أخيريتها. فبمقتضى الآية الكريمة إذا وجدت الأمة المنكر من الحاكم والسلطان تجب عليها تأديب السلطان ولو بالعزل عن منصبه، حسب مباني علماء أهل السنّة. وأمّا حديث حذيفة فإنّه يأمر الناس بالسمع والطاعة للحاكم الظالم، الفاعل للمنكر والتارك للمعروف، فكيف يمكن أن تطلق على الأمّة التي يحكم عليها الحاكم الفاسق خير أمّة؟!! فإنّ المشروط ينتفي بانتفاء شرطه. وبمقتضى دلالة الآية تجب معاونة جميع الأمّة على تأديب السلطان ولو بالعزل عن منصبه، حسب مباني أهل السنّة، فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح أنّ مدلول حديث حذيفة مخالف لمعنى الإمامة والخلافة الشرعية؛ لأنّ الإمامة الشرعية عبارة عن إجراء العدل في المجتمع، لأنّ من الشؤون الإمامة والخلافة الحكومة والإمارة ، والحكومة أمانة بيد الأمراء، لابد لهم من إجراء العدل والعدالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَات إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نعمَّا يَعظُكُم بِه إِنَّ اللَّهَ ←

➔

كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (سورة النساء:٥٨)، هذه الآية الكريمة ذكرت وجوب ردّ الإمانة في بداية الأمر، ثمّ ذكرت لزوم إجراء العدل في المجتمع، والمستفاد منها أنّ من أبرز مصاديق الأمانة الحكومة؛ إذ من الواضح أن للأمانة معنى وسيعاً يشمل كلّ شيء مادّيّ ومعنويّ، ويجب على كلّ مسلم - بصريح هذه الآية - أن لا يخون أحداً في أية أمانة دون استثناء، سواء كان صاحب الأمانة مسلماً أو غير مسلم، وهذا هو في الواقع إحدى المواد في الميثاق الاسلامي لحقوق الإنسان التي يتساوى اتّجاهها كل أفراد البشر. ثمّ يشير سبحانه إلى قانون مهم آخر، وهو مسألة العدالة في الحكومة فيقول: وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل أي إن الله يوصيكم أيضاً أن تلتزموا جانب العدالة في القضاء والحكم بين الناس، فيجب عليكم أن تحكموا بعدل؛ وهذا القانون قانون كلّي وعامّ، ويشمل كلّ نوع من القضاء والحكومة، سواء في الأمور الكبيرة أو الأمور الصغيرة، وهي إلى درجة أنّنا نقرأ في الأحاديث الإسلاميّة أنّ صبيين ترافعا إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام في خطّ كتباه وحكماه في ذلك ليحكم أي الخطّين أجود، فبصر به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «يا بني انظر كيف تحكم، فإنّ هذا حكم والله تعالى سائلك عنه يقوم القيامة» (انظر تفسير الآلوسي ج٥: ص٦٤)، ورواه الشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ج٣: ص١١٣. فبمقتضى الآية الكريمة يجب على أهل السنّة أن يلتزموا بما أمرهم الله سبحانة في هذه الآية الكريمة، فيجب عليهم أنّ يحكموا بمقتضى هذه الآية بوجوب إجراء العدل في المجتمع. وهذا المعنى لايتحقق إلاّ بوجود حاكم عدل يراعي جميع الحقوق. ومعناه أنّه إذا كان الحاكم يأمرهم بمعصية الله، فيجب على الناس أن يهجروه ويتعاونوا في عدم طاعته، ويلزموه بإجراء العدالة في المجتمع. وعليه فإنّ طاعة الحاكم الذي يأمر

➔

ولكن البليّة جائت على الدين وأهله من الجمهور الـذين قـووه بطـاعتهم لـه بالنفس والمال[(١)]،

➔

بمعصية الله، معناه مخالفـة أمـر الله ومخالفـة القـرآن. وحـديث حذيفـة الـذي يـأمر بطاعة الحاكم الظالم، معناه أنّه يأمر بمخالفة القرآن، إذ فيه: يجب الـسمع والطاعـة للحاكم وإن كان ظالماً، فكيف يمكن الجمع بين مدلول هذا الحديث وما جاء في القرآن الكريم من أمر الله عزّ وجلّ بوجوب إجراء العدل في المجتمع؟!! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ مـا أصـاب الإسـلام مـن التفـرّق بـين المـسلمين والانحرافـات، والبـدع الـضالّة والمـضلّة، ومـا توجّـه إلـيهم مـن الأخطـار والتهديـدات وطعنـات الأعداء، وجميع البليّات التي وجدها المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّمـا هـي أثر سلطة خلفاء الجور وأمراء الجور، وأتباعهم الـذين هـم أهـل الـضلالة، فاقتـدوا بأئمة الجور الذين هم أهل الفسوق والفجور، وهم الذين سماهم الله تعالى بالأئمـة الذين يدعون إلى النار. فصافقت أتباعهم معهم للاقتحام في الضلالة والفتنة والقتل والظلم والجور فأصبحوا من أعوان الظلمة وأنصارهم وجلاوزتهم. ثـمّ اسـتمرّ هـذا النهج الظالم بسبب طاعة أتباعهم وبذل المال والـنفس فـي سـبيل تقـويتهم إلـى أن أخذت الدول والحكومات على نهجهم، التعامل حسب سننهم وآدابهم في معصية الله.

مع أنّ أعظم الجهاد عند الله كلمة حقّ في وجه سلطان الجائر، فقـد أخـرج أحمـد ابـن حنبل بسنده عن أبي أمامة قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يرمي الجمرة فقـال: يا رسول الله أي الجهاد أحبّ إلى الله عزّ وجلّ؟ قـال: فـسكت عنـه حتّـى إذا رمـي الثانية عرض له فقال: يا رسول الله أي الجهاد أحبّ إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: فسكت عنه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى إذا اعترض في الجمرة الثالثة عرض له، فقال: يا

➔

فأين عملهم بما قالوه من وجوب طاعة الوليّ وهم مذ فارقهم خير الرسل صلى الله عليه وآله هجروه مبايعين غيره الذي سنّ لهم ما سنّ من المناكير[1].

➔

رسول الله أي الجهاد أحبّ إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: «كلمة حقّ تقال لإمام جائر» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢٥١). وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أحبّ الجهاد إلى الله كلمة حقّ تقال لإمام جائر» (المعجم الكبير ج٨: ص٢٨١). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «لا يمنعنّ رجلاً مهابة الناس أن يتكلّم بالحقّ إذا علمه، ألا إنّ أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص١٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وبعد هذه الروايات كيف يجوز لابن تيمية ومن تبعه قبول مدلول حديث حذيفة، مع أنّه يدلّ على القول بالرضا لحكومة الظالم وقبول الظلم الحاكم الجائر، وقبول القتل والفتن والخراب المترتّب على حكومة الظالمة. بل وسفك الدماء، وهتك الأعراض والضحايا والعنف، وعرضة الضياع والشتات، وجميع هذه السلبيات حاصلة من حكومة الخلفاء. وبما أنّ ابن تيمية يستدل بحديث حذيفة على صحة هذا النوع من الحكومة معناه انّه يؤيد خلافة أئمة أهل النار فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ معنى طاعة الولي عند ابن تيمية وأتباعه وجوب اتّباع كلّ حاكم وإن كان في أسفل درجات الفسق والفجور؛ لأنّ مصادر أهل السنّة فيها استعراض وسيع لأعمال الخلفاء وولاة الجور وأقوالهم ومخالفتهم للقرآن والسنّة النبوية، وتلاعبهم بالدين وأحكامه الشرعيّة. ومع ذلك أنّهم يوالونهم وينصرونهم، ومعناه أنّهم يعتقدون بخلافتهم وولايتهم، في قبال من يستحقّ الولاية من الله. وهذا المعنى يظهر من خلال الروايات التي رواه علماء أهل السنّة في صحاحهم

➔

➔

ومسانيدهم وتواريخهم، فإنّ موقفهم من خلفائهم يعرف من خلال تلك الروايات. وقبل ذكر الروايات نبدأ من القرآن الكريم، وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحقّ، وهو الذي فتح لنا هذا الباب وعلّمنا لزوم معرفة من له الولاية على الناس حسب معايير الإسلام والقرآن، وعدم تولي من لايستحق الولاية. قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). فإنّ كلمة (وليّ) في الأصل بمعنى القرب و عدم الانفصال ولهذا يقال للقائد الولي، والآية تقول: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، أي أنّ الله تعالى ولي لهداية المؤمنين. كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥). حيث ابتدأت الآية بكلمة "إنّما" التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث هم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله والذي أعطى الزكاة في حالة الركوع في الصلاة للفقير. فإنّ الروايات الواردة في شأن نزول الآية، والتي تتحدّث عن تصدق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بخاتمه في الصلاة، وسنتطرق إليها بالتفصيل في محلّه، فإنّ المراد من كلمة "ولي" في هذه الآية، هو ولاية الأمر والإشراف وحقّ التصرف والزعامة المادية والمعنوية، خاصّة وقد جاءت مقترنة مع ولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية الله حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة. فهذه هي الولاية لهداية المؤمنين، التي جاءت في الآية السابقة وتقول: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾. أي أنّ الله تعالى ولي لهداية المؤمنين، فيخرجهم من الظلمات إلى النور. ثمّ تضيف الآية: إنّ أولياء الكفّار هم الطاغوت (الأوثان والشيطان والحاكم الجائر

🡠

➔

و أمثال ذلك)، فهؤلاء يسوقونهم من النور إلى الظلمات ﴿**وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ و لهذا السبب أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾. فإذا كان الولي الحاكم الجائر فإنّه ممّن يشمله قوله تعالى: ﴿**أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَـى الظُّلُمـاتِ**﴾. فإنّ تشبيه الإيمان و الكفر بالنور والظلمة تشبيه بليغ رائع، لأنّ النور هو منبع الحياة ومصدر البركات والرشد والنمّو التكامل والتحرّك ومنطلق الاطمئنان والمعرفة والهداية، بينما الظلام رمز السكون والموت والنوم والجهل والضلال والخوف، وهكذا الإيمان والكفر. من الواضح أنّ الله تعالى لا يجبر المؤمنين للخروج من الظلمات إلى النور، كما لا يكره الكفّار على خروجهم من نور التوحيد الفطري، بل أنّ أعمال هؤلاء هي التي توجب هذا المصير و تثمر هذه العاقبة. فالذين ساروا على نهج الخلفاء الثلاثة ودخلوا في ولاية حكام الجور فقد خرجوا من النور إلى الظلمات؛ لأنّ أوليائهم بسبب ارتكابهم الظلم والجور ومخالفتهم الله ورسولهﷺ ونشرهم البدع في الإسلام وما أدّت إلى إيذاء الله ورسولهﷺ فشملهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَـهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). فلا بدّ للمؤمن أن يلتزم بهذا المعيار القرآني ولايتولي من يؤذي الله ورسولهﷺ، وأيضاً أنّ القرآن فتح لنا الباب وعلّمنا بأن ولايتولي المسلمون المارقين والناكثين والقاسطين. وإليك نماذج من الآيات والروايات في المقام؛ ولنبدأ بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحكم العدل وهو القول الفصل. قال الله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُـمْ نَحْـنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـذَابٍ عَظِـيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١).

🡐

➔

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّه مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِه فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة التوبة:٧٤). وقال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (سورة التوبة:٧٥-٧٧). وقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ االلَّهُ عَلَىٰ رَسُولِه وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٩٧). وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (سورة البقرة:٨-١٠). وقال تعالى: ﴿جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّه إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة المنافقين: ١-٣). وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِه وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ

➔

➔
إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٠-٦٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء:١٤٢). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المنافقين:٤). وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ١٨-١٩). وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمّد:١٦). وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٩-٣٠). وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة الفتح:١١). فهذه الآيات البيّنات من كتاب الله المجيد وما بيّنته من نفاق وأوصاف أولياء الجور الذين كانت لهم الدور
➔

➔

في الحكومة الجائرة والظالمة. فكيف قالوا بوجوب طاعة حكّام الجور الظالمين، والحال أنّ هذه الآيات تشهد عليهم من كتاب الله الحكيم؟! وأمّا ما فعلوه من المناكير ومخالفتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله فهي أيضاً كثيرة، وقد بدؤوا بارتكابها من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليك نماذج منها: فمنها: مخالفتهم في صلح الحديبيّة، وهي حدثت في السنة الثالثة للهجرة، واشتاق النبي صلى الله عليه وآله إلى زيارة بيت الله، فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلاّ سلاح المسافر، فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبيّة، منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح أثارت حفيظة بعض الصحابة، حتّى أنّ عمر بن الخطاب وثب فأتى أبا بكر فقال: أليس برسول الله؟!! قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلان نعطي الدنيّة في ديننا (انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢: ص٣١٦). فقد زعم الرجل أنّ البنود الواردة في صلح النبي صلى الله عليه وآله تعني إعطاء الدنية في الدين، حتّى أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ الله سبحانه أراه في المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة، قالوا: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (سورة الفتح:٢٧). ولو أراد المتتبّع أن يتعمّق في السير والتفاسير يجد أنّ مخالفة هؤلاء القوم للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم تكن مختصّة بموضوع دون موضوع، فكان مخالفتهم في كلّ ما جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. ومنها مخالفتهم في تجهيز جيش أسامة: فلقد اتّفق المؤرّخون على أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمر بتجهيز جيش أسامة

🡐

➔

فقالﷺ: «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عنه»، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبيﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه، فنصبر حتّى ننظر أي شيء يكون من أمره. هذا ما يذكره الشهرستاني ملخّصاً (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٩). وذكره المؤرّخون على وجه التفصيل، فقال الطبري في أحداث سنة إحدى عشرة: وضرب على الناس بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطىء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبيﷺ «إنّه لخليق لها» أي حقيق بالإمارة وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها فطار الأخبار بتحلّل السير بالنبيﷺ ويقول أيضاً: لقد ضرب بعث أسامة، فلم يستتبّ لوجع رسول اللهﷺ وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، فخرج النبيﷺ على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك، وقال: «وقد بلغني أنّ أقواماً يقولون في أمارة أُسامة، ولعمري لئن قالوا في أمارته لقد قالوا في أمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة وأنّه لخليق لها بعد أسامة»، وقال: «لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد»، فضرب بالجرف وأنشأ الناس في العسكر، ونجم طليحة وتمهّل الناس وثقل رسول اللهﷺ فلم يستتم الأمر ينظرون أوّلهم آخرهم حتّى توفّى الله نبيّهﷺ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٢٩). وذكر القصّة ابن سعد في طبقاته أيضاً (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٨٩)، والحلبي في سيرته (انظر سيرة الحلبي ج٣: ص٢٢)، وإلى غير ذلك من المصادر. ومنها مخالفتهم للنبيﷺ عندما طلب منهم القلم والدواة ليكتب لهم كتباً لن يضلّوا بعد ذلك أبداً، فعن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: "إنّ النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله

➔

➔

حسبنا"، فاختلفوا وكثر اللغط، قال صلى الله عليه وآله: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). وهذه الحادثة الأليمة سمّيت برزية يوم الخميس التي حرمت الأمّة من كتابة ما تهدي الأمة إلى هداية الله ورسوله صلى الله عليه وآله التي أوصفها الله تعالى في قوله الحكيم بقوله: ﴿**يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾. فأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكتب لهم التمسّك بالولاية التي هي الهداية الإلهيّة، فكلّ عاقل يعلم أنّ أتباع عمر بن الخطّاب هم أتباع من وقف بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وتفوه بقوله البائس أنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله! - والعياذ بالله — فمن تابعه فقد ساندوه في مثل ذلك الموقف الخطير، فكيف وافقوه أهل السنّة، وهذه مخالفاته للدين؟!!! والمهمّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حذّر أمّته من أن يقتدوا بالطاغوت وحكام الجور، وهم أهل البدعة في الدين من بعده. وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ» (صحيح البخاري ج٣: ص١٦٧ كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود). ومدلول الحديث أنّه من أضاف شيئاً إلى الدين وادّعى أنّه جزء منه ولو كان ذرّة، فهو تشريع محرّم، وصاحبه إذا ادّعى لنفسه حقّ التشريع مع الله - والعياذ بالله - يحكم بكفره، وهذا موقف الإسلام من خلفاء الجور وحكّام الظلم، وهم حكموا بأهوائهم، وموقف الإسلام من هؤلاء هو التحذير من كيدهم ورفض ولايتهم والبراءة منهم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)، هذه الآية الكريمة تصدر حكماً صارماً وحازماً على مثل هؤلاء الأفراد الذين يحكمون على خلاف ما أنزل الله، فتقول: ﴿**وَمَنْ لَمْ**

⬅

➔
يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾.

وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وأمّا أهل السنّة فالمتمسّكون بما سنّه الله لهم ورسوله، وإن قلّوا! وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله، والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا! وقد مضى منهم الفوج الأوّل، وبقيت أفواج، وعلى الله فضّها واستيصالها عن جدبة الأرض» (انظر كنز العمال للمتقي الهندي ج١٦: ص١٨٤). وقد تقدّم ذكر بعض موارد مخالفة الخلفاء الثلاثة للشريعة المقدّسة، وتبيّن من خلال النصوص والروايات بدعة الخلفاء الغاصبين في نهب المال العام من بيت مال المسلمين الّتي أثارت عليه سخط المسلمين فتعالى النكير وكثر النفير، حتّى انتهى به إلى سوء المصير، وكانت عمدة الحجّة عليهم مخالفتهم للشريعة في تلك الهبات، فنشير هنا إلى بعض تلك نصوص من باب ذكر اليسير من الموارد الكثيرة، تنويراً لذهن قارئنا العزيز: فمنها ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج البلاغة، قال: لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال: يا بن عفّان لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وإني أستعيذ بالله من بيعتك؛ فغضب عثمان وقال: أخرجه عني يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلاّ ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٦). وروى البلاذري في أنساب الأشراف، وقال أبو مخنف والواقدي في روايتيهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد ابن العاص مائة ألف درهم، وكلّمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إنّ له قرابة ورَحماً، قالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟
➔

➔

فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، قالوا: فهديهما والله أحبّ إلينا من هديك، فقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله (أنساب الأشراف ج٥: ص٥١٥). وقال الشيباني: أوّل من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان (انظر العقد الفريد ج٢: ص٣٦٥). وروى الطبري عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن كعب قال: لمّا وجّه عثمان عبد الله بن سعد إلى أفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق أفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله بن سعد، إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبد الله ابن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم، قلت : أو لمروان؟ قال لا أدري (تاريخ الطبري ج٣: ص٣١٤). وقال ابن الأثير في الكامل: وحمل خمس أفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس أفريقية، فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس أفريقية عبد الله بن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروان الحكم، وظهر بهذا إنه أعطى جميع أفريقية (الكامل في التاريخ ج٣: ص٩١). وروى ابن عساكر لما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر وفي نسخة أخرى بخمس أفريقية، وأعطى أقرباءه المال وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتّخذ المال واستسلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلّ (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٩: ص٢٥١). وأخرج البلاذري في الأنساب من طريق الواقدي عن أم بكر بنت المسور قالت: لمّا بني مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان

🡐

➔

المسور فيمن دعا، فقال: مروان وهو يحدّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه؛ فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلاً، فأعطاك ابن عفّان خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين؛ فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متّق (أنساب الأشراف ج٥: ص٥١٥).

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمر (عثمان) لمروان بمائة ألف من بيت المال وقد زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي؟ قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنّك إنك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقت في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنّا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلّها في بني أميّة! (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٩٩).

وقال الحلبي في سيرته: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية، وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وأنه جاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة، فقسّمها بين نسائه وبناته وأنه انفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وأنه حمى لنفسه دون إبل الصدقة وكما أنّه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي ابن كعب ونفى أبا ذر إلى الربدة، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية، وضرب عمّار بن ياسر، وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق، وإنه أقطع أكثر أراضي بيت المال، وأن لا يشترى أحد قبل وكيله، وأن لا تسير سفينة في البحر إلا في تجارته،

🡐

وسادسها: ما نقله عن الزهري[(١)]

←

وأنه احرق الصحف التي فيها القرآن، وأنّه أتمّ الصلاة بمنى ولم يقصرها لمّا حجّ بالناس، وأنه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان، وقد أجاب عن ذلك كله في الصواعق فراجعه (السيرة الحلبيّة ج٢: ص٢٧٣). وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص الصريحة في مخالفة الخلفاء للشريعة المقدّسة، وسنذكر تفصيلها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وهو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُهري، يرجع نسبه إلى بني زُهرة بن كلاب، وهو تابعي من أهل المدينة المنوّرة، المتوفى سنة ١٢٤، وهو أحد علماء الحجاز والشام، ترجم له كثير من أرباب المعاجم والتراجم والرجال من علماء أهل السنّة وأثنوا عليه ثناءً بليغاً؛ قال اليافعي في ترجمته: هو أحد الفقهاء والمحدّثين، والأعلام التابعين، حفظ علم الفقهاء السبعة، وروى عن عشرة من الصحابة، وسمع سهل بن سعد، وأنس بن مالك، وخلائق؛ وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة (انظر مرأة الجنان وعبرة اليقظان لعبدالله بن أسعد اليافعي ج١: ص٢٠٤ في حوادث سنة ١٢٤). وقال ابن المديني: له نحو ألفي حديث، وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة؛ وقال عمر ابن عبد العزيز: لم يبق أعلم بسنّة ماضية من الزهري، كذا قال مكحول؛ وقال الليث: قال ابن شهاب: ما استودعت قلبي علماً فنسيته؛ وقال غيره من أهل العلم: كان معظماً وافر الحرمة عند هشام بن عبد الملك وأعطاه مرّة سبعة آلاف دينار، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منه عند الزهري، كأنّها عنده بمنزلة البعر (انظر مرأة الجنان وعبرة اليقظان لعبدالله بن أسعد اليافعي ج١: ص٢٠٤ في حوادث سنة ١٢٤). وقال الخطيب التبريزي: الزهري، منسوب إلى

→

←

زهرة بن كلاب ممّن اشتهر بالنسب إليهم؛ هو: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن شهاب، أحد الفقهاء والمحدّثين والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة، المشار إليه في فنون علوم الشريعة، سمع نفراً من الصحابة، روى عنه خلق كثير، منهم قتادة ومالك بن أنس؛ قال عمر بن عبد العزيز: لا أعلم أحداً أعلم بسنّة ماضية منه؛ قيل لمكحول: من أعلم من رأيت؟ قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من؟ وقال: ابن شهاب، قيل له: ثم من؟ قال: ابن شهاب.. (انظر الإكمال في أسماء رجال: ص٦٥٣). وقال ابن حجر: محمد بن مسلم... الفقيه الحافظ، متّفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة... (انظر تهذيب التهذيب ج٢: ص٢٠٧). وإلى غير ذلك ممّا ورد عنهم في ترجمة الرجل. وفي حديث رواه أبو الفراس أنّه دخل الزهري على الإمام السجاد عليه السلام وهو كئب حزين، فقال له الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما بالك مغموماً مهموماً»، قال: يا ابن رسول الله غموم وهموم تتوالى علي لمّا امتحنت به من حسّاد نعمي والطامعين فيّ وممّن أرجوه وممّن أحسنت إليه فتخلّف ظنّي، فقال له الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك»، قال الزهري: يا ابن رسول الله إنّي أحسن إليهم بما يبذر من كلامي، قال علي بن الحسين: «هيهات، إيّاك أن تعجب من نفسك بذلك وإيّاك أن تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تسمعه نكراً يمكنك أن توسعه عذراً»، ثم قال عليه السلام: «يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه»، ثم قال عليه السلام: «يا زهري أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك؟ فأي هؤلاء تحبّ أن تظلم وأي هؤلاء تحبّ أن تدعو عليه وأي هؤلاء تحبّ أن تهتك ستره؟ فإن عرض لك إبليس (لعنه الله) بأن لك فضلاً

←

من صدور الفتنة والصحابة متكاثرون، فإنّه من عجائب غشّه[(١)]،

➔

على أحد من أهل القبلة فانظر إن كان أكبر منك، فقل: قد سبقني إلى الإيمان والعمل الصالح فهو خير منّي، وإن كان أصغر منك فقل: سبقته إلى المعاصي والذنوب فهو خير منّي، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شكّ من أمره فما لي أدع يقيني لشكّي، وإن رأيت المسلمين يعظّمونك ويوقّرونك ويبجّلونك فقل: هذا فضل أخذوا به وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك فقل: هذا ذنب أحدثته، فإنك إذا فعلت ذلك سهل عليك عيشك وكثر أصدقائك وقلّ أعداؤك وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسّف على ما يكون من جفائهم واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضاً وكان عنهم مستغنياً متعفّفاً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان متعفّفاً، وإن كان إليهم محتاجاً فإنما أهل الدنيا يتعقّبون الأموال فمن لم يزدحمهم فيما يتعقّبونه كرم عليهم ومن لم يزدحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعزّ وأكرم» (انظر تنبيه الخواطر ونزهة النواظر لأبي فراس ابن حمدان ج٢: ص٤١٢) فهذا موجز عن حياة الرجل. وأمّا خبر الزهري فقد روى عنه الجصّاص في تفسيره عن الزهري قال: وقعت الفتنة وأصحاب النبيﷺ متوافرون، وأجمعوا أنّ كلّ دم أريق على وجه التأويل أو مال استهلك على وجه التأويل فلا ضمان فيه (أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص٥٣٤).

(١) لقد روى خبر الزهري بعض علماء أهل السنّة، منهم: الجصّاص في تفسيره عن الزهري قال: وقعت الفتنة وأصحاب النبيﷺ متوافرون، وأجمعوا أنّ كلّ دم أريق على وجه التأويل أو مال استهلك على وجه التأويل فلا ضمان فيه (أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص٥٣٤). وذكره ابن أبي العز الحنفي في كتابه شرح العقيدة الطحاوية عن الزهري أنّه قال: وقعت الفتنة وأصحاب رسول اللهﷺ

➔

➔

متوافرون فأجمعوا على أن كلّ دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية (شرح العقيدة الطحاوية: ص ٥٧٨) من الواضح لدى الخبير أنّ مدلول الخبر لا ينسجم مع الروايات المتواترة الدالّة على أنّ القتال على التأويل يحتاج إلى الدليل والمجوز الشرعي. لأنّه ورد النهي عن أعانة على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة فكيف بقتله ، فقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقى الله عزّ وجلّ مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله» (سنن ابن ماجة ج٢: ص٨٧٤). والحال أنّ هناك روايات ونصوص متّفقة بين الفريقين، قد خصّ فيها رسول الله ﷺ القتال على التأويل بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرج أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي سعيد الخدري يقول: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ مضينا معه، ثمّ قام ينتظره وقمنا معه فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «لا ولكنّه خاصف النعل» قال: فجئنا نبشّره، قال: وكأنّه قد سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلّف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو؟ قال:

➔

➔
«لا، ولكن خاصف النعل» يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه، كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢). وأخرج النسائي في سننه الكبرى بسنده عن مغيرة عن أمّ موسى قالت: قالت أمّ سلمة: والذي تحلف به أمّ سلمة إن كان أقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله علي، قالت: ما كان غداة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أرى في حاجة أظنّه بعثه فجعل يقول: «جاء علي» ثلاث مرّات قالت: فجاء قبل طلوع الشمس، فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت وكنّا عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ في بيت عائشة، فكنت في آخر من خرج من البيت، ثمّ جلست أدناهنّ من الباب فأكبّ عليه علي فكان آخر الناس به عهداً جعل يساره ويناجيه عنهما ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله «علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» (سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٥٤). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: وقد روى كثير من المحدّثين أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوماً: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: «لا»، فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ فقال: «لا، بل خاصف النعل»، وأشار إلى علي عليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٧٦). وإلى غيرذلك من الروايات الدالّة على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إنّما كان قتاله على التأويل، وأمّا غيره من الصحابة فإنّ قتالهم وفتنهم لم تكن على التأويل، إذ لم يرد نص في ذلك. ولايخفى على الخبير أنّ المراد بقوله صلى الله عليه وآله: القتال على التأويل: هو ما يقابل قتال البغاة، لأنّه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل الكفار والمشركين على التنزيل، أي بالدليل القرآني، فإنّ القتال على التأويل أيضاً مستنده القرآن الكريم،
➔

فإن قصد بالفتنة جهل الصحابة بالحقّ فذلك بهتان عظيم جسيم[1] كيف وقد

➔

حيث قد أوجب سبحانه وتعالى في القرآن القتال مع البغاة. فالقتال مع البغاة قتال على التأويل فهو واجب كما أنّ قتال الكفار والمشركين واجب على التنزيل، وهذا التفسير ذكره العلماء من الفريقين، فيكون المعنى: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد نصّ على أنّ قتال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على التأويل دون بقية الصحابة، ومعناه أنّ بقية الصحابة قتالهم مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قتال البغاة، فالحديث يكشف الحديث عن وجود انحراف في الصحابة وهم الذين قاتلوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما يكشف عن الفتنة التي حصلت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصحابة، فإنّ من كان في جنب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو مصون من الضلالة لكونه مع الإمام الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «علي مع الحقّ والحق مع علي» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤). فهذه النصوص تدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام هو الوحيد الذي رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: يقاتل على التأويل. ومعناه أنّ مشروعية القتال على التأويل مختصة بمولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. وعلى هذا الأساس لا دليل على مشروعية قتال الصحابة أو الخلفاء على التأويل بناءً على جميع المباني عند أهل السنّة؛ لأنّ الروايات صريحة في أنّ ما عدا قتال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لاتكون مشروعة. وعليه فما فعلها الخلفاء والصحابة من الفتنة إنّما كانت مستندة إلى الأهواء والميول النفسانية وحبّ الدنيا، لا التأويل بالقرآن فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ اجتهاد الخلفاء أو الصحابة في قبال النصوص إمّا أن يكون منشأه مخالفة النصوص، أو منشأه جهل الصحابة بالنصوص. فإن قال ابن تيميّة أنّ

➔

وقد بيّن من هو بالمؤمنين رؤوف رحيمﷺ لهم[(١)] جميع ما يحتاجون إليه

➔

مخالفة خلفاء السقيفة وأتباعهم للنصوص من جهة جهلهم بالنصوص. فهذا مردود؛ لأنّ من الضرورة أنّ النبيﷺ قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وقد بيّن لأمّته جميع ما يحتاجون إليه ولم يبق لهم شيء لم يذكره. وبعبارة أوضح أنّهﷺ قد أتّم عليهم الحجّة بجميع الجهات وفي جميع شؤون الحياة؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «أيّها الناس إنه ليس من شيء يقرّبكم من الجنّة ويبعّدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقرّبكم من النار ويبعّدكم من الجنّة إلاّ قد نهيتكم عنه» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص١٢٩). كما أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «دعوني ما تركتكم إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ). وهذا أمر لا يتحقّق بمجرّد الادّعاء والزعم بل لا بدّ من اثباته. وإن قال ابن تيمية أنّ مخالفة خلفاء السقيفة وأتباعهم للنصوص من جهة الغفلة، فأيضاً هذا الزعم مردود، إذ الأصل عدم الغفلة. وعليه فيبقى التعمد على المخالفة الله ورسولهﷺ، ومعناه أنّ ما ارتكبه خلفاء السقيفة وأتباعهم من مخالفة النصوص والفتنة والعداوة والاختلاف، كانت مع العلم والتعمّد، حيث غلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخرجوا من طاعة الله ورسولهﷺ، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:١٢٨). هذه الآية

➔

إلى يوم القيامة[1]،

➔

توضح مدى علاقة النبيﷺ، وعطفه وحنانه على المسلمين، وتؤكّد أيضاً أنّ هذه العلاقة وهذا العطف كان تثقل على قلبه ثقلاً كبيراً لما كان المسلمون يعانون من المصاعب. وفيها دلالة واضحة على أنّ النبيﷺ كان حريصاً على هداية الناس وكان يتحمّل في هذه الجهة الضغوطات في سبيل هداية الناس وتربيتهم وتكاملهم.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه الفريقين. فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «أيّها الناس إنّه ليس من شيء يقرّبكم من الجنّة ويبعّدكم من النار إلاّ قد أمرتكم به، وليس شيء يقرّبكم من النار ويبعّدكم من الجنّة إلاّ قد نهيتكم عنه» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص١٢٩). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «دعوني ما تركتكم إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣: ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ج١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في إرواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم. وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال:خطبنا رسول اللهﷺ فقال: «أيّها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا»، فقال رجل: أكل عامّ يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً، فقال رسول اللهﷺ: «لو قلت نعم

🡐

بل وما وجه جهلهم بالحقّ والسنن العديدة الصحيحة التي دلّت على إمامة علي عليه السلام(١).

➔
لوجبت، ولمّا استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحجّ، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحجّ وغيره)، ورواه ابن حبان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم. وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وآله وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨، وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم. وإلى غير ذلك ممن روى هذا الحديث من علماء أهل السنّة. والحديث دالّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله بيّن جميع ما يحتاجون إليه من معارف الدين، فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يذكره إليهم. وعليه لا معنى للقول بأنّ الخلفاء والصحابة كانوا يجهلون الحقّ، وعلى أثر جهلهم وقعوا في الفتنة، فإنّهم كانوا يعلمون الحقّ من القرآن والأحاديث النبوية صلى الله عليه وآله التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله، ووعوها ولكن مع ذلك خالفوها، فلاحظ.

(١) توضيح المقام أنّ الصحابة لايمكنهم أن يدّعوا الجهل بما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في باب الإمامة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد صرّح بإمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل ومباشرةً من بعده، في أحاديث
➔

➔

كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، من بداية الدعوة الاسلاميّة وإلى رزيّة يوم الخميس، ومن تلك الأحاديث "حديث الدار"، فقد أخرج الطبري وغيره، بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه «لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال لي: يا علي، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتّى جاءني جبريل فقال: يا محمّد، إنّك إلاّ تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رحل شاة واملأ لنا عسّاً من لبن ثمّ أجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلمّا وضعته تناول ورسول الله صلى الله عليه وآله حذية من اللحم فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة ثمّ قال: خذوا بسم الله فأكل القوم حتّى مالهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثمّ قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد ما سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الغد يا علي، إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي، قال: ففعلت ثمّ جمعتهم ثمّ دعاني بالطعام فقرّبته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ثمّ قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا حتّى

➔

➔

رووا منه جميعاً، ثمّ تكلّم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطّلب، إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» قال: «فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال ﷺ: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»، قال: «فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه» (تاريخ الطبري ج٢: ص٦٣)، ورواه ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٢: ص٢٤، وأبو الفداء في تاريخه ج٣: ص٤٠ وغيرهم؛ فالحديث فيه صراحة ودلالة واضحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام. ومن تلك الأحاديث "حديث الولاية": فقد أخرج أحمد ابن حنبل بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية وأمّر عليهم علي ابن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاهد، قال عفّان: فتعاقد أربعة من أصحاب محمد ﷺ أن يذكروا أمره لرسول الله ﷺ، قال عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ﷺ فسلّمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله، إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: «دعوا علياً، دعوا علياً، إن علياً منّي وأنا منه وهو ولي كلّ مؤمن بعدي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٤٣٧). وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس عند ابن عباس إذ اتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عبّاس إمّا أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا

➔

➔

من بين هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبيﷺ: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، فاستشرف لها مستشرف فقال: «أين علي؟» فقالوا: إنه في الرحى يطحن، قال: «وما كان أحدهم ليطحن؟» قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه، فجاء علي بصفية بنت حيي؛ قال ابن عباس: ثمّ بعث رسول اللهﷺ فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: «لا يذهب بها إلا رجل هو منّي وأنا منه» فقال ابن عبّاس: وقال النبيﷺ لبنى عمّه: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» قال: وعلي جالس معهم، فقال رسول اللهﷺ: وأقبل على رجل رجل منهم فقال: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، فقال لعلي: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»؛ قال ابن عبّاس: وكان علي أوّل من آمن من الناس بعد خديجةعليها السلام؛ قال: وأخذ رسول اللهﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾؛ قال ابن عبّاس: وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبيﷺ ثمّ نام مكانه، قال ابن عباس: وكان المشركون يرمون رسول اللهﷺ، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول اللهﷺ، قال: فقال: يا نبي الله، فقال له علي: «إنّ نبي اللهﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه» قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي اللهﷺ وهو يتضوّر وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيم وكان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرميه وأنت

➔

➔

تتضوّر وقد استنكرنا ذلك؛ فقال ابن عباس: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك وخرج بالناس معه، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لا» فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس بعدي نبي، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي؟»، قال ابن عباس: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت ولي كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة»؛ قال ابن عباس: وسدّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره؛ قال ابن عباس: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فإن مولاه علي...» (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا السياق (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٢). وهذا الحديث أيضاً يدلّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولاية على جميع المسلمين كولاية النبي صلى الله عليه وآله. وفي تكملة هذا الحديث - كما في المستدرك للحاكم، وفي المختارة للضياء المقدسي، وفي المعجم الأوسط وفي غيرها من المصادر -: إنه (أي علي) لا يفعل إلاّ ما يؤمر، أو: إنّما يفعل علي بما يؤمر به (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٥: ص٤٢٥). وهذه العبارة ايضا فيها دلالة واضحة على عصمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. من تلك الأحاديث: حديث الغدير، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له "وادي خم" بواد، فأمر الصلاة فصلاّها بهجير، قال: فخطبنا وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون (أو) لستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللّهم عاد من عاداه ووال من والاه» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٧٢). في هذا الحديث ايضا دلالة واضحة على إمامة مولانا الإمام أمير

➔

الذي يدور معه الحقّ حيث يدور[1] لديهم موجودة فلم كتموها وهجروها،

المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وولايته على جميع الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، فإنّ الصحابة جميعاً بما فيهم الخلفاء الثلاثة بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على الإمامة والولاية وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين وهنّؤوه، كما قال البدخشي: أنّه أخرج أحمد بن حنبل عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول اللهصلى الله عليه وآله لمّا نزل بغدير خم أخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون إنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فقال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر نزل الأبرار: ص١٩). ونظم فيه الشعراء أشعارهم، فلا يمكن حمل الولاية على معنى غير الإمامة. وإلى غير ذلك من الروايات والأحاديث الكثيرة التي أخرجها كبار علماء أهل السنّة، التي لا مجال لاستقصائها في المقام. والشاهد أنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي جهل الصحابة بالحقّ مع وجود هذه الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، والروايات والأحاديث الصحيحة عند كبار علماء أهل السنّة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة الى الحديث المعروف المشهور الذي رواه أكثر علماء أهل السنّة في كتبهم، بألفاظ متقاربة وأسانيد عديدة التي تفيد مجموعها التواتر، وقد رواه أكثر من عشرين صحابي عن النبيصلى الله عليه وآله (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٧٥)، منهم: أبو بكر، وأبو ذر، وعمّار، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسلمان، وأبو أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعائشة، وأمّ سلمة عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله (انظر شرح منهاج الكرامة للسيّد علي الميلاني

➔

ج٢: ص٩٥). فهو من الأحاديث القطعيّة الثابتة عن رسول اللهﷺ، وإليك بعض متون الحديث مما ورد في كتبهم: فقد أخرج الترمذي في سننه بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن النبيﷺ قال: «رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ ح٤٤١٢ وغيرهم. وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار عليعليه السلام إلى البصرة دخل على أمّ سلمة زوجة النبيﷺ يودّعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحقّ والحقّ معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله - فإنّه أمرناﷺ أن نقرّ في بيوتنا - لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ علي من نفسي، ابني...؛ قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: هذه الأحاديث الثلاثة كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١٩). وأخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبيﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون، إن الله يحبّ الخفيّ التقيّ»، قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢١ ح٣٣٠١٨ وغيرهم. وأخرج الخطيب

➔

➔

البغدادي في تاريخه بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض يوم القيامة» (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٢٢)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٤٩ وغيره. وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن عبيد الله بن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله بن عبّاس... فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إنّي رأيت الدنيا قد أظلمت فقلت لبعيري إخ فأنختها حتّى انكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عزّ وجلّ إخ؟! قال: فقال سعد: أمّا إذا أبيت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله ﷺ، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أمّ المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ﷺ، وهذا سعد يذكر عن النبي ﷺ ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث ما دار»، فقالت أمّ سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله ﷺ لعلي، قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا مع من رسول الله ﷺ وجلست عن علي، لو سمعت هذا من رسول الله ﷺ لكنت خادماً لعلي حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٢٦ وغيره. وأخرج ابن مردويه، بإسناده عن عائشة، أنّها لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمّد: أنشدك الله أتذكرين يوم

➔

➔
حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحق لن يزال مع عليّ، وعلي مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا»؟ قالت: نعم (انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ص١٦٤ ح٢٠٥)، ورواه البدخشي في مفتاح النجاة: ص٦٥. ومنها ما رواه الزمخشري بسنده عن ابن عون قال: ... استأذن أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام على أمّ سلمة فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثم قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً عليه السلام، قالت: وفقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتّى يردا على الحوض» (انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٢: ص١٧٢). وأخرج الفخر الرازي في تفسيره عن البيهقي، وهو بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (ثم قال البيهقي): روي الجهر عن عمر بن الخطّاب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (انظر تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين والعبارات والمعنى واحد. ودلالتها على المقام واضح ظاهر، إذ تقريب الاستدلال بالحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّ المراد بالحقّ هو المعيار للإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ**﴾ (سورة محمّد:٣). فالآية تدلّ على أنّ خطي الإيمان والكفر يتفرّعان عن خطّي الحقّ والباطل، فالحقّ يعني الحقائق العينية، وأسماها ذات الله المقدسة،
➔

➔

وتليها الحقائق المتعلقة بحياة الإنسان، والقوانين الحاكمة في علاقته بالله تعالى، وفي علاقته بالآخرين. كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحجّ:٦٢)؛ فالآية تؤكّد على أنّ المعيار والميزان لمعرفة الحقّ هو الله سبحانه، فكلّما كان من عند الله عزّوجلّ فهو الحقّ، قال الله تعالى: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٤٧). فإنّ من يميّز بين الحقّ والباطل، والنور والظلمة، والكفر والإيمان: وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً. وفي مقابله الباطل، قال الله تعالى: ﴿**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾ (سورة يونس:٣٢). فالمعيار والميزان لمعرفة الحقّ من الباطل هو الإيمان الصادق بالله عزّوجلّ. والإيمان الصادق يعرف من علائمه وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث علامته، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ»، أي أنّ المعيار في الإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ هو الإيمان بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه مع الحقّ، أي أنّ إمامته عليه السلام من الله تبارك وتعالى وهو معنى علي مع الحقّ كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾، فالإيمان الصادق بالله تعالى إنّما يتمّ إذا كان مع الإيمان بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. لأنّ الله تبارك وتعالى أمر بإمامته عليه السلام. وهذا المعنى يعرف من المعيّة للحقّ. والشاهد على ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سليمان ابن مهران الأعمش قال: حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفّين، فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله وإكراماً لك حتّى أناخت ببابك دون الناس، ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا إنّ

🡐

وقد قامت الحجّة بها عليهم[(١)]،

➔

الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمراً - وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار ابن ياسر، إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ عليّ عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص١٨٨)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٧٢ وغيره. فالحديث يدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام إمام الحقّ ومن ادّعى في قباله الإمامة والخلافة فهو على الباطل، وذلك بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ النصوص الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد وردت بأوضح البيان والدلالة، بحيث لا يمكن إنكارها، كما لايخفى ذلك على أحد. ولا يسعنا المجال لذكر كلّها في هذه العجالة، لأنّ ذلك يستدعي الإطالة، وسنكتفي بذكر حديث واحد، وهو يكفي لطالب الحقّ ويقبله المنصف الذي يصغي ويتفهم، ويبحث عن الحقّ ويهدي إلى الحقّ كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

➔

➔

وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨).

وبين يديك أيها القارئ الحرّ اللبيب حديث الغدير الّذى رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة بطرق كثيرة بالغة عن حدّ التواتر بحيث دوّنت فيه كتباً مفردة مفصّلة ذو مجلّدات كثيرة ، بطرق عديدة من الطائفتين، إذ أنّ واقعة غدير من الوقائع المهمّة في تأريخ الإسلام التي نزل فيها بعض الآيات من القرآن الكريم، وذلك عندما أمر الباري تعالى نبيهصلى الله عليه وآله عند رجوعه من الحجّة الوداع -التي نعي فيها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله - أن يبلّغ بالولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ويعيّنه خليفة من بعده آخذاً له منهم البيعة بالمولويّة لكلّ مسلم ومسلمة. لا سيّما أنّ قضية غدير خمّ وبيعة المسلمين كافّة بما فيهم الخلفاء الثلاثة وزوجات النبيصلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فلا يمكن إنكارها، فهي كالشمس في رابعة النهار، خاصّة إذا دقّقنا في الحرص الشديد من الباري تعالى على أن يبلّغ النبيصلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام بالولاية حتى نزل قوله عزّ وجلّ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** (سورة المائدة:٦٧)؛ حتّى يمكن القول أنه لم يوجّه خطاب للنبيصلى الله عليه وآله في القرآن الكريم بهذا التشديد. وقد اختلفت الأقوال في عدد الذين شهدوا قضية غدير خم، فقد نقل العلاّمة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير وقال: وعند خروجهصلى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينة جدريّ أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحجّ، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد يقال: خرج معه تسعون ألف، وقد يقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدّة من خرج معه، وأمّا الذين حجّوا

➔

➔
معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكّة والذين أتوا من اليمن مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي موسى (انظر الغدير ج١: ص٩). وأشار العلامة الأميني قدس سره أيضاً في كتاب الغدير إلى أن رواة حديث الغدير من الصحابة يبلغون مائة وعشرة صحابياً، أمّا رواته من التابعين فهم أربعة وثمانون تابعياً، بينما بلغ عدد من نقلوا الحديث من أئمة الحديث وحفّاظه والأساتذة ثلثمائة وستّون، فضلاً عمّن ألّفوا من الفريقين في الغدير، والذين بلغوا حسب إحصاء العلامة الأميني قدس سره وما بلغ بيده ستّة وعشرون؛ منهم الطبري صاحب التأريخ، وابن عقدة والجعابي والشيباني والغضايري والسجستاني والكراجكي وغيرهم. بل يمكن القول: لو أنكرت قضية الغدير وشُكّك في دلالتها على ولاية إمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتعيينه خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه لا يمكن أن يقام لأيّ قضية أخرى دليل ولشُكّك في حجّيّة كلّ الأدلّة، وذلك لما للغدير من الصراحة والوضوح في الدلالة على ما يذهب إليه الشيعة الإمامية بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله جمع كلّ هذه الجموع الغفيرة تحت هجير الشمس الحارقة ليعيّن الخليفة من بعده ليس إلا، ومع ذلك ورغم صراحة قضية الغدير ودلالتها على تعيين الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كخليفة وإمام من السماء، لكن العامّة تبعاً لأسلافهم اختلفت مواقفهم إزاء هذه الحادثة المهمّة، بل تضاربت آراؤهم بين مؤيّد لما يذهب إليه الشيعة على مضضٍ وبين مخالف، وبين من يطعن في القضية وبين مؤوّل لها....

ولذا وجدنا من الجدير أن نستعرض آراءهم حول الغدير مقدّماً في ذلك آراء أسلافهم ليتسنى للقارئ الكريم مدى مظلوميّة مولى الموحدين الذي قال الإمام الصادق عليه السلام عن ظلامته: «نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أعطي أمير المؤمنين حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس» يعني الغدير (المناقب ج٣: ص٢٦).
🡐

➔

وقبل أن نشير إلى ذلك لا بأس في التعرّض إلى تعامل مخالفي إمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام مع الغدير في عهد أمير المؤمنين عليه السلام نفسه ثمّ ننتقل إلى تعامل الناس مع الغدير بعد شهادته. فقد روى أبو عبيد الهروي في تفسيره (غريب القرآن) قال: لمّا بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله غدير خمّ ما بلّغ وشاع في البلاد أتى جابر ابن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، فقال: يا محمّد، أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله وبالصلاة والصوم والحجّ والزكاة فقبلنا منك، ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضع ابن عمك ففضّلته علينا وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله». فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ الآية... (الغدير ج١: ص٢٣٩).

وفي سنة خمس وثلاثين للهجرة بلغ أمير المؤمنين اتّهام الناس له فيما يرويه من تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه على غيره، فحضر في مجتمع من الناس بالرحبة في الكوفة واستنشدهم بحديث الغدير ردّاً على من نازعه فيها، وقد بلغ الاهتمام بهذه المناشدة كما ينقل العلاّمة الأميني قدس سره أن رواها غير يسير من التابعين وتظافرت إليها الأسانيد في كتب العلماء، حتّى أن الأميني قدس سره ظفر على رواية أربعة من الصاحبيين وأربعة عشر من التابعين لها (راجع الغدير ج١: ص١٦٦).

أمّا الحادثة فهي: نقل البلاذري في أنساب الأشراف قال: قال علي على المنبر: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، إلا قام وشهد»، وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب وجرير بن عبد

➔

➔

الله البجلي، فأعادها فلم يجبه أحد، فقال: اللّهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتّى تجعل به آية يعرف بها؛ قال: فبرص أنس وعمي البراء ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته فأتى الشراة فمات في بيت أمّه (أنساب الأشراف ج١: ص٢٨٩).

ولذا فلا عجب أن يتصرّف القوم بحديث الغدير بعد هذه السنين الطوال ويؤوّلونه وفق مصالحهم وأهوائهم إذا كانوا في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبوا أن يذعنوا بمفاده ويعترفوا بحقّ الإمام عليه السلام.

فالخبير يعلم أنّ هذا الحديث في أعلى درجة الإعتبار من جهة السند ودلالته أوضح من أن يخفى على أحد. ولنرى كيف تعامل القوم مع حديث الغدير علّنا ندرك شيئاً من ظلامة سيد الموحّدين الذي كان يصرّح في حياته قائلاً: «مازلت مظلوماً منذ ولدتني أمّي...» ولماذا جاء في زيارته: "أنت أوّل مظلوم ظُلم وأوّل من غُصب حقّه".

وأمّا التعتيم الإعلامي المتوارث من جيل إلى جيل على نشر الحديث، فلا يخفى على الخبير بأنّها بدأت من قبل وفاة سيّد الخلق صلى الله عليه وآله وليس الأمر مختص بنقل بيعة غدير خمّ، وحجّة الوداع وآية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودّة، واجتماع السقيفة إلى اغتصاب فدك و...

ثم بذل غاية جهودهم إخفاء فصائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خاصّة حديث الغدير، بل نسبوا بعضها لغيره، فمثل حديث الغدير الذي رواه كبار الصحابة والتابعين حتّى صار من الأخبار المتواترة عند الفريقين سعى مجموعة من المناوئين للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى إخفائه وعدم نقله، فعن عطية العوفي قال: رأيت ابن أبي أوفى وهو في دهليز له بعد ما ذهب بصره، فسألته

🡐

➔

عن الحديث، فقال: إنّكم يا أهل الكوفة فيكم ما فيكم، قال: قلت: أصلحك الله إنّي لست منهم، ليس عليك مني عار، قال: أيّ حديث؟ قال: قلت: حديث علي يوم غدير خمّ، فقال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّته يوم غدير خمّ وهو آخذ بعضد علي فقال: «يا أيّها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فهذا مولاه» (المناقب لابن الغزالي ص٤١).

وعن عطية العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: إن ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي يوم غدير خمّ، فأنا أحبّ أن أسمعه منك، فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك منّي بأس، قال: نعم كنّا بالجحفة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي فقال: «أيّها الناس، ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه»، قال: فقلت له: هل قال: «اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه»؟ قال: إنما أخبرك كما سمعت (فضائل الصحابة ج٢: ص٤٧٣).

وأمّا التأويلات المنحرفة التي ورثتها من تسمّى بأهل السنّة فإنّها غير مقبولة عند ذي بصيرة نافذة، وحيث أنّ التشكيك في سند حديث الغدير غير ممكن عند من له أدنى معرفة بعلوم الحديث لتواتره وشياعه الشديد، ولذلك لجأوا إلى التلاعب بمحتواه وتأويل المعنى المراد منه، ولكن التأويلات باردة لا يقبلها العقول السليمة حتّى عند المخالفين وعلمائهم لأنفسهم وقناعاتهم، فهذا الفخر الرازي في تفسيره لمّا يصل إلى تفسير قوله صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: وفي لفظ المولى ههنا أقوال: أحدها قال ابن عبّاس: مولاكم أي مصيركم، وتحقيقه أنّ المولى موضع الولي، وهو القرب، قال تعالى: ﴿**ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْۖ**﴾ (سورة الحديد:

➔

➔

الآية١٥). فالمعنى أنّ النار هي موضعكم الذي تقرّبون منه وتصلون إليه، والثاني: قال الكلبي: يعني أولى بكم، وهو قول الزجاج والفراء وأبي عبيدة. واعلم أنّ هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير للفظ، لأنّ لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة، لصحّ استعمال كلّ واحد منهما في مكان الآخر، فكان يجب أن يصحّ أن يقال: هذا مولى من فلان كما يقال: هذا أولى من فلان، ويصحّ أن يقال: هذا أولى فلان كما يقال: هذا مولى فلان، ولما بطل ذلك علمنا أن الذي قالوه معنى وليس بتفسير، وإنّما نبّهنا على هذه الدقيقة، لأنّ الشريف المرتضى لما تمسّك بإمامة علي، بقوله : «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: أحد معاني مولى أنّه أولى، واحتجّ في ذلك بأقوال أئمة اللغة في تفسير هذه الآية، بأن مولى معناه أولى، وإذا ثبت أن اللفظ محتمل له وجب حمله عليه، لأن ما عداه إمّا بين الثبوت، ككونه ابن العم والناصر، أو بين الانتفاء، كالمعتق والمعتق، فيكون على التقدير الأوّل عبثاً، وعلى التقدير الثاني كذباً، وأما نحن فقد بيّنا بالدليل أن قول هؤلاء في هذا الموضع معنى لا تفسير، وحينئذ يسقط الاستدلال به، وفي الآية وجه آخر: وهو أن معنى قوله: «هي مولاكم» أي لا مولى لكم، وذلك لأنّ من كانت النار مولاه فلا مولى له، كما يقال: ناصره الخذلان ومعينه البكاء، أي لا ناصر له ولا معين، وهذا الوجه متأكّد بقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾ (سورة محمّد: الآية١١)، ومنه قوله تعالى: ﴿**يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَٱلْمُهْلِ**﴾ (سورة الكهف: الآية ٢٩) (تفسير الرازي ج١٥: ص٢٢٧).

وهو كما ترى مغالطة واضحة، حيث أنّ الرازي عندما وجد جمعاً كبيراً من علماء اللغة والأدب ممّن صرحوا أن المراد من الولي الخليفة. ويكفينا اعترض الحارث أو جابر بن النعمان الفهري على رسول الله ﷺ بتنصيبه لأمير المؤمنين من بعده، ➔

➔

فضلاً عن تسليم أبي بكر وعمر بالمعنى المتبادر من الـولي ومبايعتهمـا للإمـام أميـر المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالولاية حيث قالا له: هنيئاً لك يـابن أبـي طالـب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٦).

ثمّ إنّ ما ورد من النصوص والتأكيد لهذه الحادثة المهمّة من الـسماء وإعـلان الرسـول الأعظمصلى الله عليه وآله الأمر الإلهـي علـى قبـول ولايـة الإمـام أميـر المـؤمنين علـي بـن أبـي طالبعليه السلام لا يمكن إنكـاره، فهـو سـتر شـمس الحقيقـة وإخفـاء نـور الهدايـة عـن الناس، لكن هيهات وأنّى له ذلـك، فلـم يلتـزم بـذلك حتّـى جمهـور العامّـة لوجـود القرائن الكثيرة التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

ولا يخفى أنّ الباحث المنصف لو تأمّـل فـي الحـديث والقـرائن التـي تحتويـه لأصـبح بصيراً أو طالباً لزيادة البصيرة، منهم الشيخ سليم البـشريقدس سره الـذي كـان يعـد مـن أكثر القوم إنصافاً وتعقّلاً وبحثـاً عـن الحقـائق، وهـذا يظهـر جليـاً لكـلّ مـن يطـالع مناظراتـه مـع العلاّمـة الـسيّد عبـد الحـسين شـرف الـدينقدس سره فـي كتابـه القـيّم "المراجعات"، ومع ذلك فلمّا بلغ المقام في مناظراتهم حـول حـديث الغـدير الـذي تظافرت به تفاسير وأسانيد وتواريخ العامّـة حتّـى بلـغ حـدّ الاستفاضـة كـان الـشيخ البشري يتعامل مع الحديث تعامل من لا اطّلاع له به أصلاً.

ففي المراجعـة رقـم٥٥ حـاول أن يـشكّك فـي تـواتر الحـديث فكتـب للعلاّمـة شـرف الدينقدس سره ما نصّه: الشيعة متّفقون على اعتبار التواتر فيما يحتجّون بـه علـى الإمامـة لأنّها عندهم من أصول الدين، فما الوجه في احتجاجكم بحديث الغـدير مـع عـدم تواتره عند أهل السنّة، وإن كان ثابتاً في طرقهم الصحيحة؟ (المراجعات: ص٣٧٣)

ولمّا أثبت العلاّمة شرف الدين له تواتر حديث الغـدير عنـد الـشيعة الإماميـة لجـأ إلـى تأويل الحديث فقال: حمل الصحابة على الصحّة يستوجب تأويـل حـديث الغـدير

🡐

➔
متواتراً كان أو غير متواتر، ولذا قال أهل السنّة: لفظ المولى يستعمل في معان متعدّدة ورد بها القرآن العظيم... ثمّ ذكر القرينة المعيّنة بأن المراد من المولى الناصر والحبيب والصديق، أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان في تلك السنة في اليمن، فرأى من كانوا معه شدّة في ذات الله، فتكلّموا فيه ونالوا منه، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير بما قام به من الثناء عليه (لاحظ المراجعات: ص٢٧٥). ولما ردّ هذا التأويل أيضاً لم يجد بدّاً من القول: فليتكم تقنعون منا في تفسير الحديث بما ذكره جماعة من العلماء كابن حجر في صواعقه، والحلبي في سيرته، إذ قالوا: سلّمنا أنه أولى بالإمامة، فالمراد المآل -أي تؤوّل إليه الخلافة -وإلاّ كان هو الإمام مع وجود النبي صلى الله عليه وآله... فالمراد عقد البيعة له، وهو لا ينافي تقديم الأئمة الثلاثة عليه، وبهذا تحفظ كرامة السلف الصالح (انظر المراجعات: ص٢٨١). هكذا كان الشيخ سليم البشري يبرّر موقف العامّة في عدم قبول دلالة حديث الغدير على إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأشار الدكتور محمد التيجاني في كتابه "لأكون مع الصادقين" إلى قصة جميلة تكشف عن سرّ تأويل العامّة لحديث الغدير فقال: إنّي لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونة في بلادنا عندما ذكرت له حديث الغدير محتجّاً به على خلافة الإمام علي عليه السلام فاعترف بصحّته، بل زاد في الحبل وصلة فأطلعني على تفسيره للقرآن الذي ألّفه بنفسه، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصحّحه ويقول بعد ذلك: وتزعم الشيعة بأن هذا الحديث هو نصّ على خلافة سيّدنا علي عليه السلام، وهو باطل عند أهل السنّة والجماعة، لأنّه يتنافى مع خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فلابدّ من تأويل لفظ المولى الوارد في الحديث على معنى المحبّ والناصر كما ورد ذلك في الذكر الحكيم، وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون والصحابة، وهذا ما أخذه
➔

➔

عنهم التابعون وعلماء المسلمين، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث لأنّهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ويطعنون في صحابة الرسول، وهذا وحده كاف لردّ أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم. يقول الدكتور التيجاني: سألته: هل الحادثة وقعت بالفعل في غدير خم؟

أجاب: لو لم تكن وقعت ما كان يرويها العلماء والمحدّثون لماذا يؤوّلون حديث الغدير؟

قلت: فهل يليق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يجمع الصحابة في حرّ الشمس المحرقة ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم بأن علياً محبّكم وناصركم؟ فهل ترضون بهذا التأوّل؟

أجاب: إن بعض الصحابة اشتكى علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان فيهم من يحقد عليه ويبغضه، فأراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يزيل حقدهم، فقال لهم بأن علياً محبّكم وناصركم، لكي يحبّوه ولا يبغضوه!

قلت: هذا لا يتطلّب إيقافهم جميعاً والصلاة بهم وبدء الخطبة بقوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم» لتوضيح معنى المولى، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن اشتكى منهم علياً إنه محبّكم وناصركم وينتهي الأمر بدون أن يحبس في الشمس تلك الحشود الهائلة وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء، فالعاقل لا يقنع بذلك أبداً.

قال: وهل العاقل يصدّق بأنّ مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمت أنت والشيعة؟

قلت: أولاً: لم يكن يسكن المدينة المنوّرة إلاّ قليل منهم، ثانيا: إنّهم فهموا بالضبط ما فهمته أنا والشيعة، ولذلك روى العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهنّئين لعلي بقولهم: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أمسيت وأصبحت مولى كلّ مؤمن.

قال: فلماذا لم يبايعوه إذاً بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه؟ أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه؟

🡐

وإن قصد بها معنى غير ذلك فليس يضرّ المسلم شيء بعد معلوميّة الحقّ لديه[(١)]

➔

أستغفر الله من هذا القول.

قلت: إذا كان العلماء من أهل السنّة يشهدون في كتبهم بأن بعضهم – أعني الصحابة – كانوا يخالفون أوامر النبيﷺ في حياته وبحضرته، فلا غرابة في ترك أوامره بعد وفاته... (انظر لأكون مع الصادقين ص٤٥–٤٦).

نعم هكذا تعامل القوم مع حديث الغدير لأنه يمسّ معتقداتهم فغضّوا الطرف عن الحقيقة وأعرضوا عن الحقّ والإيمان الصادق الذي من اركانه الإعتقاد بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ فسلام الله عليك يا أبا الحسن يوم عشت مظلوماً ويوم قُتلت شهيداً مظلوماً. فهذا مختصر حول حديث الغدير وأمّا متن والحديث والاستدلال به سنذكره إن شاء الله في محلّه.

(١) وتوضيح المقام أنّه لو قصد ابن تيمية بالفتنة الحاصلة – في عصرخلافة مولانا الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام – إعراض الصحابة عن الحقّ تأويلاً منهم لذكر هذه الدعوى الباطلة، من أنّ الإعراض الصحابة لا يستتبع المؤاخذة الإلهية، فإنّه إدعاء باطل بالأدلّة القطعيّة والحجة الشرعية لدى جميع المسلمين؛ لأنّ الإعراض عن الحقّ بعد وضوحه إنّما يكون تكذيباً لآيات الله كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾ (سورة يس:٤٦). فإنّ سجية الاستكبار التي ترسخ في نفوس المنغمرين في الأهواء هي سبب الرئيس للإعراض عن آيات الله الدالّة على الحقّ. وذلك بمعنى أنّ هؤلاء حيث كانوا يكذبون بآيات الله، فيعرضون عن الحقّ قهراً. إذ من الواضح أنّ التكذيب بآيات الله تكذيب للحقّ ايضا، قال الله تعالى: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ....**﴾ (سورة الأنعام:٥). ولا

➔

➔

يخفى على الخبير أنّ تكذيب الحقّ جحود، والجحود ينتهي بالعناد والاستكبار وذلك يستتبع العذاب الإلهي والدخول في النار.

وتوضيح المقام: أنّ الإنسان دائماً في معرض الإمتحان الإلهي، وهو أمر مسلّم لا محالة لجميع الناس حتّى الأنبياء والمرسلين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (سورة الأنبياء:٣٥)، أي إنّ مكانكم الأصلي ليس هذه الدنيا بل هو مكان آخر، وإنّما هذه الدنيا دار للاختبار والامتحان، وبعد اكتسابكم التكامل اللازم سترجعون إلى مكانكم الأصلي وهو الدار الآخرة. والجدير بالذكر أنّ الشرّ في الآية الكريمة مقدّم على الخير من بين الموادّ الامتحانيّة، وينبغي أن يكون كذلك، لأنّ الامتحان الإلهي ولو كان تارة بالنعمة وأخرى بالبلاء، إلاّ أنّ من المسلّم أنّ الامتحان بالبلاء أشدّ وأصعب، ويقول سبحانه على لسان نبيّه سليمان عليه السلام: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ (سورة النمل:٤٠). فإنّ عبدة الدنيا وطلابها المغرورين حين ينالون القوّة والاقتدار ينسون كلّ شيء إلا أنفسهم... وكلّ ما يقع في أيديهم يحسبونه من عند أنفسهم لا من غيرهم، كما جاء في قوله تعالى عن لسان قارون حيث كان يقول: "﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾".. (سورة القصص:٧٨) في حين أنّ عباد الله وخاصّته كلّما نالوا شيئاً قالوا: "هذا من فضل ربي". والطريف أن سليمان عليه السلام عندما شاهد عرش ملكة سبأ عنده، قال: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾؛ فإنّه كان يرى أنّ جميع النعم التي يتمتّع بها من نعم الله عليه، وكان يدعو ربّه خاضعاً فيقول: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**﴾ (سورة الأحقاف:١٥). أجل هذا هو المعيار والميزان لمعرفة الموحّدين المخلصين في مقابل عبدة الدنيا المغرورين... وهذه سيرة

➔

➔
الرجال العظماء في قبال غيرهم من الأنانيّين. فالقرآن الكريم يعرض صوراً لاختبارات شديدة مرّ بها الأنبياءعليهم السلام كما بيّن صوراً من الاختبارات التي امتحن بها الأمم السابقة، حيث بها تتمّ أمر الدعوة الإلهيّة، بالأمر والنهي والثواب والعقاب، ولولا ذلك لبطلت ولَغت السنّة الإلهيّة في تسيير الإنسان كسائر الأنواع نحو سعادته في هذا العالم الكونى الذي لا سبيل فيه إلى الكمال والسعادة إلاّ طريق الهداية الربانيّة والتمسّك بما جاء به نبي الإسلامصلى الله عليه وآله، فبهذا الطريق يستطيع الإنسان أن يصل إلى الحقّ، وإذا وصل إلى الحقّ وأعرض عنه معناه أنّه خالف الحقّ. ثمّ إنّ مخالفة الحقّ بعد معرفته وإدراكه إنّما يعود ضرره إلى نفسه، فلا يضرّ الله شيئاً؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أزلي أبدي، وهو الغني المطلق وكلّ الخلائق يحتاجون إليه، يقول تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ**﴾ (سورة الزخرف:٣٢). فلا يتصوّر أحد أنّ مخالفة الناس وكفرهم أو إيمانهم يرجع إلى الله سبحانه، فأي أثر لمخالفتهم وكفرهم بالنسبة إليه تعالى؟!!! فإنّ العبد وما في يده لمولاه، فهم منتفعون بإيمانهم إذ لا شكّ أنّهم يتكاملون بالإيمان، كما يتضرّرون بمخالفتهم أو كفرهم، إذ يؤدّي ذلك إلى سقوطهم وانحطاطهم. إذن لوكان مقصود ابن تيمية بالفتنة إعراض أكثر الصحابة عن الحقّ وعمّا جاء به النبيصلى الله عليه وآله باعتبار أنّ مخالفتهم للحقّ كان بالتأويل، هذا أمر باطل، لأنّ إعراضهم عن الحقّ موجب لتكذيب الحقّ ومخالفتهم له، ومخالفتهم للحقّ وتكذيبهم له لا يضرّ الله شيئاً، قال الله تعالى: ﴿**مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ (سورة الإسراء:١٥). وهذا القانون الكلّيّ الذي تقرّره آية الكريمة، أولاً: تقرّر سبحانه وتعالى أنّ من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه حيث
➔

ويقال للزهري: من جعل كثرة الصحابة حجّة على الناس؟[1]

➔

تعود النتيجة إليه، وثانياً: تقرّر أيضاً أن من ضلّ فإنّما يضلّ عليها، وثالثاً: تقرّر أنّه لا تزر وازرة وزر أخرى، أي مسؤوليّة كلّ عمل من الإنسان يكون على عاتقه، فهو إنّما يتحمل مسؤوليّة أعماله.

وبعد وضوح ما تقدم أنّ من سنة الله تبارك وتعالى أن يهدي عباده إلى الحقّ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ (سورة الأحزاب:٤)، فهذا هو المعيار لعمل جميع المؤمنين سواء كان المؤمن من الصحابة أو غير الصحابة وهو الميزان لإيمانهم ومخالفتهم. فعلى هذا الأساس فمن عمل بما هداه الله ورسولهﷺ وصدّق بالحقّ فهو في زمرة من آمن بالحق. ومن كذّب بما هداه الله تعالى ، وبما جاء به النبي الأكرمﷺ فقد كذب بالحقّ بعد ما تبيّن له الهدى واتّبع غير سبيل الحقّ فهو في زمرة أهل النار وإن كان عددهم أكثر، بل وإن كان عددهم أكثر من المؤمنين بأضعاف، كما قال الله تعالى: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٠٠)، فتؤكّد الآية الكريمة على أنّ أكثر الناس لا يؤمنون، بل أنّهم معرضون عن آيات الله البيّنات بإعراضهم عن هذه الحقيقة الواضحة التي أوضحها القرآن الكريم والروايات بأجلى الوضوح . وعليه فما ذكره ابن تيمية باطل على أي حال فيما قصده فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما ورد من الخبر عن الزهري المتقدّم ذكره، حيث قال فيه: وقعت الفتنة وأصحاب النبيﷺ متوافرون، وأجمعوا على أنّ كلّ دم أريق على وجه التأويل أو مال استهلك على وجه التأويل فلا ضمان فيه (أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص٥٣٤). وقال ابن أبي العز الحنفي في كتابه شرح العقيدة

➔

➔
الطحاوية عن الزهري أنّه قال: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا على أن كلّ دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية (شرح العقيدة الطحاوية: ص٥٧٨). وإلى غير ذلك ممّا ورد في المقام من أقوالهم.

وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على الخبير أنّ الحجّة الشرعيّة لا بدّ أن تكون من مصدرالتشريع، والمصدر للتشريع إنّما هو الله سبحانه وتعالى أوّلاً وبالذات، وحسب أمره ومشيئته، لأنّه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره؛ وقد أمر سبحانه وتعالى بطاعة الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ (سورة النساء:٥٩)، فإطلاق الآية يدلّ على وجوب طاعة رسول الله ﷺ في جميع ما جاء به من حكم أو تفسير أو غير ذلك من الأقوال والأفعال والتقارير كلّها حجّة شرعيّة بأمر من الله عزّ وجلّ. وللتأكيد أمرسبحانه وتعالى باتّباع سنن النبي ﷺ في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر:٧). ومنها: قوله تعالى: ﴿**فَلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ (سورة النساء:٦٥). وقال تعالى: ﴿**وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى الله ورَسُولُه أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦). فطبقاً لهذا الأصل أنّ جميع المسلمين ملزمون باتّباع الرسول ﷺ، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر باتّباعه ﷺ باعتبار أنّ ما صدر منه ﷺ حجّة شرعية، فهو المصدر الثاني للتشريع. فالحجّة الشرعية هي ما تنتهي أمرها إلى الله عزّ وجلّ. وبعبارة أخرى أنّ الحجّة الشرعية المعتبرة عند جميع المسلمين هو القرآن الكريم
←

فهل نسيت ما صدر منهم من الهرب عن الزحف الذي هو كبيرة موبقة يوم

➔

والسنّة النبويّة، ولا بدّ للمسلمين الرجوع إليهما في جميع الأمور. ومن هنا يعرف أنّ أنّ المستفاد من القرآن الكريم أنّ طاعة أولى الأمر هي طاعة الله عزّ وجلّ، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (سورة النساء:٥٩). فإنّ طاعة أولى الأمر كطاعة الرسولﷺ تكون بأمر الله عزّ وجلّ، لأنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّ طاعة الأولى الأمر كطاعة الرسولﷺ واجبة بأمر الله عزّ وجلّ، ومعناه أنّ كل قيادة وولاية يجب أن تتبع بأمر الله عزّ وجلّ ومن ولاية الله سبحانه وذاته المقدّسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته، ولذلك أمرسبحانه وتعالى بالرجوع إلى الله والرسولﷺ عند التنازع، فقال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى الله والرَّسُول...**﴾ (سورة النساء:٥٩). فيجب عليهم أن يردوا كلّ شيء وقع فيه التنازع بين الأمّة، وكلّ أمر وقع التشاجر بينهم يردّوا أمره إلى الله والرسولﷺ. وما كان لأحد منهم إذا قضى الله ورسولهﷺ أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. بل وربّك إنّهم لا يؤمنون حتّى يحكّموا النبيّﷺ، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضى ويسلّموا تسليماً. ولا يخفى أنّ ممّا اختلف فيه الأمّة بعد رسول اللهﷺ هي الإمامة، فلا بدّ لهم أن يرجعوا في الإمامة إلى الله ورسولهﷺ. وليس هناك حجّة في الإسلام غيرالكتاب والسنّة النبويّة، إذ لو كان حجّة شرعية غير ذلك لأمر الله سبحانه وتعالى بطاعته. فمن أين يقول ابن تيمية أنّ قول الصحابة، أو قول أكثر الصحابة حجّة شرعية؟!!! ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (سورة يونس:٥٩).

أحد[١]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ خبر الزهري لا ينسجم مع ما ورد من النصوص المتّفقة عليها بين المسلمين من فرار كبار الصحابة عن ساحة الحروب. ولا شكّ ولا شبهة في أنّ الفرار من الزحف من الكبائر التي لا يغفر، لأنّ الله تعالى وعد عليها النار بالنصّ في القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الأنفال:١٥–١٦)، هذه صريحة في أنّ الفرار عن ساحة الحرب من الكبائر التي وعد الله تعالى أصحابها بالعذاب الأليم ونار الجحيم، واستحقاقه لغضب الله، ومصيره إلى النار: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. ولا يخفى أنّ ما في الفرار من الزحف من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسولﷺ والمخالفة لأمر الله ورسولهﷺ والركون إلى الملذّات الفانية والشهوات الزائلة. مضافاً إلى أنّ الفارّون عن ساحة الحرب قد وصفهم الله تعالى بالمنافقين والتنصّل من الواجب، وأنّهم قد أعانوا أعداء الإسلام من خلال بثّ اليأس والخوف في قلوب المؤمنين لمنعهم عن أداء واجبهم، إذ قد فرض الله الجهاد حماية لبيضة العقيدة ولتكون العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين. ومعلوم أن الجهاد يحتاج إلى الصبر والمصابرة والمرابطة، ومن أجل ذلك فقد حرّم الإسلام الفرار من المعركة وعدّه من كبائر الذنوب والآثام، وبيّن أن توليه الدبر لا تجوز إلاّ في حالتين الأوّل التحرّف للقتال والثانية التحيّز إلى فئة فيها نصرة وتأييد. فالآية الكريمة تدلّ بالصراحة على أنّ الهروب من ساحة الحرب من الكبائر التي لا تغفر لصاحبه، لما له من الأهميّة العظمى لتعلّقه في هذا الفرض بعزّة هذا الدين العظيم. قال الطنطاوي في تفسيره: أنّ الآيتين محكمتان وليستا منسوختين، أى أن تحريم التولّي يوم الزحف على غير المتحرّف أو المتحيّز ثابت

←

➔

لم ينسخ. وقد رجّح ذلك الإمام ابن جرير فقال ما ملخّصه: سئل عطاء بن أبى رباح عن قوله: ﴿ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَه﴾ فقال: هذه الآية منسوخة بالآية التي في الأنفال بعد ذلك وهي قوله – تعالى –: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّه عَنْكُمْ وعَلمَ أَنَّ فيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ منْكُمْ مائَةٌ صابرَةٌ يَغْلبُوا مائَتَيْن وَإنْ يَكُنْ منْكُمْ مائَةٌ يَغْلبُوا أَلْفاً منَ الَّذينَ كَفَرُوا بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وعَلمَ أَنَّ فيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ منْكُمْ مائَةٌ صابرَةٌ يَغْلبُوا مائَتَيْن وإنْ يَكُنْ منْكُمْ أَلْفٌ يَغْلبُوا أَلْفَيْن بإِذْن اللَّه واللَّهُ مَعَ الصَّابرينَ﴾ (سورة الأنفال: ٦٥-٦٦)، وليس لقوم أن يفرّوا من مثليهم. وقال آخرون: بل هذه الآية حكمها عام في كلّ من ولّى الدبر عن العدوّ منهزماً؛ وأولى التأويلين بالصواب في هذه الآية عندي قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدوّ أن يولّوهم الدبر منهزمين إلا لتحرّف القتال، أو التحيّز إلى فئة من المؤمنين، حيث كانت من أرض الإسلام، وأنّ من ولاّهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً – بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما – فقد استوجب من الله وعيده، إلاّ أن يتفضّل عليه بعفوه. وإنّما قلنا: هي محكمة غير منسوخة، لما قد بيّنا في غير موضع أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه إلا بحجّة يجب التسليم لها: من خبر يقطع العذر أو حجّة عقل، ولا حجّة من هذين المعنيين تدلّ على نسخ حكم قوله – تعالى: ﴿ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَه إِلَّا مُتَحَرِّفاً لقتال أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فئَة فَقَدْ باءَ بغَضَب منَ اللَّه﴾ (تفسير الوسيط للطنطاوي ج٦: ص٦٣). كما أنّ السنّة النبويّة أيضاً تدّل على حرمة الفرار من الزحف وإليك بعض الروايات الواردة في كتب أهل السنّة الدالّة على المقام، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال:

➔

➔

«اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (صحيح البخاري ج٣: ص١٩٥ كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾). وأخرجه البيهقي في سننه وقال: وأخرجه مسلم من وجه آخر عن سليمان باب والى اليتيم يأكل من ماله إذا كان فقيراً (انظر سنن البيهقي ج٦: ص٢٨٤). وقال النووي في شرح الحديث: وأمّا عدّهﷺ التولّي يوم الزحف من الكبائر فدليل صريح لمذهب العلماء كافّة في كونه كبيرة إلا ما حكى عن الحسن البصري أنه قال: ليس هو من الكبائر، قال: والآية الكريمة في ذلك إنما وردت في أهل بدر خاصّة والصواب ما قاله الجماهير أنه باق (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٨٨). فيحرم الهروب من المعركة أمام العدوّ ولو كثر عددهم وقلّ عدد المجاهدين، لأنّ ذلك تخلّف عن أمر الله ورسولهﷺ وجزائه سوء العاقبة في الدنيا والآخرة؛ إذ في الدنيا يحمل الخزي والعار والفضيحة وممّن تخلّف عن ركب المجاهدين والشهداء، وفي الآخرة العذاب الأليم ونار الجحيم، لأنّهم خالفوا أمر الله ورسولهﷺ.

وفي مقام التطبيق فقد أخرج علماء أهل السنّة الروايات الكثيرة الدالّة على فرار كبار الصحابة يوم أحد، منها: ما أخرجه ابن سعد في الطبقات: وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر، وسبعة من الأنصار.... من الهزيمة! (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص٤٢). وأخرج الطبري في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...**﴾ (سورة آل عمران:١٥٥) بسنده عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ

➔

➔

آل عمران، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها، فلّما انتهى إلى قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ قال: لمّا كان يوم أحد هزمنا، ففررت حتّى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنّني أروى، والناس يقولون: قتل محمّد! فقلت: لا أجد أحداً يقول قتل محمّد إلا قتلته. حتّى اجتمعنا على الجبل، فنزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...**﴾ (تفسير الطبري ج٤: ص١٩٣).

وأخرج الطبري بسنده عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي ابن النجّار قال: انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطّاب وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم قالوا: قتل محمّد رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قتل وبه سمّي أنس بن مالك (تاريخ الطبري ج٢: ص١٩٩). وأخرج الذهبي في تاريخه بسنده عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذاك يوم كان كله يوم طلحة، ثمّ أنشأ يحدث قال: كنت أوّل من فاء يوم أحد (تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص١٩١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في مصادرهم.

وهنا يتوجّه السؤال إلى جميع علماء الوهابيّة وأهل السنّة، وهو أنّه إذا ثبت بالأدلّة الصحيحة عندكم أنّ أبا بكر وعمر اعترفا بالفرار عن ساحة الحرب يوم أحد، ومن الثابت عندكم أنّ الفرار من الزحف من الكبائر التي لا تغفر، كيف جاز لكم قبول خلافتهما بعدإعترافهما بإرتكاب الكبائر والفرار من الزحف؟!!! وكيف جاز قبول بحجّيّة عمل الصحابة مع اعترافهم بأنّهم من أهل الكبائر؟!!!

ثم أنّ هناك أدلّة صحيحة عند أهل السنّة تدلّ على أنّ الكفّار والمشركين من قريش كانوا لا يرغبون في قتل عمر بن الخطّاب بعد أن تمكّنوا من قتله، فقد أخرج

🡐

ويوم خيبر[(١)]،

➔

الواقدي في المغازي بسنده عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم واسم أبي جهم عبيد قال: كان خالد بن الوليد يحدّث وهو بالشام يقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطّاب حين جالوا وانهزموا يوم أحد وما معه أحدٌ وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري فنكبت عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له (المغازي ج١: ص٢٣٧). وفي السيرة الحلبية: وتمكن ضرار من قتل عمر في معركة أحد فلم يقتله (السيرة الحلبيّة ج٢: ص٣٢١). والمستفاد من الحديث أنّ علّة عدم قتله المصالح التي كانت ترجع إلى الكفّار والمشركين منه. فكانوا يحافظون على حياته اقتضاءً لبعض مصالحهم. وهذا خطير جدّاً، إذ معناه معرفتهم بواقع عمر. والأمر يستلزم بالمقابل عدم إقدام عمر على قتل رجال قريش، وفعلاً حدث هذا الأمر في الحروف والغزوات، حيث أنّ عمر كان يفرّ من كل ساحة حرب في غزواته مع الرسول صلى الله عليه وآله. ومعناه أنّه كان يداهن الكفّار والمشركين، ومع اليهود ايضا. وقد عيّر عمرو بن سعيد بن العاص الأموي عمر ابن الخطّاب لامتناعه من الالتحاق بحملة أسامة في زمن أبي بكر (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٣٣). فلم يستخدم عمر سيفه في قتل أي كافر أو يهودي إذ جاء عن عبد الله ابن عمر: كان سيف عمر فيه فضة أربع مائة درهم، وقد أخذ معاوية سيف عمر، ولم يستعمله أيضاً (انظر كنز العمّال ج٦: ص٦٩٤ ح١٧٤٤٨).

وأيضاً يتوجّه إليهم هذا السؤال هنا، وهو أنّه لماذا كان الكفّار والمشركون لا يرغبون قتل عمر بن الخطّاب مع أنّهم كانوا من ألد الأعداء للإسلام والمسلمين؟!!! فيجب عليهم الجواب المقنع لهذه الأسئلة ولغيرها فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ قصّة فرار أبي بكر وعمر في غزوة خيبر من القضايا التي أجمع عليها

➔

➔

المسلمون بأسرهم، وقد دلّ عليها الروايات الصحيحة لدى الفريقين، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبد الرحمن عن أبي ليلى عن علي عليه السلام أنه قال: «يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخيبر؟» قال: بلى والله كنت معكم، قال: «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حتّى رجع» هذا حديث. ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٧). وأخرج أيضاً بسنده عن نعيم بن حكيم عن أبي موسى الحنفي عن علي عليه السلام قال: سار النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر، فلمّا أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاؤوا يجبنونه ويجبنهم، فسار النبي صلى الله عليه وآله الحديث... ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٧). وأخرج أيضاً بسنده عن جابر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية يوم خيبر إلى عمر فانطلق فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٧). وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر إلى خيبر فهزم فرجع، فبعث عمر فهزم فرجع يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأدفعنّ الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يفتح الله عليه»، فدعا عليّاً، فقيل له: إنه أرمد، قال: «ادعوه» فدعوه فجاءه فدفع إليه الراية ففتح الله عليه (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٦). وأخرج الهيثمي بسنده عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر - أحسبه قال: أبا بكر - فرجع منهزماً ومن معه، فلمّا كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية غداً

➔

➔
رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح الله عليه»، فثار الناس فقال: «أين علي؟» فإذا هو يشتكي عينيه، فتفل في عينيه ثمّ دفع إليه الراية فهزّها ففتح الله عليه (مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٤). وأخرج الطبري بسنده عن ميمون أبي عبد الله أن عبد الله بن بريدة حدث عن بريدة الأسلمي قال: لمّا كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر ابن الخطّاب ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ أصحابه ويجبنهم (تاريخ الطبري ج٢: ص١٣٦). وأخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن ابن أبي ليلى عن الحكم والمنهال وعيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي يخرج في الشتاء في إزار ورداء ثوبين خفيفين، وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل، فقال الناس لعبد الرحمن: لو قلت لأبيك فإنه يسهر معه، فسألت أبي فقلت: إنّ الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئاً استنكروه، قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحرّ الشديد في القباء، المحشو والثوب الثقيل ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين والملاءتين لا يبالي ذلك ولا يتقي برداً، فهل سمعت في ذلك شيئاً؟ فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده، فسمر عنده فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد تفقدوا منك شيئاً، قال: «وما هو؟» قال: تخرج في الحرّ الشديد في القباء المحشو والثوب الثقيل وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وفي الملاءتين لا تبالي ذلك ولا تتقي برداً، قال: «وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟» قال: قلت: بلى، والله قد كنت معكم، قال: «فإنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتّى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتّى انتهى إليه، فقال رسول الله ﷺ: "لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله
➔

➔

ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرّار"، فأرسل إليّ فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني وقال: اللّهم اكفه الحرّ والبرد، قال: فما آذاني بعد حرّ ولا برد» (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٧). وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بن أبي قحافة برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يكن فتحا وقد جهد ثم بعث عمر ابن الخطاب الغد فقاتل ثمّ رجع ولم يكن فتحاً وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم. وقال الإيجي في المواقف: العاشر قوله صلى الله عليه وآله بعد ما بعث أبا بكر وعمر إلى خيبر فرجعا منهزمين فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار»، وأعطاها علياً عليه السلام (المواقف ج٣: ص٦٢٦). وقال القاضي الجرجاني في شرحه على المواقف ما هذا لفظه: روي أنه صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر أوّلاً فرجع منهزماً، وبعث عمر فرجع كذلك فغضب النبي صلى الله عليه وآله لذلك، فلمّا أصبح خرج إلى الناس ومعه راية فقال: «لأعطين...» إلى آخره، فتعرّض له المهاجرون والأنصار فقال صلى الله عليه وآله: «أين علي؟» فقيل: إنه أرمد العين، فتفل في عينه ثمّ دفع إليه الراية (وذلك يدلّ على أن ما وصفه به لم يوجد في غيره)، ويلزم منه أن يكون أفضل ممّن عداه ... في كونه كرّاراً غير فرّار (شرح المواقف ج٨: ص٣٦٩). ثم إنّ البخاري أراد أن يغطي على فرار أبي بكر وعمر، فلم يذكر فرارهما في الحديث فإنّه مهما اختصر الحديث إلاّ أنّ ما رواه يكفي للدلالة على أنّ فتح خيبر لم يكن يقدر عليه أحد من الصحابة إلاّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه : «لأعطينّ الراية» أو قال: «ليأخذنّ غداً» «رجل يحبّه الله

🡐

➔

ورسوله» أو قال: «يحبّ الله ورسوله يفتح الله عليه»، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه الراية، ففتح الله عليه (انظرصحيح البخاري ج٤: ص١٢ كتاب دعاء النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه، باب ما قيل في لواء النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه). وقد أحسّ ابن حجر بالفضيحة فقال في شرحه: وقع في هذه الرواية اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بريدة ابن الخصيب، قال: لمّا كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، فلمّا كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة، فقال النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه: «لأدفعن لوائي غداً إلى رجل...» وفي الباب عن أكثر من عشرة من الصحابة سردهم الحاكم في الإكليل، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٣٦٥). ونحوه العيني في عمدة القاري وغيرهم؛ فالسؤال الذي يتوجّه هنا إلى أهل السنّة هو أنّه بعد تصريح كبار علمائكم بحرمة الفرار من الزحف وأنّه من الكبائر التي لا تغفر وإعترافهم بفرار أبي بكر وعمر عن ساحة الحرب في غزوة خيبر كيف جاز لأبي بكر وعمر دعوى الخلافة ؟ كيف جاز لكم قبول خلافتهما مع علمكم بأنّهما ارتكبا أكبر الكبائر؟!!!

وبالجملة فإنّ الأخبار الواردة في هذا المجال مستفيض بين الخاصّة والعامّة. ثمّ السؤال الآخر الذي يتوجّه هنا إلى علماء أهل السنّة هو أنّه ما معنى قول النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه بعد هزيمة أبي بكر وعمر: «أما والله لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه؟»

فإنّ المستفاد من الواقعة، أوّلاً اعترافهم بفرار الشيخين بالمسلمين! وغضب النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه من ذلك، فأحضر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ لحفظ بيضة الإسلام. وثانياً: أنّ قوله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله

➔

ويوم حنين[(١)]،

➔

ورسوله، كرّار غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه. فإذا كان الإمام عليه السلام له هذه العظمة في الدفاع عن الإسلام وحفظه، كيف جاز لأهل السنّة أن يردّ خلافته عليه السلام بعد هذه الفضلية العظمى، وقبول خلافة أبي بكر وعمر بعد تلك الفضيحة العظمى منهما؟!!

ثمّ إنّ رواياتهم صريحة في أنّ محاصرة النبي صلى الله عليه وآله لخيبر طالت نحو شهر وكان النبي صلى الله عليه وآله يعطي الراية كلّ يوم لأحد الصحابة، فيحملون على الحصن ويرجعون فاشلين، فقد روى ابن خياط عن اسحاق أنّه قال: وافتتح رسول صلى الله عليه وآله حصونهم حصناً حصناً، فكان أوّل حصونهم افتتح حصن ناعم، ثمّ القموص حصن ابن أبي الحقيق، فأصاب رسول الله منهم سبايا منهنّ صفيّة بنت حيي بن أخطب، فاصطفاها رسول الله لنفسه، وكان آخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلالم، حاصرهم بضعاً وعشرين ليلة (انظر تاريخ خليفة خياط: ص٤٩). فلو كان في وجود هؤلاء حمية وعرق من الإسلام لأدركهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله حفظ كيانه في مقابل الأعداء، فإذا سأل اليهود من أهل السنّة ما فعل خلفائكم في الدفاع عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله ماذا يجيبون؟!!!!

(١) لقد أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الصحيحة الدالّة على فرار أبي بكر وعمر في غزوة حنين، منها ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله عام حنين... قال: لمّا كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من رواءه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فضربت يده فقطعتها ثمّ أخذني فضمّني ضمّا شديداً حتّى تخوّفت، ثمّ ترك فتحلّل ودفعته ثمّ قتلته، وانهزم

➔

➔

المسلمون وانهزمت معهم فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله (صحيح البخاري ج٥: ص١٠٠ كتاب المغازي، باب ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً)، والحديث صريح في أنّ عمر ابن الخطاب ولّى دبره وهرب يوم حنين مع الهاربين أو لعلّه كان أوّل الهاربين وتبعه الناس، ولكن بقي مع النبيﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وعدّة من الصحابة. وقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الأنفال: ١٥- ١٦). فالآية صريحة في أنّ الفرار عن ساحة الحرب من الكبائر التي موجب لغضب الله عزّ وجلّ، إذ قد وعد الله تعالى عليه العذاب الأليم ونار الجحيم، ومأواه جهنم وبئس المصير. وفي حديث آخر قال عروة بن مسعود للنبيﷺ في الحديبيّة، كما في صحيح البخاري: فإنّي والله لا أرى وجوهاً، وإنّي لأرى أشواباً من الناس، خليقاً أن يفرّوا ويَدَعوك! فقال له أبو بكر: أمصص ببظر اللات! أنحن نفرّ عنه وندعه... (صحيح البخاري ج٣: ص١٧٨ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط). وقال ابن حجر: ويومها دعا رسول اللهﷺ إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفرّوا (انظر فتح الباري ج٥: ص٢٥٣). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جدّه قال: بايعنا رسول اللهﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحقّ أينما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم (صحيح مسلم ج٦: ص١٦ كتاب الإمارة، باب الوفاء بالبيعة). فبالرغم أنّ جميع الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر بايعوا

🡠

➔

رسول اللهﷺ البيعة المعروفة على ألاّ يفروا من ساحة الحرب، ومع ذلك كانا من أوّل الفارّين يوم حنين كعادتهم. وتركوا رسول اللهﷺ لسيوف عشرين ألف مقاتل من هوازن، وبقي معهﷺ بنو هاشم فقطّ! قال الفخر الرازي في تفسيره: وقال قتادة: كانوا اثني عشر ألفاً عشرة آلاف الذين حضروا مكّة، وألفان من الطلقاء. وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف. وبالجملة فكانوا عدداً كثيرين، وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف، فلمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلّة، فهذه الكلمة ساءت رسول اللهﷺ (تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص٢١). وقال ابن كثير: أنّه قال أبو بكر: لن نغلب اليوم من قلّة، فانهزموا فكان أوّل من انهزم بنو سليم، ثمّ أهل مكّة، ثم بقية الناس (سيرة النبويّة لابن كثير ج٣: ص٦١٠). وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة التوبة: ٢٥-٢٦). فقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بتضحية نفوسهم في الحروب والجهاد مع رسول اللهﷺ على جميع الصعد، لاسيّما عند قلع جذور الشرك وعبادة الأوثان، بل ويهدّد سبحانه بشدّة عن تقاعسهم من ساحة الجهاد. ولزوم تضحيتهم بأنفسهم، إذ فيهم بعض الأشخاص من ضعاف الإيمان والذين يحجبهم التعلّق بالمال والثروة وما إلى ذلك عن الجهاد في سبيل الله. ولا ينبغي أن يقلق المؤمنون المخلصون من هذا الأمر، فكان من الواجب عليهم أن يبذلوا بجميع ما يملكون من المال والنفس وغير ذلك في سبيل الإسلام والنبي الأكرمﷺ، لأنّ الله لم يتخل عنهم يوم كانوا قلّة، كما هو وقد أعجبتهم الكثرة فلم تغن عنهم شيئاً، لكنّ الله سبحانه أنزل جنوداً

←

وما جرى عليهم من الخوف الشديد من القتل في سبيل الله يوم الخندق[1]،

لم تروها، وعذّب الّذين كفروا، فالله في الحالين ينصر المؤمنين ويرسل إليهم مدده، ولهذا فإنّ الآية الأولى من الآيات محلّ البحث تقول: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾، ثم ّتضيف الآية معقّبة: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ**﴾، وكان جيش المسلمين يوم حنين زهاء اثني عشر ألفاً، وقال بعض المؤرّخين: كانوا عشرة آلاف أو ثمانية آلاف، غير أن الروايات المشهورة تؤيّد ما ذكرناه آنفاً، إذ تقول: إنّهم كانوا اثني عشر ألفاً، وهذا الرقم لم يسبق له مثيل في الحروب الإسلاميّة قبل ذلك الحين، حتّى اغترّ بعض المسلمين وقالوا: لن نغلب اليوم. إلاّ أنّ أكثرهم قد فرّوا من ساحة الحرب، لكونهم ضعيف الإيمان ولم يتوغل الإيمان في قلوبهم، فانكسر جيش المسلمين في البداية، وكاد العدوّ أن يغلبهم، ولولا أنّ الله تعالى أنزل مدده وجنوده فما نكان لهم طريق للنجاة. ويصوّر القرآن هذه الهزيمة الفضيحة بقوله: ﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾، وفي هذه اللحظات الحسّاسة حيث تفرّق جيش الإسلام هنا وهناك، ولم يبق مع النبيصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلا القلّة، وكان النبيصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ متألّماً جدّاً لهذه الحالة، فنزل التأييد الإلهي: ثم أنزل الله سكينته على رسولهصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها...

والمهمّ أنّ غزوة حنين من المواطن التي هرب فيها أبو بكر وعمر من ساحة الحرب وارتكبا هذه جريمة الكبرى وهي الفرار من الزحف. وبعد اعتراف كبار علماء أهل السنّة بهذه الجريمة النكراء منهما كيف جاز لهم قبول خلافتهما وهل هذا ينسجم مع ما لديهم من الأخبار والروايات في صفات الخليفة بعد رسول اللهصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟!!

(١) لا يخفى أنّ غزوة الخندق كانت في السنة الخامسة من الهجرة، وتسمّى بغزوة

➔

الأحزاب أيضاً؛ لأنّ المسلمين تواجهوا جيش العدوّ الذي كان مؤلّفاً من قريش وسائر القبائل العربية المعادية للإسلام من الكفّار والمشركين واليهود وغيرهم. وكان سببها أنّه لمّا نقضت بنو قريظة صلحها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وانضمّت إلى صفوف المشركين تغيّر ميزان القوى لصالح أعداء الإسلام، فتحزّبت قريش والقبائل الأُخرى، ومعهم اليهود ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والمسلمين. فجمعت قريش أحابيشها ومن تبعهم من العرب، فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممّن ذُكر من القبائل عشرة آلاف وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر بقيادة أبي سفيان بن حرب، فقاموا بتطويق المدينة بعشرة آلاف مقاتل ممّا أدّى إلى انتشار الرُعب بين صفوف المسلمين وتزلزلت نفوسهم وظنّوا بالله الظنوناً، كما قال الله تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ (سورة الأحزاب:١٠)، فتقول الآية تجسيداً للوضع المضطرب في تلك المعركة وقوّة الأعداء الحربيّة الرهيبة والقلق الشديد لكثير من المسلمين: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾. فجملة بلغت القلوب الحناجر كناية جميلة عن حالة القلق والاضطراب الشديد التي وقعت بين المسلمين أثر هجوم تلك الأحزاب؛ وجملة ﴿**تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ إشارة إلى أنّ أكثر الصحابة عندما أحسّوا بالخطورة قد خطرت على أفكارهم ظنون خاطئة، لأنهم لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى مرحلة الكمال في الإيمان، وهؤلاء هم الذين تقول عنهم الآية التالية: إنهم زلزلوا زلزالاً شديداً. وربّما كان بعضهم يفكّر ويظنّ بأنّنا سننهزم في نهاية المطاف، وينتصر جيش العدوّ بهذه القوّة والعظمة، وقد حانت نهاية عمر الإسلام، وأن وعود النبي صلى الله عليه وآله بالنصر سوف لا تتحقّق مطلقاً.

🡐

➔

ولكن عندما بلغ رسول الله ﷺ خبرهم جمع المسلمين، وحثّهم على الجهاد والصبر والاستعداد لمقابلة الغزاة وشاورهم في الأمر، في معالجة الهجوم المتوقّع من قبل العدو على المدينة المنوّرة، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك النبي ﷺ والمسلمين، لأنّ هذا النوع من العمل كان يعرقل تقدّم الغزاة ويخفّف من أخطار المجابهة بين الفريقين، فتوصّلوا إلى حفر خندق يحصّن المسلمين من أعدائهم، فبدؤوا بحفر الخندق حول المدينة باتّجاه العدوّ، وخرج النبي ﷺ مع المسلمين ليشاركهم في حفر هذا الخندق وتقسيم العمل بينهم وكان يحثّهم ويقول: «لا عيش إلاّ عيش الآخرة»، وجعل رسول الله ﷺ لكلّ عشرة أربعين ذراعاً، ورسول الله ﷺ معهم يحفر وينقل التراب، ولمّا فرغوا من حفره في ستّة أيّام وحضر الأحزاب الخندق ووجدوه سدّاً كبيراً في مقابلهم، قالوا: مكيدة فارسيّة، وامتنعت العرب من أن تعبره، فكان ممّن طفره عمرو بن عبد ودّ العامري - وكان يعدّ بألف فارس - وأربعة نفر من المشركين: وهم نوفل بن عبدالله ابن المغيرة المخزومي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطّاب الفهري، وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي، واقتحموا الخندق من مكان ضيّق، وركز عمرو رمحه في الأرض - وهو ابن تسعين سنة - فراح يصول ويجول، ويتوعّد ويتفاخر ببطولته، وينادي: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد، حتّى قال: ولقد بححتُ من النداءِ * بجمعهم هل من مبارز؟ إنّي كذلك لم أزل * متسرّعاً نحو الهزاهز. إنّ الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز. وكأنّ هذه الكلمات نداء إلى الموت، فلم يجبه أحد من المسلمين، إلاّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي كلّ مرّة يكرّر فيها نداءه كان يقوم له الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بينهم ليبارزه، فيأمره رسول الله ﷺ بالجلوس انتظاراً منه ليتحرّك غيره، ولكن لم ينهض

➔

➔

أحد؛ لمكان عمرو بن عبد ودّ ومن معه. ومضى عمرو يكرّر النداء والتحدّي للمسلمين، ففي كلّ مرّة يقوم إليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويعلن للنبي صلى الله عليه وآله استعداده للمبارة مع عمرو، وفي كلّ مرّة يأمره النبي صلى الله عليه وآله بالجلوس، ثمّ نادى عمرو مرّةً أخرى، وقال: أليس تقولون: إنّ قتلاكم في الجنّة وقتلانا في النار، فأين جنّتكم؟ أخرجوا أحداً أبعثه على السريع إلى الجنّة، ما فيكم أحداً يخرج وأنتم في حدود ألف؟ فالوحيد الذي رفع يده وقام إليه هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جميع المسلمين نكسوا رؤوسهم خوفاً للموت إلاّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقبّل بين جبهته، فنزع عمامته عن رأسه، وعمّمه بها وأعطاه سيفه ذا الفقار، وقال صلى الله عليه وآله له: «امض لشأنك»، ثمّ رفع يديه وقال: «اللّهمّ إنّك أخذت منّي حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليّاً، ﴿**رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ**﴾». فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، فتقدّم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «برز الإيمان كلّه إلى الكفر كلّه» (انظر بحار الأنوار ج٣٩: ص١). ولمّا دنا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قريباً منه، فقال له عمرو: «ادنُ منّي»، فدنا منه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول: «لا تعجلنّ فقد أتاك * مجيب صوتك غير عاجز. ذو نيّة وبصيرة والـ * صدق منجي كلّ فائز. إنّي لأرجو أن أُقيم * عليك نائحة الجنائز. من ضربة نجلاء يبقى * صيتها بعد الهزاهز». فلمّا انتهى إليه قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال له: «يا عمرو إنّك في الجاهلية تقول: لا يدعونّي أحدٌ إلى ثلاث إلا قبلتها، أو واحدة منها»، قال: أجل، فقال عليه السلام: «فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداًرسول الله صلى الله عليه وآله، وأن تُسلم لربّ

➔

➔

العالمين»، قال: يا ابن أخ، أخّر هذه عنّي، فقال له الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أمّا إنّها خيرٌ لك لو أخذتها»، ثمّ قال عليه السلام: «فها هنا أُخرى» قال عمرو: ما هي؟ قال عليه السلام: «ترجع من حيث جئت»، قال: لا تَحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فها هنا أُخرى». قال عمرو: ما هي؟ قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «تنزل تقاتلني»، فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني مثلها، إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً، قال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولكنّي أُحبّ أن أقتلك، فانزل إن شئت»، فغضب عمرو ونزل فضرب وجه فرسه حتّى رجع، وحمل على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وضربه على رأسه فاتّقاها بالدرعه، فقدّها السيف ونفذ منها إلى رأسه فشجّه، وبقي محتفظاً بثباته، وتوالت عليه الضربات وهو يحيد عنها، ثمّ كرّ عليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه على حبل عاتقه ضربةً كان دويّها كالصاعقة، ارتجّ له العسكران، فسقط يخور بدمه كالثور، وارتفعت غبرة حالت بينهما وبين الجيشين، وعلت أصوات المسلمين بالتكبير، بعد أن أصابهم الخوف في بادئ الأمر، وانهزم الذين كانوا مع عمرو بن عبد ودّ، واقتحمت خيولهم الخندق، وكبا بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل إليّ بعضكم أقاتله، فنزل إليه عليه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه حتّى قتله، فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل، وبعث الله عليهم ريحاً في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم، فانصرفوا هاربين لا يلوون على شيء، حتّى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقوله! فلمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك قال: «عوجل

🡐

➔

الشيخ» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٥٠).

ولمّا قتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبدود أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطّاب: هلا سلبته يا علي درعه، فإنّه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّي استحييت أن أكشف سوءت ابن عمّي»، وقال أبياتاً في قتل عمرو.....

وقد اتّفق الفريقان – الشيعة والسنّة – على رواية هذا الحديث؛ أعني خبر مبارزة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعمرو بن عبد ودّ وأفضليّة ذلك في الإسلام من أعمال جميع الأمّة إلى يوم القيامة. وقال الإيجي: أنّ (الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام) قتل أكابر الجاهليّة حتّى قال صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب لضربة علي «خير من عبادة الثقلين» (المواقف ج٣: ص٦٢٩). أو «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»، أو «أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة» (بحار الأنوار ج٣٩: ص٢).

ولا يخفى على الخبير أنّه متى اتّفق الفريقان من الأمّة على رواية حديث وقبوله مع اختلافهما في كثير من القواعد والأسس في قبول الأخبار وثبوت الوقائع التاريخيّة كشف ذلك عن ثبوته بلا ريب، واعتباره عند الجميع وأنّه لا مناص لأحدٍ عن قبوله والإذعان به.

ثم أنّه كان عدد المسلمين آن ذاك على القول الصحيح سبعمائة شخص أو أقلّ من ألف؛ لأنّ كثيراً منهم في حال القلق والخوف الشديد فكانوا يفرّون، قال القمي قدس سره في تفسيره: فلمّا طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر واشتدّ عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلّم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول

←

➔

اللهﷺ إلا نافق إلا القليل، وقد كان رسول اللهﷺ أخبر أصحابه أن العرب تتحزّب ويجيئون من فوق (تفسير القمي ج٢: ص١٨٦).

وقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حذيفة ابن اليمان: إن الناس تفرّقوا عن رسول اللهﷺ ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسول اللهﷺ وأنا جاني من البرد وقال: «يا ابن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم»، قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحقّ ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد، قال: «فابرز الحرّة وبرد الصبح، انطلق يا ابن اليمان ولا بأس عليك من حرّ ولا برد حتّى ترجع إليّ»، قال: فانطلقت إلى عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله قد تفرّق الأحزاب عنه، قال: حتّى إذا جلست فيهم، قال: فحسب أبو سفيان أنّه دخل فيهم من غيرهم، قال: ليأخذ كلّ رجل منكم بيد جليسه، قال: فضربت بيدي على الذي عن يميني واخذت بيده ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده فلبثت فيهم هنية ثمّ قمت فأتيت رسول اللهﷺ وهو قائم يصلّي، فأومأ إلي بيده أن أدن فدنوت ثمّ أومأ إلي أيضاً أن: «ادن»، فدنوت حتّى أسبل علي من الثوب الذي كان عليه وهو يصلّي، فلمّا فرغ من صلاته قول ابن اليمان: «اقعد، ما الخبر؟»، قلت: يا رسول الله تفرّق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صبّ الله عليه من البرد مثل الذي صبّ علينا، ولكنّا نرجو من الله مالا يرجو (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣١). وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن علقمة بن وقّاص، قال أخبرتني عائشة، قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، قالت: فسمعت وئيد الأرض ورائي يعني حسّ الأرض قالت: فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنّه،

➔

➔

قالت: فجلست إلى الأرض، فمرّ سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوّف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمرّ وهو يرتجز ويقول: ليت قليلاً يدرك الهيجا جل * ما أحسن الموت إذا حان الأجل. قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له يعني مغفراً، فقال عمر: ما جاء بك لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز، قالت: فما زال يلومني حتّى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها، قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر ويحك، إنّك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عزّ وجلّ.... (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص١٤٢). فهذه الرواية وغيرها مما رواها المصادر السنّيّة قد وصفت فيه اختباء جماعة من الصحابة في حديقة منهم عمر وطلحة، وذكرت هزيمة عمر ابن الخطّاب وخوفه، وأنّه كان يذكر للناس دليل خوفه وهزيمته ويخوف الناس لينهزموا ويفروا عن ساحة الحرب. وقد أخرج محمد بن سليمان الكوفي في كتابه المناقب، بسنده عن ربيعة السعدي، وروته مصادر الطرفين، قال ربيعة: أتيت حذيفة ابن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله، إنّا نتحدّث في عليّ وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة إنكم لتفرطون في عليّ وفي مناقبه، فهل أنت تحدّثني في عليّ بحديث؟ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمدﷺ في كفّة الميزان من يوم بعث الله محمّداً إلى يوم الناس هذا ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفّة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم! فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد، فقال حذيفة: وكيف لا يُحتمل هذا يا ملكعان (يا أحمق)! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك، وجميع أصحاب

➔

➔

محمّد يوم عمرو بن عبد ودّ ينادي للمبارزة؟ فأحجم الناس كلّهم ما خلا عليّاً، فقتله الله على يديه؟! والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمّة محمّد إلى يوم القيامة (المناقب لمحمّد بن سليمان الكوفي ج١: ص٢٢٢). وروى الواقدي في المغازي: أنّه فجاء رسول الله ﷺ الخبر بذلك فعظم البلاء فكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير ومعهم خيل المسلمين فإذا أصبحوا أمنوا؛ فكان أبو بكر يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشدّ من خوفنا من قريشٍ وغطفان (المغازي للواقدي ج١: ص٤١٠). وروى الطبري فرار عمر بن الخطّاب مع بعض الصّحابة كطلحة، فقد أخرج الطبري في تاريخه بإسناده عن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فو الله إنّي لأمشي إذ سمعت وئيد الأرض خلفي - تعني حسّ الأرض - فالتفتّ، فإذا أنا بسعد، فجلست إلى الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس... يحمل مِجَنّه، وعلى سعد درع من حديد قد خرجت أطرافه منها، قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فأنا أتخوّف على أطراف سعد، فمرّ بي يرتجز، ويقول: لبّث قليلاً يدرك الهيجا حمل * ما أحسن الموت إذا حان الأجل. قالت: فلمّا جاوزني قمت، فاقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطّاب وفيهم رجل عليه تسبغة له لا ترى إلاّ عيناه، فقال عمر: إنّك لجريئة، ما جاء بك؟ ما يدريك لعلّه يكون تحوّز أو بلاء، فو الله ما زال يلومني حتّى وددت أنّ الأرض تنشقّ لي فأدخل فيها، فكشف الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا هو طلحة، فقال: إنّك قد أكثرت، أين الفرار؟! وأين التحوّز إلا إلى الله عزّ وجلّ؟ (تاريخ الطبري ج٢: ص٥٧٦-٥٧٥) وقد صرّح طلحة بما أراد عمر، وتضايق من جهر عمر بالفرار أمام عائشة، فاعتبره

🡐

←

فراراً إلى الله!

ولا يخفى أنّ هذه الرواية تشهد على عائشة نفسها أيضاً حيث خرجت بلا إذن من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّها لو خرجت بإذنه صلى الله عليه وآله لأجابت عمر وما وددت أنّ الأرض تنشقّ لها فتدخل فيها.

وملخص الكلام أنّه لولا الموقف البطولي للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين بذلك العدد الهائل، ولم يجيب المسلمون بما فيهم الخلفاء الثلاثة النبي صلى الله عليه وآله للدفاع عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله. وهكذا كانت بطولة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة الخندق الأحزاب، فكانت أهمّ عناصر النصر لمعسكر الإيمان على معسكر الكفر والضلال. وعن أبي الحسن المدائني قال: لمّا قتل علي بن أبي طالب عمرو ابن عبد ودّ، نُعي إلى أُخته – واسمها عمرة وكنيتها أُمّ كلثوم – فقالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب، فقالت: لم يعد موته إن كان على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثمّ أنشأت تقول: لو كان قاتل عمرو غير قاتله * بكيته أبداً ما دمت في الأبد. لكن قاتله من لا نظير له * وكان يدعى أبوه بيضة البلد. (انظر المناقب لابن شهر آشوب ج١: ص١٧١).

وإذا كان أبو بكر وعمر قعدوا عن الحرب في غزوة خيبر ولم ينصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ولولا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتضحيته لما بقي شيء من المسلمين أحد وهل لعاقل أن يقدم الجبان على البطل؟!!! فكيف جاز لأهل السنّة بعد ذلك أن يقدموا أبي بكر وعمر على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!! وكيف جاز للشيخين يقدّما على الإمام عليه السلام ويدّعيا خلافة رسول

←

وليست هذه حال من باع نفسه لله يقاتل في سبيله، فيقتل ويقتل بأن لهم الجنّة[1].

→

الله صلى الله عليه وآله مع ما كان عليهما من الخوف الناشئ من ضعف الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله؟ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة:١١١). وقد ذكر الله سبحانه في الآية وعده القطعي للذين يجاهدون في سبيله بأنفسهم وأموالهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى...﴾ هذا تمثيل، ووجه التمثيل أنّ الاشتراء هو قبول العين المبيعة بنقل الثمن في المبايعة، ولمّا كانت كلّ معاملة تتكوّن في الحقيقة من خمسة أركان أساسيّة، وهي عبارة عن: المشتري، والبائع، والمتاع، والثمن، وسند المعاملة أو وثيقتها، فقد أشار الله سبحانه إلى كلّ هذه الأركان في الآية المباركة. فجعل نفسه مشتريّاً والمؤمنين بائعين وأموالهم وأنفسهم متاعاً وبضاعة والجنة ثمناً لهذه المعاملة وسند المعاملة وعده سبحانه وتعالى في القرآن والتوراة والإنجيل؛ غاية ما في الأمر أنّه بيّن طريقة تسليم البضاعة بتعبير لطيف، فقال: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...﴾ وفي الواقع فإنّ يد الله سبحانه حاضرة في ميدان الجهاد لتقبّل هذه البضاعة، سواء كانت روحاً أم مالاً يبذل في أمر الجهاد، ثم يشير بعد ذلك إلى سند المعاملة الثابت، والذي يشكل الركن الخامس فيها، فقال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ...﴾

←

→

وإذا أمعنا النظر في قوله تعالى: ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ يتّضح جليّاً أنّ الله تعالى يشتري الأرواح والجهود والمساعي التي تبذل وتصرف في سبيله، أي سبيل الدين والشريعة السماويّة وإحقاق الحقّ والعدالة، في قبال الكفر والظلم والفساد. ثم أنّه تعالى من أجل التأكيد على هذه المعاملة يقول: وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ: أي أنّ ثمن هذه المعاملة وإن كان مؤجّلاً، إلاّ أنّه مضمون، ولا وجه لوجود النسيئة، لأنّ الله تعالى قادر وغني عن جميع العالمين، فلقدرته واستغنائه عن الجميع أوفى من الكلّ بعهده، فلا هو ينسى ولا يعجز عن الأداء ولا يفعل ما يخالف الحكمة لينـدم عليه ويرجع عنه ولا يخلف وعده والعياذ بالله. وعلى هذا فلا يبقى أي مجال للشكّ في وفائه بعهده، وأدائه الثمن في رأس الموعد المقرّر. والأروع من كلّ شيء أنه تعالى قد بارك للطرف المقابل صفقته، ويتمنّى لهم أن تكون صفقة وفيرة الربح تماماً كما هو المتعارف بين التجّار، فيقول عزّ وجلّ ﴿...**فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾، فالآية الكريمة صريحة في مقام المجاهدين وأجرهم عند الله. وقد عظّم القرآن المجيد شأن المجاهدين من خلال آيات عديدة بوصفه إياهم بصفة: المؤمنون الحقيقيّون وهو ما يشير إلى رفعة مقامهم عند الله تعالى فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ (سورة الأنفال:٧٤). وصرّحت بعض الآيات بأفضليّة المجاهدين على القاعدين، وأشارت إلى علوّ منزلتهم كما قوله تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة النساء:٩٥). وبيّن القرآن

←

➔

المجيد أيضاً أنّ المجاهدين الذين يقاتلون صفّاً محكماً في سبيل الله سينالهم حبّ الله، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ (سورة الصف:٤). وأشار القرآن العزيز أيضاً أنّ من شؤون هؤلاء المجاهدين وخصوصيّاتهم أنّهم منفّذوا الإرادة الإلهيّة، حيث ينزّل الله تعالى العذابَ بأعدائه بواسطتهم، فيهلكهم فقال تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾ (سورة التوبة:١٤).

ومن المناسب الالتفات إلى هذه الملاحظة، وهي أنّ الله تعالى في مقام إعطاء المجاهدين والشهداء أجورهم، قد شاء أن يعاملهم بفضله، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ (سورة آل عمران:١٦٩)، فمعنى الآية أنّه لا يتصوّر أحد أنّ من يقتل في سبيل الله أمواتاً كسائر الأموات، بل أحياء بحياة سعيدة وعيش طيّب ببقاء وجودهم بعد الشهادة في الحياة البرزخيّة، وفي جوار الله سبحانه باختصاصهم من الله كرامة لم يكرم بها إلاّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء والمرسلينعليهم السلام والأولياء المقرّبين (صلوات الله عليهم أجمعين)، إذ خصّهم الله بحياة سعيدة طيبة مباركة خالدة يتمتّعون فيها بأنواع اللذائذ حقيقة في عالم البرزخ. وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة بعبارة جميلة مختصرة وهي: أحياء يرزقون، إذ أنّ العقول المادّية قد تتصوّر من الحياة، الحياة المادّية الدنيويّة، فكما أنّ الأحياء يرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتّعات فيتصوّرون أنّ الحياة البرزخيّة كالحياة المادّيّة الدنيويّة الّتي من خصائصها الفناء، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٥٤). فإنّ هذا النوع من الحياة غير قابل للدرك بالحواس المادّية، لأنّ الحياة المادّيّة المشتركة بين المؤمن والكافر في الدنيا، وهي

🡐

وغير هذه من مخالفاتهم[(١)]

➔

الحياة الفانية فلا تقاس هذا اليسير بتلك الحياة الباقية. ولذلك قال تعالى: ﴿**وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾. فإنّ حياة الشهداء من النمط الرفيع جدّاً، ومن النحو المتنعمون بأنواع النعم المعنويّة دون سواهم ودون غيرها فهي محفوفة بالنعم والمواهب المعنويّة العظيمة، وكأن حياة الآخرين من البرزخيّين بما فيها لا تكاد تكون شيئاً يذكر بالنسبة إليها؛ لأنّ هذه الحياة يلازمها من عظيم البركات وعظيم الابتهاجات بما أوتوا هناك.

والجدير بالذكر والملاحظة أنّ التعبير بقوله تعالى: ﴿**وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ يدلّ على أن دخول الشهيد للجنّة مقارن باستشهاده، بحيث أنّ الفاصلة بين الاثنين قليلة إلى درجة أن القرآن المجيد يبيّنه بتعبيره لطيف: يذكر سبحانه دخوله الجنّة بدلاً عن شهادته ، فيقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ....**﴾ (سورة التوبة:١١١)، فالشهادة أقرب طريق إلى السعادة الأبدية، ومع هذه الأوصاف القرآنيّة التي كانت واضحة عند الصحابة لا سيمّا الخلفاء الثلاثة الذين عرفوا الحقيقة حق معرفتها. ولكنّهم كانوا صفوف أوّل من يفرّ من ساحة الحرب والجهاد في الغزوات. وعليه كيف جاز لأهل السنّة أن يعتقد بخلافة هؤلاء مع دلالة هذه الآيات على أفضلية المجاهدين والشهداء. وعدم اهتمام هؤلاء بمقام المجاهدين والشهداء وبأمر الجهاد، وحرمة الفرار من الزحف؟!! وكيف جاز للخلفاء أن يقدموا أنفسهم على من كان له جميع هذه الفضائل القرآنية؟!!! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على المتتبّع في الأخبار والآثار أن مصيبة الأمّة الإسلاميّة انجرت عليها من غصب الخلافة وما لحقه من سائر المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الإسلام، فاخترقت بذلك حدود

🡐

➔

الله ومحقت السنّة النبويّة وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة وأعظم المصادر الإسلامية التي يجب أن تؤخذ بها. وبالرغم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان حجّة الله على الناس، ولم يكن مجرّد حاكم على الرعية، بل كان مبلّغاً للشريعة من قِبل الله، عالماً بجميع معارف كتاب الله عزّ وجلّ، وشاهداً على المسلمين، وقائداً سياسيّاً، فكانت طاعته واجبة على المسلمين على كلّ حال سواء كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، أو لم يكن كذلك. فوجوب طاعته وجوباً عينياً، لأنّ وليّ الأمر. لا أنّ وجوب طاعته بسبب حاكميته للدولة، بل أنّها حكم فرضه الله على المسلمين كافة؛ لأنّه حجّة الله عليهم، وقيادته في الناس سياسيّاً كانت إحدى مهامه لا كلّها. وعليه فأنّ قوله صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره حجّة شرعيّة على الإطلاق، والمفروض أنّ هذه الحجّة الشرعيّة لا بدّ أن تكون مستمرّة وممتدّاً بين الناس حتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥)، وذلك ليسد الفراغ الحاصل بغيبة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا معنى الإمامة والخلافة الإلهيّة. فإنّ الإمام مبيّن للسنّة النبوية كما أنّ مبين للقرآن الكريم. ولكن الأحداث السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله قد غيّرت مصير الأمّة عمّا رسمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله لهم، فما تتوقّع من مصير الحجّة بعده صلى الله عليه وآله على أرض الواقع؟

فمن الواضح أنّ الأمة قد ابتلت بعد أحداث السقيفة وغصب الخلافة بالفتن والمحن التي حققها خلفاء الجور والتابعين لهم بسبب مخالفاتهم للدين والشريعة المقدّسة والبدع التي أحداثوها في الإسلام، ليحكموا على الناس بمقتضى أهوائهم، وإرجاع الناس إلى الجاهلية الأولى. فغيّروا مصير الأمّة وأوقعوهم في الأجواء الخطرة بسبب الاجتهادات الباطلة في مقابل النصوص الدينية التي صدرت منهم أكثر ممّا تعدّ

➔

➔

وتحصى، ومعارضاتهم للشريعة المقدّسة؛ فإنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث في هذا المجال في المباحث التاريخية، هو مخالفة الخلفاء الثلاثة لكتاب الله وسنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وذلك لتشجيع أعداء أهل البيت عليهم السلام لاعتزالهم عليهم السلام عن ساحة السياسة وتسليط بني أميّة وبطون قريش على الناس لإرجاعهم إلى السنن الجاهلية الأولى المترسخة في عقولهم وقلوبهم. فحكموا في الأموال والدماء بحكم الجاهلية، كما فعلها خلفاء بني أميّة وبني العبّاس في عصر حكومتهم بشكل واضح وصريح. والتاريخ الإسلامي يكشف عن هذه الحقيقة بصورة جلية. ولمن أمعن النظر فيه برؤية موضوعيّة يتّضح بأوضح الوجه والدلائل، ونحن نشير هنا إلى بعض مخالفاتهم من باب المثال، فمنها: مخالفة الخلفاء الثلاثة للدين والشريعة المقدّسة: بسبب منعهم تدوين الحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وسننه؛ وقد أمر أبو بكر بإحراق أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٥، والرياض النضرة للمحب الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١). لئلاّ تنتشر السنّة النبويّة التي تبين الحقائق للناس، لأنّ الأحاديث النبوية كانت بوضوح تدلّ على إمامة أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه مباشرةً. فمعنوا الناس الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه لئلاّ تصل أيديهم إلى تلك الحقائق! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعّد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم)

فهم فتحوا المجال لمن أراد أن يغير أحكام الإسلام حسب مشتهياتهم وأهوائهم كما

🡐

←

تأوّلوا القرآن، لأنّ كتاب الله ذو أوجه يمكن أن يحمل على وجوه عديدة، ولابدّ له من مبيّن ومفسّر، وأنّ التفسير الحقيقيّ للقرآن الكريم عند النبيﷺ وأهل بيته المعصومينعليهم السلام. وقد أمر رسول اللهﷺ المسلمين في الروايات العديدة أن يرجعوا إلى أهل بيتهعليهم السلام في هذا المجال كما تقدّم ذكر الروايات الكثيرة في هذا المجال، وسيأتي تفصيل الكلام فيه إن شاء الله تعالى. فخالفوا السنّة النبوية بالصراحة مع أنّ النبيﷺ أمر المسلمين أن يكتبوا السننه فقالﷺ: «اكتبوا هذا العلم فإنّكم تنتفعون به إمّا في دنياكم وإمّا في آخرتكم، وإنّ العلم لا يضيع صاحبه» (انظر كنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٦٢ ح٢٩٣٨٩). وأخرج أحمد ابن حنبل بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلت: يا رسول الله إنّا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: «بلى فاكتبوها» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٢: ص٢١٥)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢١: ص٢٥٩ وغيره. وأخرج الطبراني بسنده عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج قال: خرج علينا رسول اللهﷺ فقال: «تحدّثوا وليتبوأ من كذب علي مقعده من جنهم»، قلت: يا رسول الله إنّا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ فقال: «اكتبوا ولا حرج» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٤: ص٢٧٦)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٢، والمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٢٢ ح١٩٢٢٢ وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في المقام.

ومنها: مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً؛ مع أنّ النصوص الصريحة من القرآن والروايات تؤكّد على أنّ فدكاً كانت نحلة للزهراءعليها السلام، وأن النبيﷺ قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾

←

←

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام دلالة واضحة على أنّ الفدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، وذلك ممّا يعني أنها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين.

ثم أنّه إذا فرضنا أنّ الفدك لم تكن نحلة، وسلمنا أنّها كانت إرثاً، فأيضاً أنّ غصب الفدك من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني، حيث أنّه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد احتجّت على أبي بكر بقولها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ**﴾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسِنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). ولكن أبوبكر لم يعتني بالنصوص القرآنية والسنّة النبوية، فغصب الفدك وبذلك

→

➔
أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام التي غضبها غضب رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في الروايات المتّفقة بين الفريقين؛ فقد أخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وهذا معناه مخالفة أبي بكر للسنّة القطعية.

ومنها: قتل مانعي الزكاة الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل، الذي ولاّه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قومه ثقة به، يقول ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي... إلاّ أنّه لم تظهر عليه ردّة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج٤: ص٢٩). وذكر المؤرّخون: أنّه لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر الى مكر خالد وغدره) فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد امرأته فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، لأرجمنّك وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، وأبو الأغاني
➔

➔

لأبـي الفـرج الأصـبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتـاريخ الاسـلام للـذهبي ج٣: ص٣٦ وغيرهم. فقد أجمع المؤرخون أنّ مالكاً كـان مـن المسلمين غيـر أنّـه امتنـع عـن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتّى ورد أنّ عمر قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول اللهﷺ: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّـى يقولـوا لا إلـه إلاّ الله فمـن قـال لا إلـه إلاّ الله عَـصَمَ منّـي مالـه ونفـسه إلاّ بحقّـه وحـسابه علـى الله (انظـر صـحيح البخـاري ج٢: ص١١٠ كتـاب الزكـاة، بـاب وجوب الزكاة). لكن أبا بكر لم يبالي بسنّة الرسولﷺ؛ ليستتب له أمـر الخلافـة. ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليه.

والملفت للنظر أنّ في هذه القصة اعتراف ضمني من أبي بكرعلى أنّ عمله كان مخالفاً للسنّة النبويّة، إذ أنّه دفع ديّـة مالـك مـن بيـت المـال واعتـذر عـن قتلـه بعـد ذلـك، والمرتدّ لا يعتذر عن قتله (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥: ص٧٥٥، وسـير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦). ولكن يا للتعصّب من محفـز للتبريـر! إذ زعـم البعض أنّ هؤلاء المسلمين ارتدّوا عن الإسلام فوجب قتلهم، وهذه الدعوى أبطلها أبو بكر نفسه بدفع دية مالك من بيت المال!

ومنها: مخالفة أبي بكر لكتاب الله وسنّة رسولهﷺ بتركه إقامته الحدّ علـى خالـد ابـن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة ووارتكابه الزنا بزوجته من ليلة شهادته. وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر شجع خالد على ارتكابه تلك الجريمة العظمى!! فلم يجـري عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولـم يعـزّره تعزيـر المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنّما دافع عنه وأمـر خالـد بطـلاق زوجـة مالك، ومن الواضـح إذا كـان عمـل خالـد بـاطلاً فمـا معنـى طـلاق زوجـة خالـد؟! وبعبـارة أخـرى إذا كـان عمـل خالـد غـصبا لزوجـة مالـك، والمفـروض أن يـأمره

🡐

➔

بالفصل عنها، لا الطلاق. بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على فعله خالد من الإجرام (انظر الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره).

ومنها: مخالفة أبي بكر للسنّة النبوية بأمره إحراق فجاءة السلمي بالنار، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر للسنّة في بدعة صلاة التراويح، فقد جمع الناس على صلاة التراويح بدعة في الدين(صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان) مع اعترافهم بأنّ كل بدعة ضلالة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «شرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة» (صحيح مسلم ج٣: ص١١ كتاب صلاة الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة). وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، أنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة؛ فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد ابن ثابت قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة أو حصيراً فخرج رسول الله ﷺ يصلّي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤوا يصلّون بصلاته ثمّ جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ). وقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن

➔

➔

عمر عن النبيﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج٢: ص١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ رسول اللهﷺ كان يؤكّد على صلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأنّ هذا الأمر أقرب للإخلاص، وأدعى للقبول، بل قد نهى رسول اللهﷺ عن صلاة النوافل جماعةً لمّا رأى بعض الأصحاب يصلّون خلفه خِلسةً، ووجّههم إلى إخفاءِ النوافل وعدمِ تشريع الجماعة فيها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محلّه.

ومنها: تغيير سنّة الرسولﷺ في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة ،فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفّارة على من حرّم امراته ولم ينو الطلاق). وبهذا غيّر عمر سنّة رسول اللهﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩). وفسّرت هذه الآية بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطّاب تجاوز حدود الله بحكمه أن لو طلق الزوج زوجته طلقة واحدة بلفظ الثلاثة تأنّه موجب لحرمة الزوجة على الزوج، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عباس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد أخو بني مطّلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول اللهﷺ: «كيف طلّقتها؟» قال: طلّقتها ثلاثاً، قال: فقال: «في مجلس واحد؟»

➔

ولذلك جعلﷺ لهم ولمن يأتي بعدهم مرجعاً يهتدون بمتابعته إلى الحقّ وهم عترته فلم يتابعوهم[١].

←

قال: نعم، قال: «فإنّما تلك واحدة فارجعها إن شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عبّاس يرى إنما الطلاق عند كلّ (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٦٥). وفي رواية إنّ رجلاً طلّق في عهد رسول اللهﷺ ثلاثاً في مجلس واحد، فقامﷺ غضبان، وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (انظر سنن النسائي ج٦: ص١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ.

والنتيجة أنّ المصادر الإسلامية مليئة بذكر مخالفات خلفاء الجور للشريعة المقدّسة، كما لايخفى ذلك على أحد. وعليه فمن اقتدى بهؤلاء الخلفاء الذين هم أهل البدعة معناه أن اقتدى بأهل الضلالة، لأنّ أصل الدين متقوّم بالكتاب والسنّة النبويّة، والاقتداء بمن خالفهما اقتداء الانحراف عن الدين، والانحراف عن الدين بدعة وضلالة كما ورد في الروايات الصحيحة عند أهل السنة أنّ: «كلّ بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم، وعليه كيف جاز لأهل السنّه الاقتداء بأهل الضلال؟!!

(١) وتوضيح المقام أنّ النصوص والروايات الواردة في كتب أهل السنّة الدالة على إمامة أهل البيتعليهم السلام وأفضليتهم على جميع الأمّة بعد رسول اللهﷺ. ممّا لا يمكن إنكاره على أحد؛ لأنّها بالغة عن حدّ التواتر. وإليك قاريء العزيز جانباً من الروايات الواردة في كتبهم. فمنها: الروايات الدالّة على أنّ الأئمة بعد رسول اللهﷺ اثنى عشر، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال:

←

➔

سمعت النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: أنّه يقول: «كلّهم من قريش» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٨ كتاب الأحكام، باب جعله قبل باب إخراج الخصوم، وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة الاثني عشر). وروى مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: قال: سمعت النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في الباب. فيلزم عليهم الاعتقاد بأنّ الأئمة من بعد رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ اثنى عشر وفقاً للأحاديث الصحيحة عندهم، حيث أنّها حجّة شرعيّة عليهم. لما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (سورة النساء:٥٩). هذه الآية تأمر المؤمنين – أوّلاً – بأن يطيعوا الله، فتكون طاعة الله واجبة عليهم بهذا النصّ، ثمّ طاعة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى الله سبحانه، لأنّ كلّ ولاية وقيادة يجب أن تتبع من ولاية الله وذاته المقدّسة؛ إذ كلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره، فطاعة الله في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...**﴾ هي الإطاعة الذاتية.

وفي المرحلة الثانية تأمر الآية باتّباع النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وطاعته؛ لأنّ النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا ينطلق، فالنبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو خليفة الله على الناس وكلامه حجة شرعية ككلام الله عزوجل. وبعبارة أخرى أنّ طاعة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ناشئة من طاعة الله سبحانه، فهي واجبة بالعرض فيجب على جميع المسلمين

➔

➔

الالتزام بالطاعتين واتّباع أوامرهما، فيجب على جميع المسلمين الالتزام والاعتقاد بالاثني عشر أئمة بعد رسول اللهﷺ بالنصّ. ثمّ إذا جعلنا حديث الثقلين المتّفق عليه بين جميع المسلمين إلى جنب حديث اثني عشر خليفة، فإنّها يدلاّن على أنّ الأئمة المعصومين من أهل بيتهﷺ بعد النبيﷺ عددهم اثنى عشر. ولا يخفى أنّ حديث الثقلين من الأحاديث المشهورة التي اتّفق على روايتها الفريقان، وقد رواه أجلاء علماء أهل السنّة في صحاحهم بأسانيدهم المتعدّدة، قال ابن حجر: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (انظر الصواعق: ص١٤٨ الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل).

كما ورد الحديث بألسنة مختلفة، ولكن المعنى واحد، ويتضمن على حقائق جوهرية وليتبين من خلاله حقيقة الخلافة والإمامة بعد رسول اللهﷺ بوضوح وجلاء، فالحديث فيه دلالة واضحة عن استخلاف رسول اللهﷺ لعترته الطاهرة من بعده مباشرة مبيناً في عبارات صريحة موضحاً أنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والانحراف إنّما يكون منحصر في التمسّك بالثقلين، وهما: كتاب الله وعترة رسول اللهﷺ. وقد رواه مسلم في صحيحه بسنده عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهﷺ، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهﷺ فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفو فيه ثمّ قال: قام رسول اللهﷺ يوماً فينا خطيباً بماه يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمدلله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي

➔

➔

رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٤: ص١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).

فإنّ مسلماً وإن اختصر الحديث، وحذف منه عبارات كثيرة، إلاّ أنّ نفس ما رواه يكفينا للإستدلال به على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام. وسنذكر تفصيل الكلام في محله. ثم إنّ حديث الثقلين يدلّ على عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرن فيه أهل البيت عليهم السلام بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز.

فيلزم على جميع أهل السنّة الالتزام بمدلول حديث الثقلين. ولكن التابعين لخلافة السقيفة، وإن لم ينكروا أصل حديث الثقلين لتواتره وشهرته عند علمائهم إلاّ أنّهم خالفوا مدلوه ومقتضاه، وفي الواقع، لأنّهم خالفوا مدلوله عملاً. فخالفوا أمر الله تعالى بعد ما قامت لديهم الحجّة الشرعية على لزوم العمل بالروايات الصحيحة عندهم، حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ (سورة الحشر:٧). ويقول تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ (سورة النساء:٨٠). ويقول تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (سورة المائدة:٩٢). ويقول تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (سورة النور:٥٦). هذه الآيات صريحة في أنّ وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله كوجوب طاعة الله، وأمره صلى الله عليه وآله كأمر الله، وقوله كقول الله واجب الطاعة. ولا يخفى على الخبير أنّه لا يتمّ الأمان من العذاب الإلهي إلاّ بطاعة

🡐

سابعها: ما زعمه من اتفاق الصحابة على هدر كلّ دم ومال أصيب بالتأويل فإنّه دعوى منه ليس له عليها دليل، لعدم ورود سنّة بذلك(١)،

➔

الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وكذلك طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالنصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة الدالّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وسوف نذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وبعد وضوح الأدلّة الوافية الواردة في كتب أهل السنة كيف جاز لهم مخالفتها، بل الإعراض عنها، ومتابعة أهل السقيفة؟! فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما ورد في خبر الزهري المتقدّم ذكره، حيث فيه: وقعت الفتنة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله متوافرون، وأجمعوا أنّ كلّ دم أريق على وجه التأويل أو مال استهلك على وجه التأويل فلا ضمان فيه (أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص٥٣٤). وقال ابن أبي العز الحنفي في كتابه شرح العقيدة الطحاوية عن الزهري أنّه قال: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله متوافرون فأجمعوا على أنّ كلّ دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية (شرح العقيدة الطحاوية: ص٥٧٨) .وتوضيح المقام أنّه كيف جاز لأهل السنّة أن يحكموا بأنّ دم المسلمين وأموالهم هدر بلا حجّة شرعية؟!! والخبير يعلم أنّ الحجّة الشرعية قامت لديهم على أنّ القتال على التأويل يختص مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وإليك بعض النصوص الدالّة على المقام: منها ما أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١). ومنها ما أخرجه أيضاً بسنده عن سعيد الخدري يقول: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علينا من بعض بيوت

➔

➔

نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلّف عليها عليّ يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ مضينا معه ثمّ قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا ولكنّه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: وكأنّه قد سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢). ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلّف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا ولكن خاصف النعل» يعني عليا فاتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢). ومنها: ما أخرجه النسائي في سننه الكبرى بسنده عن مغيرة عن أمّ موسى قالت: قالت أمّ سلمة: والذي تحلف به أمّ سلمة إن كان أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ علي، قالت: ما كان غداة قبض رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ وكان أرى في حاجة أظنّه بعثه فجعل يقول: «جاء علي» ثلاث مرّات، قالت: فجاء قبل طلوع الشمس، فلمّا أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت وكنّا عدنا رسول الله ﷺ يومئذ في بيت عائشة، فكنت في آخر من خرج من البيت ثمّ جلست أدناهنّ من الباب فأكب عليه علي فكان آخر الناس به عهداً جعل يساره ويناجيه عنهما ذكر قول النبي ﷺ «علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» (سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٥٤). وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: وقد روى كثير من المحدثين أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً: «إنّ منكم من يقاتل

➔

➔

على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: «لا»، فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ فقال: «لا، بل خاصف النعل»، وأشار إلى علي عليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٧٦). وإلى غير ذلك من النصوص والروايات الدالّة على فإنّها تدل على أنّ قتال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إنّما يكون على التأويل، وأمّا غيره فقتالهم فتنة وإضلال الآخرين، إذ لا يخفى على الخبير أنّ المراد بالتأويل في قوله صلى الله عليه وآله: القتال على التأويل، وجود الحجّة الشرعية عليه،كالقتال على التنزيل، أي فكما أنّ قتال رسول الله صلى الله عليه وآله مع الكفار والمشركين كانت بالحجّة الشرعية من كتاب الله عزّوجلّ بنصّ الآيات والاستناد بظاهر الآيات القرآنيّة، أنّ القتال الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على التأويل بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكون مستنداً بتأويل والحجّة الشرعية، وهذا التفسير قد ذكره العلماء من الفريقين. وعليه فإنّ معنى: قول الرسول صلى الله عليه وآله القتال على التنزيل، أي القتال على أصل نزوله وأصل الرسالة. ومعنى القتال على التأويل أي القتال على استمرار الدين والرسالة وتنفيذ الأوامر الإلهية. فيكشف الحديث عن أن جميع الحروب والقتال بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن مستندة إلى الدليل الشرعي إلاّ قتال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع خصومه. بهذا الحديث المتواتر لدى الفريقين. وقد اعترف الخصم أنّ الصحابة ارتكب في هذه المخالفة لله ورسوله جريمة القتل وسفك الدماء بلا حجّة شرعية. وهذا يدلّ على أنّ خلافة السقيفة كانت مبنيّة على الانحراف والضلال. إذ باعترافهم قد هدرت الدماء الأبرياء بالألوف في سبيل استحكام الخلافة الجائرة. وهل يجوز لمسلم أن يلتزم بذلك؟!! ولا شك أنّ مهمّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي إزاحة الانحراف وإعادة المشهد

➔

وهل يتصوّر في حقّ من بين لن يأتي بعد عصر الصحابة ما يحتاجونه ويكتم بيان ما يحتاجه الصحابة من بعده؟!![1]

➔

إلى زمانه الأوّل في العصر النبوي وإحياء الدين المحمّدي. وهذا الأمر ثابت بالنصوص الصحيحة عندأهل السنّة، ولا دليل لأهل السنّة على مشروعية قتال خلفائهم أوالفتنة الحاصلة بينهم، فما زعمه ابن تيمية من الاستشهاد بقول الزهري من اتّفاق الصحابة على هدر كلّ دم ومال أصيب بالتأويل باطل بالأدلّة القطعية فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات والنصوص الدالّة على بيان رسول الله صلّى الله عليه وآله للناس ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أيّها الناس، إنّه ليس من شيء يقرّبكم من الجنّة ويبعّدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقرّبكم من النار ويبعّدكم من الجنّة إلا قد نهيتكم عنه» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص١٢٩). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «دعوني ما تركتكم، إنّما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٤٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلّى الله عليه وآله)، ورواه ابن حبّان في صحيحه ج١: ص٢٠٠، وابن الجوزي في كشف المشكل في حديث الصحيحين ج٣: ص٥٠٩، ورياض الصالحين للنووي ج١٣٥، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ج١: ص٤٢٣، والسيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث: ص٥٢، والألباني في إرواء الغليل ج١: ص١٨٣ وغيرهم.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «أيّها

➔

بل قد عرفت ممّا نقلناه من السنّة سابقاً أنّ المقاتل على التأويل عليعليه السلام[1]،

➔

الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا»، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٠٢ كتاب الحجّ، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحجّ وغيره)، ورواه ابن حبّان في صحيحه ج٩: ص١٨، والزيلعي ج١: ص٢٣٤ وغيرهم.

وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «ذروني ما تركتكم» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٩٢ كتاب الفضائل، باب توقيرهصلى الله عليه وآله وترك إكثار سواله عمّا لا ضرورة إليه)، ورواه النووي في الأذكار النووية: ص٨، وفي رياض العالمين: ص٥١٩، وأبو نعيم في جزء نافع: ص٢١، والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص٦٦٤، وفي اللمع في أسباب ورود الحديث ج١: ص٥٢ ح٤٣٢٥، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨١ ح٩١٦ وغيرهم. فهذه النصوص وغيرها تدلّ بوضوح على أنّ النبيصلى الله عليه وآله بيّن لأمّته جميع ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة، فهي دليل على وجود الأدلّة في كلّ مسألة يحتاج إليها الناس إلى يوم القيامة. وبعد هذه النصوص الصحيحة كيف جاز لخلفاء السقيفة أن يعملوا حسب رغباتهم وأميالهم في المسائل الدينية والإجتماعية؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الدالة على أنّ قتال مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام كانت على التأويل. وقد رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم و مسانيدهم وإليك بعض النماذج منها، فقد أخرج أحمد بن حنبل في

➔

وثبت منها أعلميّته من غيره بالشريعة(١)،

➔

مسنده بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله»، قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكن خاصف النعل»، وعلي يخصف نعله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٣). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلّف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال ﷺ: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال ﷺ: «لا، ولكن خاصف النعل»، يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ. ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٣). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلّف عليها علي يخصفها، ومضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ثمّ قام ينتظره وقمنا معه فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «لا، ولكنّه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشّره، قال: فكأنّه قد سمعه. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم فإنّها تدلّ بالصراحة أنّ الوحيد الذي كانت قتاله على التأويل بالنص هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ أعلميّة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع
➔

➔
الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا لا يمكن إنكاره على أحد، إذ يـدلّ عليهـا الآيـات القرآنية والروايات من السنّة النبوية. وشهد بـذلك الموافـق والمخـالف والمعـادي، فقد أخرج ابن حجر في صواعقه قائلاً: أنّه أخرج أحمد أن رجلاً سأل معاويـة عـن مسألة، فقال: سل عنها علياً فهو أعلم، قال: جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب علـي، قال: بئس ما قلت! لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»، وكان عمر إذا أشـكل عليه شيء أخذ منه... (الـصواعق المحرقـة: ص١٠٧). وقـال المنـاوي: وكـان أكـابر الصحابة يعترفون له بذلك وكان عمر يسأله عمّـا أشـكل عليـه، جـاءه رجـل فـسأله فقال: ههنا علي فاسأله، فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين، قال: قـم لا أقـام الله رجليك، ومحى اسمه من الديوان، وصحّ عنه من طرق أنه كان يتعوّذ من قوم لـيس هو فيهم حتّى أمسكه عنـده ولـم يولـه شـيئاً مـن البعـوث لمـشاورته فـي المـشكل. وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من علي؟ قال: لا والله. قال الحرالي: قد علم الأوّلون والآخـرون أن فهـم كتـاب الله منحصر إلى علم علي ومن جهل ذلك (انظر فيض القدير ج٣: ص٦١). ولقد بلغـت دلالة حديث مدينة العلم على أعلميّة الإمام أميرالمومنين علي بن أبـي طالـب عليه السلام حدّاً من الظهور والوضوح حتّى صرّح بذلك جماعة من علماء أهل السنّة. ولنـذكر كلمات بعضهم، قـال ابـن حجـر فـي الـدفاع عـن معاويـة: الـسادس: خروجـه علـى علي عليه السلام ومحاربته له، مع أنّه الامام الحقّ بإجمـاع أهـل الحـل والعقـد، والأفـضل الأعدل الأعلم بنصّ الحديث الحسن –لكثرة طرقه – خلافاً لمن زعم وضعه ولمن زعم صحّته ولمن اطلق حسنه: «أنا مدينة العلم وعلي بابهـا...» (الـصواعق المحرقـة: ص٧٤). وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص الواردة في المقام وهي أكثـر مـن
➔

➔
أن تحصى، وكيف لا يكون كذلك وقد كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باب علم النبي صلى الله عليه وآله؛ فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب» (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح الإسناد (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٦). وأخرج السيوطي: وقال ابن مسعود: أعلم هذه الأمّة بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب (انظر جامع الأحاديث للسيوطي ج١: ص٤٩١، والمناقب للخوارزمي: ص٨٢). وأخرج القندوزي الحنفي في الينابيع بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي بن أبي طالب أعلم أمّتي وأقضاهم فيما اختلفوا فيه من بعدي» (ينابيع المودة ج١: ص٢٧١). وأخرج المغربي في كتابه فتح ملك العلي عن ابن المسيب قال: ما كان أحد بعد الرسول أعلم من علي عليه السلام (فتح ملك العلي: ص ٧٨). وذكر ابن الأثير وابن عبد البرّ وغيرهما بألفاظ متقاربة أنّه قال عبد الملك بن أبي سلمان: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم من علي عليه السلام؟ قال: لا والله (انظر أسد الغابة ج٤: ص٢٢، والاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٤). وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص٩). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال عمر: وأقضانا علي... (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٩ كتاب التفسير، باب باب قوله ما ننسخ من آية أو ننساها). وروى ابن عبد البرّ بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت للشعبي: إنّ المغيرة حلف بالله ما أخطأ عليّ في قضاء قضى به قطّ (الاستيعاب لابن عبد البر
➔

➔
ج٣: ص١١٠٤). وأخرج السيد الرضي قدس سره في خصائصه بسنده عن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أعلمكم علي بن أبي طالب» (خصائص الرضي: ص٥٩). وأخرج الحاكم الحسكاني بسنده عن ابن عمر أنّه قال: علي أعلم الناس بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله (شواهد التنزيل ج١: ص٢٩). وأخرج بسنده عن عائشة أنّها قالت: علي أعلم أصحاب محمّد بما أنزل على محمّد (شواهد التنزيل ج١: ص٤٧). وأخرج المتّقي الهندي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدّثني المأمون، حدّثني الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي، حدّثني عبد الله ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعلي عليه السلام قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فسرنا إليه، فاتّكأ على علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعيّة وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي، وغاسلي، ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي»، ثمّ قال ابن عباس من نفسه: ولقد فاز علي بصهر رسول الله صلى الله عليه وآله وبسطة في العشيرة، وبذلاً للماعون، وعلماً بالتنزيل، وفقهاً للتأويل، ونيلاً للأقران (كنز العمّال ج١٣: ص١١٧). وروى الراغب الأصفهاني بسنده عن ابن عبّاس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطّاب في ليلة وعمر على بغلة وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أما والله يا بني عبد المطّلب
➔

➔
لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر، فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته، فقلت: أنت تقول ذلك وأنت وصاحبك وثبتما وانتزعتما الأمر منّا دون الناس؟ فقال: إليكم يا بني عبد المطّلب – أي هون عليك – أما إنكم أصحاب عمر ابن الخطّاب؟ فتأخرّت وتقدّم هنيهة فقال: سر لا سرت! وقال: أعد علي كلامك، فقلت: إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه، ولو سكت أنت يا عمر سكتنا، فقال: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة!! ولكن استصغرناه!! وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها، قال ابن عباس: فأردت أن أقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه (محاضرات الأدباء ج٢: ص٤٧٨). وأخرج ابن دريد البصري في كتابه المجتنى بسنده عن أنس ابن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتّى دخل المسجد فقال: أين وصي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأشار القوم إلى أبى بكر فوقف عليه فقال: أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، قال أبو بكر: سل عمّا بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله وعمّا ليس عند الله وعمّا لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهمّ أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عبّاس: ما أنصفتم الرجل، فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلّم به؟ فقال ابن عبّاس: إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى علي عليه السلام يجيبه، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «اللّهم اهد قلبه، وثبّت لسانه»، قال أنس: فقام أبو بكر ومن حضره حتّى أتوا علي بن أبي طالب عليه السلام فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهودي سألني مسائل للزنادقة، فقال علي عليه السلام: «ما تقول يا يهودي؟» قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي أو وصي نبي، فقال عليه السلام له:
➔

➔
«قل»، فردّ اليهودي المسائل، فقال علي عليه السلام: «أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيراً ابن الله، والله لا يعلم أن له ولداً، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس لله شريك»، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرّج الكرب (انظر الغدير ج٧: ص١٧٨، نقلاً عن كتاب المجتنى: ص٣٥). وهناك روايات كثيرة رواه علماء أهل السنّة في كتبهم وجوامعهم الحديثية وهي تدلّ على: أن الخلفاء الثلاثة: كانوا يراجعون الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليحلّ لهم المعضلات والشدائد التي كانوا يواجهونها في أبواب الفقه والقضاء والتفسير والأمور السياسيّة وغيرها من المسائل التي ترتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً، وكان أكثرهم رجوعاً عمر بن الخطّاب، وكان يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٤). فكان الخلفاء يأتون إليه بأنفسهم ويسألونه عما لا يمكنهم الجواب عنه فيراجعون إليه، أو يرسلون أحداً ليسأله ويأخذون الجواب، أو يبعثون إليه نفس بالسائل الذي تورّط في مشكلة؛ فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يجيب على مسائلهم من دون مقدّمة، وكانت أجوبته في غاية الدقّة بحيث كانوا يتعجّبون منها، ويحسّون بعدها بالطمأنينة والارتياح، بل كانوا يدركون خطأ أنفسهم وأجوبتهم التي كانت مخالفة للواقع، ويقرّون بعدها بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الحلاّل للمعضلات والكاشف للكربات، وما عساهم أن يكتموا الحقائق إلاّ أن يعترفوا بالحقّ فيقولون: "لولا علي لهلك أبو بكر" (انظر فيض القدير ج٤: ص٣٥٧). و"لولا علي لهلك عمر" (انظر فيض القدير ج٤: ص٣٥٧). و"لولا علي لهلك عثمان" (انظر زين الفتى في سورة هل أتى ج١:
➔

➔

ص٣١٧). أو عبارات وجملات أخرى يبدونها ممّا تدلّ على إقرارهم وإذعانهم بسموّ رتبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام العلميّة وكونهعليه السلام سنداً وملجأ لحلّ المعضلات. وليس بخفي على القارئ اللبيب أن قول عمر بن الخطّاب: "لولا علي لهلك عمر" لم يرد مرّة واحدة فحسب، بل كرّره عشرات المرّات، وذلك لمّا كان يواجه الشدائد على مختلف الأصعدة، ولم يكن هذا الاعتراف العمري في الخفاء، بل كان يقرّ ويعترف على رؤوس الأشهاد علانية وصراحة وبحضور الناس. ونحن رعايةً للإيجاز والاقتصار نكتفي بذكر بعض ما ورد فيه هذا التعبير، ويمكن للقارئ المراجعة إلى المصادر والتحقيق في هذا المجال ليطلع على الحقائق؛ فقد أخرج ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستّة أشهر، فأراد عمر رجمها، فقال له علي: «إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾» الحديث. وقال له: «إن الله رفع القلم عن المجنون...» الحديث، فكان عمر يقول: لولا عليّ لهلك عمر (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٤). فقد أخرج الگنجي الشافعي بسنده عن حذيفة بن اليمان أنّه لقي عمر ابن الخطّاب فقال له عمر: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحت والله أكره الحقّ وأحبّ الفتنة وأشهد بما لم أره وأحفظ غير المخلوق وأصلّي على غير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء! فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره، وقد أعجله أمر وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينا هو في الطريق إذ مرّ علي بن أبي طالبعليه السلام فرأى الغضب في وجهه، فقال: «ما أغضبك يا عمر؟» فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته، كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أكره الحقّ، فقال عليعليه السلام: «صدق، يكره الموت وهو حقّ»، فقال

➔

➔

عمر: يقول: وأحبّ الفتنة، قال علي: «صدق، يحبّ المال والولد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»، فقال عمر: يا علي، يقول: وأشهد بما لم أره، فقال عليه السلام: «صدق، يشهد بالوحدانيّة والموت والبعث والقيامة والجنّة والنار والصراط ولم ير ذلك كلّه»، فقال عمر: يا علي، وقد قال: إنّني أحفظ غير المخلوق، قال عليه السلام: «صدق، يحفظ كتاب الله تعالى القرآن، وهو غير مخلوق»، قال عمر: ويقول: أصلّي على غير وضوء، فقال عليه السلام: «صدق، يصلّي على ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة»، فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك، فقال عليه السلام: «وما هو؟» قال عمر: قال: إن لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال عليه السلام: «صدق، له زوجة، وتعالى الله عن الزوجة والولد»، فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا علي بن أبي طالب. ثمّ قال الكنجي: هذا ثابت عند أهل النقل، ذكره غير واحد من أهل السير (انظر كفاية الطالب: ص٢١٨). ورواه الحمويني الجويني في فرائد السمطين فرائد ج١: ص٣٣٧، وفيه: "لولا علي لهلك عمر". وأخرج الخوارزمي في المناقب بسنده عن الحارث الأعور صاحب راية علي عليه السلام قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال: «أريكم آدم في علمه ونوحاً في فهمه وإبراهيم في حكمته»، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي، فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: ألا تعرفه يا أبا بكر؟ قال : الله ورسوله أعلم، قال: «أبو الحسن علي بن أبي طالب»، فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن (المناقب للخوارزمي: ص٨٩)، وإلى غير ذلك من الروايات، ولو أردنا استقصائها لطال بنا المقام . ومن الأحاديث الدالّة على أعلميّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قوله صلى الله عليه وآله للإمام

🡐

وهو صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يجوّز ذلك مطلقاً[(١)]،

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ستقاتل بعدي على التأويل». وهذا الحديث الذي رواه كبار علماء أهل السنّة يدلّ على أفضليّة وأعلميّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الحديث يدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أعلم الناس بتأويل القرآن، وإذا كان الإمام عليه السلام أعلم الناس بالقرآن بتأويل القرآن، معناه أنّه أعلم الناس بمفاهيم القرآن ومعارفه وحقائقه، ومن كان كذلك فهو أرشد الناس إلى الحقّ، ومن كان كذلك فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ حكم القتال على التأويل يختص بالإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام دون غيره؛ لأنّ القتال على التأويل يحتاج إلى المجوّز الشرعي، فلا يجوز لأحد إلاّ بالدليل المعتبر صادر من الشارع الأقدس. كما ورد في الحديث المتواتر بين الفريقين أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد خصّ بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالقتال على التأويل في الروايات المتواترة المتّفقة بين الفريقين؛ وإليك بعض تلك النصوص: منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلّف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله مضينا معه، ثمّ قام ينتظره وقمنا معه فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «لا ولكنّه خاصف النعل» قال: فجئنا نبشّره، قال: وكأنّه قد سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢). ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله فتخلّف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ

🡐

➔

قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل» يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله (ثمّ قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢). ومنها: ما أخرجه النسائي في سننه الكبرى بسنده عن مغيرة عن أمّ موسى قالت: قالت أمّ سلمة: والذي تحلف به أمّ سلمة إن كان أقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله علي، قالت: ما كان غداة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أرى في حاجة أظنّه بعثه فجعل يقول: «جاء علي» ثلاث مرّات، قالت: فجاء قبل طلوع الشمس، فلمّا أن جاء عرفنا أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت وكنّا عدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ في بيت عائشة فكنت في آخر من خرج من البيت، ثمّ جلست أدناهنّ من الباب فأكبّ عليه علي فكان آخر الناس به عهداً جعل يساره ويناجيه عنهما ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله «علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» (سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٥٤). وإلى غير ذلك من الروايات والأدلّة الدالّة على أنّ القتال على التأويل خاص بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والمقصود به كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ (سورة آل عمران:٧). فإنّ صريح القرآن حصر علم التأويل بالله والراسخون في العلم، وهذا التعبير القرآني ورد في موضعين: أحدهما هنا والآخر في سورة النساء، إذ يقول تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة النساء:١٦٢). ولا شكّ أنّ المقصود

🡐

➔

به هو من يكون أعلم الناس بأسرار تأويل القرآن، ولذلك ورد في الأحاديث المفسّرة للآيتين بأنّ المقصود من الراسخين هم النبي الأكرمﷺ والأئمة الطاهرينعليهم السلام. فقد أخرج محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات بسنده عن عمر بن أذينة عن بريد العجلي عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله تعالى ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾: «قال رسول اللهﷺ: أفضل الراسخين قد علمه الله جميع ما أنزل الله إليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه العلم، فأجابهم الله يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا، والقرآن له خاصّ وعامّ ومحكم ومتشابه وناسخ» (بصائر الدرجات: ص٢٢٤).

وتوضيح المقام أنّ الله تبارك وتعالى أمر جميع المسلمين بالتدبّر في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ (سورة النساء:٨٢). ولكن بالنسبة إلى التفسير والتدبير يقول تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، وذلك لأنّ الراسخون في العلم يعرفون المتشابهات من القرآن ومحكماته ويعرفون أسرار القرآن ودقائقه ويعرفون تأويل الآيات وتفاسيرها، فالراسخون في العلم يعرفون أسرار هذه الآيات ويشرحونها للناس، فهم بعلمهم الواسع يفهمون المتشابهات كما يفهمون المحكمات، ولذلك فإنّهم يسلمون بها قائلين إنّها جميعاً من عند الله: يقولون آمنّا به كلّ من عند ربنا...

وعليه فإنّ قولهﷺ: «يقاتل على التأويل» معناه أنّ محاربة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام مع أصحاب الجمل أو النهروان أو الشام ليست ظاهراً من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقط ، بل إنّما كان لحفظ أصل الدين كما أنّ

➔

➔
قتال رسول الله صلى الله عليه وآله مع الكفار والمشركين كان كذلك. فالإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قاتلهم على تأويل كتاب الله كما أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله قاتل آبائهم على تنزيله، ومعنى القتال على التّأويل هو أنّهم بأعمالهم وأقوالهم كانوا بصدد هدم أساس الدين والقرآن وقتل المسلمين ونهب أموالهم كما أنّ المشركين في صدر الإسلام كانوا كذلك. وحيث أنّ وظيفة الامام عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله حفظ الدين والأحكام فإذا خاف على الدين يجب عليه دفع شرّ الأشرار وكيد الفجّار فيرجع الأمر بالآخرة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام وحفظ حوزته كما أنّ الأمر بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله مع المشركين كان كذلك، فلا فرق بين غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وحروب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أصلاً. فأصحاب الجمل الذين نكثوا بيعتهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وجهّزوا الجيوش والعسكر حتّى دخلوا البصرة فقتلوا شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونهبوا أموالهم وفعلوا ما فعلوا من الأفعال الشنيعة المسطورة في التواريخ فهم كالكفار والمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله، بمقتضى هذا النص. ولولا محاربته عليه السلام معهم وقلعهم وقمعهم رأساً ودفع شرّهم عن الإسلام والمسلمين لم يكن من الإسلام والقرآن أثر، حيث أنّ إعراضه عليه السلام عنهم وإهمالهم بحالهم كان مساوقاً لهدم الدين بسبب قتلهم رجال الدين ونهب أموال المسلمين و...، فكان أحد وظائف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دفع شرهم عن الإسلام والمسلمين. ولا ريب في أنّه عليه السلام لم يبادر إليهم بالقتال، بل كان عليه السلام في القتال معهم مدافعاً لنفسه، وقد أتمّ عليهم الحجّة. وهكذا الأمر بالنسبة إلى أصحاب معاوية والخوارج، والملاك فيهما واحد، إذ لو لم يقدم الإمام عليه السلام على القتال معهم لكان نفسه ونفوس شيعته والمسلمين كلّهم في خطر عظيم،
➔

بـل جـوّز خـصوص الـدم فـي النـاكثين والمـارقين بـدون أن يجهّـز علـى جـريحهم وإن يتبـع مـدبرهم وجوّزهـا جميعـاً مـضافاً إلـى المـال فـي حـقّ القاسطين أهل الشام فتجب متابعته[1]. فإن قال: لم يضمن النبيّ صلى الله عليه وآله دم

←

فقتاله عليه السلام معهم إنّما كان دفاعاً عن الإسلام والمسلمين كما أنّ قتال رسول الله صلى الله عليه وآله كان كذلك. وعليه فإنّ القتال على التأويل يحتاج إلى الدليل الشرعيّ كما أنّ القتال على التنزيل يكون كذلك فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه يجب في اختصاص حكم القتال على التأويل مضافاً إلى الدليل الشرعيّ الاقتصار على لسان الدليل، أي كما أنّ لسان الدليل في الروايات المذكورة تختص بمحاربة الناكثين والقاسطين والمارقين وجواز قتلهم، فلا بدّ من الاقتصار عليها؛ لأنّ لسان الدليل فيه تحديد بالنسبة إلى الحكم الشرعي. وأمّا حلّية أموالهم وغير ذلك من الأمور يحتاج إلى الدليل والبيان من ناحية الشرع الأقدس. وعليه فبأيّ وجه شرعي يقول ابن تيمية اتّفاق الصحابة على هدر كلّ دم ومال أصيب بالتأويل؟!!!

إذن يرد عليه أوّلاً: بأنّ التأويل يحتاج إلى دليل خاصّ، وقد تقدّم أنّ التأويل لا يجوز لأحد إلاّ لمن قام له الدليل على جوازه. وثانياً: أنّ الأدلّة والروايات مختصّة بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلا يحقّ لأحد من الصحابة أن يقاتل بلا أمر من الإمام عليه السلام. وثالثاً: لا بدّ من الاقتصار على ما ورد في لسان الدليل والروايات وذلك لأنّ لسان الروايات محدد ومختصّ بالقتال فقط، فلا يجوز التعدّي منها. فما هو الوجه تسرية القتال بالأموال وغيرها؟!! فبطلان ما ادّعاه ابن تيمية أوضح من أن يخفى على أحد.

الذي قتله أسامة بالتأويل[١] قيل له: ليس فيما نقلتموه حجّة على الخصم[٢]،

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى الرواية التي أخرجها علماء أهل السنّة في كتبهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد بن حارثة يحدّث قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحرقة من جهينة قال: فصبّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلمّا غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكفّ عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتّى قتله، قال: فلمّا قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله، قال: فقال لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله إنّما كان متعوّذاً، قال: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكرّرها عليّ حتّى تمنيت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (صحيح البخاري ج٨: ص٣٦ كتاب الديات، باب قول الله تعالى ومن أحياها). وقد استدلّ ابن تيميّة بهذا الحديث على المقام، حيث أنّ أسامة قتل نفساً بالتأويل ولم يضمنه النبي صلى الله عليه وآله بدمه مع أنّه قال لا إله إلاّ الله. والجواب عنه واضح، لأنّه أوّلاً: أنّ ما رواه البخاري لا يكون حجّة عند الشيعة، وثانياً: أنّ الرواية ليست في مقام بيان التضمين كما سيأتي توضيحه في محلّه، وثالثاً: من أين عرف ابن تيمية أنّ أسامة قتله مع كونه مسلماً؟! إذ لعلّ هناك قرائن ثابتة لأسامة دالّة على نفاق المقتول. ولذلك لا يصحّ الاستدلال بالحديث حتّى إذا كان طرف الاحتجاج من أهل السنّة فضلاً عن أن يكون الاستدلال به للشيعة فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّ من شرائط الاحتجاج أن يدلي كلّ من الطرفين على الآخر بما هو حجّة عند الطرف الآخر، فلا يصحّ الاحتجاج بما لا يكون حجّة عند الخصم، وهذا أمر متّفق عليه بين جميع أهل العلم. وعليه لا معنى لاحتجاج ابن تيمية على الشيعة برواية البخاري!! فإنّ روايات البخاري غير معتبرة عند الشيعة سنداً ودلالةً كما تقدّمت الإشارة إليه. وملخّصه أنّ أهل السنّة يعتقدون بعدالة الصحابة جميعاً ←

وعلى فرض حجّيّته فلم يدلّ الخبر على عدم التضمين، بل لم يتعرّض الخبر لذلك، فمن أين قلت أنّه لم يضمنه؟[1]

➔

بلا جرح وبلا بحث في أحوالهم. ولذلك قد صرّح ب بعض علماء أهل السنّة بعدم صحّة احتجاجهم على الشيعة برواياتهم، قال ابن حزم الأندلسي في مقام البحث عن احتجاج أهل السنّة على الإمامية: أنّه لا معنى لاحتجاجنا عليهم (الشيعة) برواياتنا فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم (الشيعة) علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه؛ لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٣: ص١٢). وعليه فلا يصح لابن تيمية أن يحتجّ على الشيعة برواية البخاري وغير البخاري من أهل السنّة عليهم، كما لا يصحّ للشيعي أن يستدلّ على السنّي بما ليس حجّة عليه. وهذا من الواضحات الأوّليّة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ حديث البخاري المتقدّم ذكره يدل على أنّ أسامة بن زيد قتل رجلاً بعد ما قال: لا إله إلاّ الله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلاّ الله؟!! فالحديث كما تراه ليس فيه دلالة على التضمين ولو إجمالاً؛ لأنّ من الأصول العقلائيّة في انعقاد الدلالة هو كون المتكلم في مقام البيان، وحيث لم يكن في مقام بيان التضمين فلا دلالة له على التضمين ولو بالإشارة إلى ذلك على نحو الإجمال. والخبير يعلم أنّ من الأصول العقلائيّة لزوم وجود القرائن على أنّ المتكلم يكون في مقام البيان، فعند ذلك يصلح كلامه لانعقاد الظهور، وأمّا إذا لم يكن في مقام البيان فلا يمكن حمل كلامه على شيء. وعليه إذا أهمل المتكلّم

➔

بل الناقد يعلم أنّ حقيقة الحال غير خالية من وجهين: إمّا إيمان المقتول صدقاً فأخطأ أسامة في قتله من حيث اعتقاد كفره، وإمّا كفره ونطقه بالشهادة نفاق لينجي نفسه من القتل، فعلى الأوّل تكون الدية ثابتة في الشريعة من حيث قتله مؤمناً خطأً وعلى الثاني ليس فيه شيء لنفاقه، فإن دلّ

➔
الموضوع أو كان بيانه مبهماً فلا معنى لحمل كلامه على شيء عند العقلاء. وأيضاً من الأصول العقلائيّة أنّه لا بدّ أن يكون المتكلّم الحكيم ملتفتاً وليس بغافل في بيان مراده، وأيضاً من الأصول العقلائيّة أن يكون المتكلّم جادّاً في تبيين مراده، فهذه الأصول العقلائية قائمة على أنّ المتكلّم الحكيم إذا تكلّم بشيء يحمل ظاهر كلامه على إرادة الموضوع، أي: مدلول بيانه بحسب الفهم العرفي والعقلائي فيه دلالة على الموضوع.

وبعبارة أخرى أنّ المتكلّم الذي دلّ كلامه على موضوع بالصراحة أو بالكناية، وكان ملتفتاً وغيرغافل، وجادّ غير هازل يحمل كلامه على إرادة الموضوع، أي أنّه في مقام بيان الموضوع وتفهيمه، لا الإهمال والإبهام؛ لأنّ العقلاء يحملون كلامه على ظاهر بيانه، فيكون مراده نفس المدلول الذي يفهمه العرف والعقلاء. وفي المقام حيث أنّ مدلول حديث البخاري ليس فيه جهة التضمين، فالأصل العقلائي قائم على أن عدم إرادة التضمين فيه، إذ لو كان المراد فيه التضمين لكان فيه ما يدلّ على ذلك ولو بالقرينة أو بالإشارة إليه ولو على نحو الإجمال، فعدم ذكر التضمين فيه دليل على عدم إرادته. وعليه ما ذكره ابن تيمية مخالف لهذا الأصل العقلائي كما هو واضح ظاهر فلاحظ.

دليل على عدم التضمين يحمل على التقدير الثاني[(١)]، وقد عرفت نفاق من حارب علياًعليه السلام[(٢)]،

---

(١) وخلاصة الكلام أنّه على فرض قبول صحّة ما رواه البخاري في المقام والإغماض عمّا فيه من جهة السند فإنّ الحديث لايدلّ على المقام، لأنّ ظاهر من كلام النبيصلى الله عليه وآله والسؤال الذي وجههصلى الله عليه وآله إلى أسامة بقولهصلى الله عليه وآله: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلاّ الله؟!! مردّد بين الجهتين، الأولى: أن يكون المراد منه: أنّ أسامة قتله بعد ما أسلم الرجل، وذلك باعتبار أنّ النبيصلى الله عليه وآله وبّخه على فعله، حيث من المحتمل أن النبيصلى الله عليه وآله يقصد بأن المقتول كان صادقاً في قوله لا إله إلاّ الله ، وكان من اللازم على أسامه قبول إسلامه. والثانية: أنّه يحتمل أن تكون هناك قرائن تدلّ على عدم إيمان المقتول صادقاً في قوله لا إله إلاّ الله، بل أنّ تلفّظ بهذه بمقتضى النفاق. ومن الواضح أنّ التضمين إنّما يثبت إذا ثبت أنّ المقتول كان مؤمناً وصادقاً في إيمانه. وأمّا إذا لم تكن هناك قرينة على إيمانه صادقاً فلا معنى لحمل كلام النبيصلى الله عليه وآله على التضمين. وعليه فيقع الترديد في دلالة الحديث، والترديد في الدلالة يمنع من الإستدلال به، فيقال: إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال، إذ لا يصحّ الأخذ بالموضوع المردّد بين الأمرين. وفي المقام أنّ ما فعله أسامة من القتل يحتمل أن يكون من جهة نفاقه، والمنافق دمه هدر. ويحتمل أن يكون المقصود التوبيخ لما فعله أسامة، وأمّا هل أنّ النبيصلى الله عليه وآله ضمن دمه بعد توبيخه أم لا، فلا دلالة للحديث على ذلك. وهذا الترديد بين الاحتمالين موجب لبطلان استدلال ابن تيميّة بالحديث، فلاحظ.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة التي رواها علماء أهل السنّة في أصحّ كتبهم فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن زر بن حبيش عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد ←

والمنافق دمه هدر من دون ريب[(١)].

النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وقال ابن حجر في فتح الباري عند شرح حديث سهل بن سعد في قصّة فتح خيبر، وفي بيان معنى ما ورد في حديث سلمة ابن الأكوع: قوله في الحديثين إن عليّاً «يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، أراد بذلك وجود حقيقة المحبّة وإلاّ فكلّ مسلم يشترك مع عليّ في مطلق هذه الصفة، وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾ فكأنّه أشار إلى أن عليّاً تامّ الاتّباع لرسول صلى الله عليه وآله حتى اتّصف بصفة محبّة الله له؛ ولهذا كانت محبّته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه، قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي صلى الله عليه وآله أن لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» ، وله شاهد من حديث أمّ سلمة (انظر فتح الباري ج٧: ص٥٧). ولا يخفى أنّه إذا كان بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق، وكان من المحتمل أنّ أسامة وجد في الرجل علامة النفاق كالبغض لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقتله من أجل أنّ المنافق دمه هدر. فضمّ هذه الرواية الصحية إلى رواية أسامة ينتج أن أنّ المقتول كان دمه هدراً ، ولذلك سكت النبي صلى الله عليه وآله عن فعل أسامة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة في كتب أهل السنّة، وهي تدلّ بالصراحة على أنّ دم المنافق هدر، منها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عكرمة عن عبد الله بن عبّاس قال: كانت أمّ ولد لرجل كان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت تشتم النبي صلى الله عليه وآله فينهاها ولم تنتهي ويزجرها ولا تنزجر، فلمّا كان

➔
ذات ليلة ذكرت النبيﷺ فما صبر أن قام إلى مغول فوضعها في بطنها ثم اتّكأ عليها حتّى أنفذها، فقال رسول اللهﷺ: «أشهد أن دمها هدر» (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٣٥٤)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام.

مضافاً إلى دلالة بعض الأحاديث والروايات على المقام من باب الملازمة بين وجوب الطاعة وعدمها موجب لموت الجاهلية، ومعناه لاحرمة لدمه. وذلك للروايات الدالّة على وجوب طاعة الإمام في كلّ عصر وزمان، فإنّها تدلّ على أنّ من مات وفي عنقه بيعة الإمام مات ميتة جاهليّة (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٢ كتاب الإمارة، باب حكم من فرق بين أمر المسلمين وهو مجتمع). وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في كتبهم الدالّة على المقام كالروايات على أنّ من حارب إمام زمانه ومات، مات ميتة جاهلية، أو غير ذلك من الأدلّة فإنّها تدلّ على المقام.

أضف إلى ذلك الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة عن النبيﷺ الدالّة على أنّ من مات على بغض الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كانت ميتته ميتة جاهلية، منها ما رواه الهيثمي بسنده عن ابن عبّاس قال: لمّا آخى النبيﷺ بين أصحابه من المهاجرين حتّى وجده.. فقال: «ألا من أحبّك حفّ بالأمن والإيمان ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية» (مجمع الزوائد ج٩: ص١١١)، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج١١: ص٦٢، وفي معجمه الأوسط ج٨: ص٤٠، والخوارزمي في المناقب: ص٣٩، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ج١: ص٢٢٠ وغيرهم. ومنها ما أخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «طلبني رسول اللهﷺ فوجد في جدول نائماً فقال: ما اليوم الناس يسمّونك أبا تراب، فرآني كأني وجدت في نفسي
➔

وثامنها: ما زعمه من إخبار حذيفة بذلك في زمن عمر وعثمان قبل حدوث الفتنة فإنّه تدليس منه على الغَفَلة[1]،

➔

من ذلك، فقال: قم والله وأخي وأبو ولدي، تقاتل عن سنّتي، وتبرء عن ذمّتي، من مات في عهدي فهو كبر الله، ومن مات في عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤٠٢)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٢، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٥ وغيرهم. فهذه الأحاديث وغيرها صريحة في أنّ من مات على حالة البغض للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مات ميتة جاهلية وكفر، فكيف بمن حاربه وقاتله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما استدلال ابن تيمية بحديث حذيفة على وقوع الفتنة بعد قتل عثمان ، لا يمكن قبوله من جهة الشواهد التاريخية على أرض الواقع، فلا ينسجم مع ما في التاريخ والتراجم؛ حيث أنّ التاريخ والروايات تنقل لنا الوثائق الدالّة على عدم ما ادّعاه؛ إذ قد روى مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة والقرائن في الحديث يدلّ على أنّ الخبر يرتبط بعصر خلافة عمر وعثمان فكيف هو يخبر عن الفتنة الواقعة في عصر الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؟!! وبعبارة أخرى أنّ ابن تيمية أراد بحديث حذيفة الاستدلال بوجود الفتنة في عصر الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فكيف هو يخبر بذلك قبل ذلك العصر؟!! وقبل الورود في البحث لابدّ من ذكر مقدمة، وهي أنّه لا يخفى على الخبير أنّ كتب ابن تيمية مشحونة بالخرافات والأكاذيب والافتراءات التي لاتوجد في غيره، بل وهي دون شأن

➔

➔

العوام فضلاً عن أهل العلم. فإنّ الباحث لو راجع كتبه يجد فيها التهم والافتراء على شيعة أهل البيت عليهم السلام في كلّ موضوع. وهو يطعن فيهم، بل ويتجاسر على أئمة أهل البيت عليهم السلام بكلّ صلافة وجرأة، لا سيمّا عند التفاته إلى بطلان كلامه ورأيه وعقيدته عند الكلّ، فيلتجأ إلى الكذب والافتراء والزور و التدليس والدجل تعصّباً على مذهبه. رغم أنّ الشرع الإسلامي ذمّ الكذب بكلّ أشكاله، واحتقر الإنسان المتعصّب الذي أغلق عقله للعصبيته الجاهلية. وقد وردت الآيات والروايات الكثيرة في قبح هذه الصفة الذميمة والنهي عن الوقوع في شرّها، ومن هذه الروايات ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب» (مسند الشهاب القضاعي ج٢: ص٢٧٠). وممّا روي في المقام هو قوله صلى الله عليه وآله: «إذا كذب العبد، تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به» (انظر سنن الترمذي ج٣: ص٢٣٥). بل اعتبر القرآن الكريم الكذب من صفات الذين لا يؤمنون بالله سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ (سورة النحل:١٠٥). هذه الآية الكريمة بحثت عن مسألة قبح الكذب بشكل عنيف، وقد جعلت الكاذبين بدرجة الكافرين والمنكرين للآيات الإلهيّة ومع أن موضوع الآية هو الكذب والافتراء على الله والنبي صلى الله عليه وآله إلاّ أن الآية تناولت قبح الكذب بصورة إجماليّة، وذلك لأهميّة هذا الموضوع فقد أعطت التعاليم الإسلاميّة إفاضات خاصّة لمسألة الصدق والنهي عن الكذب، ومن تلك الموارد ما رواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن صفوان بن سليم أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذّاباً؟ فقال: «لا» (الاستيعاب لابن عبد البر ج٨: ص٥٧٥). وإلى غير ذلك مما ورد في قبح وذمّ الكذب، وإذا تأمّل الإنسان في هذه

➔

←

النصوص والروايات وما ورد في ذمّ الكذب من الآيات والروايات سوف يعرف الآثار الوضعيّة والاجتماعية السيّئة المترتّبة على الكذب والافتراء بحيث لو لم يتركه لأدركه الهلاك الأبديّ. وأنّ كلّ كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا، ولا يعتني أحد بقوله، وكثيراً ما يُفتضح عند الناس بظهور كذبه. ومن أسباب افتضاحه أنّ الله سبحانه يسلّط عليه النسيان، حتّى أنّه لو قال شيئاً ينسى أنّه قاله فيقول خلاف ما قاله، فيفتضح؛ وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادقعليه السلام بقوله: «إنّ ممّا أعان الله به على الكذّابين النسيان» (الكافي ج٢: ص٣٤١). وعنهعليه السلام قال: «قال عيسى ابن مريمعليه السلام: من كثر كذبه ذهب بهاؤه» (الكافي ج٢: ص٣٤١). وإلى ذلك ممّا ورد بهذا المضمون. وبعد وضوح هذه المقدمة لو راجعنا إلى ما قاله ابن تيمية في المقام نجد أنّ رواية حذيفة الذي رواه مسلم في صحيحه يرتبط بعصر خلافة عمر وعثمان فكيف هو يخبر عن الفتنة الواقعة في عصر الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؟!! ولكن تجد ابن تيمية يلتجأ إلى هذا الكذب الصريح ليحرف الأذهان عما وقع في خلافة عمر وعثمان، لأنّه كان يعرف حدوث الفتن في عصر الخليفتين لاسيّما في خلافة عثمان وما حدث في أواخر ايامه. فهناك من الأمور أوضح من أن تخفى على الباحث وأهل التحقيق. ولنا أن نسأل منه: من أين عرفت أنّ المقصود بالفتنة هي ما وقعت بعد قتل عثمان؟ وهل هناك قرينة حالية أو مقالية على ذلك؟ فليس في حديث حذيفة دلالة على ذلك ولو بالإشارة، وإليك نصّ ما رواه مسلم في صحيحه، فإنّه أخرج بسنده: عن بسر ابن عبيد الله الحضرمي أنّه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنّا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل

→

لأنّ إخبار حذيفة بذلك حتّى لو فرض صدوره في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يجد السنّي شيئاً، لما عرفته من بيان معنى الخبر بالسنن العديدة الصحيحة الّتي

➔

بعد هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله فما ترى أن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض على أصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك (انظر صحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). فكما ترى أنّ الحديث ليس فيه ما يدل على زمن خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل القرائن القطعية قائمة على أنّ المقصود بالفتن هي الفتن الحادثة في عصر عمر وعثمان، لأنّ الإخبار المتكلم إمّا أن يكون إخباراً عما مضى أو عن إخباراً عن الحال. وإذا كان حذيفة يخبر في عصر الخليفتين كيف يمكنه الإخبار عما بعده؟!! أي كيف يمكنه الإخبار عن زمن الخلافة الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!! وكيف جاز لابن تيمية أن يطبق الحديث على عصر الخلافة الظاهرية لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!! والذي يهون الخطب أنّ ابن تيمية كعادته أراد أن يدلّس بالكذب والافتراء على أهل السنة ليخدع عوامهم ويغرّهم بأكاذيبه وتحريفاته فلاحظ.

تبين بها فساد ما زعمه هو في معناه[١]. مضافاً إلى وهن ما زعمه السنّي من

---

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على الباحث أنّ حديث حذيفة فيه إشارة إلى ما فعله الخلفاء بعد وفاة النبيﷺ من أنّهم لايستنون بسنة رسول اللهﷺ وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، وإلى غير ذلك ممّا ورد في الحديث، فالمتتبّع في الآثار والأخبار يعرف كذب ما ادّعاه ابن تيمية في المقام، لأنّ الباحث لو تأمل في الحديث يجد أنّ ما قصده حذيفة هو الإخبار عن الفتن التي وقعت في زمن الخلفاء الثلاثة، حيث أنّ الحديث فيه إشارة إلى ما فعله الخلفاء بعد النبيﷺ. كما يتّضح ذلك من خلال متابعة الباحث في النصوص والروايات الدالّة على ما حدث في زمن الخلفاء الثلاثة في البدع في الدين والانحراف والتضليل. ثمّ هنا السؤال يتوجّه إلى ابن تيمية وأتباعه وهو أنّه كيف يمكن نسبة دعوى ظهور الفتن إلى النبي الأكرمﷺ من دون أن يبيّن النبيﷺ لأمّته طريق النجاة منها؟!! مع أنّهﷺ كان رؤوفاً ورحيماً بأمّته كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:١٢٨). فهو أشفق على أمّته من الوالدين، فكيف يصحّ أن يترك أمّته دون أن يبيّن لهم النجاة من هذه الفتن التي تعصف بهم بعد وفاته؟!! مع أنّ الله تبارك وتعالى أوجب على الهداة الذين لهم الرسالة السماوية فتح الطريق للعباده وهدايتهم إلى طريق النجاة، كما في قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:١١٥). فكيف تصحّ هذه النسبة إلى النبي الأكرمﷺ ولم يذكر لهم طريق النجاة ؟!!! وإليك ما في الحديث: يقول الراوي سألت النبيﷺ عن دعاة الشرّ "وهم الدعاة على أبواب جهنّم من أجابهم قذفوه فيها"، فيقول حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا، ←

إخبار حذيفة في زمن عمر، فإنّ ناقل الخبر عن حذيفة عائذ بن عبدالله العوذي[1] وهو على ما في تهذيب التهذيب قد ولد في غزوة حنين وهي

➔

ويسأل حذيفة: وما العصمة من ذلك؟ قال: السيف، فقلت يا رسول الله: ثم ماذا يكون؟ قال: إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلاّ فمت وأنت عاص... ففليس في الحديث دلالة على دريق النجاة إلاّ التسليم أمام الظلم والجور . وهل هذا هو طريق الهداية من رسول ربّ العالمين؟!! وهناك في دلالة على جهات عديدة من الإشكال التي لا يمكن الالتزام ببها وقد تقم شطر منها فلايمكن الإلتزام بذلك حتى على منبى علماء أهل السنّة فلاحظ.

(١) وهو أبو إدريس عائذ بن عبد الله بن عمرو العوذي الشامي الخولاني، وُلد عام حُنين وكان من كبار التابعين (انظر الطبقات لابن سعد ج٧: ص٤٤٨، والتاريخ الكبير للبخاري ج٧: ص٨٣). وقال الذهبي: قاضي دمشق وعالمها وواعظها (سير أعلام النبلاء ج٤: ص٢٧٣). وقال ابن حجر في الإصابة: أنّه قال ابن حبان: ولاّه عبد الملك قضاء دمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، وقال ابن معين وغيره: مات سنة ثمانين من الهجرة (الإصابة ج٥: ص٥). فلم نجد أحداً من المتقدّمين من علمائهم كشعبة وابن معين وابن المديني وأمثالهم تكلّموا على سماع أبي إدريس عائذ ابن عبد الله من حذيفة! نعم، قال يعقوب الفسوي (المتوفى٢٧٧هـ) في كتابه المعرفة والتاريخ: وسَمِعَ أبو إدريس من حذيفة... (انظر المعرفة والتاريخ ج٢: ص٣٢١). وقال أبو نصر البخاري الكُلاباذي (المتوفى ٣٩٨هـ) في كتابه رجال صحيح البخاري: عائذ الله بن عبدالله بن إدريس الخولانيّ الشامي: سمع حذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وأبا الدرداء... (انظر رجال صحيح البخاري ج٢: ص٥٩٤). ولكن لا يمكن لأهل السنّة الاعتماد عليهما، لأنّ الأوّل ادّعاء بلا دليل، إذ لا بدّ من

➔

وقعت في آخر سنة ثمان وعمر قد مات في آخر سنة ثلاث وعشرين، فيصير عمر عائذ يوم موت عمر خمس عشر سنة وما يزيد على السبعين يوماً، فيبعد في العادة سماعه للخبر من حذيفة في زمان عمر من حيث جريان عادتهم حسبما قاله في تهذيب التهذيب على طلب العلم بعد البلوغ[1]. والذي تعدّى عن البلوغ دون الثمانين يوماً ليس له لياقة لتحمّل ما هو سرّ، بل لياقته لتعلّم مسائل الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من المسائل المطلوب معرفتها من عموم الخلق، ومعرفة السرّ تختصّ بمن تمرن بالتقوى والعلم فصار متضلّعاً بهما، وهذه ليست تليق وتتحقّق فيمن خوطب بالتحصيل للعلم بالدين قبل أيّام يسيرة لم تصل إلى التسعين يوماً[2]. نعم

➔

إثبات دعواه بشهادة أحد علماء الرجال من قبله. والثاني أيضاً غير صحيح، لأنّه لم يؤيّده علماء الرجال المتقدّمين، وعليه كيف يمكن لحذيفة صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينقل الخبر لمن هو أعظم وأعلم وأتقى من عائذ وهم جماعة من الصحابة مثل جابر بن عبد الله وجندب بن عبد الله البجلي وأبي الطفيل وغيرهم ينقله للتابعين فقط؟!! ولذلك لا يمكن قبول إخبار حذيفة لعائذ بن عبدالله ابن إدريس فلاحظ.

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٥: ص٧٥

(٢) وتوضيح المقام أنّه كيف يمكن أن يصدّق العاقل أنّ مثل حذيفة بن اليمان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا ينقل الحديث إلى أحد إلاّ لغلام تعدّى عن البلوغ دون الثمانين يوماً ؟! والحال أنّ الحديث فيه التكليف لتعيين مصير المسلمين عند الوقوع الفتنة، فكيف يمكن القول بأنّ حذيفة لم ينقل الحديث لأحد من ➔

يجوز سماعه لذلك من حذيفة في نهاية إمارة عثمان، ولكن ما ندري ما السرّ في عدم بيان حذيفة للخبر لمن هو أعظم وأعلم وأتقى من عائذ وهم جماعة من الصحابة مثل جابر بن عبد الله وجندب بن عبد الله البجلي وأبي الطفيل وغيرهم وبيانه لتابعي هذه لياقته[1].

وتاسعها: ما زعمه بقوله: "فإنّ حذيفة لمّا بلغه قتل عثمان علم بأنّ

➔

الصحابة إلاّ لهذا الشابّ الذي تعدّى عن البلوغ دون الثمانين يوماً. لا سيمّا مع فرض أنّ حذيفة كان يحتاط في إفشاء السرّ لكونه أهل التقوى وأهل المعرفة، فكان يمتنع امتناعاً شديداً عن إفشاء سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لكبار الصحابة، فكيف يمكن لهذه الشخصيّة أن يروي الحديث للشابّ الذي لا يليق به إلاّ تعلّم المسائل الأوليّة كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها، فإنّه عادتاً يستبعد مثل ذلك.

(١) وملخّص الكلام أنّ حديث حذيفة الذي زعم ابن تيمية أنّه يدلّ على وقوع الفتنة بعد مقتل عثمان مخدوش سنداً ودلالةً، فلا يصحّ الاحتجاج به على أهل السنّة فضلاً عن الاحتجاج به على الشيعة، لأنّ الخبير يعلم أنّ مثل هذا الحديث يخدم سياسة الحكّام الأمويّة والعبّاسيّة، فهي من الروايات المختلقة في العصر الأمويّ والتي برزت في العصر العبّاسي لتأسيس المبنى لخلافة السقيفة والاعتقاد بانحصار الإمامة في حكّام الجور. فآثار الاختلاق على الحديث ظاهرة واضحة كما تقدّم. فالعقل السليم يحكم ببطلانه، إذ كيف يعقل لصاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي كان يمرن التقوى والعلم وصار متضلّعاً بهما أن ينقل الحديث لمن خوطب بالتحصيل للعلم بالدين قبل أيّام يسيرة لم تصل إلى التسعين يوماً بعد بلوغه؟ فلا بدّ لابن تيمية الجواب عن هذا السؤال، فلاحظ.

الفتنة قد وقعت″، فإنّه بهتان على حذيفة[1]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ حذيفة بن اليمان العبسي كان من أكابر الشيعة وأعاظمهم. وهو أحد الأركان الأربعة الذين أثبتوا ولائهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم: سلمان والمقداد وأبو ذرّ وحذيفة (انظر تنقيح المقال ج١٨: ص١٣٦). وقد ذكر بعض الأعلام: أنّ الرّكن في اصطلاح المحدّثين هو الصحابيّ الذي نافسَ جميع الصّحابة في الفضل وتمسّك بأهل البيت عليهم السلام وواساهم ظاهراً وباطناً ولم يوال أحداً من مخالفيهم. فقد روى الكشيّ بسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه عن جدّه الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار وحذيفة (رحمة الله عليهم)». وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة عليها السلام» (رجال الكشّي ج١: ص٣٣١). وفي رواية رواه الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن عبد الله العمري قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «خلقت الأرض لسبعة بهم يرزقون وبهم يمطرون وبهم ينصرون: أبو ذرّ وسلمان والمقداد وعمّار وحذيفة وعبد الله بن مسعود»، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وأنا إمامهم وهم الذين شهدوا الصلاة على فاطمة عليها السلام» (الخصال للشيخ الصدوق: ص٣٦٠). ورواه الشيخ المفيد قدس سره في الاختصاص: ص٥، والفرات بن ابراهيم الكوفي في تفسيره: ص٥٧٠، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج٢: ص٤٤٩ وغيرهم. ولا يخفى دلالة هذه الأحاديث على جلالة هؤلاء السبعة ورفعة شأنهم وسموّ مقامهم. وقد وردت روايات كثيرة في مدح حذيفة والثناء عليه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما يستفاد حسن سريرته وصفاء باطنه وولاؤه الخالص من سيرته ←

بل علم بأنّ إمام الحقّ قد قام في موضعه لما ذكره حافظهم المغربي في استيعابه من أنّ ولدي حذيفة سعيد وأخيه بايعا علياًعليه السلام بوصية من أبيهما وهما من المستشهدين بين يديه في صفين[1]، فعلم عدم صدور فتنة مشتبهة

➔

ومسيرته. والمعروف عند الفريقين: أنّه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم، عرفهم ليلة العقبة، حتّى أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله في منصرفِهم من تبوك، وكان حذيفة تلك الليلة قد أخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله يقودها، وقد كانوا من المهاجرين والأنصار (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص١٠٢). وفي رواية عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: هو أعلم أصحاب محمّد بالمنافقين (انظر الطبقات الكبرى ج٢: ص٣٤٦). وقد ذكره الشّيخ الطوسيّ قدس سره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعة عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بأربعين يوماً (انظر رجال الطوسي: ص١٦). وكلك ذكره من جملة أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقال: وعداده في الأنصار، وقد عُدّ من الأركان الأربعة (رجال الطوسي: ص٣٧). وقد سئل الفضل بن شاذان عن ابن مسعود وحذيفة، فأجاب: لم يكن حذيفة مثل ابن مسعود؛ لأنّ حذيفة كان ركناً..، وفي نسخة: زكيّاً بدلَ ركناً (اختيار معرفة الرجال ج١: ص١٨٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في جلالة شأن حذيفة وعلوّ مرتبته، فلا شكّ أنّه كان من خلّص شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فلاحظ.

(١) قال ابن عبد البر:... وهو معروف في الصحابة بصاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر، وكان حذيفة يقول: خيّرني رسول الله صلى الله عليه وآله بين الهجرة والنصرة فاخترت

➔

بقتل عثمان عند ناقل الخبر عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[(١)]، بل الحقّ لديه بيّن وهو إمامة عليعَلَيْهِالسَّلَامُ، ومن هذه الجهة وصّى ولديه بمبايعته ومتابعتهعَلَيْهِالسَّلَامُ[(٢)]، فعلم من

➔

النصرة، وهو حليف للأنصار لبني عبد الأشهل. وشهد حذيفة نهاوند، فلمّا قتل النعمان بن مقرّن أخذ الراية، وكان فتح همذان والريّ والدينور على يد حذيفة، وكانت فتوحه كلّها سنة اثنتين وعشرين. ومات حذيفة سنة ستّ وثلاثين بعد قتل عثمان في أوّل خلافة علي، وقيل: توفي سنة خمس وثلاثين، والأوّل أصحّ، وكان موته بعد أن أتى نعثى عثمان إلى الكوفة ولم يدرك الجمل. وقتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفّين، وكانا قد بايعا عليّاًعَلَيْهِالسَّلَامُ بوصيّة أبيهما إياهما بذلك (الاستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٣٣٥).

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا كان حذيفة ناقلاً للحديث المذكور لكان أولى بالعمل به من غيره، حيث لو كان رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال له: الفتنة بعد قتل عثمان!! كيف يجوز لحذيفة أن يوصّي أولاده أن يبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ ويشتركوا معه في حروبه التي وقعت أيام خلافته، فكيف يعقل ذلك لمثل حذيفة؟!! وقد تقدّم في رواية ابن عبد البر أنّه فعل ذلك (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٣٣٥)، فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّ ما رواه ابن عبد البرّ من وصية حذيفة وهي قوله: وقتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفّين، وكانا قد بايعا عليّاًعَلَيْهِالسَّلَامُ بوصية أبيهما إيّاهما بذلك (الاستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٣٣٥). يدلّ على أنّ حذيفة كان يعتقد بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ إذ لمّا أوصى بهما وأمرهما أن يبايعا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، معناه أنّه كان راضياً ومعتقداً بإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ.

ذلك أنّ إمامته هي الخير الثاني بعد الشرّ الحادث بعد زمان النبوّة[١]، وما علم به حذيفة هو نفس الّذي عرفناه وعلمناه به من السنن المتقدّمة وغيرها ممّا مضى التنبيه عليه[٢].

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ رواية ابن عبد البر تكون قرينة على أنّ المراد والمقصود من الخير والشرّ في رواية حذيفة، إذ المستفاد من حديث الوصيّة أنّ حذيفة لم يقصد بالفتنة إلاّ في زمن الخلفاء الثلاثة. وعليه كيف يمكن تحمل الرواية التي نقلها ابن تيمية على خلاف ما جاء هنا بالصراحة؟! فإنّ مقصوده من الفتنة قد أوضحه في رواية ابن عبد البر. ثمّ كيف يعقل أنّه يوصي أولاده بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع وجود الفتنة؟!! وعليه فلا يعقل أن يكون المقصود بالفتنة والشرّ في عصر الخلافة الظاهرية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل المراد منه هو عصر خلفاء الجور كما أنّه يلائم مع معتقدات حذيفة، فلاحظ.

(٢) لا شكّ أن مفهوم الإمامة كتاباً وسنّة يبتني على الحجج الشرعيّة التي تتمثّل في النصوص القرآنية والسنّة النبويّة المتّفق عليها بين جميع المسلمين، فيلزم على كلّ مسلم العمل بها باعتبار لزوم العمل بالحجّة الشرعية الموافقة للعقل والنقل. وقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (سورة النساء:٥٩). هذه الآية تأمر المؤمنين – أوّلاً – بأن يطيعوا الله، فتكون طاعة الله واجبة عليهم، ثمّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله، ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات الى الله سبحانه، لأنّ كلّ ولاية وقيادة يجب أن تتّبع من ولاية الله وذاته المقدسة؛ فطاعة الرسول واجبة بأمر الله، لأنّ ←

➔

السياق والعطف يدلاّن على طاعة الرسولصلى الله عليه وآله. كما أنّ ظاهر العطف والسياق تدلاّن على وجوب طاعة أولى الأمر كطاعة الرسولصلى الله عليه وآله، ومعناه أنّ أولى الأمر له جميع مواصفات النبيصلى الله عليه وآله من العصمة والعلم وغيرها من الأوصاف التي تكون سبباً لوجوب طاعته، وإلاّ فلا يصحّ إطلاق العطف من الحكيم، فتجب طاعة أولى الأمر كوجوب طاعة النبيصلى الله عليه وآله. وعليه يجب على كافّة المؤمنين الرجوع إلى الله والرسولصلى الله عليه وآله وأولى الأمر. ومن هنا يُعرف أنّ جميع النصوص في باب الإمامة تجب أن تكون كالآية الشريفة متّفق عليها بين جميع المسلمين، أو كالسنّة المتواترة المتّفق على قبولها بين جميع المسلمين، فتكون حجّة عليهم. فالشيعة تعتقد بأنّ النصوص الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من هذا النوع من الأدلّة الّتي تكون حجّة على جميع المسلمين. حيث أنّ مسألة الإمامة من المسائل الإلهية المهمّة التي تعتقد بها الاثني عشرية، وعصارة ما استدلّ به الإمامية على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام من مجموع الآيات والروايات وأقوال اللغويين والمتكلمين من أهل السنّة والشيعة بعد إجراء محاكمة علمية لجميع هذه الأقوال الواردة في تشخيص المراد من أولي الأمر مثلاً في الآية الكريمة التي تدلّ على إمامة المعصومينعليهم السلام. أو بغير ذلك كما استدلّ بها علماء الشيعة على تعيين الأئمة الاثني عشرعليهم السلام بنصوص أخرى، وهي كثيرة جدّاً. وسنذكر الآيات والروايات الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنينعليه السلام ان شاء الله في محلّه. ومن هنا يعرف أنّ حذيفة كان يعتقد بهذه النصوص والأدلّة، ولذلك أوصى أولاده ببيعة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، فلاحظ.

الفهرس